كتاب شفاء قاضي عياض

تعليق ٢

شرح حديث الايمان على نطبق الى اخره ١١٠

الكلام في خبر العرانيين ١١٦

الباب الثاني فيما يخصهم في الامور الدنيوية ويطرأ عليهم ١٣٣

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الفقيه القاضي الامام العالم ابو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي رحمه الله تعالى

الحمد لله المتفرد باسمه الاسمى ، المختص بالملك الاعز الاحمى ، الذي ليس دونه
منتهى ، ولا وراءه مرمى ، الظاهر لا تخيلا ووهما ، الباطن تقدسا لا عدما ،
وسع كل شيء رحمة وعلما ، واسبغ على اوليائه نعما عما ، وبعث فيهم رسولا
من انفسهم عربا وعجما ، وازكاهم محتدا ومنمى ، وارجحهم عقلا وحلما ،
واوفرهم علما وفهما ، واقواهم يقينا وعزما ، واشدهم بهم رأفة ورحمى ،
زكاه روحا وجسما ، وحاشاه عيبا ووصما ، وآتاه حكمة وحكما ، وفتح به اعينا عميا ،
وقلوبا غلفا ، وآذانا صما ، فآمن به وعزره ونصره ، من جعل الله له في مغنم السعادة
قسما ، وكذب به وصدف عن آياته من كتب الله عليه الشقاء حتما ، ومن كان في هذه اعمى
فهو في الآخرة اعمى ، صلى الله عليه وسلم صلوة تنمو وتنمى ، وعلى آله وسلم تسليما ،
اما بعد اشرق الله قلبي وقلبك بانوار اليقين ، ولطف لي ولك بما لطف
باوليائه المتقين ، الذين شرفهم الله بنزل قدسه ، واوحشهم من الخليقة بانسه ،
وخصهم من معرفته ومشاهدة عجائب ملكوته وآثار قدرته بما ملأ قلوبهم حبرة ، ووله
عقولهم في عظمته حيرة ، فجعلوا همهم به واحدا ولم يروا في الدارين غيره ، فهم
بمشاهدة جماله وجلاله يتنعمون ، وبين آثار قدرته وعجائب عظمته يترددون ،
وبالانقطاع اليه والتوكل عليه يتعززون ، لهجين بصادق قوله قل الله ثم ذرهم
في خوضهم يلعبون ، فانك كررت علي السؤال في مجموع يتضمن التعريف بقدر المصطفى
صلى الله عليه وسلم ، وما يجب له من توقير واكرام ، وما حكم من لم يوف واجب عظيم
ذلك القدر ، او قصر في حق منصبه الجليل قلامة ظفر ، وان اجمع لك ما لاسلافنا وائمتنا
في ذلك من مقال ، وابينه بتنزيل صور وامثال ، فاعلم اكرمك الله انك

انك حملتني من ذلك امرا امرا ، وارهقتني فيما ندبتني اليه عسرا ، وارقيتني بما كلفتني
مرتقى صعبا ، ملأ قلبي رعبا ، فان الكلام في ذلك يستدعي تقرير اصول ، وتحرير
فصول ، والكشف عن غوامض ودقائق من علم الحقائق ، مما يجب للنبي
صلى الله عليه وسلم ويضاف اليه ، او يمتنع او يجوز عليه ، ومعرفة النبي والرسول
والرسالة والنبوة والمحبة والخلة ، وخصائص هذه الدرجة العلية ، وههنا
مهامه فيح تحار فيها القطا ، وتقصر بها الخطا ، ومجاهل تضل فيها الاحلام ، ان
لم تهتد بعلم علم ونظر سديد ، ومداحض تزل فيها الاقدام ، ان لم تعتمد على توفيق
من الله وتاييد ، لكني لما رجوته لي ولك في هذا السؤال والجواب ، من نوال
وثواب ، بتعريف قدره الجسيم ، وخلقه العظيم ، وبيان خصائصه التي لم تجتمع
قبل في مخلوق ، ولما يدين الله تعالى به من حقه الذي هو ارفع الحقوق ليستيقن
الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا ايمانا ، ولما اخذ الله على الذين اوتوا
الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه ، ولما حدثنا به ابو الوليد بن هشام
الفقيه رحمه الله بقراءتي عليه قال حدثنا الحسين بن محمد حدثنا ابو عمر النمري
حدثنا ابو محمد بن عبد المؤمن حدثنا ابو بكر محمد بن بكر حدثنا سليمان بن الاشعث حدثنا
موسى بن اسمعيل حدثنا حماد اخبرنا علي بن الحكم عن عطاء عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سئل عن علم فكتمه الجمه الله بلجام من نار يوم
القيمة فبادرت الى نكت سافرة عن وجه الغرض مؤديا من ذلك الحق المفترض
اختلستها على استعجال لما المرء بصدده من شغل البدن والبال بما طوقه
من مقاليد المحنة التي ابتلي بها فكادت تشغل عن كل فرض ونفل ، وترد
بعد حسن التقويم الى اسفل سفل ولو اراد الله بالانسان خيرا لجعل شغله وهمه
كله فيما يحمد غدا او يذم محله فليس ثم سوى حضرة النعيم او عذاب الجحيم ولكان
عليه بخويصة نفسه واستنقاذ مهجته وعمل صالح يستزيده وعلم نافع يفيده
او يستفيده جبر الله صدع قلوبنا وغفر عظيم ذنوبنا وجعل جميع استعدادنا
لمعادنا وتوفر دواعينا فيما ينجينا ويقربنا اليه تعالى زلفى ويحظينا بمنه ورحمته
ولما نويت تقريبه ودرجت تبويبه ومهدت تاصيله وخلصت تفصيله وانتحيت

حصره وتحصيله وترجمته بالشفا بتعريف حقوق المصطفى وحصرت الكلام فيه
في اقسام اربعة القسم الاول في تعظيم العلي الاعلى لقدر هذا النبي قولا
وفعلا وتوجه الكلام فيه الى اربعة ابواب الباب الاول
في ثنائه تعالى عليه واظهاره عظيم قدره لديه وفيه عشرة فصول
الباب الثاني في تكميله تعالى له المحاسن خلقا وخلقا وقرانه جميع الفضائل
الدينية والدنيوية فيه نسقا وفيه سبعة وعشرون فصلا
الباب الثالث فيما ورد من صحيح الاخبار ومشهورها بعظيم قدره عند
ربه ومنزلته وما خصه به في الدارين من كرامته وفيه اثنى عشر فصلا
الباب الرابع فيما اظهره الله تعالى على يديه من المعجزات والآيات
وشرفه به من الخصائص والكرامات وفيه ثلثون فصلا القسم
الثاني فيما يجب على الانام من حقوقه عليه السلام ويترتب القول
في اربعة ابواب الباب الاول في فرض الايمان به ووجوب طاعته
واتباع سنته وفيه خمسة فصول الباب الثاني في لزوم محبته ومناصحته وفيه ستة
فصول الباب الثالث في تعظيم امره ولزوم توقيره وبره وفيه سبعة فصول
الباب الرابع في حكم الصلوة عليه والتسليم وفرض ذلك وفضيلته وفيه عشرة فصول
القسم الثالث فيما يستحيل في حقه وما يجوز عليه وما يمتنع ويصح من الامور
البشرية ان تضاف اليه وهذا القسم اكرمك الله تعالى هو سر الكتاب
ولباب ثمرة هذه الابواب وما قبله له كالقواعد والتمهيدات والدلائل على ما
نورده فيه من النكت البينات وهو الحاكم على ما بعده والمنجز من غرض
هذا التأليف وعده وعند التقصي لموعده والتفصي عن عهدته
يشرق صدر العدو اللعين ويشرق قلب المؤمن باليقين وتملأ
انواره جوانح صدره ويقدر العاقل النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم حق قدره ويتحرر الكلام فيه في بابين الباب
الاول فيما يختص بالامور الدينية ويتشبث به القول في العصمة وفيه ستة عشر فصلا
الباب الثاني في احواله الدنيوية وما يجوز طروءه عليه من الاعراض البشرية وفيه تسعة فصول

القسم الرابع في تصرف وجوه الاحكام على من تنقصه او سبه عليه السلام وينقسم
الكلام فيه الى بابين الباب الاول في بيان ما هو في حقه عليه السلام سب
ونقص من تعريض او نص وفيه عشرة فصول الباب الثاني في حكم شانئه
ومؤذيه ومنتقصه وعقوبته وذكر استتابته والصلوة عليه ووراثته وفيه
عشرة فصول وختمناه بباب ثالث جعلناه تكملة لهذه المسئلة ووصلة
للبابين اللذين قبله في حكم من سب الله تعالى ورسله وملائكته وكتبه وآل النبي
صلى الله عليه وسلم وصحبه واختصرت الكلام فيه في خمسة فصول وبتمامها ينتجز الكتاب
وتتم الاقسام والابواب ويلوح في غرة الايمان لمعة منيرة وفي تاج التراجم درة
خطيرة تزيح كل لبس وتوضح كل تخمين وحدس وتشفي صدور قوم مؤمنين
وتصدع بالحق وتعرض عن الجاهلين وبالله تعالى لا اله سواه استعين

القسم الاول في تعظيم العلي الاعلى لقدر المصطفى عليه السلام قولا وفعلا

قال الفقيه القاضي ابو الفضل وفقه الله وسدده لا خفاء على من مارس
شيئا من العلم او خص بادنى لمحة من الفهم بتعظيم الله تعالى قدر نبينا عليه الصلوة
والسلام وخصوصه اياه بفضائل ومحاسن ومناقب لا تنضبط لزمام
وتنويهه من عظيم قدره بما تكل عنه الالسنة والاقلام فمنها ما صرح به تعالى
في كتابه ونبه به على جليل نصابه واثنى به عليه من اخلاقه وآدابه وحض
العباد على التزامه وتقلد ايجابه فكان جل جلاله هو الذي تفضل
واولى ثم طهر وزكى ثم مدح بذلك واثنى ثم اثاب عليه الجزاء الاوفى فله الفضل
بدءا وعودا والحمد اولى واخرى ومنها ما ابرزه للعيان من خلقه على اتم وجوه الكمال
والجلال وتخصيصه بالمحاسن الجميلة والاخلاق الحميدة والمذاهب الكريمة
والفضائل العديدة وتأييده بالمعجزات الباهرة والبراهين الواضحة والكرامات
البينة التي شاهدها من عاصره ورآها من ادركه وعلمها علم يقين من جاء
بعده حتى انتهى علم حقيقة ذلك الينا وفاضت انواره علينا صلى الله عليه وسلم
كثيرا حدثنا القاضي الشهيد ابو علي الحسين بن محمد الحافظ رحمه الله قراءة مني عليه
قال حدثنا ابو الحسين المبارك بن عبد الجبار وابو الفضل احمد بن خيرون قال

حدثنا ابو علي البغدادي قال حدثنا ابو علي السنجي قال حدثنا محمد بن محبوب حدثنا ابو عيسى ابن سورة الحافظ حدثنا اسحق بن منصور حدثنا عبد الرزاق اخبرنا معمر عن قتادة عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي بالبراق ليلة اسري به ملجما مسرجا فاستصعب عليه فقال له جبرئيل ابمحمد تفعل هذا فما ركبك احد اكرم على الله منه قال فارفض عرقا

الباب الاول في ثناء الله تعالى عليه واظهاره عظيم قدره لديه

اعلم ان في كتاب الله آيات كثيرة مفصحة بجميل ذكر المصطفى وعد محاسنه وتعظيم امره وتنويه قدره اعتمدنا منها على ما ظهر معناه وبان فحواه وجمعنا ذلك في عشرة فصول

الفصل الاول فيما جاء من ذلك مجيء المدح والثناء وتعداد المحاسن

كقوله تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم الآية قال السمرقندي وقرأ بعضهم من انفسكم بفتح الفاء وقراءة الجمهور بالضم قال الفقيه القاضي ابو الفضل وفقه الله اعلم الله تعالى المؤمنين او العرب او اهل مكة او جميع الناس على اختلاف المفسرين من المواجه بهذا الخطاب انه بعث فيهم رسولا من انفسهم يعرفونه ويتحققون مكانه ويعلمون صدقه وامانته فلا يتهمونه بالكذب وترك النصيحة لهم لكونه منهم وانه لم تكن في العرب قبيلة الا ولها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولادة او قرابة وهو عند ابن عباس وغيره معنى قوله تعالى الا المودة في القربى وكونه من اشرفهم وارفعهم وافضلهم على قراءة الفتح وهذه نهاية المدح ثم وصفه بعد باوصاف حميدة واثنى عليه بمحامد كثيرة من حرصه على هدايتهم ورشدهم واسلامهم وشدة ما يعنتهم ويضر بهم في دنياهم واخراهم وعزته عليه ورأفته ورحمته صلى الله عليه وسلم بمؤمنيهم قال بعضهم اعطاه اسمين من اسمائه رؤف رحيم ومثله في الآية الاخرى قوله تعالى لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم الآية وفي الآية الاخرى هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم الآية وقوله تعالى كما ارسلنا فيكم رسولا منكم وروي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه عليه السلام في قوله تعالى من انفسكم قال نسبا وصهرا وحسبا ليس في آبائي من لدن آدم سفاح كلنا نكاح قال ابن الكلبي كتبت للنبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة ام فما وجدت فيهن سفاحا ولا شيئا مما كان عليه الجاهلية وعن ابن عباس في قوله تعالى وتقلبك في الساجدين قال من نبي الى نبي حتى اخرجك نبيا وقال جعفر بن محمد علم

علم الله عجز خلقه عن طاعته فعرفهم ذلك لكي يعلموا انهم لا ينالون الصفو من خدمته فاقام بينهم وبينه مخلوقا من جنسهم في الصورة البسه من نعته الرأفة والرحمة واخرجه الى الخلق سفيرا صادقا وجعل طاعته طاعته وموافقته موافقته فقال من يطع الرسول فقد اطاع الله وقال الله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قال ابو بكر بن طاهر زين الله محمدا صلى الله عليه وسلم بزينة الرحمة فكان كونه رحمة وجميع شمائله وصفاته رحمة على الخلق فمن اصابه شيء من رحمته فهو الناجي في الدارين من كل مكروه والواصل فيهما الى كل محبوب الا ترى ان الله تعالى يقول وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فكانت حياته رحمة ومماته رحمة كما قال عليه السلام حياتي خير لكم وموتي خير لكم وكما قال اذا اراد الله رحمة بامة قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطا وسلفا وقال السمرقندي رحمة للعالمين يعني للجن والانس وقيل لجميع الخلق للمؤمنين رحمة بالهداية ورحمة للمنافق بالامان من القتل ورحمة للكافر بتأخير العذاب قال ابن عباس هو رحمة للمؤمنين وللكافرين اذ عوفوا مما اصاب غيرهم من الامم المكذبة وحكي ان النبي عليه الصلاة والسلام قال لجبريل عليه السلام هل اصابك من هذه الرحمة شيء قال نعم كنت اخشى العاقبة فامنت لثناء الله عز وجل علي بقوله ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين وروي عن جعفر بن محمد الصادق في قوله تعالى فسلام لك من اصحاب اليمين اي بك انما وقعت سلامتهم من اجل كرامة محمد صلى الله عليه وسلم وقال الله تعالى الله نور السموات والارض الآية قال كعب وابن جبير المراد بالنور الثاني هنا محمد عليه السلام وقوله مثل نوره اي نور محمد وقال سهل بن عبد الله المعنى الله هادي اهل السموات ثم قال مثل نور محمد اذ كان مستودعا في الاصلاب كمشكوة صفتها كذا واراد بالمصباح قلبه والزجاجة صدره اي كانه كوكب دري لما فيه من الايمان والحكمة توقد من شجرة مباركة اي من نور ابرهيم عليه السلام وضرب المثل بالشجرة المباركة وقوله يكاد زيتها يضيء اي تكاد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم تبين للناس قبل كلامه كهذا الزيت وقد قيل في هذه الآية غير هذا والله اعلم وقد سماه الله تعالى في القرآن في غير هذا الموضع نورا وسراجا منيرا فقال تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين وقال تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ومن هذا

قوله تعالى الم نشرح لك صدرك الى آخر السورة نشرح وتبع والمراد بالصدر
هنا القلب قال ابن عباس رضي الله عنهما شرحه بالاسلام وقال سهل بنور الرسالة
وقال الحسن ملاه حكما وعلما وقيل معناه الم نطهر قلبك حتى لا يؤذيك الوسواس ووضعنا
عنك وزرك الذي انقض ظهرك قيل ما سلف من ذنبك يعني قبل النبوة وقيل
اراد ثقل ايام الجاهلية وقيل اراد ما اثقل ظهره من الرسالة حتى بلغها حكاه الماوردي
والسلمي وقيل عصمناك ولولا ذلك لاثقلت الذنوب ظهرك حكاه السمرقندي
ورفعنا لك ذكرك قال يحيى بن آدم بالنبوة وقيل اذا ذكرت ذكرت معي قول لا اله
الا الله محمد رسول الله وقيل في الاذان قال القاضي وفقه الله تعالى هذا تقرير من الله
تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم على عظيم نعمه لديه وشريف منزلته عنده وكرامته
عليه بان شرح قلبه للايمان والهداية ووسعه لوعي العلم وحمل الحكمة ورفع عنه ثقل
امور الجاهلية عليه وبغضه لسيرها وما كانت عليه بظهور دينه على الدين
كله وحط عنه عهدة اعباء الرسالة والنبوة لتبليغه للناس ما نزل اليهم وتنويهه
بعظيم مكانه وجليل رتبته ورفعة ذكره وقرانه مع اسمه اسمه قال قتادة
رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلوة
الا يقول اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله روى ابو سعيد الخدري رضي الله عنه
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اتاني جبريل فقال ان ربي وربك يقول تدري
كيف رفعت ذكرك قلت الله ورسوله اعلم قال اذا ذكرت ذكرت معي
قال ابن عطاء جعلت تمام الايمان بذكري معك وقال ايضا جعلتك ذكرا من ذكري فمن
ذكرك ذكرني قال جعفر بن محمد الصادق لا يذكرك احد بالرسالة الا ذكرني بالربوبية
واشار بعضهم في ذلك الى الشفاعة ومن ذكره معه تعالى ان قرن طاعته بطاعته
واسمه باسمه فقال تعالى واطيعوا الله والرسول آمنوا بالله ورسوله فجمع بينهما بواو
العطف المشتركة ولا يجوز جمع هذا الكلام في غير حقه عليه السلام حدثنا الشيخ ابو علي
الحسين بن محمد الجياني الحافظ فيما اجازنيه وقراته على الثقة عنه حدثنا ابو عمر النمري
حدثنا ابو محمد بن عبد المؤمن حدثنا ابو بكر بن داسة حدثنا ابو داود السجزي حدثنا
ابو الوليد الطيالسي حدثنا شعبة عن منصور عن عبد الله بن يسار عن حذيفة عن النبي

صلى الله عليه وسلم قال لا يقولن احدكم ما شاء الله وشاء فلان ولكن ما شاء الله
ثم شاء فلان قال الخطابي ارشدهم صلى الله عليه وسلم الى الادب في تقديم مشيئة الله
على مشيئة من سواه واختارها بثم التي للنسق والتراخي بخلاف الواو التي هي للاشتراك
ومثله الحديث الآخر ان خطيبا خطب عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال من
يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى فقال النبي صلى الله عليه وسلم
بئس خطيب القوم انت قم او قال اذهب قال ابو سليمان كره منه الجمع بين الاسمين
بحرف الكناية لما فيه من التسوية وذهب غيره الى انه انما كره الوقوف على يعصهما وقول
ابي سليمان اصح لما روي في الحديث الصحيح انه قال ومن يعصهما فقد غوى ولم يذكر الوقوف
على يعصهما وقد اختلف المفسرون واصحاب المعاني في قوله تعالى ان الله وملائكته
يصلون على النبي هل يصلون راجعة على الله تعالى والملائكة ام لا فاجازه بعضهم ومنعه
آخرون لعلة التشريك وخصوا الضمير بالملائكة وقدروا الآية ان الله يصلي وملائكته
يصلون وقد روي عن عمر رضي الله عنه انه قال من فضيلتك عند الله ان جعل
طاعتك طاعته فقال من يطع الرسول فقد اطاع الله وقد قال تعالى قل ان كنتم
تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله الآيتين روي انه لما نزلت هذه الآية قالوا
ان محمدا يريد ان نتخذه حنانا كما اتخذت النصارى عيسى فانزل الله تعالى قل
اطيعوا الله والرسول فقرن طاعته بطاعته رغما لهم وقد اختلف المفسرون في معنى
قوله تعالى في ام الكتاب اهدنا الصراط المستقيم فقال ابو العالية والحسن البصري هو رسول الله صلى الله عليه
وسلم وخيار اهل بيته واصحابه حكاه عنهما ابو الحسن الماوردي وحكى مكي عنهما
نحوه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحباه ابو بكر وعمر رضي الله عنهما وحكى
ابو الليث السمرقندي مثله عن ابي العالية في قوله تعالى صراط الذين انعمت عليهم قال
فبلغ ذلك الحسن فقال صدق والله ونصح وحكى الماوردي ذلك في تفسير صراط
الذين انعمت عليهم عن عبد الرحمن بن زيد وحكى ابو عبد الرحمن السلمي عن بعضهم
في تفسير قوله تعالى فقد استمسك بالعروة الوثقى انه محمد صلى الله عليه وسلم وقيل
الاسلام وقيل شهادة التوحيد وقال سهل في قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
قال نعمته بمحمد صلى الله عليه وسلم وقال تعالى والذي جاء بالصدق وصدق به اولئك

هم المتقون الآيتين اكثر المفسرين على ان الذي جاء بالصدق هو محمد صلى الله
عليه وسلم قال بعضهم وهو الذي صدق به وقرئ صدق بالتخفيف وقال غيرهم
الذي صدق به المؤمنون وقيل ابو بكر وقيل علي وقيل غير هذا من الاقوال وعن مجاهد
في قوله تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب قال بمحمد صلى الله عليه وسلم واصحابه

الفصل الثاني في وصفه له تعالى بالشهادة وما تعلق بها من الثناء والكرامة

قال الله تعالى يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا الآية جمع الله
تعالى له في هذه الآية ضروبا من رتب الاثرة وجملة اوصاف من المدحة فجعله
شاهدا على امته لنفسه بابلاغهم الرسالة وهي من خصائصه عليه السلام ومبشرا
لاهل طاعته ونذيرا لاهل معصيته وداعيا الى توحيده وعبادته وسراجا منيرا
يهتدى به للحق حدثنا الشيخ ابو محمد بن عتاب رحمه الله قال حدثنا ابو القاسم حاتم بن محمد
ابن يوسف حدثنا ابو الحسن القابسي حدثنا ابو زيد المروزي حدثنا ابو عبد الله
محمد بن يوسف حدثنا البخاري حدثنا محمد بن سنان حدثنا فليح حدثنا هلال عن عطاء
ابن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص قلت اخبرني عن صفة النبي
صلى الله عليه وسلم قال اجل والله انه لموصوف في التورية ببعض صفته في القرآن
يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين انت عبدي ورسولي
سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة
ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بان يقولوا لا اله الا الله
ويفتح به اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا وذكر مثله عن عبد الله بن سلام وكعب الاحبار
وفي بعض طرقه عن ابن اسحق ولا صخب في الاسواق ولا متزين بالفحش ولا قوال للخنا
اسدده لكل جميل واهب له كل خلق كريم ثم اجعل السكينة لباسه والبر شعاره
والتقوى ضميره والحكمة معقوله والصدق والوفاء طبيعته والعفو والمعروف خلقه
والعدل سيرته والحق شريعته والهدى امامه والاسلام ملته واحمد اسمه اهدي به
بعد الضلالة واعلم به بعد الجهالة وارفع به بعد الخمالة واسمي به بعد النكرة واكثر به
بعد القلة واغني به بعد العيلة واجمع به بعد الفرقة واؤلف به بين قلوب مختلفة واهواء
متشتتة وامم متفرقة واجعل امته خير امة اخرجت للناس وفي حديث آخر اخبرنا

اخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صفته في التورية عبدي احمد المختار مولده بمكة
ومهاجره بالمدينة او قال طيبة امته الحمادون لله على كل حال وقال تعالى الذين
يتبعون الرسول النبي الامي الآيتين وقد قال تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم الآية
قال السمرقندي ذكرهم الله تعالى منته انه جعل رسوله رحيما بالمؤمنين رؤفا لين
الجانب ولو كان فظا خشنا في القول لتفرقوا من حوله لكن جعله الله سمحا سهلا
طلقا برا لطيفا هكذا قاله الضحاك وقال تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا
شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا قال ابو الحسن القابسي ابان الله تعالى
فضل نبينا صلى الله عليه وسلم وفضل امته بهذه الآية وفي قوله في الآية الاخرى
وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس وكذلك قوله فكيف
اذا جئنا من كل امة بشهيد الآية وقوله وسطا اي عدلا خيارا ومعنى هذه الآية وكما
هديناكم فكذلك خصصناكم وفضلناكم بان جعلناكم امة خيارا عدولا لتشهدوا للانبياء
على اممهم ويشهد لكم الرسول بالصدق قيل ان الله جل جلاله اذا سأل الانبياء هل
بلغتم فيقولون نعم فتقول اممهم ما جاءنا من بشير ولا نذير فتشهد امة محمد للانبياء ويزكيهم
النبي صلى الله عليه وسلم وقيل معنى الآية انكم حجة على كل من خالفكم والرسول حجة عليكم
حكاه السمرقندي وقال تعالى وبشر الذين آمنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم
قال قتادة والحسن وزيد بن اسلم قدم صدق هو محمد صلى الله عليه وسلم يشفع
لهم وعن الحسن ايضا هي مصيبتهم بنبيهم وعن ابي سعيد الخدري هي شفاعة نبيهم
محمد صلى الله عليه وسلم هو شفيع صدق عند ربهم وقال سهل بن عبد الله التستري
هي سابقة رحمة اودعها في محمد صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن علي الترمذي هو
امام الصادقين والصديقين الشفيع المطاع والسائل المجاب محمد صلى الله
عليه وسلم حكاه عنه السلمي

الفصل الثالث فيما ورد من خطابه اياه مورد الملاطفة والمبرة

من ذلك قوله تعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم قال ابو محمد مكي هذا
افتتاح كلام بمنزلة اصلحك الله واعزك الله وقال عون بن عبد الله اخبره
بالعفو قبل ان يخبره بالذنب حكى السمرقندي عن بعضهم ان معناه عافاك الله
يا سليم القلب لم اذنت لهم قال ولو بدأ النبي صلى الله عليه وسلم بقوله لم اذنت لهم
لخيف عليه ان ينشق قلبه من هيبة هذا الكلام لكن الله تعالى برحمته اخبره بالعفو

حتى يسكن قلبه ثم قال له أذنت لهم بالتخلف حتى يتبين لك الصادق في عذره من
من الكاذب وفي هذا من عظيم منزلته عند الله ما لا يخفى على ذي لب ومن إكرامه إياه
وبره به ما ينقطع دون معرفة غايته نياط القلب قال نفطويه ذهب ناس إلى أن
النبي صلى الله عليه وسلم معاتب بهذه الآية وحاشاه من ذلك بل كان مخيرا فلما
أذن لهم أعلمه الله أنه لو لم يأذن لهم لقعدوا لنفاقهم وأنه لا حرج عليه في الإذن لهم
قال الفقيه القاضي وفقه الله يجب على المسلم المجاهد نفسه الرائض بزمام الشريعة خلقه
أن يتأدب بآداب القرآن في قوله وفعله ومعاطاته ومحاوراته فهو عنصر المعارف
الحقيقية وروضة الآداب الدينية والدنيوية وليتأمل هذه الملاطفة العجيبة
في السؤال من رب الأرباب المنعم على الكل المستغني عن الجميع ويستثير ما فيها
من الفوائد وكيف ابتدأ بالإكرام قبل العتب وآنس بالعفو قبل ذكر الذنب إن كان
ثم ذنب وقال تعالى ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا قال بعض
المتكلمين عاتب الله تعالى الأنبياء بعد الزلات وعاتب نبينا عليه وعليهم السلام
قبل وقوعه ليكون بذلك أشد انتهاء ومحافظة لشرائط المحبة وهذه غاية العناية ثم انظر
كيف بدأ بثباته وسلامته قبل ذكر ما عتبه عليه وخيف أن يركن إليه ففي أثناء عتبه
براءته وفي طي تخويفه تأمينه وكرامته ومثله قوله تعالى قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون
فإنهم لا يكذبونك الآية قال علي رضي الله عنه قال أبو جهل للنبي صلى الله عليه وسلم إنا لا نكذبك
ولكن نكذب بما جئت به فأنزل الله تعالى فإنهم لا يكذبونك الآية وروي أن النبي
صلى الله عليه وسلم لما كذبه قومه حزن فجاءه جبريل عليه السلام فقال ما يحزنك قال كذبني قومي
فقال إنهم يعلمون أنك صادق فأنزل الله الآية ففي هذه الآية منزع لطيف المأخذ
من تسليته له عليه السلام وإلطافه في القول بأن قرر عنده أنه صادق عندهم
وأنهم غير مكذبين له معترفون بصدقه قولا واعتقادا وقد كانوا يسمونه قبل النبوة الأمين
فدفع بهذا التقرير ارتماض نفسه بسمة الكذب ثم جعل الذم لهم بتسميتهم جاحدين
ظالمين فقال تعالى ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون فحاشاه من الوصم وطوقهم
بالمعاندة بتكذيب الآيات حقيقة الظلم إذ الجحد إنما يكون ممن علم الشيء ثم أنكره
لقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا ثم عزاه وآنسه بما ذكره عمن
قبله ووعد النصر بقوله ولقد كذبت رسل من قبلك الآية فمن قرأ لم يكذبونك بالتخفيف

بالتخفيف فمعناه لا يجدونك كاذبا وقال الفراء والكسائي لا يقولون إنك كاذب
وقيل لا يحتجون على كذبك ولا يثبتونه ومن قرأ بالتشديد فمعناه لا ينسبونك إلى الكذب
وقيل لا يعتقدون كذبك ومما ذكر من خصائصه وبر الله تعالى به أن الله تعالى خاطب
جميع الأنبياء بأسمائهم فقال يا آدم يا نوح يا إبراهيم يا داود يا عيسى يا زكريا يا يحيى
ولم يخاطب هو إلا يا أيها النبي يا أيها الرسول يا أيها المزمل يا أيها المدثر الفصل
الرابع في قسمه تعالى بعظيم قدره قال الله تعالى لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون
اتفق أهل التفسير في هذا أنه قسم من الله جل جلاله بمدة حياة محمد صلى الله عليه
وسلم وأصله ضم العين من العمر ولكنها فتحت لكثرة الاستعمال ومعناه وبقائك
يا محمد وقيل وعيشك وقيل وحياتك وهذه نهاية التعظيم وغاية البر والتشريف قال ابن عباس
ما خلق الله وما ذرأ وما برأ نفسا أكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم وما سمعت الله أقسم
بحياة أحد غيره وقال أبو الجوزاء ما أقسم الله تعالى بحياة أحد غير محمد صلى الله عليه وسلم
لأنه أكرم البرية عنده وقال تعالى يس والقرآن الحكيم الآيات اختلف المفسرون في معنى
يس على أقوال فحكى أبو محمد مكي أنه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لي عند ربي
عشرة أسماء ذكر أن منها طه ويس اسمان له وحكى أبو عبد الرحمن السلمي عن جعفر
الصادق أنه أراد يا سيد مخاطبة لنبيه صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضي الله عنهما
يس يا إنسان أراد محمدا صلى الله عليه وسلم وقال هو قسم وهو من أسماء الله تعالى
وقال الزجاج قيل معناه يا محمد وقيل يا رجل وقيل يا إنسان وعن ابن الحنفية يس
يا محمد وعن كعب يس قسم أقسم الله به قبل أن يخلق السماء والأرض بألفي عام يا محمد
إنك لمن المرسلين ثم قال والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين فإن قدر أنه من
أسمائه صلى الله عليه وسلم وصح فيه أنه قسم كان فيه من التعظيم ما تقدم ويؤكد فيه
القسم عطف القسم الآخر عليه وإن كان بمعنى النداء فقد جاء قسم آخر بعده لتحقيق
رسالته والشهادة بهدايته أقسم تعالى باسمه وكتابه أنه من المرسلين بوحيه إلى عباده
وعلى صراط مستقيم من إيمانه أي طريق لا اعوجاج فيه ولا عدول عن الحق قال
النقاش لم يقسم الله تعالى لأحد من أنبيائه بالرسالة في كتابه إلا له وفيه من تعظيمه
وتمجيده على تأويل من قال إنه يا سيد ما فيه وقد قال عليه السلام أنا سيد ولد آدم و

الا الفجر. وقال تعالى لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد قيل لا اقسم به اذا لم تكن فيه بعد خروجك
منه حكاه مكي وقيل لا زائدة اي اقسم به وانت به يا محمد حلال او حل لك ما فعلت فيه
على التفسيرين والمراد بالبلد عند هؤلاء مكة وقال الواسطي اي نحلف لك بهذا البلد
الذي شرفته بمكانك فيه حيا وببركتك ميتا يعني المدينة والاول اصح لان السورة مكية
وما بعده يصححه قوله وانت حل بهذا البلد ونحوه قول ابن عطاء في تفسير قوله تعالى
وهذا البلد الامين قال امنها الله بمقامه فيها وكونه بها فان كونه امان حيث كان
ثم قال ووالد وما ولد من قال اراد آدم فهو عام ومن قال هو ابرهيم وما ولده فهي
ان شاء الله اشارة الى محمد صلى الله عليه وسلم فتتضمن السورة القسم به في موضعين
وقال تعالى الم ذلك الكتاب لا ريب فيه قال ابن عباس هذه الحروف اقسام
اقسم الله بها وعنه وعن غيره فيها غير ذلك وقال سهل بن عبد الله التستري الالف
هو الله تعالى واللام جبريل والميم محمد صلى الله عليهما وحكى هذا القول السمرقندي
ولم ينسبه الى سهل وجعل معناه الله انزل جبريل على محمد بهذا القرآن لا ريب فيه
وعلى الوجه الاول يحتمل القسم ان هذا الكتاب حق لا ريب فيه ثم فيه من فضيلته
قران اسمه باسمه نحو ما تقدم وقال ابن عطا في قوله تعالى ق والقرآن المجيد اقسم
بقوة قلب حبيبه صلى الله عليه وسلم حيث حمل الخطاب والمشاهدة ولم يؤثر ذلك
فيه لعلو حاله وقيل هو اسم للقرآن وقيل هو اسم لله وقيل جبل محيط بالارض وقيل غير
هذا وقال جعفر بن محمد في تفسير والنجم اذا هوى انه محمد عليه الصلاة والسلام وقال النجم
قلب محمد صلى الله عليه وسلم هوى انشرح من الانوار وقال انقطع عن غير الله وقال
ابن عطا في قوله تعالى والفجر وليال عشر الفجر محمد صلى الله عليه وسلم لان منه تفجر الايمان

الفصل الخامس في قسمه تعالى جده له لتحقق مكانته عنده قال تعالى والضحى
والليل اذا سجى السورة اختلف في سبب نزول هذه السورة فقيل كان ترك النبي
صلى الله عليه وسلم قيام الليل لعذر نزل به فتكلمت امراة في ذلك بكلام وقيل
بل تكلم به المشركون عند فترة الوحي فنزلت السورة قال الفقيه القاضي رحمه الله تضمنت
هذه السورة من كرامة الله تعالى له وتنويهه به وتعظيمه اياه ستة وجوه الاول القسم
له عما اخبره به من حاله بقوله والضحى والليل اذا سجى اي ورب الضحى وهذا من اعظم درجات

المبرة الثاني في بيان مكانته عنده وحظوته لديه بقوله ما ودعك ربك
وما قلى اي ما تركك وما ابغضك وقيل ما اهملك بعد ان اصطفاك الثالث
قوله وللآخرة خير لك من الاولى قال ابن اسحق اي ما لك في مرجعك عند الله
اعظم مما اعطاك من كرامة الدنيا وقال سهل اي ما ذخرت لك من الشفاعة
والمقام المحمود خير لك مما اعطيتك في الدنيا الرابع قوله تعالى ولسوف يعطيك
ربك فترضى وهذه آية جامعة لوجوه الكرامة وانواع السعادة وشتات الانعام
في الدارين والزيادة قال ابن اسحق يرضيه بالفلج في الدنيا والثواب في الآخرة وقيل
يعطيه الحوض والشفاعة وروي عن بعض آل النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ليس
في القرآن آية ارجى منها ولا يرضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدخل احد من امته
النار الخامس ما عده تعالى عليه من نعمه وقرره من آلائه قبله في بقية السورة من
هدايته الى ما هداه له او هداية الناس به على اختلاف التفاسير ولا مال له فاغناه بما آتاه او بما
جعله في قلبه من القناعة والغنى ويتيما فحدب عليه عمه وآواه اليه وقيل آواه الى الله
وقيل يتيما لا مثال لك فآواك اليه وقيل المعنى الم يجدك فهدى بك ضالا واغنى
بك عائلا وآوى بك يتيما ذكره بهذه المنن وانه على المعلوم من التفسير لم يهمله
في حال صغره وعيلته ويتمه وقبل معرفته به ولا ودعه ولا قلاه فكيف بعد اختصاصه
واصطفائه السادس امره باظهار نعمته عليه وشكر ما شرفه به بنشره واشادة
ذكره بقوله واما بنعمة ربك فحدث فان من شكر النعمة التحدث بها وهذا خاص له
عام لامته وقال تعالى والنجم اذا هوى الى قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى اختلف
المفسرون في قوله تعالى والنجم باقاويل معروفة منها النجم على ظاهره ومنها القرآن
وعن جعفر بن محمد انه محمد عليه السلام وقال هو قلب محمد صلى الله عليه وسلم وقد قيل
في قوله والسماء والطارق وما ادريك ما الطارق النجم الثاقب ان النجم هنا ايضا
محمد صلى الله عليه وسلم حكاه السلمي تضمنت هذه الآيات من فضله وشرفه العد ما
تقف دونه العد واقسم جل اسمه على هداية المصطفى وتنزيهه عن الهوى وصدقه
فيما تلا وانه وحي يوحى اوصله اليه عن الله جبريل وهو الشديد القوى ثم اخبر تعالى عن فضيلته
بقصة الاسرا وانتهائه الى سدرة المنتهى وتصديق بصره فيما رأى وانه رأى من

من آيات ربه الكبرى وقد نبه على مثل هذا تعالى في أول سورة الإسراء، ولما كان ما كاشفه
عليه السلام من ذلك الجبروت وشاهده من عجائب الملكوت لا تحيط به العبارات
ولا تستقل بحمل سماع أدناه العقول رمز عنه تعالى بالإيماء والكناية الدالة
على التعظيم فقال تعالى فأوحى إلى عبده ما أوحى وهذا النوع من الكلام يسميه
أهل النقد والبلاغة بالوحي والإشارة وهو عندهم أبلغ أبواب الإيجاز
وقال لقد رأى من آيات ربه الكبرى انحسرت الأفهام عن تفصيل ما أوحى وتاهت
الأحلام في تعيين تلك الآيات الكبرى قال القاضي أبو الفضل واشتملت هذه الآيات
على إعلام الله تعالى بتزكية جملته عليه السلام وعصمتها من الآفات في هذا المسرى فزكى
فؤاده ولسانه وجوارحه فزكى قلبه بقوله ما كذب الفؤاد ما رأى ولسانه بقوله وما ينطق
عن الهوى وبصره بقوله ما زاغ البصر وما طغى وقال تعالى فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس
إلى قوله وما هو بقول شيطان رجيم لا أقسم أي أقسم إنه لقول رسول كريم أي كريم
عند مرسله ذي قوة على تبليغ ما حمله من الوحي مكين أي متمكن المنزلة من ربه رفيع
المحل عنده مطاع ثم أي في السماء أمين على الوحي قال علي بن عيسى وغيره الرسول
الكريم هنا محمد صلى الله عليه وسلم فجميع الأوصاف بعد على هذا له وقال غيره هو
جبريل عليه السلام فترجع الأوصاف إليه ولقد رآه يعني محمدا قيل رأى ربه وقيل رأى
جبريل في صورته وما هو على الغيب بظنين أي بمتهم ومن قرأها بالضاد فمعناه
ما هو ببخيل بالدعاء به والتذكير بحكمه وعلمه وهذه لمحمد عليه السلام باتفاق وقال تعالى
ن والقلم وما يسطرون الآيات أقسم تعالى بما أقسم به من عظيم قسمه على تنزيه المصطفى
مما غمصته الكفرة وتكذيبهم له وآنسه وبسط أمله بقوله محسنا خطابه ما أنت بنعمة ربك
بمجنون وهذه نهاية المبرة في المخاطبة وأعلى درجات الآداب في المحاورة ثم أعلمه بما له عنده
من نعيم دائم وثواب غير منقطع لا يأخذه عد ولا يمتن به عليه فقال وإن لك لأجرا
غير ممنون ثم أثنى عليه بما منحه من هباته وهداه إليه وأكد ذلك تتميما للتمجيد بحرفي التأكيد
فقال وإنك لعلى خلق عظيم قيل القرآن وقيل الإسلام وقيل الطبع الكريم وقيل ليس لك
همة إلا الله تعالى قال الواسطي أثنى عليه بحسن قبوله لما أسداه إليه من نعمه وتفضيله بذلك
على غيره لأنه جبله على ذلك الخلق فسبحان اللطيف الكريم المحسن الجواد الحميد الذي يسر

يسر للخير وهدى إليه ثم أثنى على فاعله وجازاه عليه سبحانه ما أغمر نواله وأوسع أفضاله
ثم سلاه عن قولهم بعد هذا بما وعده به من عقابهم وتوعدهم بقوله فستبصر و
يبصرون الثلاث الآيات ثم عطف بعد مدحه على ذم عدوه وذكر سوء خلقه وعد
معايبه متوليا ذلك بفضله ومنتصرا لنبيه فذكر بضع عشرة خصلة من خصال
الذم فيه بقوله فلا تطع المكذبين إلى قوله أساطير الأولين ثم ختم ذلك بالوعيد
الصادق بتمام شقائه وخاتمة بواره بقوله سنسمه على الخرطوم فكانت نصرة الله
له أتم من نصرته لنفسه ورده تعالى على عدوه أبلغ من رده وأثبت في ديوان
مجده

الفصل السادس فيما ورد من قوله تعالى في جهته عليه السلام مورد الشفقة والإكرام

قال الله تعالى طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى قيل طه
اسم من أسمائه عليه السلام وقيل هو اسم لله وقيل معناه يا رجل وقيل يا إنسان
وقيل هي حروف مقطعة لمعان قال الواسطي أراد يا طاهر يا هادي وقيل هو
أمر من الوطء والهاء كناية عن الأرض أي اعتمد على الأرض بقدميك ولا تتعب
نفسك بالاعتماد على قدم واحدة وهو قوله تعالى ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى
نزلت الآية فيما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتكلفه من السهر والتعب وقيام الليل
أخبرنا القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن وغير واحد عن القاضي أبي الوليد الباجي
إجازة ومن أصله نقلت حدثنا أبو ذر الحافظ حدثنا أبو محمد الحموي حدثنا إبراهيم
ابن خزيم الشاشي حدثنا عبد بن حميد حدثنا هاشم بن القاسم عن أبي جعفر
عن الربيع بن أنس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا صلى قام على رجل ورفع
الأخرى فأنزل الله طه يعني طأ الأرض يا محمد ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ولا خفاء
بما في هذا كله من الإكرام وحسن المعاملة وإن جعلنا طه من أسمائه عليه السلام كما قيل أو جعلت
قسما لحق الفصل بما قبله ومثل هذا من نمط الشفقة والمبرة قوله تعالى فلعلك باخع نفسك
على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا أي قاتل نفسك لذلك غضبا أو غيظا أو جزعا
ومثله قوله تعالى أيضا لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين ثم قال إن نشأ ننزل عليهم من
السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين ومن هذا الباب قوله تعالى فاصدع بما تؤمر
وأعرض عن المشركين إلى قوله ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون إلى آخر السورة وقوله

تعالى ولقد استهزئ برسل من قبلك الآية قال مكي سلاه الله تعالى بما ذكر وهون
عليه ما يلقى من المشركين وأعلمه أن من تمادى على ذلك يحل به ما حل بمن قبله ومثل
هذه التسلية قوله تعالى وإن يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك ومن هذا قوله تعالى
كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون عزاه الله تعالى بما أخبر
به عن الأمم السالفة ومقالها لأنبيائهم قبله ومحنتهم بهم وسلاه بذلك عن محنته
بمثله من كفار مكة وأنه ليس أول من لقي ذلك ثم طيب نفسه وأبان عذره بقوله
تعالى فتول عنهم أي أعرض عنهم فما أنت بملوم أي في أداء ما بلغت وإبلاغ ما حملت
ومثله قوله تعالى واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا أي اصبر على أذاهم فإنك بحيث نراك
ونحفظك سلاه الله تعالى بهذا في آي كثيرة من هذا المعنى الفصل الرابع فيما أخبر الله
به في كتابه العزيز من عظيم قدره وشريف منزلته على الأنبياء عليهم السلام
وحظوة رتبته قوله تعالى وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم
إلى قوله من الشاهدين قال أبو الحسن القابسي استخص الله محمدا صلى الله عليه وسلم
بفضل لم يؤته غيره أبانه به وهو ما ذكره في هذه الآية قال المفسرون أخذ الله الميثاق بالوحي
فلم يبعث نبيا إلا ذكر له محمدا ونعته وأخذ عليه ميثاقه إن أدركه ليؤمنن به وقيل أن
يبينه لقومه ويأخذ ميثاقهم أن يبينوه لمن بعدهم وقوله ثم جاءكم الخطاب لأهل
الكتاب المعاصرين لمحمد صلى الله عليه وسلم قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه
لم يبعث الله نبيا من آدم فمن بعده إلا أخذ عليه العهد في محمد صلى الله عليه وسلم
لئن بعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه ويأخذ العهد بذلك على قومه ونحوه عن السدي
وقتادة في آي تضمنت فضله من غير وجه واحد قال الله تعالى وإذ أخذنا
من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الآية وقال إنا أوحينا إليك كما أوحينا
إلى نوح إلى قوله شهيدا روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال في كلام بكى به النبي
صلى الله عليه وسلم فقال بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده
أن بعثك آخر الأنبياء وذكرك في أولهم فقال وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك
ومن نوح الآية بأبي وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أهل النار
يودون أن يكونوا أطاعوك وهم بين أطباقها يعذبون يقولون يا ليتنا أطعنا الله

وأطعنا الرسولا قال قتادة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال كنت أول الأنبياء
في الخلق وآخرهم في البعث فلذلك وقع ذكره مقدما هنا قبل نوح وغيره قال
السمرقندي في هذا تفضيل نبينا صلى الله عليه وسلم لتخصيصه بالذكر قبلهم وهو آخرهم
المعنى أخذ الله عليهم الميثاق إذ أخرجهم من ظهر آدم كالذر وقال تعالى تلك الرسل
فضلنا بعضهم على بعض الآية قال أهل التفسير أراد بقوله ورفع بعضهم درجات
محمدا صلى الله عليه وسلم لأنه بعث إلى الأحمر والأسود وأحلت له الغنائم وظهرت
على يديه المعجزات وليس أحد من الأنبياء أعطي فضيلة أو كرامة إلا أعطي محمد صلى الله
عليه وسلم مثلها قال بعضهم ومن فضله أن الله تعالى خاطب الأنبياء عليهم السلام
بأسمائهم وخاطبه بالنبوة والرسالة في كتابه يا أيها النبي يا أيها الرسول وحكى السمرقندي
عن الكلبي في قوله تعالى وإن من شيعته لإبراهيم أن الهاء عائدة على محمد صلى الله
عليه وسلم أي من شيعة محمد لإبراهيم أي على دينه ومنهاجه وأجازه الفراء وحكاه
عنه مكي وقيل أن المراد نوح عليه السلام الفصل الخامس في إعلام الله تعالى
خلقه بصلواته عليه وولايته له ورفعه العذاب بسببه قال الله تعالى وما كان الله
ليعذبهم وأنت فيهم أي ما كنت بمكة فلما خرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة وبقي
فيها من بقي من المؤمنين نزل وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وهذا مثل قوله
لو تزيلوا الآية وقوله تعالى ولولا رجال مؤمنون الآية فلما هاجر المؤمنون نزلت
وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وهذا من أبين ما يظهر مكانته
صلى الله عليه وسلم ودرأه العذاب عن أهل مكة بسبب كونه ثم كون أصحابه
بعده بين أظهرهم فلما خلت مكة منهم عذبهم بتسليط المؤمنين عليهم وغلبتهم
إياهم وحكم فيهم سيوفهم وأورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم وفي الآية أيضا تأويل
آخر حدثنا القاضي الشهيد أبو علي رحمه الله بقراءتي عليه حدثنا أبو الفضل بن خيرون
وأبو الحسين الصيرفي قالا حدثنا أبو يعلى بن زوج الحرة ثنا أبو علي السنجي حدثنا
محمد بن أحمد بن محبوب المروزي حدثنا أبو عيسى الحافظ حدثنا سفيان بن وكيع حدثنا
ابن نمير عن إسمعيل بن إبرهيم بن مهاجر عن عباد بن يوسف عن أبي بردة بن موسى
عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزل الله علي أمانين لأمتي

وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فاذا
مضيت تركت فيهم الاستغفار ونحو منه قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين
قال عليه السلام انا امان لاصحابي قيل من البدع وقيل من الاختلاف والفتن قال
بعضهم الرسول صلى الله عليه وسلم هو الامان الاعظم ما عاش وما دامت سنته باقية
فهو باق فاذا اميتت سنته فانتظر البلاء والفتن قال الله تعالى ان الله وملائكته
يصلون على النبي الآية ابان الله تعالى فضل نبيه صلى الله عليه وسلم بصلوته عليه ثم بصلوة
ملائكته وامر عباده بالصلوة والتسليم عليه وقد حكى ابن فورك ابو بكر ان بعض
العلماء تاول قوله عليه الصلاة والسلام وجعلت قرة عيني في الصلوة فقال هذا اي في
صلاة الله علي وملائكته وامره الامة بذلك الى يوم القيمة والصلوة من الملائكة ومنا
له دعاء ومن الله رحمة وقيل يصلون يباركون وقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم
حين علم الصلوة عليه بين لفظ الصلوة والبركة وسنذكر حكم الصلاة عليه صلى الله
عليه وسلم وذكر بعض المتكلمين في تفسير حروف كهيعص ان الكاف من كاف
اي كفاية الله لنبيه عليه الصلاة والسلام قال الله تعالى اليس الله بكاف عبده والهاء
هدايته له قال ويهديك صراطا مستقيما والياء تائيده قال وايدك بنصره والعين
عصمته له قال والله يعصمك من الناس والصاد صلاته قال ان الله وملائكته يصلون
على النبي وقال تعالى وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل الآية مولاه اي وليه
وصالح المؤمنين قيل الانبياء وقيل الملائكة وقيل ابو بكر وعمر وقيل علي رضي الله عنهم
وقيل المؤمنون والله الموفق للصواب **الفصل التاسع فيما تضمنته سورة الفتح**
من كراماته قال الله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا الى قوله يد الله فوق ايديهم تضمنت
هذه الآيات من فضله والثناء عليه وكريم منزلته عند الله تعالى ونعمته لديه ما يقصر الوصف
عن الانتهاء اليه فابتدأ جل جلاله باعلامه بما قضاه له من القضاء البين بظهوره وغلبته
على عدوه وعلو كلمته وشريعته وانه مغفور له غير مؤاخذ بما كان وما يكون قال بعضهم
اراد غفران ما وقع وما لم يقع اي انك مغفور لك وقال مكي جعل المنة سببا للمغفرة
وكل من عنده لا اله الا هو منة بعد منة وفضلا بعد فضل ثم قال ويتم نعمته عليك قيل
بخضوع من تكبر عليك وقيل بفتح مكة والطائف وقيل برفع ذكرك وينصرك ويغفر
لك فاعلمه بتمام نعمته عليه بخضوع متكبري عدوه له وفتح اهم البلاد عليه واحبها له
ورفع ذكره وهدايته الصراط المستقيم المبلغ الى الجنة والسعادة ونصره النصر العزيز
ومنته على المؤمنين بالسكينة والطمانينة التي جعلها في قلوبهم وبشارتهم بما لهم بعد
وفوزهم العظيم والعفو عنهم والستر لذنوبهم وهلاك عدوه في الدنيا والآخرة ولعنهم وبعدهم
من رحمته وسوء منقلبهم ثم قال تبارك وتعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا
الآية فعدد محاسنه وخصائصه من شهادته على امته لنفسه بتبليغه الرسالة لهم وقيل شاهدا
لهم بالتوحيد ومبشرا لامته بالثواب وقيل بالمغفرة ومنذرا عدوه بالعذاب وقيل
محذرا من الضلالات لتؤمنوا بالله ثم به من سبقت له من الله الحسنى وتعزروه اي تجلوه
وقيل تنصروه وقيل تبالغون في تعظيمه وتوقروه اي تعظموه وقراه بعضهم تعززوه بزايين
من العز والاكثر والاظهر ان هذا في حق محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال وتسبحوه فهذا
راجع الى الله تعالى قال ابن عطاء جمع للنبي صلى الله عليه وسلم في هذه السورة نعم مختلفة
من الفتح المبين وهو من اعلام الاجابة والمغفرة وهي من اعلام المحبة وتمام النعمة
وهي من اعلام الاختصاص والهداية وهي من اعلام الولاية فالمغفرة تبرئة من العيوب
وتمام النعمة ابلاغ الدرجة الكاملة والهداية وهي الدعوة الى المشاهدة وقال جعفر بن محمد
من تمام نعمته عليه ان جعله حبيبه واقسم بحيوته ونسخ به شرائع غيره وعرج به الى المحل
الاعلى وحفظه في المعراج حتى ما زاغ البصر وما طغى وبعثه الى الاسود والاحمر
واحل له ولامته الغنائم وجعله شفيعا مشفعا وسيد ولد آدم وقرن ذكره
بذكره ورضاه برضاه وجعله احد ركني التوحيد ثم قال ان الذين يبايعونك
انما يبايعون الله يعني بيعة الرضوان اي انما يبايعون الله ببيعتهم اياك يد الله فوق
ايديهم يريد عند البيعة قيل قوة الله وقيل ثوابه وقيل منته وقيل عقده وهذه استعارة
وتجنيس في الكلام وتاكيد لعقد بيعتهم اياه وعظم شان المبايع صلى الله عليه وسلم
وقد يكون من هذا قوله تعالى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله
رمى وان كان الاول في باب المجاز وهذا في باب الحقيقة لان القاتل والرامي بالحقيقة
هو خالق فعله ورميه وقدرته عليه ومسببه ولانه ليس في قدرة البشر توصيل
تلك الرمية حيث وصلت حتى لم يبق منهم من لم تملأ عينيه وكذلك قتل الملائكة لهم

فائدة
قال الحافظ جمال الدين المزي رحمه الله تعالى العظم بكسر العين وفتح
الظاء يستعمل في المعاني وضمها مع سكون الظاء في المحسوس
والعظم بكسر العين وفتح الظاء هو المصدر يقال عظم
عظما مثل كبر وكبر من الكبر والعظم بضم العين وسكون
الظاء هو الشيء الكبير العظيم

حقيقة. وقد قيل في هذه الآية الأخرى إنها على المجاز العرفي ومقابلة اللفظ بمناسبة
أي ما قتلتموهم وما رميتهم أنت إذ رميت وجوههم بالحصباء والتراب ولكن الله
رمى قلوبهم بالجزع أي أن منفعة الرمي كانت من فعل الله تعالى فهو القاتل
والرامي بالمعنى وأنت بالاسم. **الفصل العاشر فيما أظهره الله تعالى في كتابه**
العزيز من كرامته عليه ومكانته عنده وما خصه به من ذلك سوى ما انتظم
فيما ذكرناه قبل **من ذلك** ما نصه تعالى من قصة الإسراء في سورة سبحان والنجم وما انطوت
عليه القصة من عظيم منزلته وقربه ومشاهدته ما شاهد من العجائب **ومن ذلك**
عصمته من الناس بقوله والله يعصمك من الناس وقوله وإذ يمكر بك الذين كفروا الآية
وقوله إلا تنصروه فقد نصره الله وما دفع الله عز وجل عنه به في هذه القصة من أذاهم
بعد تحزبهم لهلكته وخلوصهم نجيا في أمره والأخذ على أبصارهم عند خروجه عليهم
وذهولهم عن طلبه في الغار وما ظهر لهم في ذلك من الآيات ونزول السكينة عليه
وقصة سراقة بن مالك حسبما ذكره أهل الحديث والسير في قصة الغار وحديث
الهجرة **ومنه** قوله تعالى إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر إن شانئك هو الأبتر
أعلمه الله بما أعطاه والكوثر حوضه وقيل نهر في الجنة وقيل الخير الكثير وقيل الشفاعة
وقيل المعجزات الكثيرة وقيل النبوة وقيل المعرفة ثم أجاب عنه عدوه ورد عليه قوله
فقال تعالى إن شانئك هو الأبتر أي عدوك ومبغضك والأبتر الحقير الذليل
أو المفرد الوحيد أو الذي لا خير فيه وقال ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن
العظيم قيل السبع المثاني السور الطوال الأول والقرآن العظيم أم القرآن وقيل السبع
المثاني أم القرآن والقرآن العظيم سائره وقيل السبع المثاني ما في القرآن من أمر
ونهي وبشرى وإنذار وضرب مثل وإعداد نعم وآتيناك نبأ القرآن العظيم وقيل
سميت أم القرآن مثاني لأنها تثنى في كل ركعة وقيل بل الله استثناها لمحمد صلى الله
عليه وسلم وذخرها له دون الأنبياء وسمى القرآن مثاني لأن القصص تثنى فيه وقيل
السبع المثاني أكرمناك بسبع كرامات الهدى والنبوة والرحمة والشفاعة والولاية والتعظيم
والسكينة وقال عز وجل وأنزلنا إليك الذكر الآية وقال تعالى وما أرسلناك إلا كافة
للناس بشيرا ونذيرا وقال تعالى قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا الآية قال

الآية قال فهذه من خصائصه وقال تعالى وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين
لهم فخصهم عليهم السلام بقومهم وبعث محمدا صلى الله عليه وسلم إلى الخلق كافة كما
قال عليه السلام بعثت إلى الأحمر والأسود وقال تعالى النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم
وأزواجه أمهاتهم قال أهل التفسير أولى بالمؤمنين من أنفسهم أي ما أنفذه فيهم
من أمر فهو ماض عليهم كما يمضي حكم السيد على عبده وقيل اتباع أمره أولى من اتباع
رأي النفس وأزواجه أمهاتهم أي هن في الحرمة كالأمهات حرم نكاحهن عليهم بعده
تكرمة له وخصوصية ولأنهن أزواج له في الآخرة وقد قرئ وهو أب لهم ولا يقرأ به الآن
لمخالفته المصحف وقال تعالى وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة الآية قيل فضله العظيم بالنبوة
وقيل بما سبق له في الأزل وأشار الواسطي إلى أنها إشارة إلى احتمال الرؤية التي
لم يحتملها موسى صلى الله عليهما وسلم. **الباب الثاني في تكميل الله له المحاسن**
خلقا وخلقا وقرانه جميع الفضائل الدينية والدنيوية فيه نسقا. اعلم أيها المحب
لهذا النبي الكريم الباحث عن تفاصيل جمل قدره العظيم أن خصال الجلال
والكمال في البشر نوعان ضروري دنيوي اقتضته الجبلة وضرورة الحياة
الدنيا ومكتسب ديني وهو ما يحمد فاعله ويقرب إلى الله زلفى ثم هي على فنين
أيضا منها ما يتخلص لأحد الوصفين ومنها ما يتمازج ويتداخل فأما الضروري المحض
فما ليس للمرء فيه اختيار ولا اكتساب مثل ما كان في جبلته من كمال خلقته
وجمال صورته وقوة عقله وصحة فهمه وفصاحة لسانه وقوة حواسه وأعضائه
واعتدال حركاته وشرف نسبه وعزة قومه وكرم أرضه ويلحق به ما تدعوه ضرورة حياته إليه
من غذائه ونومه وملبسه ومسكنه ومنكحه وماله وبلده وجاهه وقد تلحق هذه الخصال
الآخرة بالأخروية إذا قصد بها التقوى ومعونة البدن على سلوك طريقها وكانت
على حدود الضرورة وقوانين الشريعة وأما المكتسبة الأخروية فسائر الأخلاق
العلية والآداب الشرعية من الدين والعلم والحلم والصبر والشكر والعدل والزهد
والتواضع والعفو والعفة والجود والشجاعة والحياء والمروءة والصمت والتؤدة والوقار
والرحمة وحسن الأدب والمعاشرة وأخواتها وهي التي جماعها حسن الخلق وقد يكون
من هذه الأخلاق ما هو في الغريزة وأصل الجبلة لبعض الناس وبعضهم لا تكون فيه فيكتسبها

ولكنه لابد ان يكون فيه من اصولها في اصل الجبلة شعبة كما سنبينه ان شاء الله تعالى
ويكون بهذه الاخلاق دنيويه اذا لم يرد بها وجه الله والدار الآخرة ولكنها كلها محاسن
وفضائل باتفاق اصحاب العقول السليمة وان اختلفوا في موجب حسنها وتفضيلها

فصل اذا كانت خصال الكمال والجلال ما ذكرناه ووجدنا الواحد منا
يشرف بواحدة منها او اثنتين ان اتفقت له في كل عصر اما من نسب او جمال
او قوة او علم او حلم او شجاعة او سماحة حتى يعظم قدره وتضرب باسمه الامثال ويتقرر
له بالوصف بذلك في القلوب اثرة وعظمة وهو منذ عصور خوال رمم بوال
فما ظنك بعظيم قدر من اجتمعت فيه كل هذه الخصال الى ما لا يأخذه عد ولا يعبر عنه
مقال ولا ينال بكسب ولا حيلة الا بتخصيص الكبير المتعال من فضيلة النبوة والرسالة
والخلة والمحبة والاصطفاء والاسراء والرؤية والقرب والدنو والوحي والشفاعة والوسيلة
والدرجة الرفيعة والمقام المحمود والبراق والمعراج والبعث الى الاحمر والاسود والصلوة
بالانبياء والشهادة بين الانبياء والامم وسيادة ولد آدم ولواء الحمد والبشارة
والنذارة والمكانة عند ذي العرش والطاعة ثم والامانة والهداية ورحمة للعالمين
واعطاء الرضا والسؤل والكوثر وسماع القول واتمام النعمة والعفو عما تقدم وتأخر
وشرح الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر وعزة النصر ونزول السكينة والتأييد بالملائكة
وايتاء الكتاب والحكمة والسبع المثاني والقرآن العظيم وتزكية الامة والدعاء الى الله
وصلوة الله والملائكة والحكم بين الناس بما اراه الله ووضع الاصر والاغلال عنهم والقسم
باسمه واجابة دعوته وتكليم الجمادات والعجم واحياء الموتى واسماع الصم ونبع الماء من بين
اصابعه وتكثير القليل وانشقاق القمر ورد الشمس وقلب الاعيان والنصر بالرعب والاطلاع
على الغيب وظل الغمام وتسبيح الحصى وابراء الآلام والعصمة من الناس الى ما لا يحويه محتفل
ولا يحيط بعلمه الا مانحه ذلك ومفضله به لا اله غيره الى ما اعد له في الدار الآخرة من منازل
الكرامة ودرجات القدس ومراتب السعادة والحسنى والزيادة التي تقف دونها العقول
ويحار دون ادانيها الوهم

فصل ان قلت اكرمك الله لا خفاء على القطع بالجملة
انه صلى الله عليه وسلم اعلى الناس قدرا واعظمهم محلا واكملهم محاسن وفضلا وقد ذهبت
في تفاصيل خصال الكمال مذهبا جميلا شوقني الى ان اقف عليها من اوصافه صلى الله عليه
وسلم تفصيلا فاعلم نور الله قلبي وقلبك وضاعف في هذا النبي حبي وحبك
انك اذا نظرت الى خصال الكمال التي هي غير مكتسبة وفي جبلة الخلقة وجدته حائزا
لجميعها محيطا بشتات محاسنها دون خلاف بين نقلة الاخبار لذلك بل قد بلغ بعضها
مبلغ القطع اما الصورة وجمالها وتناسب اعضائه في حسنها فقد جاءت
الآثار الصحيحة والمشهورة الكثيرة بذلك من حديث علي امير المؤمنين وانس بن مالك
وابي هريرة والبراء بن عازب وعائشة ام المؤمنين وابن ابي هالة وابي جحيفة
وجابر بن سمرة وام معبد وابن عباس ومعرض بن معيقب وابي الطفيل
والعداء بن خالد وخريم بن فاتك وحكيم بن حزام وغيرهم رضي الله عنهم من انه
صلى الله عليه وسلم كان ازهر اللون ادعج انجل اشكل اهدب الاشفار
ابلج ازج اقنى افلج مدور الوجه واسع الجبين كث اللحية تملأ صدره سواء
البطن والصدر واسع الصدر عظيم المنكبين ضخم العظام عبل العضدين
والذراعين والاسافل رحب الكفين والقدمين سائل الاطراف انور
المتجرد دقيق المسربة ربعة القد ليس بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد
ومع ذلك فلم يكن يماشيه احد ينسب الى الطول الا طاله صلى الله عليه وسلم رجل الشعر
اذا افتر ضاحكا افتر عن مثل سنا البرق وعن مثل حب الغمام اذا تكلم رئي
كالنور يخرج من ثناياه احسن الناس عنقا ليس بمطهم ولا مكلثم متماسك البدن
ضرب اللحم قال البراء ما رأيت من ذي لمة في حلة حمراء احسن من رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال ابو هريرة ما رأيت شيئا احسن من رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان الشمس تجري في وجهه واذا ضحك يتلألأ في الجدر وقال جابر بن سمرة
وقال له رجل كان وجهه صلى الله عليه وسلم مثل السيف فقال لا بل مثل الشمس والقمر
وكان مستديرا وقالت ام معبد في بعض ما وصفته به اجمل الناس من بعيد واحلاه
واحسنه من قريب وفي حديث ابن ابي هالة يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر وقال
علي رضي الله عنه في آخر وصفه له من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة احبه يقول
ناعته لم ار قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم والاحاديث في بسط صفته مشهورة
كثيرة فلا نطول بسردها وقد اختصرنا في وصفه نكت ما جاء فيها وجملة فيها الكفاية

في القصد الى المطلوب وضمنا هذه الفصول حديث جامع لذلك نقف عليه هناك
ان شاء الله تعالى **فصل واما نظافة جسمه وطيب ريحه وعرقه ونزاهته**
عن الاقذار وعورات الجسد فكان قد خصه الله تعالى في ذلك بخصائص
لم توجد في غيره ثم تممها بنظافة الشرع وخصال الفطرة العشر وقال صلى الله عليه وسلم
بني الدين على النظافة حدثنا سفيان بن العاصي وغير واحد قالوا حدثنا احمد بن عمر
حدثنا ابو العباس الرازي حدثنا ابو احمد الجلودي حدثنا ابن سفيان حدثنا
مسلم حدثنا قتيبة حدثنا جعفر بن سليمان عن ثابت عن انس قال ما شممت عنبرا
قط ولا مسكا ولا شيئا اطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن جابر
ابن سمرة انه صلى الله عليه وسلم مسح خده قال فوجدت ليده بردا وريحا كانما اخرجها
من جؤنة عطار قال غيره مسها بطيب او لم يمسها يصافح المصافح فيظل يومه
يجد ريحها ويضع يده على راس الصبي فيعرف من بين الصبيان بريحها ونام رسول الله
صلى الله عليه وسلم في دار انس فعرق فجاءت امه بقارورة تجمع عرقه فسألها
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقالت نجعله في طيبنا وهو من اطيب الطيب
وذكر البخاري في تاريخه الكبير عن جابر رضي الله عنه لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يمر في
طريق فيتبعه احد الا عرف انه سلكه من طيبه وذكر اسحق بن راهويه ان تلك
كانت رائحته بلا طيب صلى الله عليه وسلم وروى المزني عن جابر اردفني رسول
الله صلى الله عليه وسلم خلفه فالتقمت خاتم النبوة بفمي فكان ينم علي مسكا
وقد حكى بعض المعتنين باخباره وشمائله صلى الله عليه وسلم انه اذا اراد ان يتغوط
انشقت الارض فابتلعت غائطه وبوله وفاحت لذلك رائحة طيبة صلى الله
عليه وسلم واسند محمد بن سعد كاتب الواقدي في هذا خبرا عن عائشة رضي الله
عنها انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم انك تأتي الخلاء فلا نرى منك شيئا
فقال لها يا عائشة او ما علمت ان الارض تبتلع ما يخرج من الانبياء فلا يرى منه شيء
وهذا الخبر وان لم يكن مشهورا فقد قال قوم من اهل العلم بطهارة الحدثين منه
صلى الله عليه وسلم وهو قول بعض اصحاب الشافعي حكاه الامام ابو نصر الصباغ
في شامله وقد حكى القولين عن العلماء في ذلك ابو بكر بن سابق المالكي في كتابه

في كتابه البديع في فروع المالكية وتخريج ما لم يقع لهم منها على مذهبهم من تفاريع الشافعية
وشاهد هذا انه صلى الله عليه وسلم لم يكن منه شيء يكره ولا غير طيب ومنه حديث
علي رضي الله عنه غسلت النبي صلى الله عليه وسلم فذهبت انظر ما يكون من الميت فلم اجد
شيئا فقلت طبت حيا وميتا قال وسطعت منه ريح طيبة لم نجد مثلها قط ومثله قال
ابو بكر رضي الله عنه حين قبل النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته ومنه شرب مالك بن سنان
دمه يوم احد ومصه اياه وتسويغه صلى الله عليه وسلم ذلك له وقال لن تصيبه النار
ومثله شرب عبد الله بن الزبير دم حجامته فقال له صلى الله عليه وسلم ويل لك من الناس
وويل لهم منك ولم ينكر عليه **وقد روي** نحو من هذا عنه في امرأة شربت بوله
فقال لها لن تشتكي وجع بطنك ابدا ولم يأمر واحدا منهم بغسل فم ولا نهاه
عن عوده وحديث هذه المرأة التي شربت بوله صحيح الزم الدارقطني مسلما والبخاري
اخراجه في الصحيح واسم هذه المرأة بركة وقيل ام ايمن واختلف في نسبها وكانت
تخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم
قدح من عيدان يوضع تحت سريره يبول فيه من الليل فبال فيه ليلة ثم افتقده فلم يجد
فيه شيئا فسأل عنه بركة فقالت قمت وانا عطشانة فشربته وانا لا اعلم روى حديثها
ابن جريج وغيره وكان صلى الله عليه وسلم قد ولد مختونا مقطوع السرة وفي بعض الروايات
وروي عن امه آمنة انها قالت ولدته نظيفا ما به قذر وعن عائشة رضي الله عنها
ما رأيت فرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قط وعن علي رضي الله عنه اوصاني النبي
صلى الله عليه وسلم لا يغسله غيري فانه لا يرى احد عورتي الا طمست عيناه وفي حديث
عكرمة عن ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم نام حتى سمع له غطيط فقام فصلى ولم يتوضأ
قال عكرمة لانه صلى الله عليه وسلم كان محفوظا **فصل واما وفور عقله وذكاء لبه**
وقوة حواسه وفصاحة لسانه واعتدال حركاته وحسن شمائله فلا مرية انه كان
اعقل الناس واذكاهم ومن تأمل تدبيره امر بواطن الخلق وظواهرهم وسياسة
العامة والخاصة مع عجيب شمائله وبديع سيره فضلا عما افاضه من العلم وقرره من الشرع
دون تعلم سبق ولا ممارسة تقدمت ولا مطالعة للكتب منه لم يمتر في رجحان عقله
وثقوب فهمه لاول بديهة وهذا مما لا يحتاج الى تقريره لتحققه وقد قال وهب بن منبه

قرأت في احد وسبعين كتابا فوجدت في جميعها ان النبي صلى الله عليه وسلم ارجح
الناس عقلا وافضلهم رأيا وفي رواية اخرى فوجدت في جميعها ان الله تبارك
وتعالى لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا الى انقضائها من العقل في جنب عقله
الا كحبة رمل من بين رمال الدنيا وقال مجاهد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يرى من خلفه كما يرى من بين يديه وبه فسر قوله وتقلبك في الساجدين وفي
الموطأ عنه عليه السلام اني لاراكم من وراء ظهري ونحوه عن انس في الصحيحين وعن عائشة
مثله قالت زيادة زادها الله اياها في حجته وفي بعض الروايات اني لانظر الى
من ورائي كما انظر الى من بين يدي وفي اخرى اني لابصر من قفاي كما ابصر من بين
يدي وحكى بقي بن مخلد عن عائشة رضي الله تعالى عنها كان النبي صلى الله عليه وسلم
يرى في الظلمة كما يرى في الضوء والاخبار كثيرة صحيحة في رؤيته صلى الله عليه وسلم
للملائكة والشياطين ورفع النجاشي له حتى صلى عليه وبيت المقدس حين وصفه لقريش
والكعبة حين بنى مسجده وقد حكي عنه انه كان يرى في الثريا احد عشر نجما وهذه كلها محمولة
على رؤية العين وهو قول احمد بن حنبل وغيره وذهب بعضهم الى ردها الى العلم والظواهر
تخالفه ولا احالة في ذلك وهي من خواص الانبياء وخصالهم كما اخبرنا ابو محمد عبد الله
ابن ابي القاسم العدل من كتابه حدثنا ابو الحسن المقرئ الفرغاني حدثتنا ام القاسم بنت ابي بكر
عن ابيها حدثنا الشريف ابو الحسن علي بن محمد الحسني حدثنا محمد بن محمد بن سعيد حدثنا
محمد بن احمد بن سليمان حدثنا محمد بن محمد بن مرزوق حدثنا همام حدثنا الحسن عن قتادة
عن يحيى بن وثاب عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما تجلى
الله لموسى عليه السلام كان يبصر النملة على الصفا في الليلة الظلماء مسيرة عشرة فراسخ
ولا يبعد على هذا ان يختص نبينا بما ذكرناه من هذا الباب بعد الاسراء والحظوة بما رأى
من آيات ربه الكبرى وقد جاءت الاخبار بانه صرع ركانة اشد اهل وقته وكان دعاه
الى الاسلام وصارع ابا ركانة في الجاهلية وكان شديدا وعاوده ثلاث مرات كل ذلك يصرعه
رسول الله عليه السلام وقال ابو هريرة ما رأيت احدا اسرع من رسول الله في مشيته كأنما الارض تطوى له انا لنجهد
انفسنا وهو غير مكترث وفي صفته ان ضحكه كان تبسما اذا التفت التفت معا واذا
مشى مشى تقلعا كأنما ينحط من صبب **فصل واما فصاحة اللسان وبلاغة**

القول فقد كان صلى الله تعالى عليه وسلم من ذلك بالمحل الافضل
والموضع الذي لا يجهل سلاسة طبع وبراعة منزع وايجاز مقطع ونصاعة لفظ وجزالة
قول وصحة معان وقلة تكلف اوتي جوامع الكلم وخص ببدائع الحكم وعلم السنة العرب
فكان يخاطب كل امة منها بلسانها ويحاورها بلغتها ويباريها في منزع بلاغتها حتى كان
كثير من اصحابه يسألونه في غير موطن عن شرح كلامه وتفسير قوله من تأمل حديثه وسيره
علم ذلك وتحققه وليس كلامه مع قريش والانصار واهل الحجاز ونجد ككلامه مع ذي المعشار
الهمداني وطهفة النهدي وقطن بن حارثة العليمي والاشعث بن قيس ووائل بن حجر
الكندي وغيرهم من اقيال حضرموت وملوك اليمن وانظر كتابه الى همدان ان لكم فراعها
ووهاطها وعزازها تأكلون علافها وترعون عفاءها لنا من دفئهم وصرامهم ما سلموا
بالميثاق والامانة ولهم من الصدقة الثلب والناب والفصيل والفارض الداجن
والكبش الحوري وعليهم فيها الصالغ والقارح وقوله صلى الله عليه وسلم لنهد اللهم
بارك لهم في محضها ومخضها ومذقها وابعث راعيها في الدثر وافجر له الثمد وبارك له
في المال والولد من اقام الصلاة كان مسلما ومن آتى الزكاة كان محسنا ومن شهد ان
لا اله الا الله كان مخلصا لكم يا بني نهد ودائع الشرك ووضائع الملك لا تلطط في الزكاة
ولا تلحد في الحياة ولا تتثاقل عن الصلاة وكتب لهم في الوظيفة الفريضة ولكم الفارض
والفريش وذو العنان الركوب والفلو الضبيس لا يمنع سرحكم ولا يعضد طلحكم ولا يحبس
دركم ما لم تضمروا الرماق وتأكلوا الرباق من اقر فله الوفاء بالعهد والذمة ومن ابى
فعليه الربوة وهي كتابه لوائل بن حجر الى الاقيال العباهلة والارواع المشابيب
وفي التيعة شاة لا مقورة الالياط ولا ضناك وانطوا الثبجة وفي السيوب
الخمس ومن زنى مم بكر فاصقعوه مائة واستوفضوه عاما ومن زنى مم ثيب
فضرجوه بالاضاميم ولا توصيم في الدين ولا غمة في فرائض الله وكل مسكر حرام ووائل
ابن حجر يترفل على الاقيال اين هذا من كتابه لانس في الصدقة المشهور لما كان كلام
هؤلاء على هذا الحد وبلاغتهم على هذا النمط واكثر استعمالهم هذه الالفاظ استعملها
معهم ليبين للناس ما نزل اليهم وليحدث الناس بما يعلمون وكقوله في حديث عطية السعدي
فان اليد العليا هي المنطية واليد السفلى هي المنطاة قال فكلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم

بعضا وقوله في حديث العامري حين سأله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
سل عنك اي سل عما شئت وهي لغة بني عامر واما كلامه المعتاد وفصاحته المعلومة
وجوامع كلمه وحكمه المأثورة فقد الف الناس فيها الدواوين وجمعت في الفاظها
ومعانيها الكتب ومنها ما لا يوازى فصاحة ولا يبارى بلاغة كقوله عليه الصلوة
والسلام المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم وهم يد على من سواهم وقوله
الناس كاسنان المشط والمرء مع من احب ولا خير في صحبة من لا يرى لك ما ترى له
والناس معادن وما هلك امرؤ عرف قدره والمستشار مؤتمن وهو بالخيار ما لم يتكلم
ورحم الله عبدا قال خيرا فغنم او سكت فسلم وقوله اسلم تسلم واسلم يؤتك الله
اجرك مرتين وان احبكم الي واقربكم مني مجالس يوم القيمة احاسنكم اخلاقا الموطؤن
اكنافا الذين يألفون ويؤلفون وقوله ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيها
ونهيه عن قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة المال ومنع وهات وعقوق الامهات
ووأد البنات وقوله عليه السلام اتق الله حيث كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها
وخالق الناس بخلق حسن وخير الامور اوساطها وقوله احبب حبيبك هونا ما
عسى ان يكون بغيضك يوما ما وقوله الظلم ظلمات يوم القيمة وقوله في بعض دعائه اللهم اني اسألك
رحمة تهدي بها قلبي وتجمع بها امري وتلم بها شعثي وتصلح بها غائبي وترفع بها شاهدي
وتزكي بها عملي وتلهمني بها رشدي وترد بها الفتي وتعصمني بها من كل سوء اللهم اني اسألك
الفوز في القضاء ونزل الشهداء وعيش السعداء والنصر على الاعداء الى ما روته
الكافة من مقاماته ومحاضراته وخطبه وادعيته ومخاطباته وعهوده
مما لا خلاف انه صلى الله عليه وسلم نزل من ذلك مرتبة لا يقاس بها غيره وحاز فيها سبقا
لا يقدر قدره وقد جمعت من كلماته التي لم يسبق اليها ولا قدر احد ان يفرغ في قالبه
عليها كقوله عليه الصلوة والسلام حمي الوطيس ومات حتف انفه ولا يلدغ المؤمن من جحر
مرتين والسعيد من وعظ بغيره في اخواتها ما يدرك الناظر العجب في مضمنها ويذهب به الفكر
في اداني حكمها وقد قال له اصحابه ما رأينا الذي افصح منك فقال وما يمنعني وانما انزل القرآن
بلساني لسان عربي مبين وقال مرة اخرى بيد اني من قريش ونشأت في بني سعد فجمع له بذلك
صلى الله عليه وسلم قوة عارضة البادية وجزالتها ونصاعة الفاظ الحاضرة ورونق

ورونق كلامها الى التأييد الالهي الذي مدده الوحي الذي لا يحيط بعلمه بشري وقالت ام معبد
في وصفها له صلى الله عليه وسلم حلو المنطق فصل لا نزر ولا هذر كأن منطقه خرزات نظمن
وكان جهير الصوت حسن النغمة صلى الله عليه وسلم

فصل واما شرف نسبه وكرم بلده ومنشئه فمما لا يحتاج الى اقامة دليل عليه ولا بيان مشكل ولا خفي
منه فانه نخبة بني هاشم وسلالة قريش وصميمها واشرف العرب واعزهم نفرا
من قبل ابيه وامه ومن اهل مكة من اكرم بلاد الله على الله وعلى عباده حدثنا القاضي
حسين بن محمد الصدفي رحمه الله حدثنا القاضي ابو الوليد سليمان بن خلف حدثنا
ابو ذر عبد الله بن احمد حدثنا ابو محمد السرخسي وابو اسحق وابو الهيثم قالوا حدثنا محمد بن يوسف
حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن عمرو عن سعيد
المقبري عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعثت من خير قرون
بني آدم قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الذي كنت منه وعن العباس قال النبي صلى الله عليه وسلم
ان الله خلق الخلق فجعلني من خيرهم من خير فرقهم ثم تخير القبائل فجعلني من خير قبيلة ثم تخير البيوت فجعلني من خير
بيوتهم فانا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا صلى الله عليه وسلم وعن واثلة بن الاسقع قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الله اصطفى من ولد ابرهيم اسمعيل واصطفى من ولد اسمعيل بني
كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من
بني هاشم قال الترمذي وهذا حديث صحيح وفي حديث عن ابن عمر رواه الطبري انه
صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل اختار خلقه فاختار منهم بني آدم ثم اختار
بني آدم فاختار منهم العرب ثم اختار العرب فاختار منهم قريشا ثم اختار قريشا
فاختار بني هاشم ثم اختار بني هاشم فاختارني فلم ازل خيارا من خيار الا من
احب العرب فبحبي احبهم ومن ابغض العرب فببغضي ابغضهم وعن ابن عباس
رضي الله عنهما ان قريشا كانت نورا بين يدي الله تعالى قبل ان يخلق آدم بالفي عام
يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه فلما خلق الله تعالى آدم القى ذلك النور
في صلبه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاهبطني الله الى الارض في صلب
آدم وجعلني في صلب نوح وقذف بي في صلب ابرهيم ثم لم يزل الله تعالى
ينقلني من الاصلاب الكريمة والارحام الطاهرة حتى اخرجني بين ابوي لم يلتقيا

على سفاح قط ويشهد بصحة هذا الخبر شعر العباس المشهور في مدح النبي صلى الله عليه
وسلم **فصل** وامّا ما تدعو ضرورة الحياة اليه مما فصلناه فعلى ثلاثة ضروب
ضرب الفضل في قلته وضرب الفضل في كثرته وضرب تختلف الاحوال فيه فامّا ما
التمدح والكمال بقلته اتفاقا وعلى كل حال عادة وشريعة كالغذاء والنوم ولم تزل
العلماء والعرب والحكماء تتمادح بقلتهما وتذم بكثرتهما لان كثرة الاكل والشرب دليل
على النهم والحرص والشره وغلبة الشهوة مسبب لمضار الدنيا والآخرة جالب
لادواء الجسد وخثارة النفس وامتلاء الدماغ وقلته دليل على القناعة وملك النفس
وقمع الشهوة مسبب للصحة وصفاء الخاطر وحدة الذهن كما ان كثرة النوم دليل على الفسولة
والضعف وعدم الذكاء والفطنة مسبب للكسل وعادة العجز وتضييع العمر في غير نفع
وقساوة القلب وغفلته وموته والشاهد على هذا ما يعلم ضرورة ويوجد مشاهدة
وينقل متواترا من كلام الامم المتقدمة والحكماء السابقين واشعار العرب واخبارها
وصحيح الحديث وآثار من سلف وخلف مما لا يحتاج الى الاستشهاد عليه اختصارا واقتصارا
على اشتهار العلم به وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد اخذ من هذين الفنين بالاقل
ما لا يدفع من سيرته وهو الذي امر به وحض عليه لاسيما بارتباط احدهما بالآخر حدثنا
ابو علي الصدفي الحافظ بقراءتي عليه ثنا ابو الفضل الاصفهاني ثنا ابو نعيم الحافظ ثنا سليمان
ابن احمد ثنا بكر بن سهل ثنا عبد الله بن صالح ثنا معاوية بن صالح ان يحيى بن جابر حدثه عن المقدام
ابن معدي كرب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه
حسب ابن آدم اكلات يقمن صلبه فان كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه
وثلث لنفسه ولان كثرة النوم من كثرة الاكل والشرب قال سفيان الثوري بقلة الطعام
يملك سهر الليل وقال بعض السلف لا تأكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتخسروا
كثيرا وعن عائشة رضي الله تعالى عنها لم يمتلئ جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعا
قط وانه كان في اهله لا يسألهم طعاما ولا يتشهاه ان اطعموه اكل وما اطعموه قبل وما سقوه
شرب ولا يعترض على هذا الحديث بريرة وقوله ألم ار البرمة فيها لحم اذ لعل سبب سؤاله
ظنه صلى الله عليه وسلم اعتقادهم انه لا يحل له فاراد بيان سنته اذ رآهم لم يقدموه اليه
مع علمه انهم لا يستأثرون عليه به فصدّق عليهم ظنهم وبيّن لهم ما جهلوه من امره بقوله هو

لها صدقة ولنا هدية وفي حكمة لقمن يا بني اذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة
وقعدت الاعضاء عن العبادة وقال سحنون لا يصلح العلم لمن يأكل حتى يشبع وفي صحيح الحديث
قوله صلى الله عليه وسلم امّا انا فلا آكل متكئا والاتكاء هو التمكن للاكل والتقعدد في الجلوس
له كالمتربع وشبهه من تمكن الجلسات التي يعتمد فيها الجالس على ما تحته والجالس على هذه
الهيئة يستدعي الاكل ويستكثر منه والنبي عليه السلام انما كان جلوسه للاكل جلوس المستوفز
مقعيا ويقول انما انا عبد آكل كما يأكل العبد واجلس كما يجلس العبد وليس معنى الحديث
في الاتكاء الميل على شق عند المحققين وكذلك نومه صلى الله عليه وسلم كان قليلا شهدت
بذلك الآثار الصحيحة ومع ذلك فقد قال ان عيني تنامان ولا ينام قلبي وكان نومه على جانبه
الايمن استظهارا على قلة النوم لانه على جانبه الايسر اهنأ لهدو القلب وما يتعلق
به من الاعضاء الباطنة حينئذ لميلها الى الجانب الايسر فيستدعي ذلك الاستثقال
فيه والطول واذا نام النائم على الايمن تعلق القلب وقلق فاسرع الافاقة ولم يغمره
الاستغراق **فصل والضرب الثاني ما يتفق التمدح بكثرته والفخر بوفوره كالنكاح**
والجاه اما النكاح فمتفق فيه شرعا وعادة فانه دليل الكمال وصحة الذكورية ولم يزل
التفاخر بكثرته عادة معروفة والتمادح به سيرة ماضية واما في الشرع فسنة ماثورة
وقد قال ابن عباس افضل هذه الامة اكثرها نساء مشيرا اليه صلى الله عليه وسلم
وقد قال عليه السلام تناكحوا تناسلوا فاني مباه بكم الامم ونهى عن التبتل مع ما فيه من قمع الشهوة
وغض البصر اللذين نبّه عليهما صلى الله عليه وسلم بقوله من كان ذا طول فليتزوج
فانه اغض للبصر واحصن للفرج حتى لم يره العلماء مما يقدح في الزهد قال سهل بن عبد الله
قد حبّبن الى سيد المرسلين فكيف يزهد فيهن ونحوه لابن عيينة وقد كان زهاد الصحابة
كثيري الزوجات والسراري كثيري النكاح وحكي في ذلك عن علي والحسن وابن عمر وغيرهم
رضي الله عنهم غير شيء وقد كره غير واحد ان يلقى الله عزبا فان قلت كيف يكون النكاح وكثرته
من الفضائل وهذا يحيى بن زكريا قد اثنى الله تعالى عليه انه كان حصورا فكيف يثني
الله عليه بالعجز عما تعده فضيلة وهذا عيسى عليه السلام تبتل من النساء ولو كان كما
قررته لنكح فاعلم ان ثناء الله تعالى على يحيى عليه السلام بانه حصور ليس كما قال بعضهم انه
كان هيوبا او لا ذكر له بل قد انكر هذا حذاق المفسرين ونقاد العلماء وقالوا هذه نقيصة

وعيب ولا يليق هذا بالانبيا عليهم الصلاة والسلام وانما معناه انه معصوم من الذنوب اي لا يأتيها كانه حصر عنها وقيل مانعا نفسه من الشهوات وقيل ليست له شهوة في النساء فقد بان لك من هذا ان عدم القدرة على النكاح نقص وانما الفضل في كونها موجودة ثم قمعها اما بمجاهدة كعيسى عليه السلام او بكفاية من الله كيحيى عليه السلام فضيلة زائدة لكونها شاغلة في كثير من الاوقات حاطة الى الدنيا ثم هي في حق من اقدر عليها وملكها وقام بالواجب فيها ولم تشغله عن ربه درجة عليا وهي درجة نبينا صلى الله عليه وسلم لم تشغله كثرتهن عن عبادة ربه بل زاده ذلك عبادة لتحصينهن وقيامه بحقوقهن واكتسابه لهن وهدايته اياهن بل صرح انها ليست من حظوظ دنياه هو وان كانت من حظوظ دنيا غيره فقال حبب الي من دنياكم فدل ان حبه لما ذكر من النسا والطيب اللذين هما من امور دنيا غيره واستعماله لذلك ليس لدنياه بل للآخرة للفوائد التي ذكرناها في التزويج وللقاء الملائكة في الطيب ولانه ايضا مما يحض على الجماع ويعين عليه ويحرك اسبابه وكان حبه لهاتين الخصلتين لاجل غيره وقمع شهوته وكان حبه الحقيقي المختص بذاته في مشاهدة جبروت مولاه ومناجاته ولذلك ميز بين الحبين وفصل بين الحالين فقال وجعلت قرة عيني في الصلاة فقد ساوى يحيى وعيسى عليهما السلام في كفاية فتنتهن وزاد فضيلة بالقيام بهن وكان صلى الله عليه وسلم ممن اقدر على القوة في هذا واعطي الكثير منه ولهذا ابيح له من عدد الحرائر ما لم يبح لغيره وقد روينا عن انس انه صلى الله عليه وسلم كان يدور على نسائه في الساعة من الليل والنهار وهن احدى عشرة قال انس وكنا نتحدث انه اعطي قوة ثلثين رجلا خرجه النسائي وروي نحوه عن ابي رافع وعن طاوس اعطي النبي صلى الله عليه وسلم قوة اربعين رجلا في الجماع ومثله عن صفوان بن سليم وقالت سلمى مولاته طاف النبي صلى الله عليه وسلم ليلة على نسائه التسع وتطهر من كل واحدة قبل ان يأتي الاخرى وقال هذا اطهر واطيب وقد قال سليمان عليه السلام لاطوفن الليلة على مائة امرأة او تسع وتسعين وانه فعل ذلك قال ابن عباس كان في ظهر سليمان عليه السلام ماء مائة رجل وكانت له ثلثمائة امرأة وثلثمائة سرية وحكى النقاش وغيره سبعمائة امرأة وثلثمائة سرية وقد كان لداود عليه السلام على زهده واكله من عمل يده تسع وتسعون امرأة

امرأة وتمت بزوج اوريا مائة وقد نبه على ذلك في الكتاب العزيز بقوله تعالى ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة وفي حديث انس عنه عليه السلام فضلت على الناس باربع بالسخاء والشجاعة وكثرة الجماع وقوة البطش واما الجاه فمحمود عند العقلاء عادة وبقدر جاهه عظمه في القلوب وقد قال تعالى في صفة عيسى عليه السلام وجيها في الدنيا والآخرة لكن آفاته كثيرة فهو مضر لبعض الناس لعقبى الآخرة فلذلك ذمه من ذمه ومدح ضده وورد في الشرع مدح الخمول وذم العلو في الارض وكان صلى الله عليه وسلم قد رزق من الحشمة والمكانة في القلوب والعظمة قبل النبوة عند الجاهلية وبعدها وهم يكذبونه ويؤذون اصحابه ويقصدون اذاه في نفسه خفية حتى اذا واجههم اعظموا امره وقضوا حاجته واخباره في ذلك معروفة سيأتي بعضها وقد كان يبهت ويفرق من رؤيته من لم يره كما روي عن قيلة انها لما رأته ارعدت من الفرق فقال يا مسكينة عليك السكينة وفي حديث ابن مسعود ان رجلا قام بين يديه فارعد فقال صلى الله عليه وسلم هون عليك فاني لست بملك فاما عظيم قدره بالنبوة وشريف منزلته بالرسالة وانافة رتبته بالاصطفاء والكرامة في الدنيا والآخرة فامر هو مبلغ النهاية ثم هو في الآخرة سيد ولد آدم وعلى معنى هذا الفصل نظمنا هذا القسم باسره **فصل واما الضرب الثالث فهو ما تختلف الحالات في التمدح به والتفاخر بسببه والتفضيل به** ككثرة المال فصاحبه في الجملة معظم عند العامة لاعتقادها توصله به الى حاجاته وتمكن اغراضه بسببه والا فليس فضيلة في نفسه فمتى كان المال بهذه الصورة وصاحبه منفقا له في مهماته ومهمات من اعتراه وامله وتصريفه في مواضعه مشتريا به المعالي والثناء الحسن والمنزلة من القلوب كان فضيلة في صاحبه عند اهل الدنيا واذا صرفه في وجوه البر وانفقه في سبل الخير وقصد بذلك الله تعالى والدار الآخرة كان فضيلة عند الكل بكل حال ومتى كان صاحبه ممسكا له غير موجهه وجوهه حريصا على جمعه عاد كثره كالعدم وكان منقصة في صاحبه ولم يقف به على جدد السلامة بل اوقعه في هوة رذيلة البخل ومذمة النذالة فاذا التمدح بالمال وفضيلته عند مفضليه ليست لنفسه وانما هو للتوصل به الى غيره وتصريفه في متصرفاته فجامعه اذا لم يضعه مواضعه ولا وجهه وجوهه غير مليء بالحقيقة ولا غني بالمعنى ولا ممتدح عند احد من العقلاء بل هو فقير ابدا غير واصل الى غرض من اغراضه اذ ما بيده من المال

الموصل لها لم يتسلط عليه فأشبه خازن مال غيره ولا مال له فكأنه ليس في يده شيء
منه والمنفق ملي غني بتحصيله فوائد المال وإن لم يبق في يده من المال شيء فانظر سيرة
نبينا صلى الله عليه وسلم وخلقه في المال تجده قد أوتي خزائن الأرض ومفاتيح البلاد
وأحلت له الغنائم ولم تحل لنبي قبله وفتح عليه في حياته صلى الله عليه وسلم بلاد الحجاز واليمن
وجميع جزيرة العرب وما دانى ذلك من الشام والعراق وجبيت إليه من أخماسها
وجزيتها وصدقاتها ما لا يجبى للملوك إلا بعضه وهادته جماعة من ملوك الأقاليم فما استأثر
بشيء منه ولا أمسك منه درهما بل صرفه مصارفه وأغنى به غيره وقوى به المسلمين وقال
عليه الصلاة والسلام ما يسرني أن لي أحدا ذهبا يبيت عندي منه دينار
إلا دينارا أرصده لديني وأتته دنانير مرة فقسمها وبقيت عنده منها ستة فدفعها
لبعض نسائه فلم يأخذه نوم حتى قام وقسمها وقال الآن استرحت ومات رسول الله
صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة في نفقة عياله واقتصر من نفقته وملبسه ومسكنه على ما تدعوه
ضرورته إليه وزهد فيما سواه فكان يلبس ما وجده فيلبس في الغالب الشملة والكساء
الخشن والبرد الغليظ ويقسم على من حضره أقبية الديباج المخوصة بالذهب ويرفع
لمن لم يحضر إذ المباهاة في الملابس والتزين بها ليست من خصال الشرف والجلالة وهي
من سمات النساء والمحمود منها نقاوة الثوب والتوسط في جنسه وكونه لبس مثله
غير مسقط لمروءة جنسه مما لا يؤدي إلى الشهرة في الطرفين وقد ذم الشرع ذلك
وغاية الفخر فيه في العادة عند الناس إنما يعود إلى الفخر بكثرة الموجود ووفور الحال وكذلك
التباهي بجودة المسكن وسعة المنزل وتكثير آلاته وخدمه ومركوباته ومن ملك الأرض
وجبي إليه ما فيها فترك ذلك زهدا وتنزها فهو حائز لفضيلة المالية ومالك للفخر
بهذه الخصلة إن كانت فضيلة زائد عليها في الفخر ومعرق في المدح بإضرابه عنها
وزهده في فانيها وبذلها في مظانها **فصل وأما الخصال المكتسبة من الأخلاق**
الحميدة والآداب الشريفة التي اتفق جميع العقلاء على تفضيل صاحبها وتعظيم المتصف بالخلق
الواحد منها فضلا عما فوقه وأثنى الشرع على جميعها وأمر بها ووعد السعادة الدائمة للمتخلق بها
ووصف بعضها بأنه من أجزاء النبوة وهي المسماة بحسن الخلق وهو الاعتدال في قوى
النفس وأوصافها والتوسط فيها دون الميل إلى منحرف أطرافها فجميعها قد كانت خلق

خلق نبينا صلى الله عليه وسلم على الانتهاء في كمالها والاعتدال إلى غايتها حتى أثنى الله
تعالى عليه بذلك فقال وإنك لعلى خلق عظيم قالت عائشة رضي الله عنها كان خلقه
القرآن يرضى برضاه ويسخط بسخطه وقال عليه السلام بعثت لأتمم مكارم الأخلاق
قال أنس رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا وعن علي
ابن أبي طالب رضي الله عنه مثله وكان فيما ذكره المحققون مجبولا عليها في أصل خلقته
وأول فطرته لم تحصل له باكتساب ولا رياضة إلا بجود إلهي وخصوصية ربانية وهكذا لسائر الأنبياء
ومن طالع سيرهم منذ صباهم إلى مبعثهم حقق ذلك كما عرف من حال موسى وعيسى ويحيى
وسليمان وغيرهم عليهم السلام بل غرزت فيهم هذه الأخلاق في الجبلة وأودعوا العلم والحكمة
في الفطرة قال الله تعالى وآتيناه الحكم صبيا قال المفسرون أعطي يحيى العلم بكتاب الله في حال صباه
وقال معمر كان ابن سنتين أو ثلاث فقال له الصبيان لم لا تلعب فقال أللعب خلقت
وقيل في قوله تعالى مصدقا بكلمة من الله صدق يحيى بعيسى وهو ابن ثلاث سنين فشهد له
أنه كلمة الله وروحه وقيل صدقه وهو في بطن أمه وكانت أم يحيى تقول لمريم إني أجد ما
في بطني يسجد لما في بطنك تحية له وقد نص الله تعالى على كلام عيسى لأمه عند ولادتها
إياه بقوله لها لا تحزني على قراءة من قرأ من تحتها وعلى قول من قال إن المنادي عيسى
ونص على كلامه في مهده فقال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وقال تعالى
ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما وقد ذكر من حكم سليمان وهو صبي يلعب في قصة
المرجومة وفي قصة الصبي ما اقتدى به داود أبوه وحكى الطبري أن عمره كان حين أوتي الملك
اثني عشر عاما وكذلك قصة موسى عليه السلام مع فرعون وأخذه بلحيته وهو طفل قال المفسرون
في قوله تعالى ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل أي هديناه صغيرا قاله مجاهد وغيره
وقال ابن عطاء اصطفاه قبل إبداء خلقه وقال بعضهم لما ولد إبراهيم بعث الله إليه ملكا
يأمره عن الله أن يعرفه بقلبه ويذكره بلسانه فقال قد فعلت ولم يقل أفعل فذلك رشده
وقيل إن إلقاء إبراهيم عليه السلام في النار ومحنته كانت وهو ابن ست عشرة سنة وأن
ابتلاء إسحاق بالذبح كان وهو ابن سبع سنين وأن استدلال إبراهيم بالكوكب والقمر والشمس
كان وهو ابن خمسة عشر شهرا وقيل أوحي إلى يوسف عليه السلام وهو صبي عندما هم إخوته بإلقائه
في الجب بقول الله تعالى وأوحينا إليه لتنبئنهم بأمرهم هذا الآية إلى غير ذلك مما ذكر من أخبارهم

وقد حكى بعض اهل السير ان آمنة بنت وهب اخبرت ان نبينا صلى الله عليه وسلم ولد حين
ولد باسطا يديه الى الارض رافعا رأسه الى السماء وقال في حديثه صلى الله عليه وسلم لما
نشأت بغضت الى الاوثان وبغض الى الشعر ولم اهم بشيء مما كانت الجاهلية تفعله
الا مرتين فعصمني الله منهما ثم لم اعد ثم يتمكن الامر لهم وتترادف نفحات الله عليهم وتشرق
انوار المعارف في قلوبهم حتى يصلوا الغاية ويبلغوا باصطفاء الله تعالى لهم بالنبوة في
تحصيل هذه الخصال الشريفة النهاية دون ممارسة ولا رياضة قال الله تعالى
ولما بلغ اشده واستوى آتيناه حكما وعلما وقد نجد غيرهم يطبع على بعض هذه الاخلاق
دون جميعها ويولد عليها فيسهل عليه اكتساب تمامها عناية من الله تعالى كما نشاهد من خلقة
بعض الصبيان على حسن السمت او الشهامة او صدق اللسان او السماحة وكما نجد بعضهم
على ضدها فبالاكتساب يكمل ناقصها وبالرياضة والمجاهدة يستجلب معدومها ويعتدل منحرفها
وباختلاف هذين الحالين يتفاوت الناس فيها فكل ميسر لما خلق له ولهذا ما قد اختلف
السلف فيها هل هذا الخلق جبلة او مكتسبة فحكى الطبري عن بعض السلف ان الخلق الحسن
جبلة وغريزة في العبد وحكاه عن عبد الله بن مسعود والحسن وبه قال هو والصواب
ما اصلناه وقد روى سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل الخلال يطبع عليها المؤمن
الا الخيانة والكذب وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حديثه والجرأة والجبن
غرائز يضعها الله حيث يشاء وهذه الاخلاق المحمودة والخصال الشريفة كثيرة ولكن
نذكر اصولها ونشير الى جميعها ونحقق وصفه صلى الله عليه وسلم بها ان شاء الله تعالى

**فصل اما اصل فروعها وعنصر ينابيعها ونقطة دائرتها فالعقل الذي منه ينبعث العلم
والمعرفة** ويتفرع عن هذا ثقوب الرأي وجودة الفطنة والاصابة وصدق الظن والنظر
للعواقب ومصالح النفس ومجاهدة الشهوة وحسن السياسة والتدبير واقتناء الفضائل
وتجنب الرذائل وقد اشرنا الى مكانه منه عليه السلام وبلوغه منه ومن العلم الغاية التي
لم يبلغها بشر سواه واذ جلالة محله من ذلك ومما تفرع منه متحقق عند من تتبع مجاري احواله
واطراد سيره وطالع جوامع كلامه وحسن شمائله وبدائع سيره وحكم حديثه وعلمه بما في التوراة
والانجيل والكتب المنزلة وحكم الحكماء وسير الامم الخالية وايامها وضرب الامثال وسياسات
الانام وتقرير الشرائع وتأصيل الآداب النفيسة والشيم الحميدة الى فنون العلوم التي اتخذ

اتخذ اهلها كلامه عليه السلام فيها قدوة واشاراته حجة كالعبارة والطب والحساب
والفرائض والنسب وغير ذلك كما سنبينه في معجزاته صلى الله عليه وسلم ان شاء الله
دون تعليم ولا دراسة علم ولا مطالعة كتب من تقدم ولا الجلوس الى علمائهم
بل نبي امي لم يعرف بشيء من ذلك حتى شرح الله صدره وابان امره وعلمه
واقرأه يعلم ذلك بالمطالعة والبحث من حاله ضرورة وبالبرهان القاطع على نبوته نظرا
فلا نطول بسرد الاقاصيص وآحاد القضايا اذ مجموعها ما لا يأخذه حصر ولا يحيط به
حفظ جامع وبحسب عقله كانت معارفه صلى الله عليه وسلم الى سائر ما علمه الله واطلعه
عليه من علم ما يكون وما كان وعجائب قدرته وعظيم ملكوته قال تعالى وعلمك
ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما حارت العقول في تقدير فضله عليه
وخرست الالسن دون وصف يحيط بذلك او ينتهي اليه **فصل واما الحلم والاحتمال
والعفو مع القدرة والصبر على ما يكره** وبين هذه الالقاب فرق فان الحلم حالة توقر وثبات
عند الاسباب المحركات والاحتمال حبس النفس عند الآلام والمؤذيات ومثلها
الصبر ومعانيها متقاربة واما العفو فهو ترك المؤاخذة وهذا كله مما ادب الله تعالى به
نبيه صلى الله عليه وسلم فقال خذ العفو وأمر بالمعروف الآية **روي** ان النبي صلى الله عليه
وسلم لما نزلت عليه هذه الآية سأل جبريل عليه السلام عن تأويلها فقال له حتى اسأل
العالم ثم اتاه فقال يا محمد ان الله يأمرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك
وتعفو عمن ظلمك وقال تعالى له واصبر على ما اصابك الآية وقال تعالى فاصبر كما صبر اولوا العزم
من الرسل وقال تعالى وليعفوا وليصفحوا الآية وقال تعالى ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم
الامور ولا خفاء بما يؤثر من حلمه واحتماله وان كل حليم قد عرفت منه زلة وحفظت
عنه هفوة وهو صلى الله عليه وسلم لا يزيد مع كثرة الاذى الا صبرا وعلى اسراف
الجاهل الا حلما حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن علي التغلبي وغيره قالوا حدثنا محمد بن عتاب
حدثنا ابو بكر بن وافد القاضي وغيره حدثنا ابو عيسى حدثنا عبيد الله حدثنا يحيى بن يحيى
حدثنا مالك عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت ما خير رسول الله
صلى الله عليه وسلم في امرين قط الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد
الناس منه وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه الا ان تنتهك حرمة

الله فيستغفر الله منه بها . وروي ان النبي عليه السلام لما كسرت رباعيته وشج في وجهه
يوم احد شق ذلك على اصحابه شديدا فقالوا لو دعوت عليهم فقال اني لم ابعث
لعانا ولكني بعثت داعيا ورحمة اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون وروي عن عمر رضي الله عنه
انه قال في بعض كلامه بابي انت وامي يا رسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب لا تذر
على الارض الآية ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا من عند آخرنا فلقد وطئ ظهرك
وادمي وجهك وكسرت رباعيتك فابيت ان تقول الا خيرا فقلت اللهم اغفر لقومي
فانهم لا يعلمون قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه انظر ما في هذا القول من جماع الفضل
ودرجات الاحسان وحسن الخلق وكرم النفس وغاية الصبر والحلم اذ لم يقتصر صلى الله
عليه وسلم على السكوت عنهم حتى عفا عنهم ثم اشفق عليهم ورحمهم ودعا وشفع لهم فقال اللهم
اغفر واهد ثم اظهر سبب الشفقة والرحمة بقوله لقومي ثم اعتذر عنهم بجهلهم فقال فانهم لا يعلمون
ولما قال له الرجل اعدل فان هذه قسمة ما اريد بها وجه الله لم يزده في جوابه ان بين له ما جهله
ووعظ نفسه وذكرها بما قال له ويحك فمن يعدل ان لم اعدل خبت وخسرت
ان لم اعدل ونهى من اراد من اصحابه قتله ولما تصدى له غورث بن الحارث ليفتك به
ورسول الله صلى الله عليه وسلم منتبذ تحت شجرة وحده قائلا والناس قائلون في غزاة
فلم ينتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو قائم والسيف صلتا في يده فقال من يمنعك
مني فقال كن خير آخذ فتركه وعفا عنه فجاء الى قومه فقال جئتكم من عند خير الناس ومن عظيم
خبره في العفو عفوه عن اليهودية التي سمته في الشاة بعد اعترافها على الصحيح من الرواية
وانه لم يواخذ لبيد بن الاعصم اذ سحره وقد اعلم به واوحي اليه بشرح امره ولا عتب عليه فضلا
عن معاقبته وكذلك لم يواخذ عبد الله بن ابي واشباهه من المنافقين بعظيم
ما نقل عنهم في جهته قولا وفعلا بل قال لمن اشار بقتل بعضهم لا يتحدث ان محمدا يقتل اصحابه
وعن انس رضي الله عنه كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم وعليه برد غليظ الحاشية فجبذه اعرابي
جبذة شديدة حتى اثرت حاشية البرد في صفحة عاتقه ثم قال يا محمد احمل لي على بعيري
هذين من مال الله الذي عندك فانك لا تحمل لي من مالك ولا مال ابيك فسكت النبي
صلى الله عليه وسلم ثم قال المال مال الله وانا عبده ثم قال ويقاد منك يا اعرابي
ما فعلت بي قال لا قال لم قال لانك لا تكافئ بالسيئة السيئة فضحك النبي صلى الله عليه

وسلم ثم امر ان يحمل له على بعير شعير وعلى الآخر تمر قالت عائشة رضي الله تعالى
عنها ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط ما لم تكن
حرمة من محارم الله وما ضرب بيده شيئا قط الا ان يجاهد في سبيل الله وما ضرب
خادما ولا امراة وجيء اليه برجل فقيل هذا اراد ان يقتلك فقال له صلى الله عليه وسلم
لن تراع ولو اردت ذلك لم تسلط علي وجاء زيد بن سعنة قبل اسلامه يتقاضاه
دينا عليه فجبذ ثوبه عن منكبه واخذ بمجامع ثيابه واغلظ له ثم قال انكم يا بني عبد المطلب
مطل فانتهره عمر وشدد له في القول والنبي صلى الله عليه وسلم يتبسم فقال انا وهو كنا
الى غير هذا منك احوج يا عمر تامرني بحسن القضاء وتامره بحسن التقاضي ثم قال صلى الله
عليه وسلم لقد بقي من اجله ثلث وامر عمر يقضيه ماله ويزيده عشرين صاعا لما روعه
فكان سبب اسلامه وذلك انه كان يقول ما بقي من علامات النبوة شيء الا وقد عرفتها في محمد
الا اثنين لم اخبرهما يسبق حلمه جهله ولا تزيده شدة الجهل عليه الا حلما فاختبرته
بهذا فوجدته كما وصف والحديث عن حلمه عليه السلام وصبره وعفوه عند المقدرة
اكثر من ان ناتي عليه وحسبك ما ذكرناه مما في الصحيح والمصنفات الثابتة الى ما بلغ متواترا
مبلغ اليقين من صبره على مقاساة قريش واذى الجاهلية ومصابرته الشدائد الصعبة
معهم الى ان اظفره الله عليهم وحكمه فيهم وهم لا يشكون في استئصال شأفتهم وابادة خضرائهم
فما زاد على ان عفا وصفح وقال ما تقولون اني فاعل بكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ
كريم فقال اقول كما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم الآية اذهبوا فانتم الطلقاء وقال
انس هبط ثمانون رجلا من التنعيم صلاة الصبح ليقتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاخذوا فاعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تبارك وتعالى وهو الذي كف
ايديهم عنكم الآية وقال لابي سفيان وقد سيق اليه بعد ان جلب اليه الاحزاب وقتل
عمه واصحابه ومثل بهم فعفا عنه ولاطفه في القول ويحك يا ابا سفيان الم يان لك ان تعلم
ان لا اله الا الله فقال بابي انت وامي ما احلمك واوصلك واكرمك وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم ابعد الناس غضبا واسرعهم رضى صلى الله عليه وسلم

فصل

واما الجود والكرم والسخاء والسماحة ومعانيها متقاربة وقد فرق بعضهم
بينها بفروق فجعلوا الكرم الانفاق بطيب النفس فيما يعظم خطره ونفعه وسموه ايضا حرية

وهو ضد الغدر والسماحة التجافي عما يستحقه المرء عند غيره بطيب نفس وهو ضد الشكاسة والسخاء سهولة الانفاق وتجنب اكتساب ما لا يحمد وهو الجود وهو ضد التقتير وكان صلى الله عليه وسلم لا يوازى في هذه الاخلاق الكريمة ولا يبارى بهذا وصفه كل من عرفه حدثنا القاضي الشهيد ابو علي الصدفي رحمه الله حدثنا القاضي ابو الوليد الباجي حدثنا ابو ذر الهروي حدثنا ابو الهيثم الكشميهني وابو محمد السرخسي وابو اسحق البلخي قالوا حدثنا ابو عبد الله الفربري حدثنا البخاري حدثنا محمد بن كثير حدثنا سفيان عن ابن المنكدر سمعت جابر بن عبد الله يقول ما سئل النبي صلى الله عليه وسلم شيئا قط فقال لا وعن انس وسهل بن سعد مثله وقال ابن عباس رضي الله عنهما كان النبي صلى الله عليه وسلم اجود الناس بالخير واجود ما كان في شهر رمضان وكان اذا لقيه جبريل عليه السلام اجود بالخير من الريح المرسلة وعن انس ان رجلا سأله فاعطاه غنما بين جبلين فرجع الى بلده وقال اسلموا فان محمدا يعطي عطاء من لا يخشى فاقة واعطى غير واحد مائة من الابل واعطى صفوان مائة ثم مائة ثم مائة وهذه كانت حاله صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث وقد قال له ورقة انك تحمل الكل وتكسب المعدوم ورد على هوازن سباياها وكانوا ستة آلاف واعطى العباس من الذهب ما لم يطق حمله وحمل اليه تسعون الف درهم فوضعت على حصير ثم قام اليها يقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منها وجاءه رجل فسأله فقال ما عندي شيء ولكن ابتع علي فاذا جاءنا شيء قضيناه فقال له عمر ما كلفك الله ما لا تقدر عليه فكره النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فقال رجل من الانصار يا رسول الله انفق ولا تخف من ذي العرش اقلالا فتبسم صلى الله عليه وسلم وعرف البشر في وجهه وقال بهذا امرت ذكره الترمذي وذكر عن معوذ بن عفراء اتيت النبي صلى الله عليه وسلم بقناع من رطب يريد طبقا واجر زغب يريد قثاء فاعطاني ملء كفه حليا وذهبا وقال انس كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيئا لغد والخبر بجوده وكرمه صلى الله عليه وسلم كثير وعن ابي هريرة رضي الله عنه اتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم يسأله فاستسلف له رسول الله صلى الله عليه وسلم نصف وسق فجاء الرجل يتقاضاه فاعطاه وسقا وقال نصفه قضاء ونصفه نائل وقد قال ابو علي الدقاق من شيوخ الصوفية [illegible] وتكلم في الفتوة على رأيهم واصطلاحهم في الفاظهم وهو غاية الكرم ولا يبالي ان هذا الخلق بكماله لا يكون الا

الا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فان كل واحد يقول في القيامة نفسي نفسي ويقول هو صلى الله عليه وسلم امتي امتي فصل واما الشجاعة والنجدة فالشجاعة فضيلة قوة الغضب وانقيادها للعقل والنجدة ثقة النفس عند استرسالها الى الموت حيث يحمد فعلها دون خوف فكان صلى الله عليه وسلم منهما بالمكان الذي لا يجهل قد حضر المواقف الصعبة وفر الكماة والابطال عنه غير مرة وهو ثابت لا يبرح ومقبل لا يدبر ولا يتزحزح وما شجاع الا وقد احصيت له فرة وحفظت عنه جولة سواه صلى الله عليه وسلم حدثنا ابو علي الجياني فيما كتب لي حدثنا القاضي سراج حدثنا ابو محمد الاصيلي حدثنا ابو زيد الفقيه حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا ابن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن ابي اسحق سمع البراء وسأله رجل افررتم يوم حنين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر ثم قال لقد رأيته على بغلته البيضاء وابو سفيان آخذ بلجامها والنبي صلى الله عليه وسلم يقول انا النبي لا كذب وزاد غيره انا ابن عبد المطلب قيل فما رئي يومئذ احد كان اشد منه وقال غيره نزل النبي صلى الله عليه وسلم عن بغلته وذكر مسلم عن العباس قال فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض بغلته نحو الكفار وانا آخذ بلجامها اكفها ارادة ان لا تسرع وابو سفيان آخذ بركابه ثم نادى يا للمسلمين الحديث وقيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غضب ولا يغضب الا لله لم يقم لغضبه شيء وقال ابن عمر ما رأيت اشجع ولا انجد ولا اجود ولا ارضى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال علي رضي الله عنه انا كنا اذا حمي البأس ويروى اشتد البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون احد اقرب الى العدو منه صلى الله عليه وسلم ولقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو اقربنا الى العدو وكان من اشد الناس يومئذ بأسا وقيل كان الشجاع هو الذي يقرب منه صلى الله عليه وسلم اذا دنا العدو لقربه منه وعن انس كان النبي صلى الله عليه وسلم احسن الناس واجود الناس واشجع الناس لقد فزع اهل المدينة ليلة فانطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم رسول الله عليه الصلاة والسلام راجعا قد سبقهم الى الصوت واستبرأ الخبر على فرس لابي طلحة عري والسيف في عنقه وهو يقول لن تراعوا وقال عمران بن حصين ما لقي صلى الله عليه وسلم كتيبة الا كان

اول من انضرب ولما رآه أبي بن خلف يوم أحد وهو يقول اين محمد لا نجوت ان نجا
وقد كان يقول للنبي صلى الله عليه وسلم حين افتدي يوم بدر عندي فرس اعلفها
كل يوم فرقا من ذرة اقتلك عليها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انا اقتلك
ان شاء الله فلما رآه يوم احد شد ابي على فرسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاعترضه رجال من المسلمين فقال النبي صلى الله عليه وسلم هكذا اي خلوا طريقه وتناول
الحربة من الحارث بن الصمة فانتفض بها انتفاضة تطايروا عنه تطاير الشعراء
عن ظهر البعير اذا انتفض ثم استقبله النبي صلى الله عليه وسلم فطعنه في عنقه طعنة
تدأدأ منها عن فرسه مرارا وقيل بل كسر ضلعا من اضلاعه فرجع الى قريش يقول
قتلني محمد وهم يقولون لا بأس بك فقال لو كان ما بي بجميع الناس لقتلهم اليس
قد قال انا اقتلك والله لو بصق علي لقتلني فمات بسرف في قفولهم الى مكة **فصل**
واما الحياء والاغضاء فالحياء رقة تعتري وجه الانسان عند فعل ما يتوقع كراهته
او ما يكون تركه خيرا من فعله والاغضاء التغافل عما يكره الانسان بطبيعته وكان النبي
صلى الله عليه وسلم اشد الناس حياء واكثرهم عن العورات اغضاء قال الله
تعالى ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم الآية وحدثنا محمد بن عتاب
رحمه الله بقراءتي عليه حدثنا ابو القاسم حاتم بن محمد حدثنا ابو الحسن القابسي حدثنا
ابو زيد المروزي حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا عبدان
حدثنا عبد الله اخبرنا شعبة عن قتادة سمعت عبد الله مولى انس عن ابي سعيد
الخدري كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد حياء من العذراء في خدرها
وكان اذا كره شيئا عرفناه في وجهه وكان صلى الله عليه وسلم لطيف البشرة
رقيق الظاهر لا يشافه احدا بما يكرهه حياء وكرم نفس **وعن** عائشة رضي الله
تعالى عنها كان صلى الله عليه وسلم اذا بلغه عن احد ما يكرهه لم يقل ما بال فلان يقول
كذا ولكن يقول ما بال اقوام يصنعون او يقولون كذا ينهى عنه ولا يسمي فاعله **وروى**
انس رضي الله عنه انه دخل عليه رجل به اثر صفرة فلم يقل له شيئا وكان لا يواجه
احدا بما يكره فلما خرج قال لو قلتم له يغسل هذا ويروى ينزعها قالت عائشة رضي
الله عنها في الصحيح لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا ولا سخابا في الاسواق ولا

ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح وقد حكي مثل هذا الكلام عن التوراة من رواية
عبد الله بن سلام وعبد الله بن عمرو بن العاص **وروي** عنه صلى الله عليه وسلم
انه كان من حيائه لا يثبت بصره في وجه احد وانه كان يكني عما اضطره الكلام اليه مما يكره
وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت ما رأيت فرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
قط **فصل واما حسن عشرته وآدابه وبسط خلقه** صلى الله عليه وسلم
مع اصناف الخلق فبحيث انتشرت به الاخبار الصحيحة **قال علي** رضي الله عنه في وصفه
عليه السلام كان اوسع الناس صدرا واصدق الناس لهجة والينهم عريكة واكرمهم
عشرة حدثنا ابو الحسن علي بن مشرف الانماطي فيما اجازنيه وقرأته على غيره
قال حدثنا ابو اسحق الحبال حدثنا ابو محمد بن النحاس حدثنا ابن الاعرابي حدثنا
ابو داود حدثنا هشام ابو مروان ومحمد ابن المثنى قالا حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا
الاوزاعي سمعت يحيى بن ابي كثير يقول حدثني محمد بن عبد الرحمن بن اسعد بن زرارة
عن قيس بن سعد قال زارنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر قصة في آخرها فلما
اراد الانصراف قرب له سعد حمارا وطأ عليه بقطيفة وركب رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال سعد يا قيس اصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قيس فقال
لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اركب فابيت فقال اما ان تركب واما ان تنصرف
فانصرفت وفي رواية اخرى اركب امامي فصاحب الدابة اولى بمقدمها وكان
وكان صلى الله عليه وسلم يؤلفهم ولا ينفرهم ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ويحذر
الناس ويحترس منهم من غير ان يطوي عن احد منهم بشره ولا خلقه يتفقد اصحابه
ويعطي كل جلسائه نصيبه لا يحسب جليسه ان احدا اكرم عليه منه من جالسه
او قاربه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه ومن سأله حاجة لم يرده الا بها
او بميسور من القول قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم ابا وصاروا عنده
في الحق سواء بهذا وصفه ابن ابي هالة قال وكان دائم البشر سهل الخلق لين الجانب
ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مداح يتغافل عما
لا يشتهي ولا يؤيس منه وقال الله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا
غليظ القلب لانفضوا من حولك وقال ادفع بالتي هي احسن الآية وكان صلى الله
عليه وسلم يجيب من دعاه ويقبل الهدية ولو كانت كراعا ويكافئ عليها قال

انس خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي اف قط وما قال
لشيء صنعته لم صنعته ولا لشيء تركته لم تركته وعن عائشة رضي الله تعالى عنها ما كان
احد احسن خلقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دعاه احد من اصحابه ولا اهل
بيته الا قال لبيك وقال جرير بن عبد الله ما حجبني رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ
اسلمت ولا رآني الا تبسم وكان يمازح اصحابه ويخالطهم ويحادثهم ويداعب صبيانهم
ويجلسهم في حجره ويجيب دعوة الحر والعبد والامة والمسكين ويعود المرضى في اقصى
المدينة ويقبل عذر المعتذر قال انس ما التقم اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم احد
فنحى راسه حتى يكون الرجل هو الذي ينحي راسه وما اخذ احد بيده فيرسل يده حتى
حتى يرسلها الآخذ ولم ير مقدما ركبتيه بين يدي جليس له وكان يبدأ من لقيه
بالسلام ويبدأ اصحابه بالمصافحة ولم ير قط مادا رجليه بين اصحابه حتى يضيق بها على احد
يكرم من يدخل عليه وربما بسط له ثوبه ويؤثره بالوسادة التي تحته ويعزم عليه في الجلوس
عليها ان ابى ويكني اصحابه ويدعوهم باحب اسمائهم اليهم تكرمة لهم ولا يقطع على احد
حديثه حتى يتجوز فيقطعه بنهي او قيام وروي بانتهاء او قيام وروي انه كان لا يجلس
اليه احد وهو يصلي الا خفف صلاته وسأله عن حاجته فاذا فرغ عاد الى صلوته
وكان اكثر الناس تبسما واطيبهم نفسا ما لم ينزل عليه قرآن او يعظ او يخطب
قال عبد الله بن الحارث ما رأيت احدا اكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعن انس رضي الله عنه كان خدم المدينة يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا صلى الغداة بآنيتهم فيها الماء فما يؤتى بآنية الا غمس يده فيها وربما كان ذلك
في الغداة الباردة يريدون به التبرك **فصل واما الشفقة والرأفة والرحمة**
لجميع الخلق فقد قال الله تعالى فيه عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم
وقال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قال بعضهم من فضله عليه الصلاة والسلام
ان الله تبارك وتعالى اعطاه اسمين من اسمائه فقال بالمؤمنين رؤف رحيم
وحكى نحوه الامام ابو بكر بن فورك حدثنا الفقيه ابو محمد عبد الله بن محمد الخشني بقراءتي
عليه حدثنا امام الحرمين ابو علي الطبري حدثنا عبد الغافر الفارسي حدثنا ابو احمد الجلودي
حدثنا ابراهيم بن سفين حدثنا مسلم بن الحجاج حدثنا ابو الطاهر انا ابن وهب
انا ابن يونس عن ابن شهاب قال غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة وذكر

وذكر حنين قال فاعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفوان بن امية مائة من النعم
ثم مائة ثم مائة قال ابن شهاب حدثنا سعيد بن المسيب ان صفوان قال والله لقد اعطاني
ما اعطاني وانه لابغض الخلق الي فما زال يعطيني حتى انه لاحب الخلق الي وروي ان
اعرابيا جاءه يطلب منه شيئا فاعطاه ثم قال احسنت اليك قال الاعرابي لا ولا
اجملت فغضب المسلمون وقاموا اليه فاشار اليهم ان كفوا ثم قام ودخل منزله
وارسل اليه وزاده شيئا ثم قال احسنت اليك قال نعم فجزاك الله من اهل
وعشيرة خيرا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انك قلت ما قلت وفي انفس اصحابي
من ذلك شيء فان احببت فقل بين ايديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب ما في صدورهم
عليك قال نعم فلما كان الغد او العشي جاء فقال صلى الله عليه وسلم ان هذا الاعرابي
قال ما قال فزدناه فزعم انه رضي اكذلك قال نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا فقال
مثلي ومثل هذا مثل رجل له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها الا نفورا
فناداهم صاحبها خلوا بيني وبين ناقتي فاني ارفق بها منكم واعلم فتوجه لها بين يديها
فاخذ لها من قمام الارض فردها حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحلها
واستوى عليها واني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار وروي
عنه صلى الله عليه وسلم قال لا يبلغني احد منكم عن احد من اصحابي شيئا فاني احب
ان اخرج اليكم وانا سليم الصدر ومن شفقته صلى الله عليه وسلم على امته تخفيفه
وتسهيله عليهم وكراهته اشياء مخافة ان تفرض عليهم كقوله عليه السلام
لولا ان اشق على امتي لامرتهم بالسواك مع كل وضوء وخبر صلوة الليل ونهيهم عن
عن الوصال وكراهته دخول الكعبة لئلا يعنت امته ورغبته لربه ان يجعل سبه
ولعنه لهم رحمة بهم وانه كان يسمع بكاء الصبي فيتجوز في صلاته ومن شفقته صلى الله عليه
وسلم ان دعا ربه وعاهده فقال ايما رجل سببته او لعنته فاجعل ذلك له زكاة
ورحمة وصلوة وطهورا وقربة تقربه بها اليك يوم القيمة ولما كذبه قومه اتاه جبريل
عليهما السلام فقال له ان الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد امر
ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم فناداه ملك الجبال وسلم عليه وقال مرني بما شئت
ان شئت ان اطبق عليهم الاخشبين قال النبي صلى الله عليه وسلم بل ارجو ان يخرج

الله تعالى بين اصحابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا وروى ابن المنكدر
ان جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان الله امر السماء والارض
والجبال ان تطيعك فقال اؤخر عن امتي لعل الله ان يتوب عليهم قالت
عائشة رضي الله عنها ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين امرين الا اختار
ايسرهما وقال ابن مسعود رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخولنا
بالموعظة مخافة السآمة علينا وعن عائشة رضي الله تعالى عنها انها ركبت
بعيرا وفيه صعوبة فجعلت تردده فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليك
بالرفق فصل واما خلقه صلى الله عليه وسلم في الوفاء وحسن العهد وصلة
الرحم فحدثنا القاضي ابو عامر محمد بن اسمعيل بقراءتي عليه حدثنا ابو بكر محمد بن محمد حدثنا
ابو اسحق الحبال حدثنا ابو محمد بن النحاس حدثنا ابن الاعرابي حدثنا ابو داود حدثنا
محمد بن يحيى حدثنا محمد بن سنان حدثنا ابرهيم بن طهمان عن بديل عن عبد الكريم بن عبد الله
ابن شقيق عن ابيه عن عبد الله بن ابي الحمساء قال بايعت النبي صلى الله عليه وسلم
ببيع قبل ان يبعث وبقيت له بقية فوعدته ان آتيه بها في مكانه فنسيت ثم ذكرت
بعد ثلث فجئت فاذا هو في مكانه فقال يا فتى لقد شققت علي انا ههنا منذ
ثلث انتظرك وعن انس كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اتي بهدية قال اذهبوا
بها الى بيت فلانة فانها كانت صديقة لخديجة انها كانت تحب خديجة وعن عائشة
رضي الله تعالى عنها قالت ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة لما كنت اسمعه
يذكرها وان كان ليذبح الشاة فيهديها الى خلائلها واستأذنت عليه اختها فارتاح
اليها ودخلت عليه امرأة فهش لها واحسن السؤال عنها فلما خرجت قال انها
كانت تأتينا ايام خديجة وان حسن العهد من الايمان ووصفه بعضهم فقال كان
يصل ذوي الارحام من غير ان يؤثرهم على من هو افضل منهم وقال صلى الله عليه
وسلم ان آل بني فلان ليسوا لي باولياء غير ان لهم رحما سابلها ببلالها وقد
صلى عليه السلام بامامة ابنة ابنته زينب يحملها على عاتقه فاذا سجد وضعها واذا
قام حملها وعن ابي قتادة وفد وفد للنجاشي فقام النبي صلى الله عليه وسلم يخدمهم
بنفسه فقال له اصحابه نكفيك فقال انهم كانوا لاصحابنا مكرمين واني احب ان

ان اكافيهم ولما جيء باخته من الرضاعة الشيماء في سبايا هوازن وتعرفت له
بسط لها رداءه وقال لها ان احببت اقمت عندي مكرمة محببة او متعتك ورجعت
الى قومك فاختارت قومها وقال ابو الطفيل رأيت النبي صلى الله عليه وسلم
وانا غلام اذ اقبلت امرأة حتى دنت منه فبسط لها رداءه فجلست عليه فقلت من هذه
قالوا امه التي ارضعته وعن عمرو بن السائب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان جالسا يوما فاقبل ابوه من الرضاعة فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه ثم اقبلت امه
فوضع لها شق ثوبه من جانبه الآخر فجلست عليه ثم اقبل اخوه من الرضاعة فقام رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاجلسه بين يديه وكان يبعث الى ثويبة مولاة ابي لهب مرضعته
بصلة وكسوة فلما ماتت سأل من بقي من قرابتها فقيل لا احد وفي حديث خديجة
رضي الله تعالى عنها انها قالت له صلى الله عليه وسلم ابشر فوالله لا يخزيك الله ابدا
انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب
الحق فصل واما تواضعه صلى الله عليه وسلم على علو منصبه ورفعة رتبته فكان
اشد الناس تواضعا واقلهم كبرا وحسبك انه خير بين ان يكون نبيا ملكا او نبيا
عبدا فاختار ان يكون نبيا عبدا فقال له اسرافيل عند ذلك فان الله قد اعطاك
بما تواضعت له انك سيد ولد آدم يوم القيمة واول من تنشق عنه الارض واول
شافع حدثنا ابو الوليد بن العواد الفقيه رحمه الله بقراءتي عليه في منزله بقرطبة سنة سبع
وخمسمائة حدثنا ابو علي الحافظ حدثنا ابو عمر حدثنا ابن عبد المؤمن حدثنا ابن داسة
حدثنا ابو داود حدثنا ابو بكر بن ابي شيبة حدثنا عبد الله بن نمير عن مسعر عن ابي العنبس
عن ابي العدبس عن ابي مرزوق عن ابي غالب عن ابي امامة قال خرج علينا رسول
الله صلى الله عليه وسلم متوكئا على عصا فقمنا له فقال لا تقوموا كما تقوم الاعاجم يعظم
بعضها بعضا وقال عليه الصلوة والسلام انما انا عبد آكل كما يأكل العبد واجلس
كما يجلس العبد وكان صلى الله عليه وسلم يركب الحمار ويردف خلفه ويعود المساكين
ويجالس الفقراء ويجيب دعوة العبد ويجلس بين اصحابه مختلطا بهم حيث ما انتهى به
المجلس جلس وفي حديث عمر عنه صلى الله عليه وسلم لا تطروني كما اطرت النصارى ابن
مريم انما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله وعن انس رضي الله عنه ان امرأة كان في

في بعضها شيء جارية فقالت ان لي اليك حاجة قال اجلسي يا ام فلان في اي طرق المدينة
شئت اجلس اليك حتى اقضي حاجتك قال فجلست فجلس النبي صلى الله عليه وسلم
اليها حتى فرغت من حاجتها قال انس رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يركب الحمار ويجيب دعوة العبد وكان يوم بني قريظة على حمار مخطوم بحبل
من ليف عليه اكاف قال وكان يدعى الى خبز الشعير والاهالة السنخة فيجيب
وقال وحج رسول الله صلى الله عليه وسلم على رحل رث وعليه قطيفة ما تساوي
اربعة دراهم فقال اللهم اجعله حجا لا رياء فيه ولا سمعة هذا وقد فتحت عليه الارض واهدى
في حجه ذلك مائة بدنة ولما فتحت عليه مكة ودخلها بجيوش المسلمين طأطأ على رحله رأسه
حتى كاد يمس قادمته تواضعا لله تعالى ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم قوله لا تفضلوني
على يونس بن متى ولا تفضلوا بين الانبياء ولا تخيروني على موسى ونحن احق بالشك
من ابرهيم ولو لبثت ما لبث يوسف في السجن لاجبت الداعي وقال للذي قال له يا خير
البرية ذاك ابرهيم وسيأتي الكلام على هذه الاحاديث بعد هذا ان شاء الله تعالى
وعن عائشة والحسن وابي سعيد وغيرهم في صفته صلى الله عليه وسلم وبعضهم يزيد
على بعض كان في بيته في مهنة اهله يفلي ثوبه ويحلب شاته ويرقع ثوبه ويخصف نعله
ويخدم نفسه ويقم البيت ويعقل البعير ويعلف ناضحه ويأكل مع الخادم ويعجن معها
ويحمل بضاعته من السوق وعن انس رضي الله عنه ان كانت الامة من اماء اهل المدينة
لتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت حتى تقضي حاجتها
ودخل عليه رجل فاصابه من هيبته رعدة فقال له هون عليك فاني لست بملك
انما انا ابن امرأة من قريش تأكل القديد وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال دخلت
السوق مع النبي صلى الله عليه وسلم فاشترى سراويل وقال للوزان زن وارجح وذكر
القصة قال فوثب الى يد النبي صلى الله عليه وسلم يقبلها فجذب يده وقال هذا تفعله الاعاجم
بملوكها ولست بملك انما انا رجل منكم ثم اخذ السراويل فذهبت لاحمله فقال صاحب
الشيء احق بشيئه ان يحمله فصل واما عدله صلى الله عليه وسلم وامانته وعفته
وصدق لهجته فكان صلى الله عليه وسلم آمن الناس واعدل الناس واعف الناس
واصدقهم لهجة منذ كان اعترف له بذلك محادوه وعداه وكان يسمى قبل نبوته الامين قال

قال ابن اسحق كان يسمى الامين بما جمع الله فيه من الاخلاق الصالحة وقال تعالى
مطاع ثم امين اكثر المفسرين على انه محمد صلى الله عليه وسلم ولما اختلفت قريش
وتحازبت عند بناء الكعبة فيمن يضع الحجر حكموا اول داخل عليهم فاذا بالنبي صلى الله
عليه وسلم داخل وذلك قبل نبوته فقالوا هذا محمد هذا الامين قد رضينا به وعن الربيع
ابن خثيم كان يتحاكم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجاهلية قبل الاسلام وقال
صلى الله عليه وسلم والله اني لامين في السماء امين في الارض حدثنا ابو علي الصدفي
الحافظ بقراءتي عليه حدثنا ابو الفضل بن خيرون حدثنا ابو يعلى بن زوج الحرة حدثنا
ابو علي السنجي حدثنا محمد بن محبوب المروزي حدثنا ابو عيسى الحافظ حدثنا ابو كريب
قال حدثنا معاوية بن هشام عن سفيان عن ابي اسحق عن ناجية بن كعب عن علي
ان ابا جهل قال للنبي صلى الله عليه وسلم انا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به
فانزل الله تعالى فانهم لا يكذبونك الآية وروي غيره لا نكذبك وما انت فينا بمكذب
وقيل ان الاخنس بن شريق لقي ابا جهل يوم بدر فقال له يا ابا الحكم ليس هنا
غيري وغيرك يسمع كلامنا تخبرني عن محمد صادق ام كاذب فقال ابو جهل والله
ان محمدا لصادق وما كذب محمد قط وسأل هرقل عنه ابا سفيان فقال هل كنتم
تتهمونه بالكذب قبل ان يقول ما قال قال لا وقال النضر بن الحارث لقريش قد كان
محمد فيكم غلاما حدثا ارضاكم فيكم واصدقكم حديثا واعظمكم امانة حتى اذا رأيتم في صدغيه
الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر لا والله ما هو بساحر وفي الحديث عنه ما مست
يده يد امرأة قط لا يملك رقها وفي حديث علي رضي الله عنه في وصفه عليه الصلاة
والسلام اصدق الناس لهجة وقال في الصحيح ويحك فمن يعدل ان لم اعدل خبت
وخسرت ان لم اعدل قالت عائشة رضي الله عنها ما خير رسول الله صلى الله عليه
وسلم في امرين الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد الناس منه
قال ابو العباس المبرد قسم كسرى ايامه فقال يصلح يوم الريح للنوم ويوم الغيم
للصيد ويوم المطر للشرب واللهو ويوم الشمس للحوائج قال ابن خالويه ما كان اعرفهم
بسياسة دنياهم يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون لكن
نبينا صلى الله عليه وسلم جزأ نهاره ثلثة اجزاء جزءا لله وجزءا لاهله وجزءا لنفسه

ثم جزأ جزأه بينه وبين الناس فكان يستعين بالخاصة على العامة ويقول ابلغوا
حاجة من لا يستطيع ابلاغي فانه من ابلغ حاجة من لا يستطيع آمنه الله يوم الفزع الاكبر
وعن الحسن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأخذ احدا بقرف احد ولا يصدق
احدا على احد وذكر ابو جعفر الطبري عن علي رضي الله عنه صلى الله عليه وسلم ما هممت
بشيء مما كان اهل الجاهلية يعملون به غير مرتين كل ذلك يحول الله بيني وبين ما اريد من ذلك
ثم ما هممت بسوء حتى اكرمني الله برسالته قلت ليلة لغلام كان يرعى معي لو ابصرت
لي غنمي حتى ادخل مكة فاسمر بها كما يسمر الشباب فخرجت لذلك حتى جئت اول دار من مكة
سمعت عزفا بالدفوف والمزامير لعرس بعضهم فجلست انظر فضرب على اذني فنمت
فما ايقظني الا مس الشمس فرجعت ولم اقض شيئا ثم عراني مرة اخرى مثل ذلك ثم لم اهم
بعد ذلك بسوء **فصل واما وقاره صلى الله عليه وسلم وصمته وتؤدته ومروءته**
وحسن هديه فحدثنا ابو علي الجياني الحافظ اجازة وعارضت بكتابه حدثنا ابو العباس
الدلائي اخبرنا ابو ذر الهروي حدثنا ابو عبد الله الوراق حدثنا اللؤلؤي حدثنا ابو
داود حدثنا عبد الرحمن بن سلام حدثنا حجاج بن محمد عن عبد الرحمن بن ابي الزناد عن
وعن عمر بن عبد العزيز بن وهب سمعت خارجة بن زيد يقول كان النبي صلى الله عليه وسلم
اوقر الناس في مجلسه لا يكاد يخرج شيئا من اطرافه وروى ابو سعيد الخدري كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جلس في المجلس احتبى بيديه وكذلك كان اكثر
جلوسه صلى الله عليه وسلم محتبيا وعن جابر بن سمرة انه تربع وربما جلس القرفصاء
وهو في حديث قيلة وكان كثير السكوت لا يتكلم في غير حاجة يعرض عمن تكلم بغير
جميل وكان ضحكه تبسما وكلامه فصلا لا فضول ولا تقصير وكان ضحك اصحابه عنده التبسم
توقيرا له واقتداء به مجلسه مجلس حلم وحياء وخير وامانة لا ترفع فيه الاصوات ولا تؤبن
فيه الحرم اذا تكلم اطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير **وفي صفته** يخطو تكفؤا و
يمشي هونا كأنما ينحط من صبب **وفي الحديث** الآخر اذا مشى مشى مجتمعا يعرف في مشيته
انه غير غرض ولا وكل اي غير ضجر ولا كسلان وقال عبد الله بن مسعود ان احسن الهدي هدي
محمد صلى الله عليه وسلم وعن جابر بن عبد الله كان في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم
ترتيل او ترسيل قال ابن ابي هالة كان سكوته على اربع على الحلم والحذر والتقدير والتفكر

بفتح القاف وسكون الراء من قرفه بسوء اي رماه به ... احدا بالمكروه ... انتهى

خارجة بن زيد بن ثابت احد فقهاء المدينة السبعة ... عروة وقاسم وسعيد وابو بكر وسليمان وخارجة

القرفصاء بضم القاف والفاء ... وهي جلسة المحتبي ...

غرض بفتح المعجمة وكسر الراء ... وهو الملك والضجر

والتفكر **وقالت** عائشة كان صلى الله عليه وسلم يحدث حديثا لو عده العاد
احصاه وكان صلى الله عليه وسلم يحب الطيب والرائحة الحسنة ويستعملهما كثيرا
ويحض عليهما ويقول حبب الي من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني
في الصلوة **ومن مروءته** صلى الله عليه وسلم نهيه عن النفخ في الطعام والشراب والامر
بالاكل مما يلي والامر بالسواك وانقاء البراجم والرواجب واستعمال خصال الفطرة
فصل واما زهده في الدنيا فقد تقدم من الاخبار اثناء هذه السيرة ما يكفي
وحسبك من تقلله منها واعراضه عن زهرتها وقد سيقت اليه بحذافيرها وترادفت
عليه فتوحها الى ان توفي صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودي في نفقة عياله
وهو يدعو ويقول اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا حدثنا سفيان بن العاصي والحسين بن محمد
الحافظ والقاضي ابو عبد الله اليمني قالوا حدثنا احمد بن عمر حدثنا ابو العباس الرازي
حدثنا ابو احمد الجلودي حدثنا ابن سفيان حدثنا ابو الحسين بن الحجاج حدثنا
ابو بكر بن ابي شيبة حدثنا ابو معاوية عن الاعمش عن ابراهيم عن الاسود عن عائشة
رضي الله تعالى عنها قالت ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثة ايام تباعا
من خبز حتى مضى لسبيله وفي رواية اخرى من خبز شعير يومين متواليين ولو شاء
لاعطاه الله ما لا يخطر ببال **وفي رواية** اخرى ما شبع آل رسول الله صلى الله عليه وسلم
من خبز بر حتى لقي الله تعالى **وقالت** عائشة رضي الله تعالى عنها ما ترك رسول الله
صلى الله عليه وسلم دينارا ولا درهما ولا شاة ولا بعيرا **وفي حديث** عمرو بن الحارث
ما ترك الا سلاحه وبغلته وارضا جعلها صدقة **قالت** عائشة ولقد مات وما في بيتي شيء يأكله
ذو كبد الا شطر شعير في رف لي وقال لي اني عرض علي ان يجعل لي بطحاء مكة ذهبا
فقلت لا يا رب اجوع يوما واشبع يوما فاما اليوم الذي اجوع فيه فاتضرع اليك
وادعوك واما اليوم الذي اشبع فيه فاحمدك واثني عليك **وفي حديث** آخر ان جبريل
عليه السلام نزل عليه فقال له ان الله يقرئك السلام ويقول لك اتحب ان اجعل هذه
الجبال ذهبا وتكون معك حيث ما كنت فاطرق ساعة ثم قال يا جبريل ان الدنيا دار من لا دار
له ومال من لا مال له قد يجمعها من لا عقل له فقال له جبريل ثبتك الله يا محمد بالقول الثابت
وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت ان كنا آل محمد لنمكث شهرا ما نستوقد نارا

الرزق اعطاء العباد ما ينتفعون به

القوت ما يتقوم به بدن الانسان من طعام ...

هو محمد بن حازم ... الحافظ الضرير احد الاعلام

شطر الشيء نصفه قال ابن الاثير ... وتمام الحديث فاكلت منه حتى طال علي فكلته ففني وهو متفق عليه

ان هو الا التمر والماء وعن عبد الرحمن بن عوف هلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولم يشبع هو واهل بيته من خبز الشعير وعن عائشة وابي امامة وابن عباس
نحوه قال ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيت هو واهله الليالي المتتابعة
طاويا لا يجدون عشاء وعن انس قال ما اكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان
ولا في سكرجة ولا خبز له مرقق ولا رأى شاة سميطا قط وعن عائشة رضي الله
عنها انما كان فراشه الذي ينام عليه ادما حشوه ليف وعن حفصة كان فراش
رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته مسحا نثنيه ثنيتين فينام عليه فثنيناه له ليلة
باربع فلما اصبح قال ما فرشتموا لي الليلة فذكرنا له ذلك فقال ردوه لحالته فان وطأته
منعتني الليلة صلاتي وكان ينام احيانا على سرير مرمول بشريط حتى يؤثر في جنبه وعن عائشة
رضي الله عنها قالت لم يمتلئ جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعا قط ولم يبث شكوى الى احد
وكانت الفاقة احب اليه من الغنى وان كان ليظل جائعا يلتوي طول ليلته من الجوع
فلا يمنعه صيام يومه ولو شاء سأل ربه جميع كنوز الارض وثمارها ورغد عيشها ولقد
كنت ابكي له رحمة مما ارى به وامسح بيدي على بطنه مما به من الجوع واقول نفسي لك الفداء
لو تبلغت من الدنيا بما يقوتك من الجوع فيقول يا عائشة ما لي وللدنيا اخواني من اولو
العزم من الرسل صبروا على ما هو اشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم
فاكرم مآبهم واجزل ثوابهم واجدني استحي ان ترفهت في معيشتي ان يقصر بي غدا
دونهم وما من شيء هو احب الي من اللحوق باخواني واخلائي قالت فما اقام بعد الا شهرا
حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم **فصل واما خوفه ربه وطاعته له وشدة عبادته**
فعلى قدر علمه بربه قال فيما حدثناه ابو محمد بن عتاب قراءة مني عليه قال حدثنا ابو القاسم
الطرابلسي حدثنا ابو الحسن القابسي حدثنا ابو زيد المروزي حدثنا ابو عبد الله الفربري
حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا يحيى بن بكير عن الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن سعيد
ابن المسيب ان ابا هريرة كان يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم
لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا زاد في روايتنا عن ابي عيسى الترمذي رفعه اني ارى
ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون اطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع اربع
اصابع الا وملك واضع جبهته ساجدا لله والله لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا

كثيرا ولما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم الى الصعدات تجأرون الى الله لوددت اني شجرة
تعضد روي هذا الكلام وددت اني شجرة تعضد من قول ابي ذر نفسه وهو اصح
وفي حديث المغيرة صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتفخت قدماه وفي رواية
كان يصلي حتى ترم قدماه فقيل له اتكلف هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر
قال افلا اكون عبدا شكورا ونحوه عن ابي سلمة وابي هريرة رضي الله عنهما قالت
عائشة رضي الله عنها كان عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ديمة وايكم يطيق ما كان يطيق وقالت
كان يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم ونحوه عن ابن عباس وام سلمة
وانس رضي الله تعالى عنهم وقالت كنت لا تشاء ان تراه من الليل مصليا الا رايته
مصليا ولا نائما الا رايته نائما وقال عوف بن مالك كنت مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم ليلة فاستاك ثم توضأ ثم قام يصلي فقمت معه فبدأ فاستفتح البقرة فلا يمر
باية رحمة الا وقف فسأل ولا يمر باية عذاب الا وقف فتعوذ ثم ركع فمكث بقدر قيامه
يقول سبحان ذي الجبروت والملكوت والعظمة ثم سجد وقال مثل ذلك ثم قرأ آل عمران
ثم سورة سورة يفعل مثل ذلك وعن حذيفة مثله وقال سجد نحوا من قيامه وجلس
بين السجدتين نحوا منه وقال حتى قرأ البقرة وآل عمران والنساء والمائدة وعن عائشة
رضي الله تعالى عنها قام رسول الله صلى الله عليه وسلم باية من القرآن ليلة وعن عبد الله
ابن الشخير اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ولجوفه ازيز كازيز المرجل
قال ابن ابي هالة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم متواصل الاحزان دائم الفكرة
ليست له راحة وقال عليه السلام اني لاستغفر الله في اليوم مائة مرة وروي سبعين
مرة وعن علي رضي الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سنته
فقال المعرفة راس مالي والعقل اصل ديني والحب اساسي والشوق مركبي وذكر الله انيسي
والثقة كنزي والحزن رفيقي والعلم سلاحي والصبر ردائي والرضا غنيمتي والفقر فخري و
والزهد حرفتي واليقين قوتي والصدق شفيعي والطاعة حسبي والجهاد خلقي وقرة عيني
في الصلوة وفي حديث اخر وثمرة فؤادي في ذكره وغمي لاجل امتي وشوقي الى ربي
فصل اعلم وفقنا الله واياك ان صفات جميع الانبياء والرسل صلوات الله
عليهم من كمال الخلق وحسن الصورة وشرف النسب وحسن الخلق وجميع المحاسن

في هذه الصفة لانها صفات الكمال والكمال والتمام البشري والفضل الجميع لهم صلوات
الله عليهم اذ رتبهم اشرف الرتب ودرجاتهم ارفع الدرجات ولكن فضل الله بعضهم على بعض
قال الله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض وقال تعالى ولقد اخترناهم
على علم على العالمين وقد قال عليه الصلاة والسلام ان اول زمرة يدخلون الجنة على صورة
القمر ليلة البدر ثم قال آخر الحديث على خلق رجل واحد على صورة ابيهم آدم عليه السلام
طوله ستون ذراعا في السماء وفي حديث ابي هريرة رأيت موسى فاذا رجل ضرب من الرجال
رجل اقنى كانه من رجال شنوءة ورأيت عيسى عليه السلام فاذا هو رجل ربعة كثير خيلان الوجه
احمر كانما خرج من ديماس وفي حديث آخر مبطن مثل السيف قال وانا اشبه ولد ابراهيم به
وقال في حديث آخر في صفة موسى عليه السلام كاحسن ما انت راء من ادم الرجال
وفي حديث ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم ما بعث الله تعالى من بعد لوط نبيا الا في
ذروة من قومه ويروى ثروة اي كثرة ومنعة وحكى الترمذي عن قتادة ورواه
الدارقطني من حديث قتادة عن انس رضي الله عنه ما بعث الله نبيا الا حسن الوجه
حسن الصوت وكان نبيكم احسنهم وجها واحسنهم صوتا وفي حديث هرقل و
سألتك عن نسبه فذكرت انه فيكم ذو نسب وكذلك الرسل تبعث في انساب
قومها وقال تعالى في ايوب عليه السلام انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب وقال تعالى
يا يحيى خذ الكتاب بقوة الى قوله ويوم يبعث حيا وقال ان الله يبشرك بيحيى الى الصالحين
وقال ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين الآيتين وقال في نوح
انه كان عبدا شكورا وقال ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح الى قوله ومن الصالحين
وقال تعالى اني عبد الله آتاني الكتاب الى قوله ما دمت حيا وقال يا ايها الذين آمنوا لا
تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان موسى رجلا حييا ستيرا ما يرى من جلده شيء استحياء الحديث وقال تعالى عنه عليه السلام
فوهب لي ربي حكما الآية وقال في وصف جماعة منهم اني لكم رسول امين وقال تعالى ان
خير من استأجرت القوي الامين وقال فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل وقال تعالى
ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا الى قوله فبهداهم اقتده فوصفهم باوصاف جمة من الصلاح
والهدى والاجتباء والحكم والنبوة وقال فبشرناه بغلام حليم وعليم وقال ولقد فتنا قبلهم قوم

قلوبهم على قلب رجل واحد

قوم فرعون وجاءهم رسول كريم الى امين وقال ستجدني ان شاء الله من الصابرين وقال
في اسمعيل عليه السلام انه كان صادق الوعد الآيتين وقال في موسى عليه السلام انه كان
مخلصا وفي سليمان عليه السلام نعم العبد انه اواب وقال واذكر عبادنا ابراهيم واسحق
ويعقوب اولي الايدي والابصار الى الاخيار وفي داود عليه السلام انه اواب وقال
وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب وقال في يوسف عليه السلام اجعلني
على خزائن الارض اني حفيظ عليم وعن شعيب عليه السلام ستجدني ان شاء الله
من الصالحين وفي موسى عليه السلام ستجدني ان شاء الله صابرا ولا اعصي لك
امرا وقال وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه ان اريد الا الاصلاح ما استطعت وقال
ولوطا آتيناه حكما وعلما وقال انهم كانوا يسارعون في الخيرات الآية قال سفيان
هو الحزن الدائم في آي كثيرة ذكر فيها من خصالهم ومحاسن اخلاقهم الدالة على كمالهم
وجاء من ذلك في الاحاديث كثير كقوله عليه الصلاة والسلام انما الكريم ابن الكريم ابن الكريم
ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم نبي ابن نبي ابن نبي ابن نبي وفي حديث
انس وكذلك الانبياء تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم وروي ان سليمان كان مع ما اعطي
من الملك لا يرفع بصره الى السماء تخشعا وتواضعا لله وكان يطعم الناس لذائذ الاطعمة
ويأكل خبز الشعير واوحي اليه يا رأس العابدين وابن محجة الزاهدين وكانت العجوز
تعترضه وهو على الريح في جنوده فيأمر الريح فتقف فينظر في حاجتها ويمضي وقيل ليوسف
عليه السلام ما لك تجوع وانت على خزائن الارض قال اخاف ان اشبع وانسى الجائع
وروى ابو هريرة عنه صلى الله عليه وسلم خفف على داود عليه السلام القرآن فكان يأمر
بدوابه فتسرج فيقرأ القرآن قبل ان تسرج ولا يأكل الا من عمل يده قال الله تعالى والنا له
الحديد ان اعمل سابغات وقدر في السرد وكان سأل ربه ان يرزقه عملا بيده يغنيه
عن بيت مال الله وقال عليه الصلاة والسلام احب الصلاة الى الله صلاة داود
واحب الصيام الى الله صيام داود وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه
وينام سدسه ويصوم يوما ويفطر يوما وكان يلبس الصوف ويفترش الشعر
ويأكل خبز الشعير بالملح والرماد ويمزج شرابه بالدموع ولم ير ضاحكا بعد الخطيئة
ولا شاخصا ببصره الى السماء حياء من ربه ولم يزل باكيا حياته كلها وقيل

يحيى حتى نبت العشب من دموعه وحتى اتخذت الدموع في خده اخدودا وقيل
كان يخرج مستترا لئلا يعرف سيرته فيسمع الثناء عليه فيزداد تواضعا وقيل لعيسى
عليه السلام لو اتخذت حمارا فقال انا اكرم على الله ان يشغلني بحمار وكان يلبس
الشعر ويأكل الشجر ولم يكن له بيت اينما ادركه النوم نام وكان احب الاسماء اليه
ان يقال له مسكين وقيل ان موسى عليه السلام لما ورد ماء مدين كانت ترى
خضرة البقل في بطنه من الهزال وقال عليه الصلاة والسلام لقد كان الانبياء
قبلي يبتلى احدهم بالفقر والقمل وكان ذلك احب اليهم من العطاء اليكم وقال عيسى
عليه السلام للخنزير اذهب بسلام فقيل له في ذلك فقال اكره ان اعود لساني
المنطق بسوء وقال مجاهد كان طعام يحيى عليه السلام العشب وكان يبكي من خشية الله
حتى اتخذ الدمع مجرى في خده وكان يأكل مع الوحش لئلا يخالط الناس وحكى
الطبري عن وهب ان موسى عليه السلام كان يستظل بعريش ويأكل في نقرة
من حجر ويكرع فيها اذا اراد ان يشرب كما تكرع الدابة تواضعا لله بما اكرمه من كلامه
واخبارهم في هذا كله مسطورة وصفاتهم في الكمال وجميل الاخلاق وحسن الصور
والشمائل معروفة مشهورة فلا نطول بها ولا نلتفت الى ما تجده في كتب بعض المؤرخين
والمفسرين مما يخالف هذا **فصل** قد اتيناك اكرمك الله من ذكر الاخلاق الحميدة
والفضائل المجيدة وخصال الكمال العديدة واريناك صحتها له صلى الله عليه وسلم
وجلبنا من آثارها ما فيه مقنع والامر اوسع فمجال هذا الباب في حقه صلى الله عليه وسلم
ممتد تنقطع دون نفاده الادلاء وبحر علم خصائصه زاخر لا تكدره الدلاء
ولكنا اتينا فيه بالمعروف مما اكثره في الصحيح والمشهور من المصنفات واقتصرنا
في ذلك بقل من كثر وغيض من فيض ورأينا ان نختم هذه الفصول بذكر حديث
الحسن عن ابي هالة لجمعه من شمائله واوصافه كثيرا وادماجه جملة كافية من سيره
وشمائله ونبهنا على غريبه ومشكله حدثنا القاضي ابو علي الحسين بن محمد
الحافظ رحمه الله بقرائتي عليه سنة ثمان وخمسمائة قال حدثنا الامام ابو القاسم عبد الله
بن طاهر التميمي قرأت عليه اخبركم الفقيه الاديب ابو بكر محمد بن عبد الله بن الحسن النيسابوري
والشيخ الفقيه ابو عبد الله محمد بن احمد بن الحسن المحري والقاضي ابو علي الحسن بن علي

علي بن جعفر الوخشي قالوا حدثنا ابو القاسم علي بن احمد بن محمد بن الحسن الخزاعي اخبرنا
ابو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي اخبرنا ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الحافظ حدثنا
ابو سفيان بن وكيع حدثنا جميع بن عمر بن عبد الرحمن العجلي املاء من كتابه قال حدثني رجل
من بني تميم من ولد ابي هالة زوج خديجة ام المؤمنين رضي الله عنها يكنى ابا عبد الله عن
ابن ابي هالة عن الحسن بن علي بن ابي طالب رحمه الله قال سألت خالي
هند ابن ابي هالة قال القاضي ابو علي رحمه الله وقرأت على الشيخ ابي طاهر احمد بن الحسن
ابن احمد بن خداداد الكرجي الباقلاني قال واجاز لنا الشيخ الاجل ابو الفضل احمد بن الحسن
ابن خيرون قالا اخبرنا ابو علي الحسن بن احمد بن ابرهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان
ابن حرب بن مهران الفارسي قراءة عليه فاقر به قال اخبرنا ابو محمد الحسن بن محمد بن يحيى
ابن الحسن بن جعفر بن عبيد الله بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب
المعروف بابن اخي طاهر العلوي قال حدثنا اسمعيل بن محمد بن اسحق بن جعفر بن محمد بن
علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب قال حدثني علي بن محمد بن علي بن الحسين عن اخيه
موسى بن جعفر عن جعفر بن محمد عن ابيه محمد بن علي عن علي بن الحسين قال قال الحسن
ابن علي واللفظ لهذا السند سألت خالي هند بن ابي هالة عن حلية رسول الله صلى
الله عليه وسلم وكان وصافا وانا ارجو ان يصف لي منها شيئا اتعلق به قال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم فخما مفخما يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر اطول من
المربوع واقصر من المشذب عظيم الهامة رجل الشعر ان انفرقت عقيقته فرق والا
فلا يجاوز شعره شحمة اذنيه اذا هو وفره ازهر اللون واسع الجبين ازج الحواجب سوابغ في
غير قرن بينهما عرق يدره الغضب اقنى العرنين له نور يعلوه يحسبه من لم يتأمله اشم
كث اللحية ادعج سهل الخدين ضليع الفم اشنب مفلج الاسنان دقيق المسربة كأن
عنقه جيد دمية في صفاء الفضة معتدل الخلق بادنا متماسكا سواء البطن والصدر مشيح
الصدر بعيد ما بين المنكبين ضخم الكراديس انور المتجرد موصول ما بين اللبة والسرة بشعر
يجري كالخط عاري الثديين مما سوى ذلك اشعر الذراعين والمنكبين واعالي الصدر
طويل الزندين رحب الراحة شثن الكفين والقدمين سائل الاطراف او قال سائر
الاطراف سبط العصب خمصان الاخمصين مسيح القدمين ينبو عنهما الماء اذا زال

زال قلعا ويخطو تكفؤا ويمشي هونا ذريع المشية اذا مشى كانما ينحط من صبب واذا التفت
التفت جميعا خافض الطرف نظره الى الارض اطول من نظره الى السماء جل نظره
الملاحظة يسوق اصحابه ويبدأ من لقيه بالسلام قلت صف لي منطقه قال كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم متواصل الاحزان دائم الفكرة ليست له راحة ولا يتكلم في غير حاجة
طويل السكوت يفتتح الكلام ويختمه باشداقه ويتكلم بجوامع الكلم فصلا لا فضول فيه ولا
تقصير دمثا ليس بالجافي ولا المهين يعظم النعمة وان دقت لا يذم شيئا لم يكن
يذم ذواقا ولا يمدحه ولا يقام لغضبه اذا تعرض للحق بشيء حتى ينتصر له ولا يغضب لنفسه
ولا ينتصر لها اذا اشار اشار بكفه كلها واذا تعجب قلبها واذا تحدث اتصل بها
وضرب بابهامه اليمنى راحته اليسرى واذا غضب اعرض واشاح واذا فرح غض طرفه
جل ضحكه التبسم ويفتر عن مثل حب الغمام قال الحسن فكتمتها الحسين بن علي زمانا
ثم حدثته فوجدته قد سبقني اليه فسأل اباه عن مدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومخرجه
ومجلسه وشكله فلم يدع منه شيئا قال الحسين سألت ابي رضي الله عنهما عن دخول
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كان دخوله لنفسه مأذونا له في ذلك فكان
اذا آوى الى منزله جزأ دخوله ثلثة اجزاء جزءا لله تعالى وجزءا لاهله وجزءا لنفسه ثم جزأ
جزءه بينه وبين الناس فيرد ذلك على العامة بالخاصة ولا يدخر عنهم شيئا فكان من سيرته
في جزء الامة ايثار اهل الفضل باذنه وقسمه على قدر فضلهم في الدين فمنهم ذو الحاجة ومنهم
ذو الحاجتين ومنهم ذو الحوائج فيتشاغل بهم ويشغلهم فيما اصلحهم والامة من مسألته
عنهم واخبارهم بالذي ينبغي لهم ويقول ليبلغ الشاهد منكم الغائب وابلغوني حاجة
من لا يستطيع ابلاغها ثبت الله قدميه يوم القيمة لا يذكر عنده الا ذلك ولا يقبل من احد
غيره قال في حديث سفيان بن وكيع يدخلون روادا ولا يتفرقون الا عن ذواق
ويخرجون ادلة يعني فقهاء قلت فاخبرني عن مخرجه كيف كان يصنع فيه قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يخزن لسانه الا مما يعنيهم ويؤلفهم ولا ينفرهم ويكرم كريم كل قوم ويوليه
عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم من غير ان يطوي عن احد بشره وخلقه ويتفقد اصحابه
ويسأل الناس عما في الناس ويحسن الحسن ويقويه ويقبح القبيح ويوهنه معتدل الامر
غير مختلف لا يغفل مخافة ان يغفلوا او يملوا لكل حال عنده عتاد لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه

قال ابو العباس بن تيمية ليس المراد بالحزن الالم على فوت مطلوب او حصول مكروه فان ذلك منهي عنه ... من حاله وانما المراد الاهتمام والتيقظ لما يستقبله من الامور

المهين بفتح الميم من المهانة وهي الحقارة ... وبالضم من الاهانة ...

ويفتر بفتح المثناة التحتية وسكون الفاء وفتح المثناة الفوقية وتشديد الراء يقال افتر الرجل ضاحكا اذا ابدى اسنانه

قال ابن الاثير اراد ان العامة كانت لا تصل اليه في هذا الوقت وكانت الخاصة تخبرهم بما سمعوا منه فكانه اوصل الفوائد الى العامة بالخاصة ... ان يجعل وقت العامة بعد وقت الخاصة

حاجة فانه من ابلغ سلطانا حاجة من لا يستطيع ابلاغها صح

الى غيره الذين يلونه من الناس خيارهم وافضلهم عنده اعمهم نصيحة واعظمهم عنده
منزلة احسنهم مواساة وموازرة فسألته عن مجلسه عما كان يصنع فيه فقال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجلس ولا يقوم الا على ذكر ولا يوطن الاماكن
وينهى عن ايطانها واذا انتهى الى القوم جلس حيث ينتهي به المجلس ويأمر بذلك
ويعطي كل جلسائه نصيبه حتى لا يحسب جليسه ان احدا اكرم عليه منه من جالسه
او فاوضه في حاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه من سأله حاجة لم يرده الا بها او
بميسور من القول قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم ابا وصاروا عنده في
في الحق متقاربين متفاضلين فيه بالتقوى وفي الرواية الاخرى صاروا عنده
في الحق سواء مجلسه مجلس علم وحياء وصبر وامانة لا ترفع فيه الاصوات ولا تؤبن
فيه الحرم ولا تنثى فلتاته وهذه الكلمة من غير الروايتين يتعاطفون بالتقوى
متواضعين يوقرون فيه الكبير ويرحمون فيه الصغير ويرفدون ذا الحاجة ويرحمون
الغريب فسألته عن سيرته صلى الله عليه وسلم في جلسائه فقال كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ
ولا سخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مداح يتغافل عما لا يشتهي ولا يؤيس منه
قد ترك نفسه من ثلث المراء والاكثار وما لا يعنيه وترك الناس من ثلث
كان لا يذم احدا ولا يعيره ولا يطلب عورته ولا يتكلم الا فيما رجا ثوابه اذا تكلم اطرق
جلساؤه كانما على رؤسهم الطير واذا سكت تكلموا لا يتنازعون عنده الحديث
من تكلم عنده انصتوا له حتى يفرغ حديثهم عنده حديث اولهم يضحك مما يضحكون منه ويتعجب
مما يتعجبون منه ويصبر للغريب على الجفوة في المنطق ويقول اذا رأيتم صاحب الحاجة
يطلبها فارفدوه ولا يطلب الثناء الا من مكافئ ولا يقطع على احد حديثه حتى يجوزه فيقطعه
بانتهاء او قيام هنا انتهى حديث سفيان بن وكيع وزاد الآخر قلت كيف كان
سكوته صلى الله عليه وسلم قال كان سكوته على اربع على الحلم والحذر والتقدير والتفكر
فاما تقديره ففي تسوية النظر والاستماع بين الناس واما تفكره ففيما يبقى ويفنى
وجمع له الحلم صلى الله عليه وسلم في الصبر فكان لا يغضبه شيء يستفزه وجمع له في الحذر اربع
اخذه بالحسن ليقتدى به وتركه القبيح لينتهى عنه واجتهاد الرأي بما اصلح امته والقيام

لهم ما جمع لهم امر الدنيا والآخرة انتهى الوصف بحمد الله تعالى وعونه **فصل في تفسير غريب هذا الحديث ومشكله قوله** المشذب اي الرجل البائن الطول في نحافة وهو مثل قوله في الحديث الآخر ليس بالطويل الممغط والشعر الرجل الذي كأنه مشط فتكسر قليلا ليس بسبط ولا جعد والعقيقة شعر الرأس اراد ان تفرقت من ذات نفسها فرقها والا تركها معقوصة ويروى عقيصته وازهر اللون نيره وقيل ازهر حسن ومنه زهرة الحيوة الدنيا اي زينتها وهذا كما قال في الحديث الآخر ليس بالابيض الامهق ولا بالآدم والامهق هو الناصع البياض والادم الاسمر اللون ومثله في الحديث الآخر ابيض مشرب اي فيه حمرة والحاجب الازج المقوس الطويل الوافر الشعر والاقنى السائل الانف المرتفع وسطه والاشم الطويل قصبة الانف والقرن اتصال شعر الحاجبين وضده البلج ووقع في حديث ام معبد وصفه بالقرن والادعج الشديد سواد الحدقة وفي الحديث الآخر اشكل العين واسجر العين وهو الذي في بياضها حمرة والضليع الواسع والشنب رونق الاسنان وماؤها وقيل رقتها وتحزز فيها كما يوجد في اسنان الشباب والفلج فرق بين الثنايا ودقيق المسربة خيط الشعر الذي بين الصدر والسرة بادن ذو لحم ومتماسك معتدل الخلق يمسك بعضه بعضا مثل قوله في الحديث الآخر لم يكن بالمطهم ولا بالمكلثم اي ليس بمسترخي اللحم والمكلثم القصير الذقن وسواء البطن والصدر اي مستويهما ومشيح الصدر ان صحت هذه اللفظة فتكون من الاقبال وهو احد معاني اشاح اي انه كان بادي الصدر ولم يكن في صدره قعس وهو تطامن فيه وبه يتضح قوله قبل سواء البطن والصدر اي ليس بمتقاعس الصدر ولا مفاض البطن ولعل اللفظ مسيح بالسين وفتح الميم بمعنى عريض كما وقع في الرواية الاخرى وحكاه ابن دريد والكراديس رؤس العظام وهو مثل قوله في الحديث الآخر جليل المشاش والكتد والمشاش رؤس المناكب والكتد مجتمع الكتفين وشثن الكفين والقدمين لحيمهما والزندان عظما الذراعين وسائل الاطراف اي طويل الاصابع وذكر ابن الانباري انه روي سائن الاطراف او قال سابن بالنون قال وهما بمعنى بتبدل اللام من النون ان صحت الرواية بها واما على الرواية الاخرى وسائر الاطراف فاشارة الى

الى فخامة جوارحه كما وقعت مفصلة في الحديث ورحب الراحة اي واسعها وقيل كنى به عن سعة العطاء والجود وخمصان الاخمصين اي متجافي اخمص القدم وهو الموضع الذي لا تناله الارض من وسط القدم ومسيح القدمين اي املسهما ولهذا قال ينبو عنهما الماء **وفي حديث** ابي هريرة خلاف هذا قال فيه اذا وطئ بقدمه وطئ بكلها ليس له اخمص وهذا يوافق معنى قوله مسيح القدمين وبه قالوا سمي المسيح ابن مريم اي لم يكن له اخمص وقيل مسيح لا لحم عليهما وهذا ايضا يخالف شثن القدمين والتقلع رفع الرجل بقوة والتكفؤ الميل الى سنن المشي وقصده والهون الرفق والوقار والذريع الواسع الخطو اي ان مشيه كان يرفع فيه رجليه بسرعة ويمد خطوه خلاف مشية المختال ويقصد سمته وكل ذلك برفق وتثبت دون عجلة كما قال كأنما ينحط من صبب وقوله يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه اي لسعة فمه والعرب تمادح بهذا وتذم بصغر الفم واشاح مال وانقبض وحب الغمام البرد وقوله فرد ذلك بالخاصة على العامة اي جعل من جزء نفسه ما يوصل الخاصة اليه فتوصل عنه للعامة وقيل يجعل منه للخاصة ثم يبدلها في جزء آخر بالعامة ويدخلون روادا اي محتاجين اليه وطالبين لما عنده ولا ينصرفون الا عن ذواق قيل عن علم يتعلمونه ويشبه ان يكون على ظاهره اي في الغالب والاكثر والعتاد العدة والشيء الحاضر المعد والموازرة المعاونة وقوله لا يوطن الاماكن اي لا يتخذ لمصلاه موضعا معلوما وقد ورد نهيه عن هذا مفسرا في غير هذا الحديث وصابره اي حبس نفسه على ما يريد صاحبه ولا تؤبن فيه الحرم اي يذكرن بسوء ولا تنثى فلتاته اي تتحدث بها اي لم يكن فيه فلتة وان كانت من احد سترت ويرفدون يعينون والسخاب الكثير الصياح وقوله ولا يقبل الثناء الا من مكافئ قيل مقتصد في ثنائه ومدحه وقيل الا من مسلم وقيل الا من مكافئ على يد سبقت من النبي صلى الله عليه وسلم ويستفزه يستخفه وفي حديث آخر في وصفه منهوس العقب اي قليل لحمهما واهدب الاشفار اي طويل شعرها

الباب الثالث فيما ورد من صحيح الاخبار ومشهورها بعظيم قدره عند ربه ومنزلته وما خصه به في الدارين من كرامته صلى الله عليه وسلم لا خلاف انه اكرم البشر وسيد ولد آدم وافضل الناس منزلة عند الله تعالى واعلاهم

درجة واقربهم زلفى واعلم ان الاحاديث الواردة في ذلك كثيرة جدا وقد اقتصرنا منها على صحيحها ومشتهرها وحصرنا معاني ما ورد منها في اثني عشر فصلا **الفصل الاول**

فيما ورد من ذكر مكانته عند ربه والاصطفاء ورفعة الذكر والتفضيل وسيادة ولد آدم وما خصه به في الدنيا من مزايا الرتب وبركة اسمه الطيب اخبرنا الشيخ ابو محمد عبد الله ابن احمد العدل اذنا بلفظه قال حدثنا ابو الحسن الفرغاني حدثتنا ام القاسم بنت ابي بكر بن يعقوب عن ابيها حدثنا حاتم وهو ابن عقيل عن يحيى وهو ابن اسمعيل عن يحيى الحماني حدثنا قيس عن الاعمش عن عباية بن ربعي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قسم الخلق قسمين فجعلني من خيرهم قسما فذلك قوله تعالى اصحاب اليمين واصحاب الشمال فانا من اصحاب اليمين وانا خير اصحاب اليمين ثم جعل القسمين اثلاثا فجعلني في خيرها ثلثا وذلك قوله فاصحاب الميمنة واصحاب المشئمة والسابقون السابقون فانا من السابقين وانا خير السابقين ثم جعل الاثلاث قبائل فجعلني من خيرها قبيلة وذلك قوله تعالى وجعلناكم شعوبا وقبائل الآية فانا اتقى ولد آدم واكرمهم على الله ولا فخر ثم جعل القبائل بيوتا فجعلني في خيرها بيتا فذلك قوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت الآية **وعن ابي سلمة** عن ابي هريرة قال قالوا يا رسول الله متى وجبت لك النبوة قال وآدم بين الروح والجسد **وعن واثلة** بن الاسقع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى من ولد ابرهيم اسمعيل واصطفى من ولد اسمعيل بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم ومن حديث انس انا اكرم ولد آدم على ربي ولا فخر **وفي حديث ابن عباس** انا اكرم الاولين والآخرين ولا فخر **وعن عائشة** رضي الله عنها عنه عليه السلام اتاني جبريل فقال قلبت مشارق الارض ومغاربها فلم ار رجلا افضل من محمد صلى الله عليه وسلم ولم ار بني اب افضل من بني هاشم **وعن انس** رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي بالبراق ليلة اسري به فاستصعب عليه فقال له جبريل ابمحمد تفعل هذا فما ركبك احد اكرم على الله منه فارفض عرقا **وعن ابن عباس** رضي الله عنه عنه عليه السلام لما خلق الله تعالى آدم اهبطني في صلبه الى الارض

وجعلني في صلب نوح في السفينة ثم قذف بي في النار في صلب ابرهيم عليه السلام ثم لم يزل ينقلني في الاصلاب الكريمة الى الارحام الطاهرة حتى اخرجني بين ابوي لم يلتقيا على سفاح قط والى هذا اشار العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه بقوله

من قبلها طبت في الظلال وفي ۝ مستودع حيث يخصف الورق

ثم هبطت البلاد لا بشر ۝ انت ولا مضغة ولا علق

بل نطفة تركب السفين وقد ۝ الجم نسرا واهله الغرق

تنقل من صالب الى رحم ۝ اذا مضى عالم بدا طبق

وروى عنه صلى الله عليه وسلم ابو ذر وابن عمر وابن عباس وابو هريرة وجابر بن عبد الله رضي الله عنهم انه قال اعطيت خمسا وفي بعضها ستا لم يعطهن نبي قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا وايما رجل من امتي ادركته الصلوة فليصل واحلت لي الغنائم ولم تحل لنبي قبلي وبعثت الى الناس كافة واعطيت الشفاعة وفي رواية بدل هذه الكلمة وقيل لي سل تعطه وفي رواية اخرى وعرض علي امتي فلم يخف علي التابع من المتبوع وفي رواية بعثت الى الاحمر والاسود وقيل السود العرب لان الغالب على الوانهم الادمة فهم من السود والحمر العجم وقيل البيض والسود من الامم وقيل الحمر الانس والسود الجن وفي الحديث الآخر عن ابي هريرة رضي الله عنه نصرت بالرعب واوتيت جوامع الكلم وبينا انا نائم اذ جيء بمفاتيح خزائن الارض فوضعت في يدي وفي رواية عنه وختم بي النبيون **وعن عقبة** بن عامر انه قال عليه السلام انا فرطكم على الحوض وانا شهيد عليكم واني والله لانظر الى حوضي الآن واني قد اعطيت مفاتيح خزائن الارض واني والله ما اخاف عليكم ان تشركوا بعدي ولكني اخاف عليكم ان تنافسوا فيها **وعن عبد الله بن عمرو** ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انا محمد النبي الامي لا نبي بعدي اوتيت جوامع الكلم وخواتمه وعلمت خزنة النار وحملة العرش **وعن ابن عمر** رضي الله عنهما بعثت بين يدي الساعة ومن رواية ابن وهب انه صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى سل يا محمد فقلت ما اسأل يا رب اتخذت ابرهيم خليلا وكلمت موسى تكليما واصطفيت نوحا واعطيت سليمان ملكا لا ينبغي لاحد من بعده فقال الله تعالى ما اعطيتك خير لك من ذلك

اعطيتك الكوثر وجعلت اسمك مع اسمي ينادى به في جوف السماء وجعلت الارض
طهورا لك ولامتك وغفرت لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فانت تمشي
في الناس مغفورا لك ولم اصنع ذلك لاحد قبلك وجعلت قلوب امتك مصاحفها
وخبأت لك شفاعتك ولم اخبأها لنبي غيرك وفي حديث آخر رواه حذيفة
بشرني يعني ربه اول من يدخل الجنة معي من امتي سبعون الفا مع كل الف
سبعون الفا ليس عليهم حساب واعطاني ان لا تجوع امتي ولا تغلب واعطاني
النصر والعزة والرعب يسعى بين يدي امتي شهرا وطيب لي ولامتي الغنائم
واحل لنا كثيرا مما شدد على من قبلنا ولم يجعل علينا في الدين من حرج وعن
ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم ما من نبي من الانبياء الا وقد اعطي من الآيات
ما مثله آمن عليه البشر وانما كان الذي اوتيت وحيا اوحى الله الي فارجو ان اكون
اكثرهم تابعا يوم القيمة معنى هذا عند المحققين بقاء معجزته ما بقيت الدنيا وسائر
معجزات الانبياء ذهبت للحين ولم يشاهدها الا الحاضر لها ومعجزة القرآن يقف
عليها قرن بعد قرن عيانا لا خبرا الى يوم القيمة وفيه كلام يطول هذا نخبته وقد بسطنا
القول فيه وفيما ذكر فيه سوى هذا آخر باب المعجزات وعن علي رضي الله عنه كل نبي
اعطي سبعة نجباء من امته واعطي نبيكم صلى الله عليه وسلم اربعة عشر نجيبا
منهم ابو بكر وعمر وابن مسعود وعمار وقال صلى الله عليه وسلم ان الله قد حبس عن
مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين وانها لا تحل لاحد بعدي وانما احلت
لي ساعة من نهار وعن العرباض بن سارية سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول اني عبد الله وخاتم النبيين وان آدم لمنجدل في طينته وعدة ابي ابراهيم
وبشارة عيسى بن مريم وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال ان الله فضل محمدا
صلى الله عليه وسلم على اهل السماء وعلى الانبياء صلوات الله عليهم قالوا فما فضله على
اهل السماء قال ان الله قال لاهل السماء ومن يقل منهم اني اله من دونه الآية وقال
لمحمد انا فتحنا لك فتحا مبينا الآية قالوا فما فضله على الانبياء قال ان الله قال وما ارسلنا
من رسول الا بلسان قومه الآية وقال لمحمد وما ارسلناك الا كافة للناس وعن خالد
بن معدان ان نفرا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله

الله اخبرنا عن نفسك وقد روي نحوه عن ابي ذر وشداد بن اوس وانس بن مالك
رضي الله عنهم فقال نعم انا دعوة ابي ابراهيم يعني قوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم
وبشرى عيسى ورأت امي حين حملت بي انه خرج منها نور اضاءت له قصور بصرى من
ارض الشام واسترضعت في بني سعد بن بكر فبينا انا مع اخ لي خلف بيوتنا
نرعى بهما لنا اذ جاءني رجلان عليهما ثياب بيض وفي حديث آخر ثلثة رجال بطست
من ذهب مملوة ثلجا فاخذاني فشقا بطني قال في غير هذا الحديث من نحري
الى مراق بطني ثم استخرجا منه قلبي فشقاه فاستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها ثم غسلا
قلبي وبطني بذلك الثلج حتى انقياه قال في حديث آخر ثم تناول احدهما شيئا فاذا
بخاتم في يده من نور يحار الناظر دونه فختم به قلبي فامتلأ ايمانا وحكمة ثم اعاده مكانه
وامر الآخر يده على مفرق صدري فالتأم وفي رواية ان جبريل قال قلب وكيع
اي شديد فيه عينان تبصران واذنان تسمعان ثم قال احدهما لصاحبه زنه
بعشرة من امته فوزنني فرجحتهم ثم قال زنه بمائة من امته فوزنني بهم فوزنتهم ثم قال
زنه بالف من امته فوزنني بهم فوزنتهم ثم قال دعه عنك فلو وزنته بامته لوزنها
قال في الحديث الآخر ثم ضموني الى صدورهم وقبلوا رأسي وما بين عيني ثم قالوا
يا حبيب لم ترع انك لو تدري ما يراد بك من الخير لقرت عينك وفي بقية هذا
الحديث من قولهم ما اكرمك على الله ان الله معك وملائكته قال في حديث
ابي ذر فما هو الا ان وليا عني فكأنما ارى الامر معاينة وحكى ابو محمد مكي وابو الليث
السمرقندي وغيرهما ان آدم عند معصيته قال اللهم بحق محمد اغفر لي
خطيئتي ويروى تقبل توبتي فقال له من اين عرفت محمدا قال رأيت في كل
موضع من الجنة مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله ويروى محمد عبدي ورسولي
فعلمت انه اكرم خلقك عليك فتاب الله عليه وغفر له وهذا عند قائله تأويل
قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات وفي رواية الاخرى فقال آدم لما خلقتني رفعت
رأسي الى عرشك فاذا فيه مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت انه ليس
احد اعظم قدرا عندك ممن جعلت اسمه مع اسمك فاوحى الله اليه وعزتي وجلالي
انه لآخر النبيين من ذريتك ولولاه ما خلقتك قال وكان آدم يكنى بابي محمد

كنية آدم عليه السلام ابي محمد

وقيل أبي البشر وروي عن شريح بن يونس انه قال ان لله ملائكة سياحين عبادتها
كل دار فيها أحمد أو محمد اكراما منهم لمحمد صلى الله عليه وسلم وروى ابن قانع القاضي
عن أبي الحمراء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أسري بي الى السماء اذا
على العرش مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله أيدته بعلي وفي التفسير عن ابن عباس
في قوله تعالى وكان تحته كنز لهما قال لوح من ذهب فيه مكتوب عجبا لمن أيقن بالقدر
كيف ينصب عجبا لمن أيقن بالنار كيف يضحك عجبا لمن يرى الدنيا وتقلبها
كيف يطمئن اليها أنا الله لا اله الا أنا محمد عبدي ورسولي وعن ابن عباس على باب
الجنة مكتوب اني أنا الله لا اله الا أنا محمد رسول الله لا أعذب من قالها
وذكر انه وجد على الحجارة القديمة مكتوب محمد تقي مصلح وسيد أمين وذكر السمنطاري
انه شاهد في بعض بلاد خراسان مولودا ولد على أحد جنبيه مكتوب لا اله الا الله
وعلى الآخر محمد رسول الله وذكر الأخباريون ان ببلاد الهند وردا أحمر مكتوبا عليه
بالأبيض لا اله الا الله محمد رسول الله وروي عن جعفر بن محمد عن أبيه اذا كان يوم
القيمة نادى مناد ألا ليقم من اسمه محمد فليدخل الجنة لكرامة اسمه عليه السلام وروى ابن القاسم
في سماعه وابن وهب في جامعه عن مالك سمعت أهل مكة يقولون ما من بيت فيه
اسم محمد الا نما ورزقوا ورزق جيرانهم وعنه صلى الله عليه وسلم ما ضر أحدكم أن يكون
في بيته محمد ومحمدان وثلثة وعن عبد الله بن مسعود ان الله نظر الى قلوب العباد
فاختار منها قلب محمد صلى الله عليه وسلم فاصطفاه لنفسه فبعثه برسالته
وحكى النقاش ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله
ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا الآية قام خطيبا فقال يا معشر أهل الايمان ان الله فضلني
عليكم تفضيلا وفضل نسائي على نسائكم تفضيلا الحديث فصل في تفضيله
بما تضمنته كرامة الاسراء من المناجاة والرؤية وامامة الأنبياء عليهم السلام والعروج
به الى سدرة المنتهى وما رأى من آيات ربه الكبرى ومن خصائصه عليه السلام
قصة الاسراء وما انطوت عليه من درجات الرفعة مما نبه عليه الكتاب العزيز وشرحته
صحاح الأخبار قال الله تعالى سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى
المسجد الأقصى الآية وقال تعالى والنجم اذا هوى الى قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى فلا

خلاف بين المسلمين في صحة الاسراء به صلى الله عليه وسلم اذ هو نص القرآن
وجاءت بتفصيله وشرح عجائبه وخواص محمد نبينا صلى الله عليه وسلم فيه أحاديث
كثيرة منتشرة رأينا ان نقدم أكملها ونشير الى زيادة من غيره يجب ذكرها
حدثنا القاضي الشهيد أبو علي والفقيه أبو بكر بسماعي عليهما والقاضي أبو عبد الله
التميمي وغير واحد من شيوخنا قالوا حدثنا أبو العباس العذري حدثنا أبو العباس
الرازي حدثنا أبو أحمد الجلودي حدثنا ابن سفيان حدثنا مسلم بن الحجاج حدثنا
شيبان بن فروخ حدثنا حماد بن سلمة حدثنا ثابت البناني عن أنس بن مالك
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتيت بالبراق وهو دابة أبيض طويل
فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه قال فركبته حتى أتيت بيت
المقدس فربطته بالحلقة التي يربط بها الأنبياء ثم دخلت المسجد فصليت فيه
ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن
فقال جبريل اخترت الفطرة ثم عرج بنا الى السماء فاستفتح جبريل فقيل
من أنت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد
بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بآدم صلى الله عليه وسلم فرحب بي ودعا لي بخير ثم
عرج بنا الى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل قيل
ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح فاذا أنا بابني
الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا صلى الله عليهما وسلم فرحبا بي ودعوا لي
بخير ثم عرج بنا الى السماء الثالثة فذكر مثل الأول ففتح لنا فاذا أنا بيوسف
صلى الله عليه وسلم واذا هو قد أعطي شطر الحسن فرحب بي ودعا لي بخير
ثم عرج بنا الى السماء الرابعة وذكر مثله فاذا أنا بادريس عليه السلام فرحب بي
ودعا لي بخير قال الله تعالى ورفعناه مكانا عليا ثم عرج بنا الى السماء الخامسة
فذكر مثله فاذا أنا بهارون عليه السلام فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء السادسة
فذكر مثله فاذا أنا بموسى عليه السلام فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء
السابعة فذكر مثله فاذا أنا بابراهيم عليه السلام مسندا ظهره الى البيت المعمور
واذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون اليه ثم ذهب بي

إلى سدرة المنتهى وإذا ورقها كآذان الفيلة وإذا ثمرها كالقلال قال فلما غشيها
من أمر الله ما غشي تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها
فأوحى الله إلي ما أوحى ففرض علي خمسين صلوة في كل يوم وليلة فنزلت إلى موسى
عليه السلام فقال ما فرض ربك على أمتك قلت خمسين صلوة قال ارجع
إلى ربك فاسأله التخفيف فإن أمتك لا يطيقون ذلك فإني قد بلوت بني
إسرائيل وخبرتهم قال فرجعت إلى ربي فقلت يا رب خفف عن أمتي فحط عني خمسا
فرجعت إلى موسى فقلت حط عني خمسا قال إن أمتك لا يطيقون ذلك
فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف قال فلم أزل أرجع بين يدي ربي تعالى وبين موسى
حتى قال يا محمد إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلوة عشر فتلك خمسون
صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له عشرة
ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئا فإن عملها كتبت سيئة واحدة
فنزلت حتى انتهيت إلى موسى عليه السلام فأخبرته فقال ارجع إلى ربك فاسأله
التخفيف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت قد رجعت إلى ربي حتى
استحييت منه قال القاضي رضي الله عنه جوّد ثابت رضي الله عنه هذا الحديث
عن أنس ما شاء ولم يأت أحد عنه بأصوب من هذا وقد خلط فيه غيره عن أنس
رضي الله عنه تخليطا كثيرا لا سيما من رواية شريك بن أبي نمر فقد ذكر في أوله مجيء
الملك له وشق بطنه وغسله بماء زمزم وهذا إنما كان وهو صبي وقبل الوحي وقد
قال شريك في حديثه وذلك قبل أن يوحى إليه وذكر قصة الإسراء ولا خلاف أنها
كانت بعد الوحي وقد قال غير واحد أنها كانت قبل الهجرة بسنة وقيل قبل هذا
وقد روى ثابت عن أنس من رواية حماد بن سلمة أيضا مجيء جبريل عليه السلام
إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يلعب مع الغلمان عند ظئره وشقه قلبه
تلك القصة مفردة من حديث الإسراء كما رواه الناس فجوّد في القصتين وفي
أن الإسراء إلى بيت المقدس وإلى سدرة المنتهى كان قصة واحدة وأنه وصل
إلى بيت المقدس ثم عرج به من هناك فأزاح كل إشكال أوهمه غيره وقد روى
يونس عن ابن شهاب عن أنس قال كان أبو ذر يحدث أن رسول الله صلى

سدرة المنتهى سميت بذلك لأن إليها ينتهي ما يصعد من الأرض فيقبض منها وإليها ينتهي ما يهبط به من فوقها فيقبض منها وإليها ينتهي علم الملائكة كما سيأتي في كلام المصنف وفي [illegible] رواية البخاري أنها فوق السابعة وفي أخرى [illegible] ما سنذكره المصنف أنها في السادسة [illegible] فقال يمكن أن يكون أصلها في السادسة ومعظمها في السابعة [illegible]

[illegible]

صلى الله عليه وسلم قال فرج سقف بيتي فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله من ماء
زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانا فأفرغها في صدري ثم أطبقه
ثم أخذ بيدي فعرج بي إلى السماء فذكر القصة وروى قتادة الحديث بمثله عن أنس
عن مالك بن صعصعة وفيها تقديم وتأخير وزيادة ونقص وخلاف في ترتيب
الأنبياء في السموات وحديث ثابت عن أنس أتقن وأجود وقد وقعت في أحاديث
الإسراء زيادات نذكر منها نكتا مفيدة في غرضنا منها في حديث ابن شهاب
وفيه قول كل نبي له مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح إلا آدم وإبراهيم فقالا
والابن الصالح وفيه من طريق ابن عباس ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع
فيه صريف الأقلام وعن أنس رضي الله عنه ثم انطلق بي حتى أتيت سدرة
المنتهى فغشيها ألوان لا أدري ما هي قال ثم أدخلت الجنة وفي حديث مالك بن صعصعة
فلما جاوزته يعني موسى بكى فنودي ما يبكيك قال رب هذا غلام بعثته بعدي يدخل
من أمته الجنة أكثر مما يدخل من أمتي وفي حديث أبي هريرة وقد رأيتني في جماعة
من الأنبياء فحانت الصلاة فأممتهم فقال قائل يا محمد هذا مالك خازن النار فسلم
عليه فالتفت فبدأني بالسلام وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه ثم سار حتى أتى
بيت المقدس فنزل فربط فرسه إلى صخرة فصلى مع الملائكة فلما قضيت الصلاة
قالوا يا جبريل من هذا معك قال هذا محمد رسول الله خاتم النبيين قالوا وقد أرسل
إليه قال نعم قالوا حياه الله من أخ وخليفة فنعم الأخ ونعم الخليفة ثم لقوا أرواح
الأنبياء فأثنوا على ربهم وذكر كلام كل واحد منهم وهم إبراهيم وموسى وعيسى وداود
وسليمان ثم ذكر كلام النبي صلى الله عليه وسلم فقال وإن محمدا صلى الله عليه وسلم
أثنى على ربه فقال كلكم أثنى على ربه وأنا مثن على ربي الحمد لله الذي أرسلني رحمة
للعالمين وكافة للناس بشيرا ونذيرا وأنزل علي الفرقان فيه تبيان كل شيء وجعل أمتي
خير أمة وجعل أمتي أمة وسطا وجعل أمتي هم الأولون والآخرون وشرح لي صدري
ووضع عني وزري ورفع لي ذكري وجعلني فاتحا وخاتما فقال إبراهيم بهذا فضلكم
محمد ثم ذكر أنه عرج به إلى السماء الدنيا ومن سماء إلى سماء نحو ما تقدم وفي حديث
ابن مسعود وانتهى بي إلى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة إليها ينتهي

[illegible]

[illegible]

يعرج به من الارض فيقبض منها واليها ينتهي ما يهبط من فوقها فيقبض منها
قال اذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش من ذهب وفي رواية ابي هريرة من طريق الربيع
انس فقيل لي هذه السدرة المنتهى ينتهي اليها كل احد من امتك خلا على سبيلك
وهي السدرة المنتهى يخرج من اصلها انهار من ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغير
طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى وهي شجرة يسير الراكب
في ظلها سبعين عاما وان ورقة منها مظلة الخلق فغشيها نور وغشيتها الملائكة
قال فهو قوله تعالى اذ يغشى السدرة ما يغشى فقال تبارك وتعالى له سل فقال انك
اتخذت ابرهيم خليلا واعطيته ملكا عظيما وكلمت موسى تكليما واعطيت داود ملكا عظيما و
النت له الحديد وسخرت له الجبال واعطيت سليمان ملكا عظيما سخرت له الجن والانس
والشياطين والرياح واعطيته ملكا لا ينبغي لاحد من بعده وعلمت عيسى التورية والانجيل
وجعلته يبرئ الاكمه والابرص واعذته وامه من الشيطان الرجيم فلم يكن له عليهما سبيل
فقال له ربه قد اتخذتك حبيبا فهو مكتوب في التورية محمد حبيب الرحمن وارسلتك
الى الناس كافة وجعلت امتك هم الاولون وهم الآخرون وجعلت امتك لا تجوز لهم
خطبة حتى يشهدوا انك عبدي ورسولي وجعلتك اول النبيين خلقا وآخرهم بعثا
واعطيتك سبعا من المثاني ولم اعطها نبيا قبلك وجعلتك فاتحا وخاتما وفي الرواية
الاخرى قال فاعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثا اعطي الصلوات الخمس واعطي خواتيم سورة
البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله شيئا من امته المقحمات وقال ما كذب الفؤاد ما رأى
الآيتين رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح وفي حديث شريك انه رأى موسى في السابعة
قال بتفضيل كلام الله قال ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه الا الله فقال موسى لم اظن ان
يرفع علي احد وقد روي عن انس انه صلى الله عليه وسلم صلى بالانبياء عليهم السلام
ببيت المقدس وعن انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا انا قاعد ذات يوم اذ
دخل جبريل عليه السلام فوكز بين كتفي فقمت الى شجرة فيها مثل وكري الطائر فقعد في واحدة
وقعدت في الاخرى فسمت وارتفعت حتى سدت الخافقين ولو شئت لمسست السماء وانا اقلب
طرفي ونظرت جبريل كانه حلس لاطئ فعرفت فضل علمه بالله علي وفتح لي باب السماء و
رأيت النور الاعظم ولط دوني الحجاب وفرجه الدر والياقوت ثم اوحى الله تعالى الى

رجه بضم الفاء وسكون الراء وفتح الجيم حا

قوله لط بضم اللام وتشديد الطاء المهملة اي ارخى حا

المقحمات بضم الميم وسكون القاف وكسر المهملة اي الذنوب العظام التي تقحم اصحابها في النار حا

الى ما شاء ان يوحي وذكر البزار عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه لما اراد الله ان
يعلم رسوله الاذان جاء جبريل بدابة يقال لها البراق فذهب يركبها فاستصعب
عليه فقال لها جبريل اسكني فوالله ما ركبك عبد اكرم على الله من محمد صلى الله عليه
وسلم فركبها حتى اتى بها الى الحجاب الذي يلي الرحمن تعالى فبينما هو كذلك اذ خرج
ملك من الحجاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبريل من هذا قال
والذي بعثك بالحق اني لاقرب الخلق مكانا وان هذا الملك ما رايته منذ خلقت
قبل ساعتي هذه فقال الملك الله اكبر الله اكبر فقيل له من وراء الحجاب صدق
عبدي انا اكبر انا اكبر فقال الملك اشهد ان لا اله الا الله فقيل من وراء الحجاب
صدق عبدي انا الله لا اله الا انا وذكر مثل هذا في بقية الاذان الا انه لم يذكر جوابا
عن قوله حي على الصلوة حي على الفلاح وقال ثم اخذ الملك بيد محمد فقدمه فام اهل السماء
فيهم آدم ونوح عليهما السلام قال ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين راويه اكمل الله لمحمد
صلى الله عليه وسلم الشرف على اهل السموات والارض قال القاضي رضي الله عنه
ما في هذا الحديث من ذكر الحجاب فهو في حق المخلوق لا في حق الخالق فهم المحجوبون والباري
جل اسمه منزه عما يحجبه اذ الحجب انما تحيط بمقدر محسوس ولكن حجبه على ابصار خلقه وبصائرهم
وادراكاتهم بما شاء وكيف شاء ومتى شاء كقوله كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون
فقوله في هذا الحديث الحجاب واذ خرج ملك من الحجاب يجب ان يقال انه حجاب
حجب به من وراءه من ملائكته عن الاطلاع على ما دونه من سلطانه وعظمته وعجائب
ملكوته وجبروته ويدل عليه من الحديث قول جبريل عن الملك الذي خرج من ورائه ان
هذا الملك ما رأيته منذ خلقت قبل ساعتي هذه فدل ان هذا الحجاب لم يختص بالذات
ويدل عليه قول كعب في تفسير سدرة المنتهى قال اليها ينتهي علم الملائكة وعندها يجدون
امر الله لا يجاوزها علمهم واما قوله الذي يلي الرحمن فيحمل على حذف المضاف اي يلي عرش الرحمن
او امرا ما من عظيم آياته او مبادي حقائق معارفه مما هو اعلم به كما قال تعالى واسئل
القرية اي اهلها وقوله فقيل من وراء الحجاب صدق انا اكبر فظاهره انه سمع في هذا الموطن
كلام الله ولكن من وراء حجاب كما قال تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او
من وراء حجاب اي وهو لا يراه حجب بصره عن رؤيته فان صح القول بان محمدا صلى الله عليه

البراق بفتح الموحدة وتشديد الراء الزاي والفرس الذي سنه بين الحمار والبغل والحمار زينته بلغة نعلد حا

وسلم رأى ربه يحتمل أنه في غير هذا الموطن بعد هذا او قبله رفع الحجاب عن بصره حتى رآه والله اعلم **فصل ثم اختلف السلف والعلماء هل كان اسراء بروحه او جسده على ثلث مقالات** فذهب طائفة الى انه اسراء بالروح وانه رؤيا منام مع اتفاقهم ان رؤيا الانبياء حق ووحي والى هذا ذهب معاوية وحكي عن الحسن والمشهور عنه خلافه واليه اشار محمد بن اسحق وحجتهم قوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي اريناك وما حكوا عن عائشة رضي الله عنها ما فقدت جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله بينا انا نائم وقول انس وهو نائم في المسجد الحرام وذكر القصة ثم قال فاستيقظت وانا بالمسجد الحرام وذهب معظم السلف والمسلمين على انه اسراء بالجسد وفي اليقظة وهذا هو الحق وهو قول ابن عباس وجابر وانس وحذيفة وعمر وابي هريرة ومالك ابن صعصعة وابي حبة البدري وابن مسعود والضحاك وسعيد بن جبير وقتادة وابن المسيب وابن شهاب وابن زيد والحسن وابراهيم ومسروق ومجاهد وعكرمة وابن جريج رضي الله عنهم وهو دليل قول عائشة رضي الله تعالى عنها وهو قول الطبري وابن حنبل وجماعة عظيمة من المسلمين وهو قول اكثر المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين والمفسرين وقالت طائفة كان الاسراء بالجسد يقظة الى بيت المقدس والى السماء بالروح واحتجوا بقوله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى فجعل الى المسجد الاقصى غاية الاسراء الذي وقع التعجب فيه بعظيم القدرة والتمدح بتشريف النبي صلى الله عليه وسلم واظهار الكرامة له بالاسراء اليه قال هؤلاء ولو كان الاسراء بجسده الى زائد على المسجد الاقصى لذكره فيكون ابلغ في المدح ثم اختلفت هذه الفرقتان هل صلى ببيت المقدس ام لا ففي حديث انس وغيره ما تقدم من صلوته فيه وانكر ذلك حذيفة بن اليمان وقال والله ما زالا عن ظهر البراق حتى رجعا قال القاضي رضي الله عنه والحق من هذا والصحيح ان شاء الله انه اسراء بالجسد والروح في القصة كلها وعليه تدل الآية وصحيح الاخبار والاعتبار ولا يعدل عن الظاهر والحقيقة الى التأويل الا عند الاستحالة وليس في الاسراء بجسده وحال يقظته استحالة اذ لو كان مناما لقال بروح عبده ولم يقل بعبده وقوله ما زاغ البصر وما طغى ولو كان مناما لما كانت فيه آية ولا معجزة ولما استبعده الكفار ولا كذبوه فيه ولا ارتد به ضعفاء من اسلم وافتتنوا به اذ مثل هذا

من المنامات لا ينكر بل لم يكن ذلك منهم الا وقد علموا ان خبره انما كان عن جسمه وحال يقظته الى ما ذكر في الحديث من ذكر صلاته بالانبياء ببيت المقدس في رواية انس او في السماء على ما روى غيره وذكر مجيء جبريل بالبراق وخبر المعراج واستفتاح السماء فيقال ومن معك فيقول محمد ولقائه الانبياء فيها وخبرهم معه وترحيبهم به وشانه في فرض الصلوة ومراجعته مع موسى عليه السلام في ذلك وفي بعض هذه الاخبار فاخذ جبريل بيدي فعرج بي الى السماء الى قوله ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى اسمع فيه صريف الاقلام وانه وصل الى سدرة المنتهى وانه دخل الجنة ورأى فيها ما ذكره قال ابن عباس هي رؤيا عين رآها النبي صلى الله عليه وسلم لا رؤيا منام وعن الحسن فيه بينا انا نائم في الحجر جاءني جبريل فهمزني بعقبه فقمت فجلست فلم ار شيئا فعدت لمضجعي ذكر ذلك ثلثا فقال في الثالثة فاخذ بعضدي فجرني الى باب المسجد فاذا انا بدابة وذكر خبر البراق وعن ام هاني ما اسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو في بيتي تلك الليلة صلى العشاء الآخرة ونام بيننا فلما كان قبيل الفجر اهبنا رسول الله فلما صلى الصبح وصلينا قال يا ام هاني لقد صليت معكم العشاء الآخرة كما رأيت بهذا الوادي ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ثم صليت الغداة معكم الآن كما ترين وهذا بين في انه بجسمه وعن ابي بكر من رواية شداد بن اوس عنه انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم ليلة اسرى به طلبتك يا رسول الله البارحة في مكانك فلم اجدك فاجابه ان جبريل حمله الى المسجد الاقصى وعن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صليت ليلة اسري بي في مقدم المسجد ثم دخلت الصخرة فاذا بملك قائم معه آنية ثلث وذكر الحديث وهذه التصريحات ظاهرة غير مستحيلة فتحمل على ظاهرها وعن ابي ذر عنه صلى الله عليه وسلم فرج سقف بيتي وانا بمكة فنزل جبريل فشرح صدري ثم غسله بماء زمزم الى آخر القصة ثم اخذ بيدي فعرج بي وعن انس رضي الله عنه اتيت فانطلقوا بي الى زمزم فشرح عن صدري وعن ابي هريرة لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي فسألتني عن اشياء لم اثبتها فكربت كربا ما كربت مثله قط فرفعه الله لي انظر اليه ونحوه عن جابر وقد روى عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حديث الاسراء عنه عليه السلام انه قال ثم رجعت الى خديجة وما

وما تحولت عن حالها **فصل في ابطال حجج من قال انها نوم** احتجوا بقوله تعالى
وما جعلنا الرؤيا فسماها رؤيا قلنا قوله سبحان الذي اسرى بعبده يرده لانه لا يقال
في النوم اسرى وقوله فتنة للناس يؤيد انها رؤيا عين واسراء بشخص اذ ليس
في الحلم فتنة ولا يكذب به احد لان كل احد يرى مثل ذلك في منامه من الكون
في ساعة واحدة في اقطار متباينة على ان المفسرين قد اختلفوا في هذه الاية
فذهب بعضهم الى انها نزلت في قضية الحديبية وما وقع في نفوس الناس
من ذلك وقيل غير هذا واما قولهم انه قد سماها في الحديث مناما وقوله في حديث
آخر بين النائم واليقظان **وقوله** ايضا وهو نائم وقوله ثم استيقظت فلا حجة
فيه اذ قد يحتمل ان اول وصول الملك اليه كان وهو نائم او اول حمله والاسراء
به وهو نائم وليس في الحديث انه كان نائما في القصة كلها الا ما يدل عليه ثم استيقظت
وانا في المسجد الحرام فلعل قوله استيقظت بمعنى اصبحت او استيقظ من نوم اخر
بعد وصوله بيته ويدل عليه ان مسراه لم يكن طول ليله وانما كان في بعضه وقد
يكون قوله استيقظت وانا في المسجد الحرام لما كان غمره من عجائب ما طالع من
ملكوت السموات والارض وخامر باطنه من مشاهدة الملأ الاعلى وما رأى من آيات
ربه الكبرى فلم يستفق ولم يرجع الى حال البشرية الا وهو بالمسجد الحرام ووجه
ثالث ان يكون نومه واستيقاظه حقيقة على مقتضى لفظه ولكنه اسرى بجسده
وقلبه حاضر ورؤيا الانبياء حق تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم وقد مال بعض اصحاب
الاشارات الى نحو من هذا قال تغميض عينيه لئلا يشغله شيء من المحسوسات
عن الله تعالى ولا يصح هذا ان يكون في وقت صلاته بالانبياء ولعله كانت في هذا الاسراء
حالات ووجه رابع وهو ان يعبر بالنوم ههنا عن هيئة النائم من الاضطجاع ويقويه قوله
في رواية عبد بن حميد عن همام بينا انا نائم وربما قال مضطجع وفي رواية هدبة
عنه بينا انا نائم في الحطيم وربما قال في الحجر مضطجع وقوله في الرواية الاخرى بين
النائم واليقظان فيكون سمى هيئته بالنوم لما كانت هيئة النائم غالبا وذهب
بعضهم الى ان هذه الزيادات من النوم وذكر شق البطن ودنو الرب الواقعة
في هذا الحديث انما هي من رواية شريك عن انس فهي منكرة من روايته
اذ شق البطن في الاحاديث الصحيحة انما كان في صغره صلى الله عليه وسلم وقبل النبوة ولانه

ولانه قال في الحديث قبل ان يبعث والاسراء بالاجماع كان بعد المبعث فهذا كله يوهن
ما وقع في رواية انس مع ان انسا قد بين من غير طريق انه انما رواه عن غيره وانه
لم يسمعه من النبي صلى الله عليه وسلم فقال مرة عن مالك بن صعصعة وفي كتاب
مسلم لعله عن مالك بن صعصعة على الشك وقال مرة كان ابو ذر يحدث واما قول
عائشة رضي الله عنها ما فقدت جسده فعائشة لم تحدث به عن مشاهدة لانها لم تكن
حينئذ زوجه ولا في سن من يضبط ولعلها لم تكن ولدت بعد على الخلاف في الاسراء
متى كان فان الاسراء كان في اول الاسلام على قول الزهري ومن وافقه بعد المبعث
بعام ونصف وكانت عائشة رضي الله عنها في الهجرة بنت نحو ثمانية اعوام وقد قيل
قبل الهجرة بعام والاشبه انه لخمس والحجة لذلك تطول ليست من غرضنا فاذا لم
تشاهد ذلك عائشة دل انها حدثت بذلك عن غيرها فلم يرجح خبرها على خبر غيرها وغيرها
يقول خلافه مما وقع نصا في حديث ام هانئ وغيره وايضا فليس حديث عائشة
بالثابت والاحاديث الاخر اثبت لسنا نعني حديث ام هانئ وما ذكرت فيه خديجة
وايضا فقد روي في حديث عائشة ما فقدت ولم يدخل بها النبي صلى الله عليه وسلم
الا بالمدينة وكل هذا يوهنه بل الذي يدل عليه صحيح قولها انه بجسده لانكارها ان تكون رؤياه
لربه رؤيا عين ولو كانت عندها مناما لم تنكره فان قيل فقد قال تعالى ما كذب الفؤاد
ما رأى فقد جعل ما رآه القلب وهذا يدل على انه رؤيا نوم ووحي لا مشاهدة عين وحس
قلنا يقابله قوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى فقد اضاف الامر للبصر وقد قال اهل
التفسير في قوله ما كذب الفؤاد ما رأى اي لم يوهم القلب العين غير الحقيقة بل
صدق رؤيتها وقيل ما انكر قلبه ما رأته عينه **فصل واما رؤيته صلى الله عليه وسلم لربه عز و
جل** فاختلف السلف فيها فانكرته عائشة رضي الله تعالى عنها حدثنا ابو الحسين
سراج بن عبد الملك الحافظ بقراءتي عليه قال حدثني ابي وابو عبد الله بن عتاب
الفقيه قالا حدثنا القاضي يونس بن مغيث حدثنا ابو الفضل الصقلي حدثنا ثابت بن
قاسم بن ثابت عن ابيه وجده قالا حدثنا عبد الله بن علي حدثنا محمود بن ادم حدثنا
وكيع عن ابن ابي خالد عن عامر عن مسروق انه قال لعائشة يا ام المؤمنين هل رأى محمد
ربه فقالت لقد قف شعري مما قلت ثلاث من حدثك بهن فقد كذب من حدثك

روي المبعث

واختلف في الشهر الذي اسري فيه فقيل في ربيع الاول
... النبوة ... وقيل في ربيع الاخر ...
في ... وقيل في رجب ... في الروضة
وقال الواقدي في رمضان وقال الماوردي
في شوال ه

بضم الحاء وفتح الدال المهملتين وسكون المثناة التحتية
وكسر الموحدة وفتح المثناة التحتية مخففة وقد تشدد
وهي قرية سميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة
على مرحلة من مكة ه

روي بلفظه بفتح الواو
وكسر الهاء مشددة
وبالواو وضمير ... ه

بضم الهاء وسكون المهملة
وفتح الموحدة ابن خالد
القيسي ه

بفتح المهملة والقاف ... بجانب الغرب ه

ان محمدا رأى ربه فقد كذب ثم قرأت لا تدركه الابصار الآية وذكر الحديث وقال جماعة بقول عائشة وهو المشهور عن ابن مسعود ومثله عن ابي هريرة انه قال انما رأى جبريل واختلف عنه وقال بانكار هذا وامتناع رؤيته في الدنيا جماعة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه رآه بعينه وروى عطاء عنه بقلبه وعن ابي العالية عنه رآه بفؤاده مرتين وذكر ابن اسحق ان ابن عمر رضي الله عنهما ارسل الى ابن عباس رضي الله عنهما يسأله هل رأى محمد ربه فقال نعم والاشهر عنه انه رأى ربه بعينه وروي عنه من طرق وقال ان الله اختص موسى بالكلام وابرهيم بالخلة ومحمدا بالرؤية وحجته قوله ما كذب الفؤاد ما رأى افتمارونه على ما يرى ولقد رآه نزلة اخرى قال الماوردي قيل ان الله تعالى قسم كلامه ورؤيته بين موسى ومحمد فرآه محمد مرتين وكلمه موسى مرتين وحكى ابو الفتح الرازي وابو الليث السمرقندي الحكاية عن كعب وروى عبد الله بن الحارث قال اجتمع ابن عباس وكعب فقال ابن عباس رضي الله عنهما اما نحن بنو هاشم فنقول ان محمدا قد رأى ربه مرتين فكبر كعب حتى جاوبته الجبال وقال ان الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى فكلمه موسى ورآه محمد بقلبه وروى شريك عن ابي ذر في تفسير الآية قال رأى النبي صلى الله عليه وسلم ربه وحكى السمرقندي عن محمد بن كعب القرظي وربيع بن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل هل رأيت ربك قال رأيته بفؤادي ولم اره بعيني وروى مالك ابن يخامر عن معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال رأيت ربي وذكر كلمة فقال يا محمد فيم يختصم الملأ الاعلى الحديث وحكى عبد الرزاق ان الحسن كان يحلف بالله لقد رأى محمد ربه وحكاه ابو بكر الطلمنكي عن عكرمة وحكى بعض المتكلمين هذا المذهب عن ابن مسعود رضي الله عنه وحكى ابن اسحق ان مروان سأل ابا هريرة هل رأى محمد ربه فقال نعم وحكى النقاش عن احمد بن حنبل انه قال انا اقول بحديث ابن عباس بعينه رآه رآه حتى انقطع نفسه يعني نفس احمد وقال ابو عمر قال احمد بن حنبل رآه بقلبه وجبن عن القول برؤيته في الدنيا بالابصار وقال سعيد بن جبير لا اقول رآه ولا لم يره وقد اختلف في تأويل الآية عن ابن عباس وعكرمة والحسن وابن مسعود رأى جبريل وحكى عبد الله بن احمد بن حنبل عن ابيه انه قال رآه وعن ابن عطاء في

قوله تعالى الم نشرح لك صدرك قال شرح صدره للرؤية وشرح صدر موسى للكلام وقال ابو الحسن علي بن اسمعيل الاشعري وجماعة من اصحابه انه رأى الله ببصره وعيني رأسه وقال كل آية اوتيها نبي من الانبياء عليهم السلام فقد اوتي مثلها نبينا وخص من بينهم بتفضيل الرؤية ووقف بعض مشايخنا في هذا وقال ليس عليه دليل واضح ولكنه جائز ان يكون قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه والحق الذي لا امتراء فيه ان رؤيته تعالى في الدنيا جائزة عقلا وليس في العقل ما يحيلها والدليل على جوازها في الدنيا سؤال موسى عليه السلام لها ومحال ان يجهل نبي ما يجوز على الله وما لا يجوز عليه بل لم يسأل الا جائزا غير مستحيل ولكن وقوعه ومشاهدته من الغيب الذي لا يعلمه الا من علمه الله فقال له الله تعالى لن تراني اي لن تطيق ولا تحتمل رؤيتي ثم ضرب له مثلا مما هو اقوى من بنية موسى واثبت وهو الجبل وكل هذا ليس فيه ما يحيل رؤيته في الدنيا بل فيه جوازها على الجملة وليس في الشرع دليل قاطع على استحالتها ولا امتناعها اذ كل موجود فرؤيته جائزة غير مستحيلة ولا حجة لمن استدل على منعها بقوله لا تدركه الابصار لاختلاف التأويلات في الآية واذ ليس يقتضي قول من قال في الدنيا الاستحالة وقد استدل بعضهم بهذه الآية نفسها على جواز الرؤية وعدم استحالتها على الجملة وقد قيل لا تدركه ابصار الكفار وقيل لا تدركه الابصار لا تحيط به وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما وقد قيل لا تدركه الابصار وانما يدركه المبصرون وكل هذه التأويلات لا تقتضي منع الرؤية ولا استحالتها وكذلك لا حجة لهم بقوله لن تراني الآية وقوله تبت اليك لما قدمناه ولانها ليست على العموم ولان من قال معناها لن تراني في الدنيا انما هو تأويل وايضا فليس فيه نص الامتناع وانما جاءت في حق موسى عليه السلام وحيث تتطرق التأويلات وتتسلط الاحتمالات فليس للقطع اليه سبيل وقوله تبت اليك اي من سؤالي ما لم تقدره لي وقد قال ابو بكر الهذلي في قوله لن تراني اي ليس لبشر ان يطيق ان ينظر الي في الدنيا وانه من نظر الي مات وقد رأيت لبعض السلف والمتأخرين ما معناه ان رؤيته تعالى في الدنيا ممتنعة لضعف تركيب اهل الدنيا وقواهم وكونها متغيرة غرضا للآفات

والغض، فلم تكن لهم قوة على الرؤية، فإذا كان في الآخرة وركبوا تركيبا آخر ورزقوا
قوة ثابتة باقية وأتم أنوار أبصارهم وقلوبهم قووا بها على الرؤية، وقد رأيت نحو
هذا لمالك بن أنس رحمه الله قال: لم ير في الدنيا لأنه باق ولا يرى الباقي بالفاني
فإذا كان في الآخرة ورزقوا أبصارا باقية رأى الباقي بالباقي، وهذا كلام حسن
مليح، وليس فيه دليل على الاستحالة إلا من حيث ضعف القدرة، فإذا قوّى
الله تعالى من شاء من عباده وأقدره على حمل أعباء الرؤية لم تمتنع في حقه
وقد تقدم ما ذكر في قوة بصر موسى ومحمد عليهما السلام ونفوذ إدراكهما بقوة إلهية
منحاها لإدراك ما أدركاه ورؤية ما رأياه والله أعلم، وقد ذكر القاضي أبو بكر في أثناء
أجوبته عن الآيتين ما معناه أن موسى عليه السلام رأى الله فلذلك خر صعقا
وأن الجبل رأى ربه فصار دكا بإدراك خلقه الله تعالى له، واستنبط ذلك
والله أعلم من قوله تعالى ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني
ثم قال فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا، وتجليه للجبل هو ظهوره له
حتى رآه على هذا القول، وقال جعفر بن محمد شغله بالجبل حتى تجلى ولولا ذلك لمات
صعقا بلا إفاقة، وقوله هذا يدل على أن موسى رآه، وقد وقع لبعض المفسرين
في الجبل أنه رآه، وبرؤية الجبل له استدل من قال برؤية محمد نبينا صلى الله عليه وسلم
له إذ جعله دليلا على الجواز، ولا مرية في الجواز إذ ليس في الآيات نص في المنع، وأما وجوبه
لنبينا صلى الله عليه وسلم والقول بأنه رآه بعينه فليس فيه قاطع أيضا ولا نص، إذ المعول
فيه على آيتي النجم، والتنازع فيهما مأثور، والاحتمال لهما ممكن، ولا أثر قاطع متواتر عن
النبي صلى الله عليه وسلم بذلك، وحديث ابن عباس خبر عن اعتقاده
لم يسنده إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيجب العمل باعتقاد مضمنه، ومثله حديث
أبي ذر في تفسير الآية، وحديث معاذ محتمل للتأويل وهو مضطرب الإسناد
والمتن، وحديث أبي ذر الآخر مختلف محتمل مشكل، فروي نور أنى أراه، وحكى
بعض شيوخنا أنه روي نوراني أراه، وفي حديثه الآخر سألته فقال رأيت نورا
وليس يمكن الاحتجاج بواحد منها على صحة الرؤية، فإن كان الصحيح رأيت نورا فهو قد
أخبر أنه لم ير الله وإنما رأى نورا منعه وحجبه عن رؤية الله تعالى، وإلى هذا يرجع

قوله نور أنى أراه، أي كيف أراه مع حجاب النور المغشي للبصر، وهذا مثل
ما في الحديث الآخر حجابه النور، وفي الحديث الآخر لم أره بعيني ولكن رأيته بقلبي
مرتين، وتلا ثم دنا فتدلى، والله قادر على خلق الإدراك الذي في البصر في القلب
أو كيف شاء لا إله غيره، فإن ورد حديث نص بين في الباب اعتقد ووجب
المصير إليه إذ لا استحالة فيه ولا مانع قطعي يرده، والله الموفق تعالى

فصل وأما ما ورد في هذه القصة من مناجاته لله وكلامه معه بقوله
تعالى فأوحى إلى عبده ما أوحى إلى ما تضمنته الأحاديث، فأكثر المفسرين على أن الموحي
الله إلى جبريل وجبريل إلى محمد إلا شذوذا منهم، فذكر عن جعفر بن محمد الصادق
قال أوحى الله إليه بلا واسطة، ونحوه عن الواسطي، وإلى هذا ذهب بعض المتكلمين
أن محمدا كلم ربه في الإسراء، وحكي عن الأشعري، وحكوه عن ابن مسعود وابن عباس
رضي الله عنهم، وأنكره آخرون، وذكر النقاش عن ابن عباس في قصة الإسراء
عنه عليه السلام في قوله تعالى دنا فتدلى قال فارقني جبريل فانقطعت الأصوات
عني فسمعت كلام ربي وهو يقول ليهدأ روعك يا محمد ادن ادن، وفي حديث
أنس في الإسراء نحو منه، وقد احتجوا في هذا بقوله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله
إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء، فقالوا هي
ثلاثة أقسام من وراء حجاب كتكليم موسى عليه السلام، وبإرسال الملائكة كحال
جميع الأنبياء عليهم السلام وأكثر أحوال نبينا صلى الله عليه وسلم، الثالث قوله وحيا
ولم يبق من تقسيم صور الكلام إلا المشافهة مع المشاهدة، وقد قيل الوحي هنا
ما يلقيه في قلب النبي صلى الله عليه وسلم دون واسطة، وقد ذكر أبو بكر البزار عن علي
رضي الله عنه في حديث الإسراء ما هو أوضح في سماع النبي صلى الله عليه وسلم لكلام الله
من الآية، فذكر فيه فقال الملك الله أكبر الله أكبر، فقيل من وراء الحجاب صدق
عبدي أنا أكبر أنا أكبر، وقال في سائر كلمات الأذان مثل ذلك، ويجيء الكلام في مشكل
هذين الحديثين في الفصل بعد هذا مع ما يشبهه، وفي أول فصل من الباب منه
وكلام الله لمحمد صلى الله عليه وسلم ومن اختصه من أنبيائه جائز غير ممتنع عقلا
ولا ورد في الشرع قاطع يمنعه، فإن صح في ذلك خبر اعتمد عليه، وكلامه تعالى لموسى عليه السلام

بكسر اللام وفتح المثناة التحتية وسكون الهاء ... وهمزة الساكن

كائن حق مقطوع به نص ذلك في الكتاب وأكده بالمصدر دلالة على الحقيقة ورفع
مكانه على ما ورد في الحديث في السماء العرش بسبب كلامه ويرفع محمدا فوق هذا كله
حتى بلغ مستوى وسمع صريف الأقلام فكيف يستحيل في حق هذا أو يبعد سماع
الكلام فسبحان من خص من شاء بما شاء وجعل بعضهم فوق بعض درجات
فصل وأما ما ورد في حديث الإسراء وظاهر الآية من الدنو والقرب من قوله
دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فأكثر المفسرين أن الدنو والتدلي منقسم
ما بين محمد وجبريل عليهما السلام أو مختص بأحدهما من الآخر أو من السدرة المنتهى
قال الرازي وقال ابن عباس هو محمد دنا فتدلى من ربه وقيل معنى دنا قرب وتدلى
زاد في القرب وقيل هما بمعنى واحد أي قرب وحكى مكي والماوردي عن ابن عباس
هو الرب دنا من محمد فتدلى إليه أي أمره وحكمه وحكى النقاش عن الحسن قال دنا
من عبده محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى فقرب منه فأراه ما شاء أن يريه
من قدرته وعظمته قال ابن عباس هو مقدم ومؤخر تدلى الرفرف لمحمد صلى الله عليه
وسلم ليلة المعراج فجلس عليه ثم رفع فدنا من ربه قال فارقني جبريل وانقطعت
عني الأصوات وسمعت كلام ربي وعن أنس في الصحيح عرج بي جبريل إلى سدرة المنتهى
ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى فأوحى إليه بما شاء
وأوحى إليه خمسين صلاة وذكر حديث الإسراء وعن محمد بن كعب هو محمد دنا من ربه فكان
قاب قوسين قال وقال جعفر بن محمد أدناه ربه منه حتى كان منه كقاب قوسين وقال
جعفر بن محمد والدنو من الله لا حد له ومن العباد بالحدود وقال أيضا
انقطعت الكيفية عن الدنو ألا ترى كيف حجب جبريل عن دنوه ودنا محمد إلى ما أودع قلبه
من المعرفة والإيمان فتدلى بسكون قلبه إلى ما أدناه وزال عن قلبه الشك والارتياب
قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه اعلم أن ما وقع من إضافة الدنو والقرب هنا
من الله أو إلى الله فليس بدنو مكان ولا قرب مدى بل كما ذكرنا عن جعفر الصادق
ليس بدنو حد وإنما دنو النبي من ربه وقربه منه إبانة عظيم منزلته وتشريف رتبته
وإشراق أنوار معرفته ومشاهدة أسرار غيبه وقدرته ومن الله تعالى له مبرة
وتأنيس وبسط وإكرام ويتأول فيه ما يتأول في قوله ينزل ربنا إلى سماء الدنيا على

مطلب فيه ذكر رفرف

على أحد الوجوه نزول إفضال وإجمال وقبول وإحسان **قال الواسطي** من توهم أنه
دنا جعل ثم مسافة بل كل ما دنا بنفسه من الحق تدلى بعدا يعني عن درك
حقيقته إذ لا دنو للحق ولا بعد وقوله قاب قوسين أو أدنى فمن جعل الضمير عائدا
إلى الله لا إلى جبريل على هذا كان عبارة عن نهاية القرب ولطف المحل واتضاح
المعرفة والإشراف على الحقيقة من محمد صلى الله عليه وسلم وعبارة عن إجابة
الرغبة وقضاء المطالب وإظهار التحفي وإنافة المنزلة والمرتبة من الله له ويتأول فيه
ما يتأول في قوله من تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا ومن أتاني يمشي أتيته
هرولة قرب بالإجابة والقبول وإتيان بالإحسان وتعجيل المأمول **فصل**
في ذكر تفضيله في القيامة بخصوص الكرامة حدثنا القاضي أبو علي حدثنا أبو الفضل
وأبو الحسين قالا حدثنا أبو يعلى حدثنا السنجي حدثنا ابن محبوب حدثنا الترمذي
حدثنا حسين بن يزيد الكوفي حدثنا عبد السلام بن حرب عن ليث عن الربيع بن أنس
عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أول الناس خروجا إذا بعثوا
وأنا خطيبهم إذا وفدوا وأنا مبشرهم إذا أيسوا لواء الحمد بيدي وأنا أكرم ولد آدم
على ربي ولا فخر وفي رواية ابن زحر عن الربيع بن أنس في لفظ هذا الحديث أنا أول الناس
خروجا إذا بعثوا وأنا قائدهم إذا وفدوا وأنا خطيبهم إذا أنصتوا وأنا شفيعهم إذا حبسوا
وأنا مبشرهم إذا أبلسوا لواء الحمد بيدي وأنا أكرم ولد آدم على ربه ولا فخر ويطوف علي
ألف خادم كأنهم لؤلؤ مكنون وعن أبي هريرة وأكسى حلة من حلل الجنة ثم أقوم عن يمين
العرش ليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري وعن أبي سعيد قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي
يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي وأنا أول من تنشق الأرض عنه ولا فخر وعن أبي
هريرة عنه صلى الله عليه وسلم قال أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من تنشق عنه القبر
وأول شافع وأول مشفع وعن ابن عباس أنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وأنا أول
شافع وأول مشفع ولا فخر وأنا أول من يحرك حلق الجنة فيفتح لي فيدخلنيها ومعي فقراء
المؤمنين ولا فخر وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر وعن أنس أنا أول الناس يشفع
في الجنة وأنا أكثر الناس تبعا وعن أنس قال النبي صلى الله عليه وسلم أنا سيد الناس

يوم القيمة ولا يدرون بم ذلك يجمع الله الاولين والآخرين وذكر حديث الشفاعة
وعن ابي هريرة انه عليه السلام قال اطمع ان اكون اعظم الانبياء اجرا يوم القيمة
وفي حديث آخر اما ترضون ان يكون ابرهيم وعيسى فيكم يوم القيمة ثم قال انهما في امتي
يوم القيمة اما ابرهيم فيقول انت دعوتي وذريتي فاجعلني من امتك واما عيسى فالانبياء
اخوة بنو علات امهاتهم شتى وان عيسى اخي ليس بيني وبينه نبي وانا اولى
الناس به قوله انا سيد الناس يوم القيمة هو سيدهم في الدنيا ويوم القيمة ولكن
اشار عليه السلام لانفراده فيه بالسودد والشفاعة دون غيره اذ لجا الناس اليه
في ذلك فلم يجدوا سواه والسيد هو الذي يلجا الناس اليه في حوائجهم فكان حينئذ
سيدا منفردا من بين البشر لم يزاحمه احد في ذلك ولا ادعاه كما قال تعالى لمن الملك
اليوم لله الواحد القهار والملك له تعالى في الدنيا والآخرة لكن في الآخرة انقطعت
دعوى المدعين لذلك في الدنيا وكذلك لجا الى محمد صلى الله عليه وسلم جميع الناس
في الشفاعة فكان سيدهم في الاخرى دون دعوى وعن انس قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم آتي باب الجنة يوم القيمة فاستفتح فيقول الخازن من انت فاقول
محمد فيقول بك امرت ان لا افتح لاحد قبلك وعن عبد الله بن عمرو قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء وماؤه ابيض من الورق وريحه
اطيب من المسك كيزانه كنجوم السماء من شرب منه لم يظما ابدا وعن ابي ذر نحوه
وقال طوله ما بين عمان الى ايلة يشخب فيه ميزابان من الجنة وعن ثوبان مثله وفي
احدهما من ذهب والآخر من ورق وفي رواية حارثة بن وهب كما بين المدينة
وصنعاء وقال انس ايلة وصنعاء وقال ابن عمر كما بين الكوفة والحجر الاسود وروى
حديث الحوض ايضا جابر بن سمرة وابن عمر وعقبة بن عامر وحارثة بن وهب
الخزاعي والمستورد وابو برزة الاسلمي وحذيفة بن اليمان وابو امامة وزيد بن ارقم
وابن مسعود وعبد الله بن زيد وسهل بن سعد وسويد بن جبلة وابو بكر وعمر بن الخطاب
وابن بريدة وابو سعيد الخدري وعبد الله بن الصنابحي وابو هريرة والبراء وجندب
وعائشة واسماء ابنتا ابي بكر وابو بكرة وخولة بنت قيس وغيرهم رضي الله عنهم اجمعين

فصل في تفضيله بالمحبة والخلة

جاءت بذلك الآثار الصحيحة واختص عليه السلام على

السنة المسلمين بحبيب الله اخبرنا ابو القسم بن ابرهيم الخطيب وغيره عن كريمة
بنت احمد حدثنا حسين بن محمد الحافظ سماعا عليه حدثنا القاضي ابو الوليد
حدثنا عبد بن احمد حدثنا ابو الهيثم حدثنا ابو عبد الله محمد بن يوسف حدثنا محمد
ابن اسمعيل حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا ابو عامر حدثنا فليح حدثنا ابو النضر عن بسر
بن سعيد عن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو كنت متخذا خليلا
غير ربي لاتخذت ابا بكر وفي حديث آخر وان صاحبكم خليل الله ومن طريق عبد الله
ابن مسعود وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا وعن ابن عباس رضي الله عنه قال جلس
ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظرونه قال فخرج حتى اذا دنا منهم
سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم عجبا ان الله اتخذ من خلقه ابرهيم عليه السلام
خليلا وقال آخر ماذا باعجب من كلام موسى كلمه الله تكليما وقال آخر فعيسى كلمة الله
وروحه وقال آخر آدم اصطفاه الله فخرج عليهم فسلم وقال قد سمعت كلامكم
وعجبكم ان الله اتخذ ابرهيم خليلا وهو كذلك وموسى نجي الله وهو كذلك وعيسى
روح الله وهو كذلك وآدم اصطفاه الله وهو كذلك الا وانا حبيب الله ولا فخر
وانا حامل لواء الحمد يوم القيمة ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع ولا فخر وانا اول
من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر وانا اكرم
الاولين والآخرين ولا فخر وفي حديث ابي هريرة من قول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه
وسلم اني اتخذتك خليلا فهو مكتوب في التورية انت حبيب الرحمن قال القاضي
ابو الفضل رضي الله عنه اختلف في تفسير الخلة واصل اشتقاقها فقيل الخليل المنقطع
الى الله الذي ليس في انقطاعه اليه ومحبته له اختلال وقيل الخليل المختص واختار هذا
القول غير واحد وقال بعضهم اصل الخلة الاستصفاء وسمي ابرهيم خليل الله لانه
يوالي فيه ويعادي فيه وخلة الله له نصره وجعله اماما لمن بعده وقيل الخليل اصله الفقير
المحتاج المنقطع ماخوذ من الخلة وهي الحاجة فسمي بها ابرهيم لانه قصر حاجته على ربه
وانقطع اليه بهمه ولم يجعله قبل غيره اذ جاءه جبريل وهو في المنجنيق ليرمى في النار
فقال الك حاجة قال اما اليك فلا وقال ابو بكر بن فورك الخلة صفاء المودة التي
توجب الاختصاص بتخلل الاسرار وقال بعضهم اصل الخلة المحبة ومعناها الاسعاف

والا لنقطاع والترفيع والتشفيع وقد بين ذلك تعالى في كتابه بقوله وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم فاوجب ان المحبوب ان لا يؤاخذ بذنوبه قال هذا والخلة اقوى من البنوة لان البنوة قد يكون فيها العداوة كما قال تعالى ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم ولا يصح ان تكون عداوة مع خلة فاذا تسمية ابرهيم ومحمد عليهما السلام بالخلة اما بانقطاعهما الى الله ووقف حوائجهما عليه والانقطاع عمن دونه والاضراب عن الوسائط والاسباب او لزيادة الاختصاص منه تعالى لهما وخفي الطافه عندهما وما خالل بواطنهما من اسرار الهيته ومكنون غيوبه ومعرفته او لاستصفائه لهما او استصفاء قلوبهما عمن سواه حتى لم يخل لهما حب لغيره ولهذا قال بعضهم الخليل من لا يتسع قلبه لسواه وهو عندهم معنى قوله عليه السلام لو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا لكن اخوة الاسلام واختلف العلماء وارباب القلوب ايهما ارفع درجة الخلة او درجة المحبة فجعلهما بعضهم سواء فلا يكون الحبيب الا خليلا ولا الخليل الا حبيبا لكنه خص ابرهيم بالخلة ومحمدا بالمحبة وبعضهم قال درجة الخلة ارفع واحتج بقوله صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا غير ربي فلم يتخذه وقد اطلق المحبة عليه السلام لفاطمة وابنيها واسامة وغيرهم رضي الله عنهم واكثرهم جعل المحبة ارفع من الخلة لان درجة الحبيب نبينا ارفع من درجة الخليل ابرهيم عليهما السلام واصل المحبة الميل الى ما يوافق المحب ولكن هذا في حق من يصح الميل منه والانتفاع بالوفق وهي درجة المخلوق فاما الخالق جل جلاله فمنزه عن الاعراض فمحبته لعبده تمكينه من سعادته وعصمته وتوفيقه وتهيئة اسباب القرب وافاضة رحمته عليه وقصواها كشف الحجب عن قلبه حتى يراه بقلبه وينظر اليه ببصيرته فيكون كما قال في الحديث فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به ولا ينبغي ان يفهم من هذا سوى التجرد لله والانقطاع الى الله والاعراض عن غير الله وصفاء القلب لله واخلاص الحركات لله كما قالت عائشة رضي الله عنها كان خلقه القرآن برضاه يرضى وبسخطه يسخط ومن هذا عبر بعضهم عن الخلة بقوله

قد تخللت مسلك الروح مني	وبذا سمي الخليل خليلا
فاذا ما نطقت كنت حديثي	واذا ما سكت كنت الغليلا

فاذا ثبت الخلة وخصوصية المحبة حكم بصحة للنبي صلى الله عليه وسلم بما دلت عليه الآثار الصحيحة المنتشرة المتلقاة بالقبول من الامة وكفى بقوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله الآية حكى اهل التفسير ان هذه الآية لما نزلت قال الكفار انما يريد محمد ان نتخذه حنانا كما اتخذت النصارى عيسى فانزل الله غيظا لهم ورغما على مقالتهم هذه الآية قل اطيعوا الله والرسول فزاده شرفا بامرهم بطاعته وقرنها بطاعته ثم توعدهم على التولي عنه بقوله فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين وقد نقل الامام ابو بكر بن فورك عن بعض المتكلمين كلاما في الفرق بين المحبة والخلة يطول جملة اشارته الى تفضيل مقام المحبة على الخلة ونحن نذكر منه طرفا يهدي الى ما بعده فمن ذلك قولهم الخليل يصل بالواسطة من قوله وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات والارض والحبيب يصل لحبيبه من قوله فكان قاب قوسين او ادنى وقيل الخليل الذي يكون مغفرته في حد الطمع من قوله والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي والحبيب الذي مغفرته في حد اليقين من قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم الآية والخليل قال لا تخزني والحبيب قيل له يوم لا يخزي الله النبي فابتدأ بالبشارة قبل السؤال والخليل قال في المحنة حسبي الله والحبيب قيل له يا ايها النبي حسبك الله والخليل قال واجعل لي لسان صدق والحبيب قيل له ورفعنا لك ذكرك اعطي بلا سؤال والخليل قال واجنبني وبني ان نعبد الاصنام والحبيب قيل له انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت وفيما ذكرناه تنبيه على مقصد اصحاب هذا المقال من تفضيل المقامات والاحوال وكل يعمل على شاكلته فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا

فصل في تفضيله بالشفاعة والمقام المحمود قال الله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا اخبرنا الشيخ ابو علي الغساني الجياني فيما كتب الي بخطه قال حدثنا سراج بن عبد الله القاضي حدثنا ابو محمد الاصيلي حدثنا ابو زيد وابو احمد قالا حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا اسمعيل بن ابان حدثنا ابو الاحوص عن آدم بن علي قال سمعت ابن عمر يقول ان الناس يصيرون يوم القيمة جثا كل امة تتبع نبيها يقولون يا فلان اشفع لنا يا فلان اشفع لنا حتى تنتهي الشفاعة الى النبي صلى الله عليه وسلم فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود وعن ابي هريرة سئل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا فقال

أي الشفاعة وروى كعب بن مالك عنه عليه السلام يحشر الناس يوم القيمة فأكون
أنا وأمتي على تل ويكسوني ربي حلة خضراء ثم يؤذن لي فأقول ما شاء الله أن أقول فذلك
المقام المحمود وعن عمر وذكر حديث الشفاعة قال فيمشي حتى يأخذ بحلقة الجنة
فيومئذ يبعثه الله المقام المحمود الذي وعده وعن ابن مسعود عنه عليه السلام أنه قال
قيامه عن يمين العرش مقاما لا يقومه غيره يغبطه فيه الأولون والآخرون ونحوه عن
الحسن وفي رواية هو المقام الذي أشفع لأمتي فيه وعن ابن مسعود قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم إني لقائم المقام المحمود قيل وما هو قال ذلك يوم ينزل الله تبارك
وتعالى الحديث وعن أبي موسى عنه عليه السلام خيرت بين أن يدخل نصف أمتي
الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة لأنها أعم أترونها للمتقين ولكنها
للمذنبين الخطائين وعن أبي هريرة قلت يا رسول الله ماذا ورد عليك في الشفاعة
فقال شفاعتي لمن شهد أن لا إله إلا الله مخلصا يصدق لسانه قلبه وعن أم حبيبة
قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أريت ما تلقى أمتي من بعدي وسفك
بعضهم دماء بعض وسبق لهم من الله ما سبق للأمم قبلهم فسألت الله أن
يؤتيني شفاعة يوم القيمة فيهم ففعل وقال حذيفة يجمع الله الناس في صعيد واحد
حيث يسمعهم الداعي وينفذهم البصر حفاة عراة كما خلقوا سكوتا لا تكلم نفس
إلا بإذنه فينادي محمد فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك والشر ليس إليك
والمهدي من هديت وعبدك بين يديك ولك وإليك لا ملجأ ولا منجا منك
إلا إليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت قال فذلك المقام المحمود
الذي ذكر الله وقال ابن عباس إذا دخل أهل النار النار وأهل الجنة الجنة
فيبقى آخر زمرة من الجنة وآخر زمرة من النار فيقول زمرة النار لزمرة الجنة
ما نفعكم إيمانكم فيدعون ربهم ويضجون فيسمعهم أهل الجنة فيسألون آدم وغيره
بعده في الشفاعة لهم فكل يعتذر حتى يأتوا محمدا فيشفع لهم فذلك المقام المحمود
ونحوه عن ابن مسعود أيضا ومجاهد وذكره علي بن الحسين عن النبي صلى الله عليه
وسلم وقال جابر بن عبد الله ليزيد الفقير سمعت بمقام محمد يعني الذي يبعثه الله
فيه قال نعم قال فإنه مقام محمد المحمود الذي يخرج الله به من يخرج يعني من النار وذكر حديث

بضم الهمزة وضم المثناة الفوقية وفتح الراء [illegible] للمتقين بالمثناة الفوقية جمع متق ه

ينفذهم البصر يخرقهم ويتجاوزهم ولا يخفى عليهم أحد [illegible] الأرض وهو بفتح أوله وذاله معجمة [illegible] ه

حديث الشفاعة في إخراج الجهنميين وعن أنس نحوه وقال فهذا المقام المحمود
الذي وعده وعن شيبان المقام المحمود هو الشفاعة في أمته يوم القيمة
وقال قتادة كان أهل العلم يرون المقام المحمود شفاعته يوم القيمة
وعلى أن المقام المحمود هو مقامه عليه السلام للشفاعة مذاهب السلف
من الصحابة والتابعين وعامة أئمة المسلمين وبذلك جاءت مفسرة
في صحيح الأخبار عنه عليه السلام وجاءت مقالة في تفسيرها شاذة
عن بعض السلف يجب أن لا تثبت إذ لم يعضدها صحيح أثر ولا سند ونظر
ولو صحت لكان لها تأويل غير مستنكر لكن ما فسره النبي عليه السلام وفي صحيح
الآثار يرده فلا يجب أن يلتفت إليه مع أنه لم يأت في الكتاب ولا السنة ولا
اتفقت على المقال به أئمة وفي إطلاق ظاهره منكر من القول وفي رواية أنس
وأبي هريرة وغيرهما دخل حديث بعضهم في بعض قال عليه السلام يجمع الله الأولين
والآخرين يوم القيمة فيهتمون أو قال فيلهمون فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا
ومن طريق عنه ماج الناس بعضهم في بعض وعن أبي هريرة وتدنو الشمس
فيبلغ الناس من الغم ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقولون ألا تنظرون من يشفع
لكم فيأتون آدم فيقولون زاد بعضهم أنت آدم أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ
فيك من روحه وأسكنك جنته وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء اشفع لنا
عند ربك حتى يريحنا من مكاننا ألا ترى ما نحن فيه فيقول إن ربي غضب اليوم غضبا
لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله ونهاني عن الشجرة فعصيت نفسي نفسي
اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى نوح فيأتون نوحا فيقولون أنت أول الرسل إلى أهل
الأرض وسماك الله عبدا شكورا ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما بلغنا ألا تشفع
إلى ربك فيقول إن ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده
مثله نفسي نفسي قال في رواية أنس ويذكر خطيئته التي أصاب سؤاله ربه بغير علم
وفي رواية أبي هريرة وقد كانت لي دعوة دعوتها على قومي اذهبوا إلى غيري اذهبوا
إلى إبراهيم فإنه خليل الله فيأتون إبراهيم فيقولون أنت نبي الله وخليله من أهل
الأرض اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه فيقول إن ربي قد غضب اليوم غضبا

الإلهام أن يلقي الله في النفس أمرا يبعثه على الفعل أو الترك وهو نوع من الوحي يخص به من يشاء من عباده ه

الشجرة قيل السنبلة وقيل الكرم وقيل التين وقيل النخلة وقيل الكافور ه

بضم العين المعجمة قال النووي وضبطه بعض المتأخرين بالفتح والإسكان ويدل للأول قوله في حديث آخر ألا ترون ما قد بلغكم لو كان بالسكون لقال بلغتم ه

فيذكر سنة ويذكر ثلث كلمات كذبهن نفسي نفسي لست لها ولكن عليكم بموسى
فانه كليم الله وفي رواية فانه عبد الله اتاه التورية وكلمه وقربه نجيا قال فيأتون
موسى فيقول لست لها ويذكر خطيئته التي اصاب وقتله النفس نفسي نفسي
ولكن عليكم بعيسى فانه روح الله وكلمته فيأتون عيسى فيقول لست لها ولكن
عليكم بمحمد عبد قد غفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر فيأتوني فاقول انا لها فانطلق
فاستأذن على ربي فيؤذن لي فاذا رأيته وقعت ساجدا وفي رواية فآتي تحت
العرش فاخر ساجدا وفي رواية فاقوم بين يديه فاحمده بمحامد لا اقدر عليها الا
ان يلهمنيها الله وفي رواية فيفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئا
لم يفتحه لاحد قبلي قال في رواية ابي هريرة فيقال يا محمد ارفع رأسك سل تعطه
واشفع تشفع فارفع رأسي فاقول يا رب امتي يا رب امتي فيقول ادخل من امتي
من لا حساب عليه من الباب الايمن من ابواب الجنة وهم شركاء الناس
فيما سوى ذلك من الابواب ولم يذكر في رواية انس هذا الفصل وقال مكانه
ثم اخر ساجدا فيقال لي يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك واشفع تشفع وسل
تعطه فاقول يا رب امتي امتي فيقال انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من برة
او شعيرة من ايمان فاخرجه فانطلق فافعل ثم ارجع الى ربي فاحمده بتلك المحامد وذكر
مثل الاول وقال فيه مثقال حبة من خردل قال فافعل ثم ارجع وذكر مثل ما تقدم
وقال فيه من كان في قلبه ادنى ادنى ادنى من مثقال حبة من خردل فافعل وذكر
في المرة الرابعة فيقال لي ارفع رأسك وقل يسمع واشفع تشفع وسل تعطه
فاقول يا رب ائذن لي فيمن قال لا اله الا الله قال ليس ذلك اليك ولكن وعزتي
وكبريائي وعظمتي وجبريائي لاخرجن من النار من قال لا اله الا الله ومن رواية قتادة
عنه قال فلا ادري في الثالثة او الرابعة فاقول يا رب ما بقي في النار الا من حبسه
القرآن اي وجب عليه الخلود وعن ابي بكر وعقبة بن عامر وابي سعيد وحذيفة
مثله قال فيأتون محمدا فيؤذن له وتأتي الامانة والرحم فيقومان جنبتي الصراط وذكر
في رواية ابي مالك عن حذيفة فيأتون محمدا فيشفع فيضرب الصراط فيمرون اولهم
كالبرق ثم كالريح والطير وشد الرجال ونبيكم صلى الله عليه وسلم على الصراط يقول

ويقول اللهم سلم سلم حتى يجتاز الناس وذكر آخرهم جوازا الحديث وفي رواية
ابي هريرة فاكون اول من يجيز وعن ابن عباس رضي الله عنه عليه السلام توضع
للانبياء منابر يجلسون عليها ويبقى منبري لا اجلس عليه قائما بين يدي ربي
منتصبا فيقول الله تبارك وتعالى ما تريد ان اصنع بامتك فيقول يا رب
عجل حسابهم فيدعى بهم فيحاسبون فمنهم من يدخل الجنة برحمته ومنهم من يدخل الجنة
بشفاعتي ولا ازال اشفع حتى اعطى صكاكا برجال قد امر بهم الى النار حتى ان خازن
النار ليقول يا محمد ما تركت لغضب ربك في امتك من نقمة ومن طريق زياد النميري
عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انا اول من تنفلق الارض
عن جمجمته ولا فخر وانا سيد الناس يوم القيمة ولا فخر ومعي لواء الحمد يوم القيمة وانا
اول من تفتح له الجنة ولا فخر فآتي فآخذ بحلقة الجنة فيقال من هذا فاقول محمد فيفتح
لي فيستقبلني الجبار تعالى فاخر له ساجدا وذكر نحو ما تقدم ومن رواية
انس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاشفعن يوم القيمة لاكثر
مما في الارض من حجر وشجر فقد اجتمع من اختلاف الفاظ هذه الآثار ان شفاعته
عليه السلام ومقامه المحمود من اول الشفاعات الى آخرها من حين تجتمع الناس
للحشر وتضيق بهم الحناجر ويبلغ منهم العرق والشمس والوقوف مبلغه وذلك
وذلك قبل الحساب فيشفع حينئذ لاراحة الناس من الموقف ثم يوضع الصراط
ويحاسب الناس كما جاء في الحديث عن ابي هريرة وحذيفة وهذا الحديث اتقن
فيشفع في تعجيل من لا حساب عليه من امته الى الجنة كما تقدم في الحديث ثم يشفع
فيمن وجب عليه العذاب ودخل النار منهم حسب ما تقتضيه الاحاديث الصحيحة
ثم فيمن قال لا اله الا الله وليس هذا لسواه صلى الله عليه وسلم وفي الحديث المنتشر
الصحيح لكل نبي دعوة يدعو بها واختبأت دعوتي شفاعة لامتي يوم القيمة قال
اهل العلم معناه دعوة اعلم انها تستجاب لهم ويبلغ فيها مرغوبهم والا فكم لكل نبي
منهم دعوة مستجابة ولنبينا صلى الله عليه وسلم منها ما لا يعد لكن حالهم عند الدعاء
بها بين الرجاء والخوف وضمنت لهم اجابة دعوة فيما شاءوه يدعون بها على يقين
من الاجابة وقد قال محمد بن زياد وابو صالح عن ابي هريرة في هذا الحديث لكل نبي

صكاك بكسر المهملة وتخفيف الكاف جمع صك بفتح الصاد وتشديد الكاف وهو الكتاب

دعوة دعا بها في امته فاستجيب له واني اريد ان اؤخر دعوتي شفاعة لامتي يوم القيمة
وفي رواية ابي صالح لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته ونحوه في رواية
ابي زرعة عن ابي هريرة وعن انس مثل رواية ابن زياد عن ابي هريرة فتكون
هذه الدعوة المذكورة مخصوصة بالامة مضمونة الاجابة والا فقد اخبر صلى الله عليه
وسلم انه سال لامته اشياء من امور الدين والدنيا اعطي بعضها ومنع بعضها
وادخر لهم هذه الدعوة ليوم الفاقة وخاتمة المحن وعظيم السؤال والرغبة جزاه
الله احسن ما جزى نبيا عن امته صلى الله عليه وسلم **فصل في تفضيله في الجنة
بالوسيلة والدرجة الرفيعة والكوثر والفضيلة** حدثنا القاضي ابو عبد الله
محمد بن عيسى التميمي والفقيه ابو الوليد هشام بن احمد الفقيه بقراءتي عليه قالا حدثنا ابو علي الغساني
حدثنا النمري حدثنا ابن عبد المؤمن حدثنا ابو بكر التمار حدثنا ابو داود حدثنا
محمد بن سلمة حدثنا ابن وهب عن ابن ابي لهيعة وحيوة وسعيد بن ابي ايوب
عن كعب بن علقمة عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو بن العاص
رضي الله عنهم انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول اذا سمعتم المؤذن فقولوا
مثل ما يقول ثم صلوا علي فانه من صلى علي مرة صلى الله عليه عشرا ثم سلوا الله
تعالى لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا تنبغي الا لعبد من عباد الله وارجو ان
اكون انا هو فمن سال الله تعالى لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة وفي حديث
آخر عن ابي هريرة الوسيلة اعلى درجة في الجنة وعن انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
بينا انا اسير في الجنة اذ عرض لي نهر حافتاه قباب اللؤلؤ قلت لجبريل ما هذا قال
هذا الكوثر الذي اعطاكه الله قال ثم ضرب بيده الى طينته فاستخرج مسكا وعن عائشة
وعبد الله بن عمرو مثله قال ومجراه على الدر والياقوت وماؤه احلى من العسل وابيض
من الثلج وفي رواية عنه فاذا هو يجري ولم يشق شقا عليه حوض ترد عليه امتي
وذكر حديث الحوض ونحوه عن ابن عباس وعن ابن عباس ايضا قال الكوثر الخير
الذي اعطاه الله اياه وقال سعيد بن جبير والنهر الذي في الجنة من الخير الذي اعطاه
وعن حذيفة فيما ذكر عليه السلام عن ربه واعطاني الكوثر نهرا في الجنة يسيل في حوضي
وعن ابن عباس في قوله ولسوف يعطيك ربك فترضى قال الف قصر من لؤلؤ

ترابهن المسك وفيه ما يصلحهن وفي رواية اخرى وفيه ما ينبغي له من الازواج والخدم
**فصل فان قلت اذا تقرر من دليل القرآن وصحيح الاثر واجماع الامة كونه اكرم
البشر** وافضل الانبياء فما معنى الاحاديث الواردة بنهيه عن التفضيل كقوله فيما
حدثناه الاسدي قال حدثنا السمرقندي قال حدثنا الفارسي قال حدثنا الجلودي
قال حدثنا ابن سفيان قال حدثنا مسلم قال حدثنا ابن مثنى قال حدثنا محمد بن جعفر قال
حدثنا شعبة عن قتادة قال سمعت ابا العالية يقول حدثني ابن عم نبيكم صلى الله
عليه وسلم يعني ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما ينبغي لعبد ان يقول
انا خير من يونس بن متى وفي غير هذا الطريق عن ابي هريرة قال يعني رسول الله
ما ينبغي لعبد الحديث **وفي حديث** ابي هريرة في اليهودي الذي قال والذي اصطفى موسى
على البشر فلطمه رجل من الانصار وقال تقول ذلك ورسول الله صلى الله عليه و
سلم بين اظهرنا فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا تفضلوا بين الانبياء
وفي رواية لا تخيروني على موسى فذكر الحديث وفيه ولا اقول ان احدا افضل من يونس
بن متى وعن ابي هريرة من قال انا خير من يونس بن متى فقد كذب وعن ابن مسعود
لا يقولن احدكم انا خير من يونس بن متى وفي حديثه الآخر فجاءه رجل فقال يا خير البرية
فقال ذاك ابراهيم فاعلم ان للعلماء في هذه الاحاديث تاويلات **احدها** ان نهيه
عن التفضيل كان قبل ان يعلم انه سيد ولد آدم فنهى عن التفضيل اذ يحتاج الى توقيف
وان من فضل بلا علم فقد كذب وكذلك لا اقول ان احدا افضل منه لا يقتضي تفضيله
هو وانما هو في الظاهر كف عن التفضيل **الوجه الثاني** انه قال صلى الله عليه وسلم
على طريق التواضع ونفي التكبر والعجب وهذا لا يسلم من الاعتراض **الوجه الثالث**
ان لا يفضل بينهم تفضيلا يؤدي الى تنقص بعضهم او الغض منه لا سيما في جهة يونس عليه
السلام اذ اخبر الله عنه بما اخبر لئلا يقع في نفس من لا علم له منه بذلك غضاضة و
انحطاط من رتبته الرفيعة اذ قال تعالى عنه اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر
عليه فربما يخيل لمن لا علم عنده حطيطته بذلك **الوجه الرابع** منع التفضيل في حق النبوة والرسالة
فان الانبياء فيها على حد واحد لا تتفاضل وانما التفاضل في زيادة الاحوال والخصوص
والكرامات والرتب والالطاف واما النبوة في نفسها فلا تتفاضل وانما التفاضل

نقيض خ

الغاية خ

بأمور زائدة عليها ولذلك منهم رسل ومنهم أولو عزم من الرسل ومنهم من رفع
مكاناً عليا ومنهم من أوتي الحكم صبيا وأوتي بعضهم الزبر وبعضهم البينات ومنهم من
كلم الله ورفع بعضهم درجات قال الله تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض
الآية وقال تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الآية قال بعض أهل العلم والتفضيل
المراد لهم هنا في الدنيا وذلك بثلثة أحوال أن تكون آياته ومعجزاته أبهر وأشهر أو تكون
أمته أزكى وأكثر أو يكون في ذاته أفضل وأظهر وفضله في ذاته راجع إلى ما خصه الله
به من كراماته واختصاصه من كلام أو خلة أو رؤية أو ما شاء الله من ألطافه وتحف
ولايته واختصاصه وقد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن للنبوة أثقالاً وإن
يونس تفسخ منها تفسخ الربع فحفظ صلى الله عليه وسلم موضع الفتنة من أوهام من
يسبق إليه بها جرح في نبوته أو قدح في اصطفائه وحط من رتبته ووهن
في عصمته شفقة منه صلى الله عليه وسلم على أمته وقد يتوجه على هذا الترتيب
الوجه الخامس وهو أن يكون أنا راجعاً إلى القائل نفسه أي لا يظن أحد وإن
بلغ من الزكاء والعصمة والطهارة ما بلغ أنه خير من يونس لأجل ما حكى الله عنه
فإن درجة النبوة أفضل وأعلى وإن تلك الأقدار لم تحطه عنها حبة خردلة ولا أدنى
وسنزيد في القسم الثالث في هذا بياناً إن شاء الله تعالى فقد بان لك الغرض
وسقط بما حررناه شبهة المعترض **فصل في أسمائه عليه الصلاة والسلام
وما تضمنته من فضيلته** حدثنا أبو عمران موسى بن أبي تليد الفقيه قال حدثنا أبو عمر
الحافظ حدثنا سعيد بن نصر حدثنا قاسم بن أصبغ حدثنا محمد بن وضاح حدثنا
يحيى حدثنا مالك عن ابن شهاب عن جبير بن مطعم عن أبيه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لي خمسة أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي
الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب وقد سماه الله في كتابه
محمداً وأحمد فمن خصائصه تعالى له أن ضمن أسماءه ثناءه وطوى أثناء ذكره عظيم شكره
فأما اسمه أحمد فأفعل مبالغة من صفة الحمد ومحمد مفعل مبالغة من كثرة الحمد فهو صلى
الله عليه وسلم أجل من حمد وأفضل من حمد وأكثر الناس حمداً فهو أحمد المحمودين وأحمد
الحامدين ومعه لواء الحمد يوم القيمة ليتم له كمال الحمد ويشتهر في تلك العرصات بصفة الحمد

الحمد ويبعثه ربه هناك مقاماً محموداً كما وعده يحمده فيه الأولون والآخرون بشفاعته
لهم ويفتح عليه فيه من المحامد كما قال عليه الصلاة والسلام ما لم يعط غيره وسمي أمته
في كتب أنبيائه بالحمادين فحقيق أن يسمى محمداً وأحمد ثم في هذين الاسمين من عجائب
خصائصه وبدائع آياته فن آخر هو أن الله جل اسمه حمى أن يسمى بهما أحد قبل زمانه
أما أحمد الذي أتى في الكتب وبشرت به الأنبياء فمنع الله تعالى بحكمته أن يسمى به أحد غيره
ولا يدعى به مدعو قبله حتى لا يدخل لبس على ضعيف القلب أو شك وكذلك محمد أيضاً
لم يسم به أحد من العرب ولا غيرهم إلى أن شاع قبيل وجوده عليه السلام وميلاده أن
نبياً يبعث اسمه محمد فسمى قوم قليل من العرب أبناءهم بذلك رجاء أن يكون أحدهم هو
والله أعلم حيث يجعل رسالاته وهم محمد بن أحيحة بن الجلاح الأوسي ومحمد بن مسلمة الأنصاري
ومحمد بن براء البكري ومحمد بن سفيان بن مجاشع ومحمد بن حمران الجعفي ومحمد بن خزاعي
السلمي لا سابع لهم ويقال أول من سمي محمد بن سفيان واليمن تقول بل محمد بن يحمد
من الأزد ثم حمى الله كل من تسمى به أن يدعي النبوة أو يدعيها أحد له أو يظهر عليه سبب
يشكك أحداً في أمره حتى تحققت السمتان له صلى الله عليه وسلم ولم ينازع فيهما وأما
قوله عليه السلام وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر ففسر في الحديث ويكون محو الكفر
إما من مكة وبلاد العرب وما زوي له من الأرض ووعد أنه يبلغه ملك أمته
أو يكون المحو عاماً بمعنى الظهور والغلبة كما قال تعالى ليظهره على الدين كله وقد ورد تفسيره في
الحديث أنه الذي محيت به سيئات من اتبعه وقوله وأنا الحاشر الذي يحشر الناس
على قدمي أي على زماني وعهدي أي ليس بعدي نبي كما قال تعالى وخاتم النبيين وسمي
عاقباً لأنه عقب غيره من الأنبياء وقيل معنى على قدمي أي يحشر الناس بمشاهدتي كما قال
تعالى لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً وقيل معنى قوله لي خمسة أسماء
قيل إنها موجودة في الكتب المتقدمة وعند أولي العلم من الأمم السالفة والله أعلم
وقد روي عنه عليه السلام لي عشرة أسماء وذكر منها طه ويس حكاه مكي وقد قيل في بعض
تفاسير طه إنه يا طاهر يا هادي وفي يس يا سيد حكاه السلمي عن الواسطي وجعفر بن محمد
وذكر غيره لي عشرة أسماء فذكر الخمسة التي في الحديث الأول قال وأنا رسول الرحمة ورسول
الراحة ورسول الملاحم وأنا المقفي قفيت النبيين وأنا قيم والقيم الجامع الكامل

كما وجدته ولم اروه وارى ان صوابه قثم بالثاء كما ذكرناه بعد عن الحربي وهو اشبه
بالتفسير وقد وقع ايضا في كتب الانبياء قال داود عليه السلام اللهم ابعث لنا محمدا يقيم
السنة بعد الفترة فيكون القيم بمعناه وروى النقاش عنه عليه السلام لي في القران
سبعة اسماء محمد واحمد ويس وطه والمدثر والمزمل وعبد الله وفي حديث ابي موسى
الاشعري انه كان عليه السلام يسمي لنا نفسه اسماء فيقول انا محمد واحمد والمقفي والحاشر
ونبي التوبة ونبي الملحمة ويروى المرحمة والرحمة وكل صحيح ان شاء الله تعالى ومعنى المقفي
معنى العاقب واما نبي الرحمة والتوبة والمرحمة والراحة فقد قال الله تعالى وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين وكما وصفه بانه يزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم الى صراط
مستقيم وبالمؤمنين رؤف رحيم وقد قال في صفة امته انها امة مرحومة وقال تعالى
فيهم وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة اي يرحم بعضهم بعضا فبعثه عليه السلام ربه
رحمة لامته ورحمة للعالمين ورحيما بهم ومترحما مستغفرا لهم وجعل امته امة مرحومة ووصفها
بالرحمة وامرها عليه السلام بالتراحم واثنى عليه فقال ان الله يحب من عباده الرحماء وقال
الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء واما رواية نبي الملحمة
فاشارة الى ما بعث به من القتال والسيف صلى الله عليه وسلم وهي صحيحة وروى
حذيفة مثل حديث ابي موسى وفيه ونبي الرحمة ونبي التوبة ونبي الملاحم وروى الحربي في حديثه
عنه عليه السلام قال اتاني ملك فقال لي انت قثم اي مجتمع قال والقثوم الجامع للخير
وهذا اسم هو في اهل بيته صلى الله عليه وسلم معلوم وقد جاءت من القابه عليه
السلام وسماته في القران عدة كثيرة سوى ما ذكرناه كالنور والسراج المنير والمنذر
والنذير والمبشر والبشير والشاهد والشهيد والحق المبين وخاتم النبيين والرؤف
الرحيم والامين وقدم الصدق ورحمة للعالمين ونعمة الله والعروة الوثقى والصراط
المستقيم والنجم الثاقب والكريم والنبي الامي وداعي الله في اوصاف كثيرة وسمات
جليلة وجرى منها في كتب متقدمة وكتب انبيائه واحاديث رسوله واطلاق الامة جملة
شافية كتسميته بالمصطفى والمجتبى وابي القاسم والحبيب ورسول رب العالمين
والشفيع المشفع والمتقي والمصلح والطاهر والمهيمن والصادق والمصدوق والهادي
وسيد ولد آدم وسيد المرسلين وامام المتقين وقائد الغر المحجلين وحبيب الله وخليل

الرحمن وصاحب الحوض المورود والشفاعة والمقام المحمود وصاحب الوسيلة
والفضيلة والدرجة الرفيعة وصاحب التاج والمعراج واللواء والقضيب وراكب
البراق والناقة والنجيب وصاحب الحجة والسلطان والخاتم والعلامة والبرهان وصاحب
الهراوة والنعلين ومن اسمائه في الكتب المتوكل والمختار ومقيم السنة والمقدس وروح
الحق وهو معنى البارقليط في الانجيل وقال ثعلب البارقليط الذي يفرق بين الحق والباطل
ومن اسمائه في الكتب السالفة ماذ ماذ ومعناه طيب طيب وحمطايا والخاتم والحاتم
حكاه كعب الاحبار قال ثعلب فالخاتم الذي ختم الانبياء والحاتم احسن الانبياء خلقا
وخلقا ويسمى بالسريانية مشفح والمنحمنا واسمه ايضا في التوراة احيد روي ذلك عن ابن
سيرين ومعنى صاحب القضيب اي السيف وقع ذلك مفسرا في الانجيل قال معه قضيب
من حديد يقاتل به وامته كذلك وقد يحمل على انه القضيب الممشوق الذي كان يمسكه
عليه السلام وهو الآن عند الخلفاء واما الهراوة التي وصف بها فهي في اللغة العصا
واراها والله اعلم العصا المذكورة في حديث الحوض اذود الناس عنه بعصاي لاهل
اليمن واما التاج فالمراد به العمامة ولم تكن حينئذ الا للعرب والعمائم تيجان العرب واوصافه
والقابه وسماته في الكتب كثيرة وفيما ذكرنا منها مقنع ان شاء الله تعالى وكانت
كنيته المشهورة ابا القاسم وروي عن انس انه لما ولد له ابراهيم جاءه جبريل فقال له
السلام عليك يا ابا ابراهيم

فصل في تشريف الله له بما سماه به من اسمائه الحسنى ووصفه من صفاته العلى

قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه ما احرى
هذا الفصل بفصول الباب الاول لانخراطه في سلك مضمونها وامتزاجه بعذب
معينها لكن لم يشرح الله الصدر للهداية الى استنباطه ولا انار الفكر لاستخراج جوهره
والتقاطه الا عند الخوض في الفصل الذي قبله فراينا ان نضيفه اليه ونجمع به شمله فاعلم
ان الله تعالى خص كثيرا من انبيائه بكرامة خلعها عليهم من اسمائه كتسميته اسحق
واسمعيل بعليم وحليم وابراهيم بحليم ونوحا بشكور وعيسى ويحيى ببر وموسى بكريم
وقوي ويوسف بحفيظ عليم وايوب بصابر واسمعيل بصادق الوعد كما نطق
بذلك الكتاب العزيز من مواضع ذكرهم وفضل محمدا نبيه صلى الله عليه وسلم
بان حلاه منها في كتابه العزيز وعلى السنة انبيائه بعدة كثيرة اجتمع لنا منها جملة بعد

اعمال الفكر واحصار الذكر اذ لم نجد من جمع منها فوق اسمين ولا من تفرغ فيها
لنا كيف فصلين وحررنا منها في هذا الفصل نحو ثلثين اسما ولعل الله تعالى كما الهم
الى ما علم منها وحققه يتم النعمة بابانة ما لم يظهره لنا الآن ويفتح غلقه فمن اسمائه تعالى
الحميد ومعناه المحمود لانه حمد نفسه وحمده عباده ويكون ايضا بمعنى الحامد لنفسه
ولاعمال الطاعات وسمى النبي صلى الله عليه وسلم محمدا واحمد فمحمد بمعنى محمود وكذا وقع اسمه
في زبور داود واحمد بمعنى اكبر من حمد واجل من حمد وقد اشار الى نحو هذا حسان
بقوله ، وشق له من اسمه ليجله ، فذو العرش محمود وهذا محمد ،
ومن اسمائه تعالى الرؤف الرحيم وهما بمعنى متقارب وسماه في كتابه بذلك فقال
بالمؤمنين رؤف رحيم ومن اسمائه تعالى الحق المبين ومعنى الحق الموجود والمتحقق
امره وكذلك المبين اي البين امره والهيته بان وابان بمعنى ويكون بمعنى المبين لعباده
امر دينهم ومعادهم وسمى النبي صلى الله عليه وسلم بذلك في كتابه فقال حتى جاءهم
الحق ورسول مبين وقال تعالى وقل اني انا النذير المبين وقال قد جاءكم الحق من ربكم
وقال فقد كذبوا بالحق لما جاءهم قيل محمد وقيل القرآن ومعناه هنا ضد الباطل
والمتحقق صدقه وامره وهو بالمعنى الاول والمبين البين امره ورسالته او المبين
عن الله ما بعثه به كما قال لتبين للناس ما نزل اليهم ومن اسمائه تعالى النور ومعناه ذو النور
اي خالقه او منور السموات والارض بالانوار ومنور قلوب المؤمنين بالهداية وسماه نورا
فقال قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين قيل محمد وقيل القرآن وقال فيه وسراجا
منيرا سمى بذلك لوضوح امره وبيان نبوته وتنوير قلوب المؤمنين والعارفين بما جاء
به ومن اسمائه تعالى الشهيد ومعناه العالم وقيل الشاهد على عباده يوم القيمة وسماه
شهيدا وشاهدا وهو بمعنى انا ارسلناك شاهدا وقال ويكون الرسول عليكم شهيدا
وهو بمعنى الاول ومن اسمائه تعالى الكريم ومعناه الكثير الخير وقيل المفضل وقيل العفو
وقيل العلي وفي الحديث المروي في اسمائه تعالى الاكرم وسماه الله تعالى كريما بقوله انه
لقول رسول كريم قيل محمد وقيل جبريل وقال عليه السلام انا اكرم ولد آدم ومعاني الاسم
صحيحة فيه عليه السلام ومن اسمائه تعالى العظيم ومعناه الجليل الشان الذي كل
شيء دونه وقال في النبي صلى الله عليه وسلم وانك لعلى خلق عظيم ووقع في اول سفر من

من التوراة عن اسمعيل وسيلد عظيما لامة عظيمة فهو عظيم وعلى خلق عظيم ومن اسمائه
تعالى الجبار ومعناه المصلح وقيل القاهر وقيل العلي العظيم الشان وقيل المتكبر
وسمي النبي صلى الله عليه وسلم في كتاب داود بجبار فقال تقلد ايها الجبار سيفك
فان ناموسك وشرائعك مقرونة بهيبة يمينك ومعناه في حق النبي صلى الله عليه وسلم
اما لاصلاحه الامة بالهداية والتعليم او لقهره اعداءه او لعلو منزلته على البشر وعظيم
خطره ونفى تعالى عنه في القرآن جبرية التكبر التي لا تليق به فقال وما انت عليهم بجبار
ومن اسمائه تعالى الخبير ومعناه المطلع بكنه الشيء العالم بحقيقته وقيل معناه المخبر وقال
الله تعالى الرحمن فاسئل به خبيرا قال القاضي بكر بن العلاء المأمور بالسؤال غير النبي صلى الله
عليه وسلم والمسؤل الخبير هو النبي صلى الله عليه وسلم وقال غيره بل السائل النبي صلى الله
عليه وسلم والمسؤل الله فالنبي خبير بالوجهين المذكورين قيل لانه عالم على غاية من العلم
بما اعلمه الله من مكنون علمه وعظيم معرفته مخبر لامته بما اذن له في اعلامهم به ومن اسمائه
تعالى الفتاح ومعناه الحاكم بين عباده او فاتح ابواب الرزق والرحمة والمنغلق
من امورهم عليهم او يفتح قلوبهم وبصائرهم لمعرفة الحق ويكون ايضا بمعنى الناصر
كقوله تعالى ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح اي ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وقيل
معناه مبتدئ الفتح والنصر وسمى الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بالفاتح في حديث
الاسراء الطويل في رواية الربيع بن انس عن ابي العالية وغيره عن ابي هريرة وفيه
من قول الله تعالى وجعلتك فاتحا وخاتما وفيه من قول النبي صلى الله عليه وسلم
في ثنائه على ربه وتعديد مراتبه ورفع لي ذكري وجعلني فاتحا وخاتما فيكون الفاتح هنا بمعنى
الحاكم او الفاتح لابواب الرحمة على امته والفاتح لبصائرهم لمعرفة الحق والايمان بالله
او الناصر للحق او المبتدي بهداية الامة او المبتدا المقدم في الانبياء والخاتم لهم كما قال
عليه السلام كنت اول الانبياء في الخلق وآخرهم في البعث ومن اسمائه تعالى في الحديث
الشكور ومعناه المثيب على العمل القليل وقيل المثني على المطيعين ووصف بذلك نبيه
نوحا عليه السلام فقال انه كان عبدا شكورا وقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم
بذلك نفسه فقال افلا اكون عبدا شكورا اي معترفا بنعم ربي عارفا بقدر ذلك مثنيا
عليه مجهدا نفسي في الزيادة من ذلك لقوله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم ومن اسمائه

خ المنفتح

تعالى العليم العلام وعالم الغيب والشهادة ووصف نبيه صلى الله عليه وسلم
بالعلم وخصه بمزية منه فقال وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما
وقال ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ومن اسمائه تعالى الاول والآخر
ومعناهما السابق للاشياء قبل وجودها والباقي بعد فنائها وتحقيقه انه ليس له اول
ولا آخر وقال عليه السلام كنت اول الانبياء في الخلق وآخرهم في البعث وفسر
بهذا قوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح فقدم محمدا صلى الله
عليه وسلم وقد اشار الى نحو منه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومنه قوله صلى الله
عليه وسلم نحن الآخرون السابقون وقوله انا اول من تنشق عنه الارض واول من
يدخل الجنة واول شافع واول مشفع وهو خاتم النبيين وآخر الرسل صلى الله عليه
وعليهم اجمعين ومن اسمائه تعالى القوي وذو القوة المتين ومعناه القادر
وقد وصفه الله بذلك فقال ذي قوة عند ذي العرش مكين قيل محمد وقيل جبريل
ومن اسمائه تعالى الصادق في الحديث المأثور وورد في الحديث ايضا اسمه عليه السلام
بالصادق المصدوق ومن اسمائه تعالى الولي والمولى ومعناهما الناصر وقد قال
الله تعالى انما وليكم الله ورسوله وقال عليه السلام انا ولي كل مؤمن وقال الله تعالى
النبي اولى بالمؤمنين وقال عليه السلام من كنت مولاه فعلي مولاه ومن اسمائه تعالى العفو
ومعناه الصفوح وقد وصف الله تعالى بهذا نبيه في القرآن والتوراة وامره بالعفو
فقال خذ العفو وقال فاعف عنهم واصفح وقال له جبريل وقد سأله عن قوله خذ العفو
قال ان تعفو عمن ظلمك وقال في التوراة والانجيل في الحديث المشهور في صفته ليس
بفظ ولا غليظ ولكن يعفو ويصفح ومن اسمائه تعالى الهادي وهو بمعنى توفيق الله
لمن اراد من عباده وبمعنى الدلالة والدعاء قال الله تعالى والله يدعو الى دار السلام
ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم واصل الجميع من الميل وقيل من التقديم وقيل
في تفسير طه انه يا طاهر يا هادي يعني النبي صلى الله عليه وسلم وقال تعالى له وانك
لتهدي الى صراط مستقيم وقال فيه وداعيا الى الله باذنه فالله تعالى مختص بالمعنى
الاول قال تعالى انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء وبمعنى الدلالة
ينطلق على غيره تعالى ومن اسمائه تعالى المؤمن المهيمن وقيل هما بمعنى واحد فمعنى

فمعنى المؤمن في حقه تعالى المصدق وعده عباده والمصدق قوله الحق والمصدق
لعباده المؤمنين ورسله وقيل الموحد نفسه وقيل المؤمن عباده في الدنيا من ظلمه
والمؤمنين في الآخرة من عذابه وقيل المهيمن بمعنى الامين مصغر منه فقلبت الهمزة هاء
وقد قيل ان قولهم في الدعاء آمين انه اسم من اسماء الله تعالى ومعناه معنى المؤمن وقيل
المهيمن بمعنى الشاهد والحافظ والنبي صلى الله عليه وسلم امين ومهيمن ومؤمن
وقد سماه الله امينا فقال تعالى مطاع ثم امين وكان عليه السلام يعرف بالامين و
شهر به قبل النبوة وبعدها وسماه العباس في شعره مهيمنا في قوله ثم احتوى بيتك المهيمن
من خندف علياء تحتها النطق قيل المراد يا ايها المهيمن قاله القتيبي والامام ابو القاسم
القشيري وقال تعالى يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين اي يصدق وقال عليه السلام
انا امنة لاصحابي فهذا بمعنى المؤمن ومن اسمائه تعالى القدوس ومعناه المنزه عن
عن النقائص المطهر من سمات الحدث وسمي بيت المقدس لانه يتطهر فيه من
من الذنوب ومنه الوادي المقدس وروح القدس ووقع في كتب الانبياء في اسمائه
عليه وعليهم السلام المقدس اي المطهر من الذنوب كما قال تعالى ليغفر لك الله ما تقدم
من ذنبك وما تأخر او الذي يتطهر به من الذنوب ويتنزه باتباعه عنها كما قال تعالى
ويزكيهم وقال ويخرجهم من الظلمات الى النور او يكون مقدسا بمعنى مطهرا من الاخلاق
الذميمة والاوصاف الدنية ومن اسمائه تعالى العزيز ومعناه الممتنع الغالب او الذي
لا نظير له او المعز لغيره وقال تعالى ولله العزة ولرسوله اي الامتناع وجلالة القدر
وقد وصف الله تعالى نفسه بالبشارة والنذارة فقال تعالى يبشرهم ربهم برحمة
منه ورضوان وقال تعالى ان الله يبشرك بيحيى وبكلمة منه وسماه الله تعالى مبشرا
ونذيرا وبشيرا اي مبشرا لاهل طاعته ونذيرا لاهل معصيته ومن اسمائه تعالى فيما ذكره
بعض المفسرين طه ويس وقد ذكر بعضهم ايضا انهما من اسماء محمد صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم

فصل قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه وها انا اذكر نكتة اذيل بها هذا الفصل
واختم بها هذا القسم وازيح الاشكال بها فيما تقدم عن كل ضعيف الوهم سقيم الفهم
تخلصه من مهاوي التشبيه وتزحزحه عن شبه التمويه وهو ان يعتقد ان الله جل اسمه
في عظمته وكبريائه وملكوته وحسنى اسمائه وعلي صفاته لا يشبه شيئا من مخلوقاته ولا يشبه به

ومن قيل انه من اسمائه تعالى
قال النووي لا يصح لانه ليس من اسماء الله تعالى
اسم مبني من حروف والنص اسماء الله
لا تثبت الا بالقرآن او السنة وقد تقدم
الطعن فيه طه

آردف الجملة الاسمية بالفعلية ... لانه قصد بالاول ان الحمد ثابت مستحق له ... والجملة محتملة للخبرية والانشائية ثم اردف فيها ... وحده بنفسه لما انعم الله به عليه من جلائل النعم التي افخمها نعم النبوة المؤيدة بالمعجزات الباهرات ... وحده للتبس لتعظيم نفسه بالتعظيم لحمده والمحمود سبحانه

وان ما جاء مما اطلق الشرع على الخالق وعلى المخلوق فلا تشابه بينهما في المعنى الحقيقي اذ صفات القديم بخلاف صفات المخلوق فكما ان ذاته تعالى لا تشبه الذوات كذلك صفاته لا تشبه صفات المخلوقين اذ صفاتهم لا تنفك عن الاعراض والاغراض وهو تعالى منزه عن ذلك بل لم يزل بصفاته واسمائه وكفى في هذا قوله تعالى ليس كمثله شيء ولله در من قال من العلماء العارفين المحققين التوحيد اثبات ذات غير مشبهة للذوات ولا معطلة من الصفات وزاد هذه النكتة الواسطي رضي الله عنه بيانا وهي مقصودنا فقال ليس كذاته ذات ولا كاسمه اسم ولا كفعله فعل ولا كصفته صفة الا من جهة موافقة اللفظ اللفظ وجلت الذات القديمة ان تكون لها صفة حديثة كما استحال ان تكون للذات المحدثة صفة قديمة وهذا كله مذهب اهل الحق والسنة والجماعة رضي الله عنهم وقد فسر الامام ابو القسم القشيري رضي الله عنه قوله هذا ليزيده بيانا فقال هذه الحكاية تشتمل على جوامع مسائل التوحيد وكيف تشبه ذاته ذات المحدثات وهي بوجودها مستغنية وكيف يشبه فعله فعل الخلق وهو لغير جلب انس او دفع نقص حصل ولا بخواطر واغراض وجد ولا بمباشرة ومعالجة ظهر وفعل الخلق لا يخرج عن هذه الوجوه وقال آخر من مشايخنا ما توهمتموه باوهامكم او ادركتموه بعقولكم فهو محدث مثلكم وقال الامام ابو المعالي الجويني من اطمأن الى موجود انتهى اليه فكره فهو مشبه ومن اطمأن الى النفي المحض فهو معطل وان قطع بموجود اعترف بالعجز عن درك حقيقته فهو موحد وما احسن قول ذي النون المصري رضي الله عنه حقيقة التوحيد ان تعلم ان قدرة الله في الاشياء بلا علاج وصنعه لها بلا مزاج وعلة كل شيء صنعه ولا علة لصنعه وما تصور في وهمك فالله بخلافه وهذا الكلام عجيب نفيس محقق والفصل الآخر تفسير لقوله ليس كمثله شيء والثاني تفسير لقوله لا يسأل عما يفعل وهم يسألون والثالث تفسير لقوله انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون ثبتنا الله واياك على التوحيد والاثبات والتنزيه وجنبنا طرفي الضلالة والغواية من التعطيل والتشبيه بمنه ورحمته

الباب الرابع فيما اظهره الله تعالى على يديه من المعجزات وشرفه به من الخصائص والكرامات

قال القاضي ابو الفضل رحمه الله حسب المتأمل ان يتحقق ان كتابنا هذا لم نجمعه لمنكر نبوة نبينا ولا لطاعن في معجزاته فنحتاج الى نصب البراهين عليها وتحصين حوزتها حتى لا يتوصل المطاعن اليها ونذكر شروط المعجزة والتحدي وحده وفساد قول من ابطل نسخ الشرائع ورده بل الفناه لاهل ملته الملبين لدعوته المصدقين لنبوته ليكون تأكيدا في محبتهم له ومنماة لاعمالهم وليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ونيتنا ان نثبت في هذا الباب امهات معجزاته ومشاهير آياته لتدل على عظيم قدره عند ربه واتينا منها بالمحقق والصحيح الاسناد واكثره مما بلغ القطع او كاد واضفنا اليها بعض ما وقع في مشاهير كتب الائمة واذا تأمل المتأمل المنصف ما قدمناه من جميل اثره وحميد سيره وبراعة علمه ورجاحة عقله وحلمه وجملة كماله وجميع خصاله وشاهد حاله وصواب مقاله لم يمتر في صحة نبوته وصدق دعوته وقد كفى هذا غير واحد في اسلامه والايمان به فروينا عن الترمذي وابن قانع وغيرهما باسانيدهم ان عبد الله بن سلام قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جئته لانظر اليه فلما استبنت وجهه عرفت ان وجهه ليس بوجه كذاب حدثنا به القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله قال حدثنا ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل بن خيرون عن ابي يعلى البغدادي عن ابي علي السنجي عن ابن محبوب عن الترمذي حدثنا محمد بن بشار حدثنا عبد الوهاب الثقفي ومحمد بن جعفر وابن ابي عدي ويحيى بن سعيد عن عوف بن ابي جميلة الاعرابي عن زرارة بن اوفى عن عبد الله بن سلام الحديث وعن ابي رمثة التيمي اتيت النبي صلى الله عليه وسلم ومعي ابن لي فاريته فلما رأيته قلت هذا نبي الله وروى مسلم وغيره ان ضمادا لما وفد عليه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ان الحمد لله نحمده ونستعينه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله قال له اعد علي كلماتك هؤلاء فلقد بلغن قاموس البحر هات يدك ابايعك وقال جامع بن شداد كان رجل منا يقال له طارق فاخبر انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقال هل معكم شيء تبيعونه قلنا هذا البعير قال بكم قلنا بكذا وكذا وسقا من تمر فاخذ بخطامه وسار الى المدينة فقلنا بعنا من رجل لا ندري من هو ومعنا ظعينة فقالت انا ضامنة لثمن البعير رأيت وجه رجل مثل القمر ليلة البدر لا يخيس بكم فاصبحنا فجاء رجل بتمر فقال انا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكم يأمركم ان تأكلوا من هذا

الغير وتحمل لو اجتمعي لستوفوا نفعنا وفي خبر الجلندي ملك عمان لما بلغه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوه الى الاسلام قال الجلندي رحمه الله والله لقد دلني على هذا النبي الامي انه لا يامر بخير الا كان اول آخذ به ولا ينهى عن شيء الا كان اول تارك واته يغلب فلا يبطر ويغلب فلا يضجر ويفي بالعهد وينجز الموعود واشهد انه نبي وقال نفطويه في قوله تعالى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار وهذا مثل ضربه الله تعالى لنبيه عليه السلام يقول يكاد منظره يدل على نبوته وان لم يتل قرانا كما قال ابن رواحة
لو لم تكن فيه آيات مبينة لكان منظره ينبيك بالخبر وقد آن ان ناخذ في ذكر النبوة والوحي والرسالة وبعده في معجزة القرآن وما فيه من برهان ودلالة

فصل اعلم ان الله جل اسمه قادر على خلق المعرفة في قلوب عباده والعلم بذاته واسمائه وصفاته وجميع تكليفاته ابتداء دون واسطة لو شاء كما حكى عن سنته في بعض الانبياء وذكره بعض اهل التفسير في قوله وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا وجائز ان يوصل الله اليهم جميع ذلك بواسطة يبلغهم كلامه وتكون تلك الواسطة اما من غير البشر كالملائكة مع الانبياء او من جنسهم كالانبياء مع الامم ولا مانع لهذا من دليل العقل واذا جاز هذا ولم يستحل وجاءت الرسل بما دل على صدقهم من معجزاتهم وجب تصديقهم في جميع ما اتوا به لان المعجزة مع التحدي من النبي قائم مقام قول الله تعالى صدق عبدي فاطيعوه واتبعوه وشاهد على صدقه فيما يقوله وهذا كاف والتطويل فيه خارج عن الغرض فمن اراد تتبعه وجده مستوفى في مصنفات ائمتنا رحمهم الله والنبوة في لغة من همز ماخوذة من النبأ وهو الخبر وقد لا يهمز على هذا التاويل تسهيلا والمعنى ان الله تعالى اطلعه على غيبه واعلمه انه نبيه فيكون نبي منبأ فعيل بمعنى مفعول او يكون مخبرا عما بعثه الله به ومنبئا بما اطلعه الله عليه فعيل بمعنى فاعل ويكون عند من لم يهمزه من النبوة وهو ما ارتفع من الارض معناه ان له رتبة شريفة ومكانة نبيهة عند مولاه منيفة فالوصفان في حقه مؤتلفان واما الرسول فهو المرسل ولم يات فعول بمعنى مفعل في اللغة الا نادرا وارساله امر الله له بالابلاغ الى من ارسله اليه واشتقاقه من التتابع ومنه قولهم جاء الناس ارسالا اذا تبع بعضهم بعضا فكانه الزم تكرير التبليغ او الزمت الامة اتباعه وقد اختلف العلماء هل النبي والرسول بمعنى او بمعنيين فقيل هما سواء واصله من الانباء وهو الاعلام واستدلوا بقوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي فقد اثبت لهما معا الارسال قال ولا يكون النبي الا رسولا ولا الرسول الا نبيا وقيل هما مفترقان من وجه اذ قد اجتمعا في النبوة التي هي الاطلاع على الغيب والاعلام بخواص النبوة او الرفعة لمعرفة ذلك وحوز درجتها وافترقا في زيادة الرسالة للرسول وهو الامر بالانذار والاعلام كما قلنا وحجتهم من الآية نفسها التفريق بين الاسمين ولو كانا شيئا واحدا لما حسن تكرارهما في الكلام البليغ قالوا والمعنى وما ارسلنا من رسول الى امة او نبي ليس بمرسل الى احد وقد ذهب بعضهم الى ان الرسول من جاء بشرع مبتدا ومن لم يات به نبي غير رسول وان امر بالابلاغ والانذار والصحيح والذي عليه الجما الغفير ان كل رسول نبي وليس كل نبي رسولا واول الرسل آدم وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم وفي حديث ابي ذر رضي الله عنه ان الانبياء مائة الف واربعة وعشرون الف نبي وذكر ان الرسل منهم ثلثمائة وثلثة عشر اولهم آدم فقد بان لك معنى النبوة والرسالة وليستا عند المحققين ذاتا للنبي ولا وصف ذات خلافا للكرامية في تطويل لهم وتهويل ليس عليه تعويل

واما الوحي فاصله الاسراع فلما كان النبي يتلقى ما ياتيه من ربه بعجل سمي وحيا وسميت انواع الالهامات وحيا تشبيها بالوحي الى النبي وسمي الخط وحيا لسرعة حركة يد كاتبه ووحي الحاجب واللحظ سرعة اشارتهما ومنه قوله تعالى فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا اي اوما ورمز وقيل كتب ومنه قولهم الوحا الوحا اي السرعة وقيل اصل الوحي السر والاخفاء ومنه سمي الالهام وحيا ومنه قوله تعالى وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم اي يوسوسون في صدورهم ومنه قوله تعالى واوحينا الى ام موسى اي القي في قلبها وقد قيل ذلك في قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا اي ما يلقيه في قلبه دون واسطة

فصل اعلم ان معنى تسميتنا ما جاءت به الانبياء معجزة هو ان الخلق عجزوا عن الاتيان بمثلها وهي على ضربين ضرب هو من نوع قدرة البشر فعجزوا عنه فتعجيزهم عنه فعل لله دل على صدق نبيه كصرفهم عن تمني الموت وتعجيزهم عن الاتيان بمثل القرآن على راي بعضهم ونحوه وضرب هو خارج عن قدرتهم فلم يقدروا على الاتيان بمثله كاحياء الموتى وقلب العصا حية واخراج ناقة من صخرة

الرسول من له شرع مبتدا

بيان معنى تسميتنا

وكلام الشجر ونبع الماء من الاصابع وانشقاق القمر مما لا يمكن ان يفعله احد الا
الله فيكون ذلك على يد النبي من فعل الله تعالى وتحديه من يكذبه ان يأتي بمثله تعجيز له
واعلم ان المعجزات التي ظهرت على يد نبينا صلى الله عليه وسلم ودلائل نبوته وبراهين
صدقه من هذين النوعين معا وهو اكثر الرسل معجزة وابهرهم آية واظهرهم برهانا
كما سنبينه وهي في كثرتها لا يحيط بها ضبط فان واحدا منها وهو القرآن لا يحصى
عدد معجزاته بالف ولا الفين ولا اكثر لان النبي قد تحدى بسورة منه فعجز عنها قال
اهل العلم واقصر السور انا اعطيناك الكوثر فكل آية او آيات منه بعددها وقدرها معجزة ثم فيها
نفسها معجزات على ما سنفصله فيما انطوى عليه من المعجزات ثم معجزاته صلى الله عليه وسلم
على قسمين قسم منها علم قطعا ونقل الينا متواترا كالقرآن فلا مرية ولا خلاف
بمجئ النبي به وظهوره من قبله واستدلاله بحجته وان انكر هذا معاند جاحد فهو
كانكاره وجود محمد في الدنيا وانما جاء اعتراض الجاحدين في الحجة به فهو في نفسه وجميع
ما تضمنه من معجز معلوم ضرورة ووجه اعجازه معلوم ضرورة ونظرا كما سنشرحه
قال بعض ائمتنا ويجري هذا المجرى على الجملة انه قد جرى على يديه عليه السلام آيات و
خوارق عادات ان لم يبلغ واحد منها معينا القطع فيبلغه جميعها فلا مرية في جريان معانيها
على يديه ولا يختلف مؤمن ولا كافر انه جرت على يديه عجائب وانما خلاف المعاند
في كونها من قبل الله وقد قدمنا كونها من قبل الله وان ذلك بمثابة قوله صدقت فقد علم
وقوع مثل هذا ايضا من نبينا ضرورة لاتفاق معانيها كما يعلم ضرورة جود حاتم و
شجاعة عنترة وحلم احنف لاتفاق الاخبار الواردة عن كل واحد منهم على كرم هذا
وشجاعة هذا وحلم هذا وان كان كل خبر بنفسه لا يوجب العلم ولا يقطع بصحته والقسم
الثاني ما لم يبلغ مبلغ الضرورة والقطع وهو على نوعين نوع مشتهر منتشر رواه العدد
وشاع الخبر به عند المحدثين والرواة ونقلة السير والاخبار كنبع الماء من بين الاصابع
وتكثير الطعام ونوع منه اختص به الواحد والاثنان ورواه العدد اليسير ولم يشتهر اشتهار
غيره لكنه اذا جمع الى مثله اتفقا في المعنى واجتمعا على الاتيان بالمعجز كما قدمناه قال القاضي
ابو الفضل وانا اقول صدعا بالحق ان كثيرا من هذه الآيات المأثورة عنه عليه السلام
معلومة بالقطع اما انشقاق القمر فالقرآن نص بوقوعه واخبر عن وجوده ولا يعدل عن

قوله صدعا اي جهارا فهو حال او مفعول له ... اي ولا اقول لانه معنا ... من صدع الزجاج ... الحق والحجة ... من الصدع ... انتهى

ظاهر الا بدليل وجاء برفع احتماله صحيح الاخبار من طرق كثيرة فلا يوهن عزمنا خلاف
اخرق منحل عرى الدين ولا يلتفت الى سخافة مبتدع يلقي الشك على قلوب ضعفاء المؤمنين
بل نرغم بهذا انفه وننبذ بالعراء سخفه وكذلك قصة نبع الماء وتكثير الطعام رواها الثقات
والعدد الكثير عن الجماء الغفير عن العدد الكثير من الصحابة رضي الله عنهم ومنها ما رواه الكافة
عن الكافة متصلا عمن حدث بها من جملة الصحابة واخبارهم ان ذلك كان في
موطن اجتماع الكثير منهم في يوم الخندق وفي غزوة بواط وعمرة الحديبية وغزوة تبوك
وامثالها من محافل المسلمين ومجمع العساكر ولم يؤثر عن احد من الصحابة مخالفة
للراوي فيما حكاه ولا انكار لما ذكر عنهم انهم رأوه كما رآه فسكوت الساكت منهم كنطق
الناطق اذ هم المنزهون عن السكوت على باطل والمداهنة في كذب وليس هناك
رغبة ولا رهبة تمنعهم ولو كان ما سمعوه منكرا عندهم وغير معروف لديهم لانكروه كما انكر
بعضهم على بعض اشياء رواها من السنن والسير وحروف القرآن وخطأ بعضهم بعضا
ووهمه في ذلك مما هو معلوم فهذا النوع كله يلحق بالقطعي من معجزاته لما بيناه وايضا فان
امثال الاخبار التي لا اصل لها وبنيت على باطل لا بد مع مرور الازمان وتداول الناس
واهل البحث من انكشاف ضعفها وخمول ذكرها كما يشاهد في كثير من الاخبار الكاذبة
والاراجيف الطارئة واعلام نبينا هذه الواردة من طريق الآحاد لا تزداد مع مرور
الزمان الا ظهورا ومع تداول الفرق وكثرة طعن العدو وحرصه على توهينها وتضعيف
اصلها واجتهاد الملحد على اطفاء نورها الا قوة وقبولا ولا للطاعن عليها الا حسرة وغليلا
وكذلك اخباره عن الغيوب وانباؤه بما يكون وما كان معلوم من آياته على الجملة بالضرورة
وهذا حق لا غطاء عليه وقد قال به من ائمتنا القاضي والاستاذ ابو بكر وغيرهما رحمهم الله
وما عندي اوجب قول القائل ان هذه القصص المشهورة من باب خبر الواحد الا قلة
مطالعته للاخبار وروايتها وشغله بغير ذلك من المعارف والا فمن اعتنى بطريق
النقل وطالع الاحاديث والسير لم يرتب في صحة هذه القصص المشهورة على الوجه الذي
ذكرناه ولا يبعد ان يحصل العلم بالتواتر عند واحد ولا يحصل عند آخر فان اكثر الناس
يعلمون بالخبر كون بغداد موجودة وانها مدينة عظيمة ودار الامامة والخلافة وآحاد من الناس
لا يعلمون اسمها فضلا عن وصفها وهكذا يعلم الفقهاء من اصحاب مالك بالضرورة وتواتر

عرى بضم العين وفتح الراء المهملتين والف مقصورة جمع عروة ... قال تعالى فقد استمسك بالعروة الوثقى ... والمراد غير متمسك بالدين ... انتهى

النقل عنه ان مذهبه ايجاب قراءة ام القرآن في الصلاة للمنفرد والامام واجزاء النية
في اول ليلة من رمضان لما سواه وان الشافعي رحمه الله يرى تجديد النية كل ليلة والاقتصار
في المسح على بعض الرأس وان مذهبهما القصاص بالقتل بالمحدود وغيره وايجاب
النية في الوضوء واشتراط الولي في النكاح وان ابا حنيفة رحمه الله يخالفهما في هذه المسائل
وغيرهم ممن لم يشتغل بمذاهبهم ولا روى اقوالهم لا يعرف هذا من مذاهبهم فضلا
عمن سواه وعند ذكرنا هذه المعجزات نزيد الكلام فيها بيانا ان شاء الله تعالى

فصل اعجاز القرآن اعلم وفقنا الله واياك ان كتاب الله العزيز
منطو على وجوه من الاعجاز كثيرة وتحصيلها من جهة ضبط انواعها في اربعة وجوه
اولها حسن تأليفه والتئام كلمه وفصاحته ووجوه ايجازه وبلاغته الخارقة عادة
العرب وذلك انهم كانوا ارباب هذا الشأن وفرسان الكلام قد خصوا من البلاغة
والحكم ما لم يخص به غيرهم من الامم واوتوا من ذرابة اللسان ما لم يؤت انسان ومن
فصل الخطاب ما يقيد الالباب جعل الله لهم ذلك طبعا وخلقة وفيهم غريزة
وقوة يأتون منه على البديهة بالعجب ويدلون به الى كل سبب فيخطبون بديها في المقامات
وشديد الخطب ويرتجزون به بين الطعن والضرب ويمدحون ويقدحون ويتوسلون
ويتوصلون ويرفعون ويضعون فيأتون من ذلك بالسحر الحلال ويطوقون من
اوصافهم اجمل من سمط اللآل فيخدعون الالباب ويذللون الصعاب ويذهبون
الاحن ويهيجون الدمن ويجرئون الجبان ويبسطون يد الجعد البنان ويصيرون
الناقص كاملا ويتركون النبيه خاملا منهم البدوي ذو اللفظ الجزل والقول
الفصل والكلام الفخم والطبع الجوهري والمنزع القوي ومنهم الحضري ذو البلاغة
البارعة والالفاظ الناصعة والكلمات الجامعة والطبع السهل والتصرف
في القول القليل الكلفة الكثير الرونق الرقيق الحاشية وكلا البابين فلهما في البلاغة
الحجة البالغة والقوة الدامغة والقدح الفالج والمهيع الناهج لا يشكون
ان الكلام طوع مرادهم والبلاغة ملك قيادهم قد حووا فنونها واستنبطوا
عيونها ودخلوا من كل باب من ابوابها وعلوا صرحا لبلوغ اسبابها فقالوا
في الخطير والمهين وتفننوا في الغث والسمين وتقاولوا في القل والكثر وتساجلوا

في النظم والنثر فما راعهم الا رسول كريم بكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين
يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد احكمت آياته وفصلت كلماته وبهرت
بلاغته العقول وظهرت فصاحته على كل مقول وتظافر ايجازه واعجازه
وتظاهرت حقيقته ومجازه وتبارت في الحسن مطالعه ومقاطعه وحوت
كل البيان جوامعه وبدائعه واعتدل مع ايجازه حسن نظمه وانطبق على كثرة
فوائده مختار لفظه وهم افسح ما كانوا في هذا الباب مجالا واشهر في الخطابة رجالا
واكثر في السجع والشعر ارتجالا واوسع في الغريب واللغة مقالا بلغتهم التي بها يتحاورون
ومنازعهم التي عنها يتناضلون صارخا بهم في كل حين ومقرعا لهم بضعا
وعشرين عاما على رؤوس الملأ اجمعين ام يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله
وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين وان كنتم في ريب
مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله الى قوله ولن تفعلوا وقل لئن اجتمعت
الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن الآية وقل فأتوا بعشر سور مثله
مفتريات وذلك ان المفترى اسهل ووضع الباطل والمختلق على الاختيار اقرب
واللفظ اذا تبع المعنى الصحيح كان اصعب ولهذا قيل فلان يكتب كما يقال له وفلان
يكتب كما يريد وللاول على الثاني فضل وبينهما شأو بعيد فلم يزل يقرعهم صلى الله
عليه وسلم اشد التقريع ويوبخهم غاية التوبيخ ويسفه احلامهم ويحط اعلامهم
ويشتت نظامهم ويذم آلهتهم وآباءهم ويستبيح ارضهم وديارهم واموالهم
وهم في كل هذا ناكصون عن معارضته محجمون عن مماثلته يخادعون انفسهم بالتشغيب
بالتكذيب والاغتراء بالافتراء وقولهم ان هذا الا سحر يؤثر وسحر مستمر
وافك افتراه اساطير الاولين والمباهتة والرضى بالدنية كقولهم قلوبنا
غلف وفي اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب
ولا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون والادعاء مع العجز بقولهم
لو نشاء لقلنا مثل هذا وقد قال لهم الله ولن تفعلوا فما فعلوا ولا قدروا
ومن تعاطى ذلك من سخفائهم كمسيلمة كشف عواره لجميعهم وسلبهم الله
ما ألفوه من فصيح كلامهم والا فلم يخف على اهل الميز منهم انه ليس من نمط

فصاحتهم ولا جنس ما تتهم بل ولوا عنه مدبرين وأتوا مذعنين من بين
مهتد وبين مفتون ولهذا لما سمع الوليد بن المغيرة من النبي صلى الله عليه وسلم
إن الله يأمر بالعدل والإحسان الآية قال والله إن له لحلاوة وإن عليه
لطلاوة وإن أسفله لمغدق وإن أعلاه لمثمر ما يقول هذا بشر وذكر أبو عبيد
أن أعرابيا سمع رجلا يقرأ فاصدع بما تؤمر فسجد وقال سجدت لفصاحته وسمع
آخر رجلا يقرأ فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا فقال أشهد أن مخلوقا لا يقدر على مثل هذا
الكلام وحكي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يوما نائما في المسجد فإذا هو بقائم
على رأسه يتشهد شهادة الحق فاستخبره فأعلمه أنه من بطارقة الروم ممن يحسن كلام
العرب وغيرها وأنه سمع رجلا من أسارى المسلمين يقرأ آية من كتابكم فتأملتها
فإذا قد جمع فيها ما أنزل على عيسى بن مريم من أحوال الدنيا والآخرة وهي قوله تعالى
ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه الآية وحكى الأصمعي أنه سمع كلام جارية
فقال لها قاتلك الله ما أفصحك فقالت أو يعد هذا فصاحة بعد قول الله تعالى
وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه الآية فجمع في آية واحدة بين أمرين ونهيين
وخبرين وبشارتين فهذا نوع من إعجازه منفرد بذاته غير مضاف إلى غيره على
التحقيق والصحيح من القولين وكون القرآن من قبل النبي صلى الله عليه وسلم وأنه أتى
به معلوم ضرورة وكونه عليه السلام متحديا به معلوم ضرورة وعجز العرب عن الإتيان
به معلوم ضرورة وكونه في فصاحته خارقا للعادة معلوم ضرورة للعالمين بالفصاحة
ووجوه البلاغة وسبيل من ليس من أهلها علم ذلك بعجز المنكرين من أهلها عن معارضته
واعتراف المقرين بإعجاز بلاغته وأنت إذا تأملت قوله تعالى ولكم في القصاص حياة
وقوله تعالى ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب وقوله تعالى ادفع بالتي
هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وقوله وقيل يا أرض ابلعي
ماءك ويا سماء أقلعي الآية وقوله تعالى فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا الآية
وأشباهها من الآي بل أكثر القرآن حققت ما بينته من إيجاز ألفاظها وكثرة معانيها
وديباجة عبارتها وحسن تأليف حروفها وتلاؤم كلمها وأن تحت كل لفظة منها
جملا كثيرة وفصولا جمة وعلوما زواخر ملئت الدواوين من بعض ما استفيد منها وكثرت

وكثرت المقالات في المستنبطات عنها ثم هو في سرد القصص الطوال وأخبار القرون
السوالف التي يضعف في عادة الفصحاء عندها الكلام ويذهب ماء البيان آية لمتأمله
من ربط الكلام بعضه ببعض والتئام سرده وتناصف وجوهه كقصة يوسف
على طولها ثم إذا ترددت قصصه اختلفت العبارات عنها على كثرة ترددها حتى تكاد
كل واحدة تنسي في البيان صاحبتها وتناصف في الحسن وجه مقابلتها ولا نفور
للنفوس من ترديدها ولا معاداة لمعادها **فصل الوجه الثاني من إعجازه صورة**
نظمه العجيب والأسلوب الغريب المخالف لأساليب كلام العرب ومناهج نظمها
ونثرها الذي جاء عليه ووقفت مقاطع آيه وانتهت فواصل كلماته إليه ولم يوجد
قبله ولا بعده نظير له ولا استطاع أحد مماثلة شيء منه بل حارت فيه عقولهم وتدلهت
دونه أحلامهم ولم يهتدوا إلى مثله في جنس كلامهم من نثر أو نظم أو سجع أو رجز
أو شعر ولما سمع كلامه صلى الله عليه وسلم الوليد بن المغيرة وقرأ عليه القرآن رق
فجاءه أبو جهل منكرا عليه قال والله ما منكم أحد أعلم بالأشعار مني والله ما يشبه
الذي يقول شيئا من هذا وفي خبره الآخر حين جمع قريشا عند حضور الموسم وقال
إن وفود العرب ترد فأجمعوا فيه رأيا لا يكذب بعضكم بعضا فقالوا نقول
كاهن قال والله ما هو بكاهن ما هو بزمزمته ولا سجعه قالوا مجنون قال ما هو بمجنون ولا
بخنقه ولا وسوسته قالوا فنقول شاعر قال ما هو بشاعر قد عرفنا الشعر كله رجزه
وهزجه وقريضه ومبسوطه ومقبوضه ما هو بشاعر قالوا فنقول ساحر قال ما هو بساحر
ولا نفثه ولا عقده قالوا فما نقول قال ما أنتم بقائلين من هذا شيئا إلا وأنا أعرف
أنه باطل وإن أقرب القول أنه ساحر فإنه سحر يفرق بين المرء وابنه والمرء وأخيه والمرء
وزوجه والمرء وعشيرته فتفرقوا وجلسوا على السبل يحذرون الناس فأنزل الله
تعالى في الوليد ذرني ومن خلقت وحيدا الآيات وقال عتبة بن ربيعة حين سمع
القرآن قال يا قوم قد علمتم أني لم أترك شيئا إلا وقد علمته وقرأته وقلته والله لقد
سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة وقال النضر
ابن الحارث نحوه وفي حديث إسلام أبي ذر ووصف أخاه أنيسا فقال والله ما
سمعت بأشعر من أخي أنيس لقد ناقض اثني عشر شاعرا في الجاهلية أنا أحدهم

قد ذكرت [illegible] المعنى [illegible] مختلف النظم والألفاظ وإن كان المعنى واحدا
شهاب

لعله نسي

وانه انطلق الى مكة وجاء الى ابي ذر بخبر النبي صلى الله عليه وسلم قلت فما يقول الناس قال يقولون شاعر كاهن ساحر لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ولقد وضعته على اقراء الشعر فلم يلتئم وما يلتئم على لسان احد بعدي انه شعر وانه لصادق وانهم لكاذبون والاخبار في هذا صحيحة كثيرة والاعجاز بكل واحد من النوعين الايجاز والبلاغة بذاتها او الاسلوب الغريب بذاته كل واحد منهما نوع اعجاز على التحقيق لم تقدر العرب على الاتيان بواحد منهما اذ كل واحد خارج عن قدرتها مباين لفصاحتها وكلامها والى هذا ذهب غير واحد من ائمة المحققين وذهب بعض المقتدى بهم الى ان الاعجاز في مجموع البلاغة والاسلوب واتى على ذلك بقول تمجه الاسماع وتنفر منه القلوب والصحيح ما قدمناه والعلم بهذا كله ضرورة وقطعا ومن تفنن في علوم البلاغة وارهف خاطره ولسانه ادب هذه الصناعة لم يخف عليه ما قلناه وقد اختلف ائمة اهل السنة في وجه عجزهم عنه فاكثرهم يقول انه مما جمع في قوة جزالته ونصاعة الفاظه وحسن نظمه وايجازه وبديع تاليفه واسلوبه لا يصح ان يكون في مقدور البشر وانه من باب الخوارق الممتنعة عن اقدار الخلق عليها كاحياء الموتى وقلب العصى وتسبيح الحصى وذهب الشيخ ابو الحسن الى انه مما يمكن ان يدخل مثله تحت مقدور البشر ويقدرهم الله عليه ولكنه لم يكن هذا ولا يكون فمنعهم الله هذا وعجزهم عنه وقال به جماعة من اصحابه وعلى الطريقين عجز العرب عنه ثابت واقامة الحجة عليهم بما يصح ان يكون في مقدور البشر وتحديهم بان ياتوا بمثله قاطع وهو ابلغ في التعجيز واحرى بالتقريع والاحتجاج بمجيء بشر مثلهم بشيء ليس من قدرة البشر لازم وهو ابهر آية واقمع دلالة وعلى كل حال فما اتوا في ذلك بمقال بل صبروا على الجلاء والقتل وتجرعوا كاسات الصغار والذل وكانوا من شموخ الانف واباءة الضيم بحيث لا يؤثرون ذلك اختيارا ولا يرضونه الا اضطرارا والا فالمعارضة لو كانت من قدرهم فالشغل بها اهون عليهم واسرع بالنجح وقطع العذر وافحام الخصم لديهم وهم ممن لهم قدرة على الكلام وقدوة في المعرفة به لجميع الانام وما منهم الا من جهد جهده واستنفد ما عنده في اخفاء ظهوره واطفاء نوره فما جلوا في ذلك خبيئة من بنات شفاههم ولا اتوا بنطفة من معين مياههم مع طول الامد وكثرة العدد وتظاهر الوالد وما ولد بل ابلسوا فما نبسوا ومنعوا فانقطعوا فهذان نوعان

اقراء بفتح الهمزة وسكون القاف والمد جمع قرء بفتح القاف وهو طرقه وقواعده واحده قرء

اي يجعلهم خلفاء في ارضه والكن لها منصورين على اعدائهم وهذه الآية وان كانت عامة المراد بها خلافة المسلمين الى الآن ذلك في خلافة ابي بكر الصديق رضي الله عنه وهذه الآية وان كانت شاملة لكل فتح لكنها نزلت لفتح مكة [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] العباس فقال له [illegible] فقال [illegible] الا تحقيق ثم اشار الى تفسير ما ذكر بقوله فكان [illegible] شهاب رحمه الوهاب

نوعان من اعجازه **فصل الوجه الثالث** من الاعجاز ما انطوى عليه من الاخبار بالمغيبات وما لم يكن ولم يقع فوجد كما ورد وعلى الوجه الذي اخبر كقوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين وقوله وهم من بعد غلبهم سيغلبون وقوله ليظهره على الدين كله وقوله وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم الآية وقوله اذا جاء نصر الله الى آخرها فكان جميع هذا كما قال فغلبت الروم فارس في بضع سنين ودخل الناس في الاسلام افواجا فما مات عليه السلام وفي بلاد العرب كلها موضع لم يدخله الاسلام واستخلف المؤمنين في الارض ومكن فيها دينهم وملكهم اياها من اقصى المشارق الى اقصى المغارب كما قال عليه السلام زويت لي الارض فاريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها وقوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون فكان كذلك لا يكاد يعد من سعى في تغييره وتبديل محكمه من الملحدة والمعطلة لا سيما القرامطة فاجمعوا كيدهم وحولهم وقوتهم اليوم نيفا على خمسمائة عام فما قدروا على اطفاء شيء من نوره ولا تغيير كلمة من كلامه ولا تشكيك المسلمين في حرف من حروفه والحمد لله ومنه قوله سيهزم الجمع ويولون الدبر وقوله قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم الآية وقوله هو الذي ارسل رسوله بالهدى الآية وقوله لن يضروكم الا اذى وان يقاتلوكم الآية فكان كل ذلك وما فيه من كشف اسرار المنافقين واليهود ومقالهم وكذبهم في حلفهم وتقريعهم بذلك كقوله ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول وقوله يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك الآية وقوله من الذين هادوا سماعون للكذب الآية وقوله من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه الى قوله في الدين وقد قال مبديا ما قدره الله واعتقده المؤمنون يوم بدر واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم ومنه قوله تعالى انا كفيناك المستهزئين ولما نزلت بشر النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه بان الله كفاه اياهم وكان المستهزئون نفرا بمكة ينفرون الناس عنه ويؤذونه فهلكوا وقوله والله يعصمك من الناس فكان كذلك على كثرة من رام ضره وقصد قتله والاخبار بذلك معروفة صحيحة **فصل الوجه الرابع** ما انباه به من اخبار القرون السالفة والامم البائدة والشرائع الداثرة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة الا الفذ من احبار اهل الكتاب الذي قطع عمره

وهم الفرس من قوم العجم ويطلق على بلادهم لفظ فارس [illegible] وهو ممنوع من الصرف للعلمية والتانيث شهاب

في تعلم ذلك فيورده النبي صلى الله عليه وسلم على وجهه ويأتي به على نصه فيعترف العالم بذلك بصحته وصدقه وان مثله لم ينله بتعليم وقد علموا انه صلى الله عليه وسلم امي لا يقرأ ولا يكتب ولا اشتغل بمدارسة ولا مثافنة لم يغب عنهم ولا جهل حاله احد منهم وقد كان اهل الكتاب كثيرا ما يسألونه صلى الله عليه وسلم عن هذا فينزل عليه من القرآن ما يتلو عليهم منه ذكرا كقصص الانبياء مع قومهم وخبر موسى والخضر ويوسف واخوته واصحاب الكهف وذي القرنين ولقمن وابنه واشباه ذلك من الانباء وبدء الخلق وما في التورية والانجيل والزبور وصحف ابرهيم وموسى مما صدقه فيه العلماء بها ولم يقدروا على تكذيب ما ذكر منها بل اذعنوا لذلك فمن موفق آمن بما سبق له من خير ومن شقي معاند حاسد ومع هذا لم يحك عن واحد من النصارى واليهود على شدة عداوتهم له وحرصهم على تكذيبه وطول احتجاجه عليهم بما في كتبهم وتقريعهم بما انطوت عليه مصاحفهم وكثرة سؤالهم له عليه السلام وتعنيتهم اياه عن اخبار انبيائهم واسرار علومهم ومستودعات سيرهم واعلامه لهم بمكتوم شرائعهم ومضمنات كتبهم مثل سؤالهم عن الروح وذي القرنين واصحاب الكهف وعيسى وحكم الرجم وما حرم اسرائيل على نفسه وما حرم عليهم من الانعام ومن طيبات كانت احلت لهم فحرمت عليهم ببغيهم وقوله ذلك مثلهم في التورية ومثلهم في الانجيل وغير ذلك من امورهم التي نزل فيها القرآن فاجابهم وعرفهم بما اوحي اليه من ذلك انه انكر ذلك او كذبه بل اكثرهم صرح بصحة نبوته وصدق مقالته واعترف بعناده وحسده اياه كاهل نجران وابن صوريا وابني اخطب وغيرهم ومن باهت في ذلك بعض المباهتة وادعى ان فيما عندهم من ذلك لما حكاه مخالفة دعي الى اقامة حجته وكشف دعوته فقيل له قل فاتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين الى قوله الظالمون فقرع ووبخ ودعا الى احضار ممكن غير ممتنع فمن معترف بما جحده ومتواقح يلقي على فضيحته من كتابه يده ولم يؤثر ان واحدا منهم اظهر خلاف قوله من كتبه ولا ابدى صحيحا ولا سقيما من صحفه قال الله تعالى يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير الآيتين **فصل هذه الوجوه الاربعة من اعجازه بينة لا نزاع فيها ولا مرية** ومن الوجوه البينة في اعجازه من غير هذه الوجوه آي وردت بتعجيز قوم في

قضايا واعلامهم انهم لا يفعلونها فما فعلوا ولا قدروا على ذلك كقوله لليهود قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة الآية قال ابو اسحق الزجاج في هذه الآية اعظم حجة واظهر دلالة على صحة الرسالة لانه قال لهم فتمنوا الموت واعلمهم انهم لن يتمنوه ابدا فلم يتمنه واحد منهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يقولها رجل منكم الا غص بريقه يعني يموت مكانه فصرفهم الله عن تمنيه وجزعهم ليظهر صدق رسوله وصحة ما اوحي اليه اذ لم يتمنه احد منهم وكانوا على تكذيبه احرص لو قدروا ولكن الله يفعل ما يريد فظهرت بذلك معجزته وبانت حجته قال ابو محمد الاصيلي من اعجب امرهم انه لا يوجد منهم جماعة ولا واحد من يوم امر الله بذلك نبيه يقدم عليه ولا يجيب اليه وهذا موجود مشاهد لمن اراد ان يمتحنه منهم وكذلك آية المباهلة من هذا المعنى حيث وفد عليه اساقفة نجران وابوا الاسلام فانزل الله عليه آية المباهلة بقوله فمن حاجك فيه الآية فامتنعوا منها ورضوا باداء الجزية وذلك ان العاقب عظيمهم قال لهم قد علمتم انه نبي وانه ما لاعن قوم نبيا قط فبقي كبيرهم ولا صغيرهم ومثله قوله وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا الى قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاخبرهم انهم لا يفعلون كما كان وهذه الآية ادخل في باب الاخبار عن الغيب ولكن فيها من التعجيز ما في التي قبلها **فصل ومنها الروعة التي تلحق قلوب سامعيه واسماعهم عند سماعه والهيبة التي تعتريهم عند تلاوته** لقوة حاله وانافة خطره وهي على المكذبين به اعظم حتى كانوا يستثقلون سماعه ويزيدهم نفورا كما قال تعالى ويودون انقطاعه لكراهتهم له ولهذا قال عليه السلام ان القرآن صعب مستصعب على من كرهه وهو الحكم واما المؤمن فلا يزال روعته به وهيبته اياه مع تلاوته توليه انجذابا وتكسبه هشاشة لميل قلبه اليه وتصديقه به قال تعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وقال تعالى لو انزلنا هذا القرآن على جبل الآية ويدل على ان هذا شيء خص به انه يعتري من لا يفهم معانيه ولا يعلم تفاسيره كما روي عن نصراني انه مر بقارئ فوقف يبكي فقيل له مم بكيت قال الشجى والنظم وهذه الروعة قد اعترت جماعة قبل الاسلام وبعده فمنهم من اسلم لها لاول وهلة وآمن به ومنهم من كفر فحكي في الصحيح عن جبير بن مطعم قال

سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية أم خلقوا من غير
شيء أم هم الخالقون إلى قوله المسيطرون كاد قلبي أن يطير وفي رواية وذلك أول
ما وقر الإيمان في قلبي وعن عتبة بن ربيعة أنه كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما جاء به
من خلاف قومه فتلا عليهم حم فصلت إلى قوله صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فأمسك
عتبة بيده على في النبي صلى الله عليه وسلم وناشده الرحم أن يكف وفي رواية فجعل النبي
صلى الله عليه وسلم يقرأ وعتبة مصغ ملق يديه خلف ظهره معتمد عليهما حتى انتهى
إلى السجدة فسجد النبي صلى الله عليه وسلم وقام عتبة لا يدري بما يراجعه ورجع إلى أهله
ولم يخرج إلى قومه حتى أتوه فاعتذر لهم وقال والله لقد كلمني بكلام والله ما سمعت
أذناي بمثله قط فما دريت ما أقول له وقد حكي عن غير واحد ممن رام معارضته
أنه اعترته روعة وهيبة كف بها عن ذلك فحكي أن ابن المقفع طلب ذلك ورامه
وشرع فيه فمر بصبي يقرأ وقيل يا أرض ابلعي ماءك فرجع فمحى ما عمل وقال أشهد أن
هذا لا يعارض وما هو من كلام البشر وكان من أفصح وقته وكان يحيى بن حكم الغزال
بليغ الأندلس في زمنه فحكي أنه رام شيئا من هذا فنظر في سورة الإخلاص
ليحذو على مثالها وينسج بزعمه على منوالها قال فاعترتني خشية ورقة حملتني على التوبة
والإنابة

فصل ومن وجوه إعجازه وكونه آية باقية لا تعدم ما بقيت
الدنيا مع تكفل الله بحفظه فقال إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون وقال لا يأتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه وسائر معجزات الأنبياء عليهم السلام
انقضت بانقضاء أوقاتها فلم يبق إلا خبرها والقرآن العزيز الباهرة آياته الظاهرة
معجزاته على ما كان عليه اليوم مدة خمسمائة عام وخمس وثمنين سنة لأول نزوله إلى وقتنا
هذا حجته قاهرة ومعارضته ممتنعة والأعصار كلها طافحة بأهل البيان وحملة علم اللسان
وأئمة البلاغة وفرسان الكلام وجهابذة البراعة والملحد فيهم كثير والمعادي للشرع عتيد
فما منهم من أتى بشيء يؤثر في معارضته ولا ألف كلمتين في مناقضته ولا قدر فيه على مطعن
صحيح ولا قدح المتكلف من ذهنه في ذلك إلا بزند شحيح بل المأثور عن كل من رام ذلك
إلقاؤه في العجز بيديه والنكوص على عقبيه **فصل وقد عد جماعة من الأئمة ومقلدي**
الأمة في إعجازه وجوها كثيرة منها أن قارئه لا يمله وسامعه لا يمجه بل الإكباب

على تلاوته يزيده حلاوة وترديده يوجب له محبة لا يزال غضا طريا وغيره من الكلام
ولو بلغ في الحسن والبلاغة مبلغه يمل مع الترديد ويعادى إذا أعيد وكتابنا يستلذ به
في الخلوات ويؤنس بتلاوته في الأزمات وسواه من الكتب لا يوجد فيها ذلك حتى أحدث
أصحابها لها لحونا وطرقا يستجلبون بتلك اللحون تنشيطهم على قراءتها ولهذا وصف
رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن بأنه لا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عبره
ولا تفنى عجائبه وهو الفصل ليس بالهزل لا يشبع منه العلماء ولا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس
به الألسنة هو الذي لم تنته الجن حين سمعته أن قالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد
ومنها جمعه لعلوم ومعارف لم تعهد العرب عامة ولا محمد صلى الله عليه وسلم
قبل نبوته خاصة بمعرفتها ولا القيام بها ولا يحيط بها أحد من علماء الأمم ولا يشتمل
عليها كتاب من كتبهم فجمع فيه من بيان علم الشرائع والتنبيه على طرق الحجج العقليات
والرد على فرق الأمم ببراهين قوية وأدلة بينة سهلة الألفاظ موجزة المقاصد
رام المتحذلقون بعد أن ينصبوا أدلة مثلها فلم يقدروا عليها كقوله تعالى أوليس
الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم وقل يحييها الذي أنشأها
أول مرة ولو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا إلى ما حواه من علوم السير وأنباء الأمم والمواعظ
والحكم وأخبار الدار الآخرة ومحاسن الآداب والشيم قال الله جل اسمه ما فرطنا
في الكتاب من شيء ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء ولقد ضربنا للناس
في هذا القرآن من كل مثل وقال عليه السلام إن الله أنزل هذا القرآن آمرا وزاجرا
وسنة خالية ومثلا مضروبا فيه نبؤكم وخبر ما كان قبلكم ونبأ ما بعدكم وحكم ما بينكم لا يخلقه
طول الرد ولا تنقضي عجائبه هو الحق ليس بالهزل من قال به صدق ومن حكم به عدل
ومن خاصم به فلج ومن قسم به أقسط ومن عمل به أجر ومن تمسك به هدي
إلى صراط مستقيم ومن طلب الهدى من غيره أضله الله ومن حكم بغيره قصمه الله
هو الذكر الحكيم والنور المبين والصراط المستقيم وحبل الله المتين والشفاء النافع
عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يعوج فيقوم ولا يزيغ فيستعتب ولا تنقضي
عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد ونحوه عن ابن مسعود وقال فيه ولا يختلف ولا يتشان فيه
نبأ الأولين والآخرين وفي الحديث قال الله لمحمد صلى الله عليه وسلم إني منزل عليك

توراة حديثة تفتح بها اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا فيها ينابيع العلم وفهم الحكمة
وربيع القلوب وعن كعب عليكم بالقرآن فانه فهم العقول ونور الحكمة وقال تعالى
ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون وقال هذا بيان للناس
وهدى الآية فجمع فيه مع وجازة الفاظه وجوامع كلمه اضعاف ما في الكتب قبله التي
الفاظها على الضعف منه مرات ومنها جمعه فيه بين الدليل والمدلول وذلك انه
احتج بنظم القرآن وحسن وصفه وايجازه وبلاغته واثناء هذه البلاغة امره ونهيه
ووعده ووعيده فالتالي له يفهم موضع الحجة والتكليف معا من كلام واحد
وسورة منفردة ومنها ان جعله في حيز المنظوم الذي لم يعهد ولم يكن في حيز المنثور
لان المنظوم اسهل على النفوس واوعى للقلوب واسمح في الآذان واحلى على الافهام
فالناس اليه اميل والاهواء اليه اسرع ومنها تيسيره تعالى حفظه لمتعلميه وتقريبه
على متحفظيه قال الله تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر وسائر الامم لا يحفظ كتبها الواحد
منهم فكيف الجماء على مرور السنين عليهم والقرآن متيسر حفظه للغلمان في اقرب مدة
ومنها مشاكلة بعض اجزائه بعضا وحسن ائتلاف انواعها والتئام اقسامها
وحسن التخلص من قصة الى اخرى والخروج من باب الى غيره على اختلاف معانيه
وانقسام السورة الواحدة على امر ونهي وخبر واستخبار ووعد ووعيد واثبات
نبوة وتوحيد وتقرير وترغيب وترهيب الى غير ذلك من فوائده دون خلل يتخلل
فصوله والكلام الفصيح اذا اعتوره مثل هذا ضعفت قوته ولانت جزالته وقل رونقه
وتقلقلت الفاظه فتأمل اول ص وما جمع فيها من اخبار الكفار وشقاقهم وتقريعهم
باهلاك القرون من قبلهم وما ذكر من تكذيبهم لمحمد صلى الله عليه وسلم وتعجبهم مما اتى به والخبر
عن اجتماع ملئهم على الكفر وما ظهر من الحسد في كلامهم وتعجيزهم وتوهينهم ووعيدهم بخزي
الدنيا والآخرة وتكذيب الامم قبلهم واهلاك الله لهم ووعيد هؤلاء مثل مصابهم
وتصبير النبي صلى الله عليه وسلم على اذاهم وتسليته بكل ما تقدم ذكره ثم اخذ في ذكر داود
وقصص الانبياء عليهم السلام كل هذا في اوجز كلام واحسن نظام ومنه الجملة الكثيرة التي
انطوت عليها الكلمات القليلة وهذا كله وكثير مما ذكرنا انه ذكر في اعجاز القرآن الى وجوه كثيرة
ذكرها الائمة لم نذكرها اذ اكثرها داخل في باب بلاغته فلا يجب ان يعد فنا منفردا في اعجازه الا

الا في باب تفصيل فنون البلاغة وكذلك كثير مما قدمنا ذكره عنهم يعد في خواصه
وفضائله لا اعجازه وحقيقة الاعجاز الوجوه الاربعة التي ذكرنا فليعتمد عليها وما
بعدها من خواص القرآن وعجائبه التي لا تنقضي والله ولي التوفيق **فصل**
في انشقاق القمر وحبس الشمس قال الله تعالى اقتربت الساعة وانشق
القمر وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر اخبر تعالى بوقوع انشقاقه بلفظ
الماضي واعراض الكفرة عن آياته واجمع المفسرون واهل السنة على وقوعه اخبرنا
الحسين بن محمد الحافظ من كتابه حدثنا القاضي سراج بن عبد الله حدثنا
الاصيلي حدثنا المروزي حدثنا الفربري حدثنا البخاري حدثنا مسدد حدثنا
يحيى عن شعبة وسفيان عن الاعمش عن ابراهيم عن ابي معمر عن ابن مسعود قال
انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل
وفرقة دونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا وفي رواية مجاهد ونحن
مع النبي صلى الله عليه وسلم وفي بعض طرق الاعمش بمنى ورواه ايضا عن ابن
مسعود الاسود وقال حتى رأيت الجبل بين فرجتي القمر ورواه عنه مسروق انه كان
بمكة وزاد فقال كفار قريش سحركم ابن ابي كبشة فقال رجل منهم ان محمدا ان
كان سحر القمر فانه لا يبلغ من سحره ان يسحر الارض كلها فاسألوا من يأتيكم من بلد
آخر هل رأوا هذا فأتوا فسألوا فاخبروهم انهم رأوا مثل ذلك وحكى السمرقندي
عن الضحاك نحوه وقال فقال ابو جهل هذا سحر فابعثوا الى اهل الآفاق حتى تنظروا
ارأوا ذلك ام لا فاخبر اهل الآفاق انهم رأوه منشقا فقالوا يعني الكفار هذا
سحر مستمر ورواه ايضا عن ابن مسعود علقمة فهؤلاء اربعة عن عبد الله وقد رواه
غير ابن مسعود كما رواه ابن مسعود منهم انس وابن عباس وابن عمر وحذيفة
وعلي وجبير بن مطعم رضي الله تعالى عنهم فقال علي من رواية ابي حذيفة الارحبي
انشق القمر ونحن مع النبي صلى الله عليه وسلم وعن انس سأل اهل مكة النبي صلى الله
عليه وسلم ان يريهم آية فاراهم انشقاق القمر فرقتين حتى رأوا حراء بينهما
رواه عن انس قتادة وفي رواية معمر وغيره عن قتادة عنه اراهم القمر مرتين انشقاقه
فنزلت اقتربت الساعة ورواه عن جبير بن مطعم ابنه محمد وابن ابنه جبير بن محمد

ورواه عن ابن عباس عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ورواه عن ابن عمر مجاهد ورواه عن حذيفة ابو عبد الرحمن السلمي ومسلم بن ابي عمران الازدي واكثر طرق هذه الاحاديث صحيحة والآية مصرحة ولا يلتفت الى اعتراض مخذول بانه لو كان هذا لم يخف على اهل الارض اذ هو شيء ظاهر لجميعهم اذ لم ينقل لنا عن اهل الارض انهم رصدوه تلك الليلة فلم يروه انشق ولو نقل الينا عمن لا يجوز تواطؤهم لكثرتهم على الكذب لما كانت علينا به حجة اذ ليس القمر في حد واحد لجميع اهل الارض فقد يطلع على قوم قبل ان يطلع على آخرين وقد يكون من قوم بضد ما هو من مقابليهم من اقطار الارض او يحول بين قوم وبينه سحاب او جبال ولهذا نجد الكسوفات في بعض البلاد دون بعض وفي بعضها جزئية وفي بعضها كلية وفي بعضها لا يعرفها الا المدعون لعلمها ذلك تقدير العزيز العليم وآية القمر كانت ليلا والعادة من الناس بالليل الهدوء والسكون وايجاف الابواب وقطع التصرف ولا يكاد يعرف من امور السماء شيئا الا من رصد ذلك واهتبل به ولذلك ما يكون الكسوف القمري كثيرا في البلاد واكثرهم لا يعلم به حتى يخبر وكثيرا ما يحدث الثقات بعجائب يشاهدونها من انوار ونجوم طوالع عظام تظهر في الاحيان بالليل في السماء ولا علم عند احد منها وخرج الطحاوي في مشكل الحديث عن اسماء بنت عميس من طريقين ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يوحى اليه ورأسه في حجر علي فلم يصل العصر حتى غربت الشمس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصليت يا علي قال لا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ان كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس قالت اسماء فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعد ما غربت ووقفت على الجبال والارض وذلك بالصهباء في خيبر قال وهذان الحديثان ثابتان ورواتهما ثقات وحكى الطحاوي ان احمد بن صالح كان يقول لا ينبغي لمن سبيله العلم التخلف عن حفظ حديث اسماء لانه من علامات النبوة وروى يونس بن بكير في زيادة المغازي روايته عن ابن اسحق لما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم واخبر قومه بالرفقة والعلامة التي في العير قالوا متى تجيء قال يوم الاربعاء فلما كان ذلك اليوم اشرفت

لطيفة من الاتفاقات الحسنة ان المظفر الواعظ ذكر يوما قرب الغروب فضائل علي كرم الله وجهه ورد الشمس له والسماء مغيمة غيما مطبقا فظنوا ان الشمس قد غربت فهموا بالانصراف فاصحت السماء وبانت الشمس صافية الاشراق فاشار لهم بالجلوس وانشد ارتجالا
لا تغربي يا شمس حتى ينتهي … مدحي لآل المصطفى ولنجله
واثني عنانك ان اردت ثناءهم … انسيت اذ كان الوقوف لاجله
ان كان للمولى وقوفك فليكن … هذا الوقوف لخيله ولرجله
لمولانا المرحوم شهاب

اشرفت قريش ينظرون وقد ولى النهار ولم تجئ فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزيد له في النهار ساعة وحبست عليه الشمس **فصل في نبع الماء من بين اصابعه وتكثيره ببركته صلى الله عليه وسلم** اما الاحاديث في هذا فكثيرة جدا روى حديث نبع الماء من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم جماعة من الصحابة منهم انس وجابر وابن مسعود حدثنا ابو اسحق ابرهيم بن جعفر الفقيه رحمه الله بقراءتي عليه حدثنا القاضي عيسى بن سهل حدثنا ابو القسم حاتم بن محمد حدثنا ابو عمر بن الفخار حدثنا ابو عيسى حدثنا يحيى حدثنا مالك عن اسحق بن عبد الله بن ابي طلحة عن انس بن مالك قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وحانت صلوة العصر فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه فاتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الاناء يده فامر الناس ان يتوضؤا منه قال فرأيت الماء ينبع من تحت اصابعه فتوضأ الناس حتى توضؤا من عند آخرهم ورواه ايضا عن انس قتادة وقال باناء فيه ماء يغمر اصابعه او لا يكاد يغمر قال كم كنتم قال زهاء ثلثمائة وفي رواية عنه وهم بالزوراء عند السوق ورواه ايضا حميد وثابت والحسن عن انس وفي رواية حميد قلت كم كانوا قال ثمانين ونحوه عن ثابت عنه وعنه ايضا وهم نحو من سبعين رجلا واما ابن مسعود ففي الصحيح عنه من رواية علقمة بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس معنا ماء فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلبوا من معه فضل ماء فاتي بماء فصبه في اناء ثم وضع كفه فيه وفي الصحيح عن سالم بن ابي الجعد عن جابر عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة فتوضأ منها واقبل الناس نحوه وقالوا ليس عندنا ماء الا ما في ركوتك فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين اصابعه كامثال العيون وفيه فقلت كم كنتم قال لو كنا مائة الف لكفانا كنا خمس عشرة مائة وروي مثله عن انس عن جابر وفيه انه كان بالحديبية وفي رواية الوليد بن عبادة بن الصامت عنه في حديث مسلم الطويل في ذكر غزوة بواط قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جابر ناد الوضوء وذكر الحديث بطوله وانه لم يجد الا قطرة في عزلاء شجب فاتي به النبي صلى الله عليه وسلم فغمزه فتكلم بشيء لا ادري ما هو وقال ناد بجفنة الركب فاتيت

بها فوضعتها بين يديه وذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم بسط يده في الجفنة وفرق اصابعه وصب جابر عليه وقال بسم الله قال فرأيت الماء يفور من بين اصابعه ثم فارت الجفنة ودارت حتى امتلأت وامر الناس بالاستقاء فاستقوا حتى رووا فقلت هل بقي احد له حاجة فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده من الجفنة وهي ملئى وعن الشعبي ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي في بعض اسفاره باداوة ماء وقيل له ما معنا يا رسول الله ماء غيره فسكبها في ركوة ووضع اصبعه وسطها وغمسها في الماء وجعل الناس يجيئون ويتوضؤون ثم يقومون قال الترمذي وعن عمران بن حصين مثل هذا في هذه المواطن الحفلة والجموع الكثيرة لا تتطرق التهمة الى المحدث به لانهم كانوا اسرع شيء الى تكذيبه لما جبلت عليه النفوس من ذلك ولانهم كانوا ممن لا يسكت على باطل فهؤلاء قد رووا هذا واشاعوه ونسبوا حضور الجم الغفير له ولم ينكر احد من الناس عليهم ما حدثوا به عنهم انهم فعلوه وشاهدوه فصار كتصديق جميعهم له

فصل ومما يشبه هذا من معجزاته تفجير الماء ببركته وانبعاثه بمسه ودعوته فيما رواه مالك في الموطأ عن معاذ بن جبل في قصة غزوة تبوك وانهم وردوا العين وهي تبض بشيء من ماء مثل الشراك فغرفوا من العين بايديهم حتى اجتمع في شيء ثم غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وجهه ويديه واعاده فيها فجرت بماء كثير فاستقى الناس قال في حديث ابن اسحق فانخرق من الماء ما له حس كحس الصواعق ثم قال يوشك يا معاذ ان طالت بك حياة ان ترى ما هاهنا قد ملئ جنانا وفي حديث البراء وسلمة بن الاكوع وحديثه اتم في قصة الحديبية وهم اربع عشرة مائة وبئرها لا تروي خمسين شاة فنزحناها فلم نترك فيها قطرة فقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على جباها قال البراء واتي بدلو منها فبصق فدعا وقال سلمة فاما دعا واما بصق فيها فجاشت فارووا انفسهم وركابهم وفي غير هذه الرواية في هذه القصة من طريق ابن شهاب في الحديبية فاخرج سهما من كنانته فوضع في قعر قليب ليس فيه ماء فروي الناس حتى ضربوا بعطن وعن ابي قتادة وذكر ان الناس شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش في بعض اسفاره فدعا بالميضاة فجعلها في ضبنه ثم التقم فمها فالله اعلم نفث

نفث فيها ام لا فشرب الناس حتى رووا وملؤوا كل اناء معهم فخيل الي انها كما اخذها مني وكانوا اثنين وسبعين رجلا وروي مثله عمران بن حصين وذكر الطبري حديث ابي قتادة على غير ما ذكره اهل الصحيح وان النبي صلى الله عليه وسلم خرج ممدا لاهل مؤتة عندما بلغه قتل الامراء وذكر حديثا طويلا فيه معجزات وآيات للنبي صلى الله عليه وسلم وفيه اعلامهم انهم يفقدون الماء في غد وذكر حديث الميضاة قال والقوم زهاء ثلثمائة وفي كتاب مسلم انه قال لابي قتادة احفظ علي ميضاتك فانه سيكون لها نبأ وذكر نحوه ومن ذلك حديث عمران بن حصين حين اصاب النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه عطش في بعض اسفاره فوجه رجلين من اصحابه واعلمهما انهما يجدان امرأة بمكان كذا معها بعير عليه مزادتان الحديث فوجداها واتيا بها الى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل في اناء من مزادتيها وقال فيه ما شاء الله ان يقول ثم اعاد الماء في المزادتين ثم فتحت عزاليهما وامر الناس فملؤوا اسقيتهم حتى لم يدعوا شيئا الا ملؤوه قال عمران ويخيل الي انهما لم تزدادا الا امتلاء ثم امر فجمع للمرأة من الازواد حتى ملأ ثوبها وقال اذهبي فانا لم نأخذ من مائك شيئا ولكن الله سقانا الحديث بطوله وعن سلمة بن الاكوع قال نبي الله هل من وضوء فجاء رجل باداوة فيها نطفة فافرغها في قدح فتوضأنا كلنا ندغفقه دغفقة اربع عشرة مائة وفي حديث عمر في جيش العسرة وذكر ما اصابهم من العطش حتى ان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه فرغب ابو بكر الى النبي صلى الله عليه وسلم في الدعاء فرفع يديه فلم يرجعهما حتى قالت السماء فانسكبت فملؤوا ما معهم من آنية ولم تجاوز العسكر وعن عمرو بن شعيب ان ابا طالب قال للنبي صلى الله عليه وسلم وهو رديفه بذي المجاز عطشت وليس عندي ماء فنزل النبي صلى الله عليه وسلم وضرب بقدمه الارض فخرج الماء فقال اشرب والحديث في هذا الباب كثير ومنه الاجابة بدعاء الاستسقاء وما جانسه

فصل ومن معجزاته تكثير الطعام ببركته ودعائه صلى الله تعالى عليه وسلم حدثنا القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله حدثنا العذري حدثنا الرازي حدثنا الجلودي حدثنا ابن سفيان حدثنا مسلم بن الحجاج حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا الحسن بن اعين حدثنا معقل عن ابي الزبير عن جابر ان رجلا اتى النبي صلى الله

عليه وسلم يستطعمه فأطعمه شطر وسق شعير فما زال يأكل منه وامرأته وضيفه
حتى كاله فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال لو لم تكله لأكلتم منه
ولقام بكم ومن ذلك حديث أبي طلحة المشهور وإطعامه صلى الله عليه وسلم
ثمانين أو سبعين رجلا من أقراص من شعير جاء بها أنس تحت يده أي
إبطه فأمر بها ففتت وقال فيها ما شاء الله أن يقول وحديث جابر
في إطعامه صلى الله عليه وسلم يوم الخندق ألف رجل من صاع شعير وعناق
وقال جابر فأقسم بالله لأكلوا حتى تركوه وانحرفوا وإن برمتنا لتغط كما هي
وإن عجيننا ليخبز وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق في العجين والبرمة
وبارك رواه عن جابر سعيد بن ميناء وأيمن وعن ثابت مثله عن رجل
من الأنصار وامرأته ولم يسمهما قال وجيء بمثل الكف فجعل رسول الله صلى الله
عليه وسلم يبسطها في الإناء ويقول ما شاء الله فأكل منه من في البيت
والحجرة والدار وكان ذلك قد امتلأ ممن قدم معه صلى الله عليه وسلم لذلك
وبقي بعد ما شبعوا مثل ما كان في الإناء ولأبي أيوب من الطعام زهاء ما يكفيهما
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ادع ثلاثين من أشراف الأنصار فدعاهم
فأكلوا حتى تركوه ثم قال ادع ستين فكان مثل ذلك ثم قال ادع سبعين
فأكلوا حتى تركوه وما خرج منهم أحد حتى أسلم وبايع قال أبو أيوب فأكل من طعامي
مائة وثمانون رجلا وعن سمرة بن جندب أتي النبي صلى الله عليه وسلم
بقصعة فيها لحم فتعاقبوها من غدوة حتى الليل يقوم قوم ويقعد آخرون ومن
من ذلك حديث عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما كنا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثلاثين ومائة وذكر في الحديث أنه عجن صاع من طعام وصنعت
شاة فشوي سواد بطنها ثم قال وايم الله ما من الثلاثين والمائة إلا
إلا وقد حز له حزة من سواد بطنها ثم جعل منها قصعتين فأكلنا أجمعون
وفضل في القصعتين فحملته على البعير ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن أبي
عمرة الأنصاري عن أبيه ومثله لسلمة بن الأكوع وأبي هريرة وعمر بن الخطاب
فذكر والمخمصة أصابت الناس مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه فدعا

حديث أبي أيوب أنه صنع لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ...

حزة بفتح الحاء المهملة وتشديد الزاي ...

ببقية الأزواد فجيء بالحثية من الطعام وفوق ذلك وأعلاهم الذي
أتى بالصاع من التمر فجمعه على نطع قال سلمة فحزرته كربضة العنز ثم دعا الناس
بأوعيتهم فما بقي في الجيش وعاء إلا ملؤوه وبقي منه وعن أبي هريرة أمرني
النبي صلى الله عليه وسلم أن أدعو له أهل الصفة فتتبعتهم حتى جمعتهم فوضعت
بين أيدينا صحفة فأكلنا ما شئنا وفرغنا وهي مثلها حين وضعت إلا أن فيها
أثر الأصابع وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه جمع رسول الله صلى الله عليه
وسلم بني عبد المطلب وكانوا أربعين منهم قوم يأكلون الجذعة ويشربون الفرق
فصنع لهم مدا من طعام فأكلوا حتى شبعوا وبقي كما هو ثم دعا بعس فشربوا
حتى رووا وبقي كأنه لم يشرب وقال أنس إن النبي صلى الله عليه وسلم حين
ابتنى بزينب أمره أن يدعو له قوما سماهم وكل من لقيت حتى امتلأ البيت والحجرة
وقدم إليهم تورا فيه قدر مد من تمر جعل حيسا فوضعه قدامه وغمس ثلاث أصابعه
وجعل القوم يتغدون ويخرجون وبقي التور نحوا مما كان وكان القوم أحدا أو اثنين
وسبعين وفي رواية أخرى في هذه القصة أو مثلها أن القوم كانوا زهاء ثلاثمائة
وأنهم أكلوا حتى شبعوا وقال لي ارفع فلا أدري حين وضعت كان أكثر أم حين
رفعت وفي حديث جعفر بن محمد عن أبيه عن علي أن فاطمة طبخت قدرا لغدائهما
ووجهت عليا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليتغدى معهما فأمرها فغرفت منها لجميع
نسائه صحفة صحفة ثم غرفت له عليه الصلاة والسلام ولعلي ثم لها ثم رفعت
القدر وإنها لتفيض قالت فأكلنا منها ما شاء الله وأمر النبي صلى الله عليه وسلم
عمر بن الخطاب أن يزود أربعمائة راكب من أحمس فقال يا رسول الله ما هي إلا
أصوع قال اذهب فذهب فزودهم منه وكان قدر الفصيل الرابض من التمر
وبقي بحاله من رواية دكين الأحمسي ومن رواية جرير ومثله من رواية
النعمان بن مقرن الخبر بعينه إلا أنه قال أربعمائة راكب من مزينة ومن ذلك
حديث جابر في دين أبيه بعد موته وقد كان بذل لغرماء أبيه أصل ماله فلم يقبلوه
ولم يكن في ثمرها سنتين كفاف دينهم فجاءه النبي صلى الله عليه وسلم بعد
أن أمره بجدادها وجعلها بيادر في أصولها فمشى فيها ودعا فأوفى منه جابر غرماءه

آصع مقلوب من أصوع

هو أخو سويد بن مقرن

ابيه وفضل مثل ما كانوا يجدون كل سنة وفي رواية مثل ما اعطاهم قال
وكان الغرماء يهود فعجبوا من ذلك وقال ابو هريرة اصاب الناس مخمصة
فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم هل من شيء قلت نعم شيء من التمر في المزود
قال فأتني به فادخل يده فاخرج قبضة فبسطها ودعا بالبركة ثم قال ادع عشرة
فاكلوا حتى شبعوا قال خذ ما جئت به وادخل يدك واقبض منه ولا تكبه فقبضت
على اكثر مما جئت به فاكلت منه واطعمت منه حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وابي بكر وعمر الى ان قتل عثمان فانتهب مني فذهب وفي رواية فقد حملت من ذلك
التمر كذا وكذا من وسق في سبيل الله عز وجل وذكرت مثل هذه الحكاية في غزوة
تبوك وان التمر كان بضع عشرة تمرة ومنه ايضا حديث ابي هريرة حين
اصابه الجوع فاستتبعه النبي صلى الله عليه وسلم فوجد لبنا في قدح قد اهدي اليه
وامره ان يدعو اهل الصفة قال فقلت ما هذا اللبن فيهم كنت احق ان اصيب
منه شربة اتقوى بها فدعوتهم وذكر امر النبي صلى الله عليه وسلم ان يسقيهم فجعلت
اعطي الرجل فيشرب حتى يروى ثم ياخذه الآخر حتى روي جميعهم قال فاخذ النبي
صلى الله عليه وسلم القدح وقال بقيت انا وانت اقعد فاشرب فشربت ثم قال
اشرب وما زال يقولها واشرب حتى قلت لا والذي بعثك ما اجد له مسلكا
فاخذ القدح فحمد الله وسمى وشرب الفضلة وفي حديث خالد بن عبد العزى انه اجزر
النبي صلى الله عليه وسلم شاة وكان عيال خالد كثيرا يذبح الشاة فلا تبد
عياله عظما وان النبي صلى الله عليه وسلم وان النبي صلى الله عليه وسلم
اكل من هذه الشاة وجعل فضلتها في دلو خالد ودعا له بالبركة فنثر ذلك لعياله
فاكلوا وافضلوا ذكر خبره الدولابي ومن حديث الآجري في انكاح النبي صلى الله عليه
وسلم امر بلالا بقصعة من اربعة امداد او خمسة ويذبح جزورا لوليمتها قال فاتيته
بذلك فطعن في رأسها ثم ادخل الناس رفقة رفقة ياكلون منها حتى فرغوا وبقيت
منها فضلة فبرك فيها وامر بحملها الى ازواجه وقال كلن واطعمن من غشيكن و
في حديث انس تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم فصنعت امي ام سليم
حيسا فجعلته في تور فذهبت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ضعه

لي وادع لي فلانا وفلانا ومن لقيت فدعوتهم ولم ادع احدا لقيته الا دعوته وذكر
انهم كانوا زهاء ثلاثمائة حتى ملؤوا الصفة والحجرة فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم
تحلقوا عشرة عشرة ووضع النبي صلى الله عليه وسلم يده على الطعام فدعا
فيه وقال ما شاء الله ان يقول فاكلوا حتى شبعوا كلهم فقال لي ارفع فما ادري
حين وضعت اكثر ام حين رفعت واكثر احاديث هذه الفصول في الصحيح
وقد اجتمع على معنى حديث هذا الفصل بضعة عشر من الصحابة رواه عنهم
اضعافهم من التابعين ثم من لا يعد بعدهم واكثرها في قصص مشهورة ومجامع
مشهودة لا يمكن التحدث عنها الا بالحق ولا يسكت الحاضر لها على ما انكر **فصل**
في كلام الشجر وشهادتها له بالنبوة واجابتها دعوته صلى الله عليه وسلم
حدثنا احمد بن محمد بن غلبون الشيخ الصالح فيما اجازنيه عن ابي عمر الطلمنكي عن ابي بكر
المهندس عن ابي القاسم البغوي حدثنا محمد بن فضيل الاخنسي حدثنا ابو حيان
التيمي وكان صدوقا عن مجاهد عن ابن عمر قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم في سفر فدنا منه اعرابي فقال يا اعرابي اين تريد قال الى اهلي قال هل
لك الى خير قال وما هو قال تشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان
محمدا عبده ورسوله قال من يشهد لك على ما تقول قال هذه الشجرة السمرة
وهي بشاطئ الوادي فادعها فانها تجيبك قال فدعاها فاقبلت تخد الارض حتى قامت
بين يديها فاستشهدها ثلاثا فشهدت انه كما قال ثم رجعت الى مكانها وعن بريدة
سأل اعرابي النبي صلى الله عليه وسلم آية فقال له قل لتلك الشجرة رسول الله يدعوك
قال فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها فتقطعت عروقها
ثم جاءت تخد الارض تجر عروقها مغبرة حتى وقفت بين يدي رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالت السلام عليك يا رسول الله قال الاعرابي مرها فلترجع الى منبتها
فرجعت فدلت عروقها في ذلك الموضع فاستوت فقال الاعرابي ائذن لي اسجد لك
قال لو امرت احدا ان يسجد لاحد لامرت المرأة ان تسجد لزوجها قال فائذن لي
اقبل يديك ورجليك فاذن له وفي الصحيح في حديث جابر بن عبد الله الطويل ذهب
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته فلم ير شيئا يستتر به فاذا بشجرتين

بشاطئ الوادي فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم الى احديهما فأخذ بغصن
من اغصانها فقال انقادي علي باذن الله فانقادت معه كالبعير المخشوش
الذي يصانع قائده وذكر انه فعل بالاخرى مثل ذلك حتى اذا كان بالمنصف بينهما
قال التئما علي باذن الله فالتأمتا وفي رواية اخرى فقال يا جابر قل لهذه الشجرة
يقول لك رسول الله صلى الله عليه وسلم الحقي بصاحبتك حتى اجلس خلفكما
ففعلت فزحفت حتى لحقت بصاحبتها فجلس خلفهما فخرجت احضر وجلست
احدث نفسي فالتفت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا والشجرتان قد افترقتا
فقامت كل واحدة منهما على ساق فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقفة فقال
برأسه هكذا يمينا وشمالا وروى اسامة بن زيد نحوه قال قال لي رسول الله صلى الله
عليه وسلم في بعض مغازيه هل يعني مكانا لحاجة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت
ان الوادي ما فيه موضع بالناس فقال هل ترى من نخل او حجارة قلت ارى نخلات
متقاربات قال انطلق وقل لهن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركن ان تأتين
لمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقل للحجارة مثل ذلك فقلت ذلك لهن فوالذي
بعثه بالحق لقد رأيت النخلات يتقاربن حتى اجتمعن والحجارة يتعاقدن حتى صرن
ركاما خلفهن فلما قضى حاجته قال لي قل لهن يفترقن فوالذي نفسي بيده لرأيتهن
والحجارة يفترقن حتى عدن الى مواضعهن وقال يعلى بن سيابة كنت مع النبي صلى الله
في مسير وذكر نحوا من هذين الحديثين وذكر فأمر وديتين وفي رواية اشاءتين
وعن غيلان بن سلمة الثقفي مثله في شجرتين وعن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه
وسلم مثله في غزاة حنين وعن يعلى بن مرة وهو ابن سيابة ايضا وذكر اشياء
رآها من رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ان طلحة او سمرة جاءت فأطافت
به ثم رجعت الى منبتها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها استأذنت ان تسلم علي
وفي حديث عبد الله بن مسعود آذنت النبي صلى الله عليه وسلم بالجن ليلة استمعوا له شجرة
وعن مجاهد عن ابن مسعود في هذا الحديث ان الجن قالوا من يشهد لك قال هذه الشجرة
تعالي يا شجرة فجاءت تجر عروقها لها قعاقع وذكر مثل الحديث الاول او نحوه قال المؤلف
رحمه الله القاضي ابو الفضل فهذا ابن عمر وبريدة وجابر وابن مسعود ويعلى بن مرة و

واسامة بن زيد وانس بن مالك وعلي بن ابي طالب وابن عباس وغيرهم
وقد اتفقوا على هذه القصة نفسها او معناها ورواها عنهم من التابعين اضعافهم
فصارت في انتشارها من القوة حيث هي وذكر ابن فورك انه صلى الله عليه وسلم
سار في غزوة الطائف ليلا وهو وسن فاعترضته سدرة فانفرجت له نصفين
حتى جاز بينهما وبقيت على ساقين الى وقتنا هذا وهي هناك معروفة معظمة
ومن ذلك حديث انس ان جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم ورآه حزينا
اتحب ان اريك آية قال نعم فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى شجرة
من وراء الوادي فقال ادع تلك الشجرة فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه
فقال مرها فلترجع فعادت الى مكانها وعن علي نحو هذا ولم يذكر فيه
جبريل قال اللهم ارني آية لا ابالي من كذبني بعدها فدعا شجرة وذكر مثله وحزنه
صلى الله عليه وسلم لتكذيب قومه وطلبه الآية لهم لا له وذكر ابن اسحق ان
النبي صلى الله عليه وسلم ارى ركانة مثل هذه الآية في شجرة دعاها فأتت
حتى وقفت بين يديه ثم قال ارجعي فرجعت وعن الحسن انه عليه السلام
شكى الى ربه من قومه وانهم يخوفونه وسأله آية يعلم بها ان لا مخافة عليه
فاوحى الله اليه ان ائت وادي كذا فيه شجرة فادع غصنا منها يأتك ففعل فجاء يخط
الارض خطا حتى انتصب بين يديه فحبسه ما شاء الله ثم قال له ارجع كما جئت فرجع
فقال يا رب علمت ان لا مخافة علي ونحو منه عن عمر وقال فيه ارني آية لا ابالي
من كذبني بعدها وذكر نحوه وعن ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم قال لاعرابي أرأيت
ان دعوت هذا العذق من هذه النخلة أتشهد اني رسول الله قال نعم فدعاه فجعل
ينقز حتى اتاه فقال ارجع فعاد الى مكانه وخرجه الترمذي وقال هذا حديث صحيح
فصل في قصة حنين الجذع ويعضد هذه الاخبار حديث انين الجذع وهو
في نفسه مشهور منتشر والخبر به متواتر قد خرجه اهل الصحيح ورواه من الصحابة بضعة عشر
منهم ابي بن كعب وجابر بن عبد الله وانس بن مالك وعبد الله بن عمر وعبد الله
ابن عباس وسهل بن سعد وابو سعيد الخدري وبريدة وام سلمة والمطلب
ابن ابي وداعة كلهم يحدث بمعنى هذا الحديث قال الترمذي وحديث انس صحيح

قال جابر بن عبد الله كان المسجد مسقوفا على جذوع نخل فكان النبي صلى الله عليه وسلم
اذا خطب يقوم على جذع منها فلما صنع له المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت
العشار وفي رواية انس حتى ارتج المسجد لخواره وفي رواية سهل وكثر بكاء
الناس لما راوا به وفي رواية المطلب وابي حتى تصدع وانشق حتى جاء النبي
صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه فسكت زاد غيره فقال النبي صلى الله عليه
وسلم ان هذا بكى لما فقد من الذكر وزاد غيره والذي نفسي بيده لو لم التزمه لم يزل
هكذا الى يوم القيمة تحزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر به النبي صلى الله
عليه وسلم فدفن تحت المنبر كذا في حديث المطلب وسهل بن سعد واسحق عن انس
وفي الروايات عن سهل فدفن تحت منبره او جعلت في السقف وفي حديث
ابي فكان اذا صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلى اليه فلما هدم المسجد اخذه ابي فكان
عنده الى ان اكلته الارض وعاد رفاتا وذكر الاسفرايني ان النبي صلى الله عليه
وسلم دعاه الى نفسه فجاءه يخرق الارض فالتزمه ثم امره فعاد الى مكانه وفي حديث
بريدة فقال يعني النبي صلى الله عليه وسلم ان شئت اردك الى الحائط كنت فيه
تنبت لك عروقك ويكمل خلقك ويجدد لك خوص وثمرة وان شئت اغرسك في الجنة
فياكل اولياء الله من ثمرك ثم اصغى له النبي صلى الله عليه وسلم يستمع ما يقول فقال
تغرسني في الجنة فياكل مني اولياء الله واكون في مكان لا ابلى فيه فسمعه من يليه
فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد فعلت ثم قال اختار دار البقاء على دار الفناء
فكان الحسن اذا حدث بهذا بكى وقال يا عباد الله الخشبة تحن الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم شوقا اليه لمكانه فانتم احق ان تشتاقوا الى لقائه ورواه
عن جابر حفص بن عبيد الله ويقال عبيد الله بن حفص وايمن وابو نضرة وابن المسيب
وسعيد بن ابي كرب وكريب وابو صالح ورواه عن انس بن مالك الحسن وثابت
واسحق بن ابي طلحة ورواه عن ابن عمر نافع وابو حية ورواه ابو نضرة وابو الوداك
عن ابي سعيد وعمار بن ابي عمار عن ابن عباس وابو حازم وعباس بن سهل
ابن سعد عن سهل بن سعد وكثير بن زيد عن المطلب وعبد الله بن بريدة
عن ابيه والطفيل بن ابي عن ابيه قال المؤلف رحمه الله القاضي ابو الفضل

وانشق عطف تفسيري لان حقيقة الانشقاق شق الاجسام العينية كالزجاج والحديد يقال صدعته فانصدع وصدعته فتصدع [illegible] منه صدع الامر اذا افترقه كصدع له علانية فاصدع بما تؤمر [illegible] صداع الراس اوجعه والتصديع التفجر وهو مبالغة في شقه
سيدنا
صباح

رضي الله عنه فهذا حديث كما تراه خرجه اهل الصحة ورواه من الصحابة من ذكرنا
وغيرهم من التابعين ضعفهم الى من لم نذكره وبمن دون هذا العدد يقع العلم
لمن اعتنى بهذا الباب والله المثبت على الصواب.

فصل ومثل هذا في سائر الجمادات

حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمي حدثنا القاضي ابو عبد الله
محمد بن المرابط حدثنا المهلب ابو القسم حدثنا ابو الحسن القابسي حدثنا المروزي
حدثنا الفربري حدثنا البخاري حدثنا محمد بن المثنى حدثنا ابو احمد الزبيري حدثنا
ابن اسرائيل عن منصور عن ابرهيم عن علقمة عن عبد الله قال لقد كنا نسمع
تسبيح الطعام وهو يوكل وفي غير هذه الرواية عن ابن مسعود كنا ناكل مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم ونحن نسمع تسبيحه وقال انس اخذ النبي صلى الله عليه وسلم
كفا من حصى فسبحن في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعنا التسبيح
ثم صبهن في يد ابي بكر فسبحن ثم في ايدينا فما سبحن وروى مثله ابو ذر وذكر
انهن سبحن في كف عمر وعثمان وقال علي كنا بمكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فخرج الى بعض نواحيها فما استقبلته شجرة ولا جبل الا قال السلام عليك يا رسول الله
وعن جابر بن سمرة عنه صلى الله عليه وسلم اني لاعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قيل انه
الحجر الاسود وعن عائشة لما استقبلني جبريل بالرسالة جعلت لا امر بحجر ولا شجر
الا قال السلام عليك يا رسول الله وعن جابر بن عبد الله لم يكن صلى الله عليه وسلم
يمر بحجر ولا شجر الا سجد له وفي حديث العباس اذ اشتمل عليه النبي صلى الله عليه
وسلم وعلى بنيه بملاءة ودعا لهم بالستر من النار كستره اياهم بملاءته فامنت
اسكفة الباب وحوائط البيت امين امين وعن جعفر بن محمد عن ابيه
مرض النبي صلى الله عليه وسلم فاتاه جبريل بطبق فيه رمان وعنب فاكل منه
النبي صلى الله عليه وسلم فسبح وعن انس صعد النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر
وعمر وعثمان احدا فرجف بهم فقال اثبت احد فانما عليك نبي وصديق وشهيدان
ومثله عن ابي هريرة في حراء وزاد معه وعلي وطلحة والزبير وقال فانما عليك نبي
او صديق او شهيد والخبر في حراء ايضا عن عثمان قال ومعه عشرة من اصحابه
انا فيهم وزاد عبد الرحمن وسعدا وقال ونسيت الاثنين وفي حديث سعيد بن

مطلب تسبيح الطعام والحصى

مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
الطعام

زيد الله منه وذكر عشرة وزاد لنفسه وقد روي انه حين طلبته قريش قال
له ثبير اهبط يا رسول الله فاني اخاف ان يقتلوك على ظهري فيعذبني الله فقال
حراء الي يا رسول الله وروي ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ على المنبر
وما قدروا الله حق قدره ثم قال يمجد الجبار نفسه انا الجبار انا الكبير
المتعال فرجف المنبر حتى قلنا ليخرن عنه وعن ابن عباس كان حول البيت ستون
وثلثمائة صنم مثبتة الارجل بالرصاص في الحجارة فلما دخل رسول الله صلى الله عليه
وسلم المسجد عام الفتح جعل يشير بقضيب في يده اليها ولا يمسها ويقول جاء
الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا فما اشار الى وجه صنم الا وقع لقفاه
ولا لقفاه الا وقع لوجهه حتى ما بقي منها صنم ومثله في حديث ابن مسعود
وقال فجعل يطعنها ويقول جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد ومن ذلك
حديثه مع الراهب في ابتداء امره اذ خرج تاجرا مع عمه وكان الراهب لا يخرج الى
الى احد فخرج وجعل يتخللهم حتى اخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا
سيد العالمين يبعثه الله رحمة للعالمين فقال له اشياخ من قريش ما علمك
فقال انه لم يبق شجر ولا حجر الا خر ساجدا له ولا تسجد الا لنبي وذكر القصة ثم قال
واقبل صلى الله عليه وسلم وعليه غمامة تظله فلما دنا من القوم وجدهم سبقوه
الى فيء الشجرة فلما جلس مال الفيء اليه

فصل في الآيات في ضروب الحيوانات

حدثنا سراج بن عبد الملك ابو الحسين الحافظ حدثنا ابي قال حدثنا
القاضي يونس حدثنا ابو الفضل الصقلي حدثنا ثابت بن قاسم عن ابيه وجده قالا
حدثنا ابو العلاء احمد بن عمران حدثنا محمد بن فضيل حدثنا يونس بن عمرو حدثنا
مجاهد عن عائشة قالت كان عندنا داجن فاذا كان عندنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم قر وثبت مكانه فلم يجئ ولم يذهب واذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
جاء وذهب وروي عن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في محفل من اصحابه
اذ جاء اعرابي قد صاد ضبا فقال من هذا قالوا نبي الله فقال واللات والعزى لا امنت
بك او يؤمن هذا الضب وطرحه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له
النبي صلى الله عليه وسلم يا ضب فاجابه بلسان مبين يسمعه القوم جميعا لبيك وسعديك يا

يا زين من وافى القيامة قال من تعبد قال الذي في السماء عرشه وفي الارض
سلطانه وفي البحر سبيله وفي الجنة رحمته وفي النار عقابه قال فمن انا قال رسول
رب العالمين وخاتم النبيين وقد افلح من صدقك وخاب من كذبك
فاسلم الاعرابي ومن ذلك قصة كلام الذئب المشهورة عن ابي سعيد الخدري
بينا راع يرعى غنما له عرض الذئب لشاة منها فاخذها الراعي منه فاقعى الذئب وقال
للراعي الا تتقي الله حلت بيني وبين رزقي قال الراعي العجب من ذئب يتكلم بكلام
الانس فقال الذئب الا اخبرك باعجب من ذلك رسول الله بين الحرتين يحدث
الناس بانباء ما قد سبق فاتى الراعي النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال له النبي
صلى الله عليه وسلم قم فحدثهم ثم قال صدق والحديث فيه قصة وفي بعضه طول
وروي حديث الذئب عن ابي هريرة وفي بعض الطرق عن ابي هريرة فقال
الذئب انت اعجب واقفا على غنمك وتركت نبيا لم يبعث الله قط نبيا اعظم
منه قدرا قد فتحت له ابواب الجنة واشرف اهلها على اصحابه ينظرون قتالهم وما
بينك وبينه الا هذا الشعب فتصير في جنود الله قال الراعي من لي بغنمي قال الذئب
انا ارعاها حتى ترجع فاسلم الرجل اليه غنمه ومضى وذكر قصته واسلامه ووجوده
النبي صلى الله عليه وسلم يقاتل فقال له النبي صلى الله عليه وسلم عد الى غنمك تجدها
بوفرها فوجدها كذلك وذبح للذئب شاة منها وعن ابن وهبان ابن اوس وانه كان
صاحب القصة والمحدث بها ومكلم الذئب وعن ابن سلمة بن عمرو بن الاكوع وانه كان
صاحب هذه القصة ايضا وسبب اسلامه بمثل حديث ابي سعيد وقد روى ابن وهب
مثل هذا انه جرى لابي سفيان بن حرب وصفوان بن امية مع ذئب وجداه اخذ
ظبيا فدخل الظبي الحرم فانصرف الذئب فعجبا من ذلك فقال الذئب
اعجب من ذلك محمد بن عبد الله بالمدينة يدعوكم الى الجنة وتدعونه الى النار
فقال ابو سفيان واللات والعزى لئن ذكرت هذا بمكة لتتركنها خلوفا
وقد روي مثل هذا الخبر وانه جرى لابي جهل واصحابه وعن عباس بن مرداس
السلمي لما تعجب من كلام ضماد صنمه وانشاده الشعر الذي ذكر فيه النبي
صلى الله عليه وسلم فاذا طائر سقط فقال يا عباس اتعجب من كلام ضماد

ولا تعجب من نفسك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الى الاسلام
وانت جالس فكان سبب اسلامه وعن جابر بن عبد الله عن رجل اتى النبي صلى
الله عليه وسلم وآمن به وهو على بعض حصون خيبر وكان في غنم يرعاها لهم فقال
يا رسول الله كيف بالغنم قال احصب وجوهها فان الله سيؤدي عنك امانتك وردها
الى اهلها ففعل فسارت كل شاة منها حتى دخلت الى اهلها وعن انس دخل النبي
صلى الله عليه وسلم حائط انصاري وابو بكر وعمر ورجل من الانصار وفي الحائط
غنم فسجدت له فقال ابو بكر نحن احق بالسجود لك منها الحديث وعن ابي هريرة دخل
النبي صلى الله عليه وسلم حائطا فجاء بعير فسجد له وذكر مثله ومثله في الجمل
عن ثعلبة بن ابي مالك وجابر بن عبد الله ويعلى بن مرة وعبد الله بن جعفر قال وكان لا يدخل
احد الحائط الا شد عليه الجمل فلما دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم دعاه فوضع مشفره
على الارض وبرك بين يديه فخطمه وقال ما بين السماء والارض شيء الا يعلم اني رسول الله
الا عاصي الجن والانس ومثله عن عبد الله بن ابي اوفى وفي خبر آخر في حديث الجمل
ان النبي صلى الله عليه وسلم سألهم عن شأنه فاخبروه انهم ارادوا ذبحه وفي رواية ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم انه شكى الي انكم اردتم ذبحه بعد ان استعملتموه في شاق
العمل من صغره فقالوا نعم وقد روي في قصة العضباء وكلامها للنبي صلى الله عليه وسلم
وتعريفها له بنفسها ومبادرة العشب اليها في الرعي وتجنب الوحوش عنها وندائهم
لها انك لمحمد وانها لم تأكل ولم تشرب بعد موته حتى ماتت ذكره الاسفرائني وروى
ابن وهب ان حمام مكة اظلت النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتحها فدعا لها بالبركة
وروي عن انس وزيد بن ارقم والمغيرة بن شعبة ان النبي صلى الله عليه وسلم
ليلة الغار امر الله شجرة فنبتت تجاه النبي صلى الله عليه وسلم فسترته وامر حمامتين
فوقفتا في فم الغار وفي حديث آخر وان العنكبوت نسجت على بابه فلما اتى الطالبون
له ورأوا ذلك قالوا لو كان فيه احد لم تكن الحمامتان ببابه والنبي صلى الله عليه وسلم
يسمع كلامهم فانصرفوا وعن عبد الله بن قرط قرب للنبي صلى الله عليه وسلم بدنات
خمس او ست او سبع لينحرها يوم عيد فازدلفن اليه بايتهن يبدأ وعن ام سلمة
كان النبي صلى الله عليه وسلم في صحراء فنادته ظبية يا رسول الله قال ما حاجتك قالت

قالت صادني هذا الاعرابي ولي خشفان في ذلك الجبل فاطلقني حتى اذهب
فارضعهما وارجع قال وتفعلين قالت نعم فاطلقها فذهبت ورجعت
فاوثقها فانتبه الاعرابي وقال يا رسول الله الك حاجة قال تطلق هذه الظبية
فاطلقها فخرجت تعدو في الصحراء وتقول اشهد ان لا اله الا الله وانك
رسول الله ومن هذا الباب ما روي من تسخير الاسد لسفينة مولى رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذ وجهه الى معاذ باليمن فلقي الاسد فعرفه انه مولى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه كتابه فهمهم وتنحى عن الطريق وذكر في منصرفه مثل
ذلك وفي رواية اخرى عنه ان سفينة تكسرت به فخرج الى جزيرة فاذا الاسد
فقلت انا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يغمزني بمنكبه حتى اقامني
على الطريق واخذ عليه الصلاة والسلام باذن شاة لقوم من عبد القيس
بين اصبعيه ثم خلاها فصار لها ميسما وبقي ذلك الاثر فيها وفي نسلها بعد
وما روي عن ابراهيم بن حماد بسنده من كلام الحمار الذي اصابه بخيبر وقال
له اسمي يزيد بن شهاب فسماه النبي صلى الله عليه وسلم يعفورا وانه كان يوجهه
الى دور اصحابه فيضرب عليهم الباب برأسه ويستدعيهم وان النبي صلى الله
عليه وسلم لما مات تردى في بئر جزعا وحزنا فمات وحديث الناقة التي شهدت
عند النبي صلى الله عليه وسلم لصاحبها انه ما سرقها وانها ملكه وفي العنز التي اتت
رسول الله صلى الله عليه وسلم في عسكره وقد اصابهم عطش ونزلوا على غير
ماء وهم زهاء ثلاثمائة فحلبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاروى الجند
ثم قال لرافع املكها وما اراك فربطها فوجدها قد انطلقت رواه ابن قانع وغيره
وفيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذي جاء بها هو الذي ذهب بها
وقال صلى الله عليه وسلم لفرسه وقد قام الى الصلاة في بعض اسفاره لا تبرح
بارك الله فيك حتى نفرغ من صلاتنا وجعله قبلته فما حرك عضوا حتى صلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ويلتحق بهذا ما رواه الواقدي ان النبي صلى الله عليه وسلم
لما وجه رسله الى الملوك فخرج ستة نفر منهم في يوم واحد فاصبح كل رجل منهم يتكلم
بلسان القوم الذين بعثه اليهم والحديث في هذا الباب كثير وقد جئنا بالمشهور

مكانك صح

من ذلك وما وقع منه في كتب الائمة **فصل في احياء الموتى وكلامهم وكلام الصبيان**
والمراضع وشهادتهم له بالنبوة صلى الله عليه وسلم حدثنا ابو الوليد هشام
ابن احمد الفقيه بقراءتي عليه والقاضي ابو الوليد محمد بن رشد والقاضي ابو عبد الله
محمد بن عيسى التميمي وغير واحد سماعا واذنا قالوا حدثنا ابو علي الحافظ حدثنا ابو عمر
الحافظ حدثنا ابو زيد عبد الرحمن بن يحيى حدثنا احمد بن سعيد حدثنا ابن الاعرابي
حدثنا ابو داود حدثنا وهب بن بقية عن خالد هو الطحان عن محمد بن عمرو عن ابي سلمة
عن ابي هريرة ان يهودية اهدت للنبي صلى الله عليه وسلم شاة مصلية سمتها
فاكل رسول الله صلى الله عليه وسلم منها واكل القوم فقال ارفعوا ايديكم فانها
اخبرتني انها مسمومة فمات بشر بن البراء فقال لليهودية ما حملك على ما صنعت قالت
ان كنت نبيا لم يضرك الذي صنعت وان كنت ملكا ارحت الناس منك قال
فامر بها فقتلت **وقد روى** هذا الحديث انس وفيه قالت اردت قتلك فقال ما كان الله
ليسلطك على ذلك فقالوا نقتلها قال لا وكذلك روى ابو هريرة من رواية غير وهب
قال فما عرض لها ورواه ايضا جابر بن عبد الله وفيه اخبرتني به هذه الذراع
ولم يعاقبها وفي رواية الحسن ان فخذها لتكلمني انها مسمومة وفي رواية ابي سلمة بن عبد الرحمن
فقالت اني مسمومة وكذلك ذكر الخبر ابن اسحق وقال فيه فتجاوز عنها وفي الحديث
الآخر عن انس انه قال فما زلت اعرفها في لهوات رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفي حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في وجعه الذي مات فيه
ما زالت اكلة خيبر تعاودني فالآن اوان قطعت ابهري **وحكى** ابن اسحق ان كان
المسلمين ليرون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مات شهيدا مع ما اكرمه
الله به من النبوة وقال ابن سحنون اجمع اهل الحديث ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قتل اليهودية التي سمته وقد ذكرنا اختلاف الروايات في ذلك عن ابي
هريرة وانس وجابر **وفي رواية** ابن عباس انه دفعها لاولياء بشر بن البراء فقتلوها
وكذلك اختلفوا في قتله للذي سحره وقال الواقدي وعفوه عنه اثبت عندنا وروى
الحديث البزار عن ابي سعيد فذكر مثله الا انه قال في آخره فبسط يده وقال كلوا بسم الله
فكلنا وذكرنا اسم الله فلم يضر منا احدا **قال** القاضي ابو الفضل وقد خرج حديث الشاة

المسمومة اهل الصحيح وخرجه الائمة وهو حديث مشهور واختلف ائمة اهل
النظر في هذا الباب فمن قائل يقول هو كلام يخلقه الله في الشاة الميتة او الحجر
او الشجرة وحروف واصوات يحدثها الله فيها ويسمعها منها دون تغيير اشكالها
ونقلها عن هيئتها وهو مذهب الشيخ ابي الحسن والقاضي ابي بكر رحمهما الله وآخرون
ذهبوا الى ايجاد الحياة بها اولا ثم الكلام بعده **وحكي** هذا عن شيخنا ابي الحسن
وكل محتمل والله اعلم اذ لم نجعل الحياة شرطا لوجود الحروف والاصوات
اذ لا يستحيل وجودها مع عدم الحياة بمجردها فاما اذا كانت عبارة عن الكلام
النفسي فلا بد من شرط الحياة لها اذ لا يوجد كلام النفس الا من حي خلافا للجبائي
من بين سائر متكلمي الفرق في احالته وجود الكلام اللفظي والحروف والاصوات
الا من حي مركب على تركيب من يصح منه النطق بالحروف والاصوات والتزم ذلك في الحصى
والجذع والذراع وقال ان الله تعالى خلق فيها حياة وخرق لها فما وآلة
امكنها بها من الكلام وهذا لو كان لكان نقله والتهمم به آكد من التهمم بنقل تسبيحه
او حنينه ولم ينقل احد من اهل السير والرواية شيئا من ذلك فدل على سقوط
دعواه مع انه لا ضرورة اليه في النظر والله الموفق وروى وكيع رفعه عن فهد
ابن عطية ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي بصبي قد شب لم يتكلم قط فقال من انا
قال رسول الله **وروى** عن معرض بن معيقيب رايت من النبي صلى الله عليه وسلم
عجبا جيء بصبي يوم ولد فذكر مثله وهو حديث مبارك اليمامة ويعرف بحديث شاصونه
اسم راويه وفيه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم صدقت بارك الله فيك ثم ان
الغلام لم يتكلم بعدها حتى شب فكان يسمى مبارك اليمامة وكانت هذه القصة
بمكة في حجة الوداع **وعن الحسن** اتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم فذكر انه طرح بنية له
في وادي كذا فانطلق معه الى الوادي وناداها باسمها يا فلانة اجيبي باذن الله فخرجت
وهي تقول لبيك وسعديك فقال لها ان ابويك قد اسلما فان احببت ان اردك
عليهما قالت لا حاجة لي فيهما وجدت الله خيرا لي منهما **وعن انس** ان شابا
من الانصار توفي وله ام عجوز عمياء فسجيناه وعزيناها فقالت مات ابني قلنا
نعم قالت اللهم ان كنت تعلم اني هاجرت اليك والى نبيك رجاء ان تعينني على كل

شدته فلا تمكن صلى بهذه المصيبة ثم ارجعنا ان كشف الثوب عن وجهه فطعمها
وروى عن عبد الله بن عبيد الله الانصاري كنت فيمن دفن ثابت بن قيس
ابن شماس وكان قتل باليمامة فسمعناه حين ادخلناه القبر يقول محمد رسول الله
ابو بكر الصديق عمر الشهيد عثمان البر الرحيم فنظرنا فاذا هو ميت وذكر النعمان
ابن بشير ان زيد بن خارجة خر ميتا في بعض ازقة المدينة فرفع وسجي اذ سمعوه بين
العشائين والنساء يصرخن حوله يقول انصتوا انصتوا فحسر عن وجهه فقال
محمد رسول الله النبي الامي وخاتم النبيين كان ذلك في الكتاب الاول ثم قال صدق صدق
صدق وذكر ابا بكر وعمر وعثمان ثم قال السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله
وبركاته ثم عاد ميتا كما كان فسبحان القدير على ما يشاء لا اله الا هو **فصل**
في ابراء المرضى وذوي العاهات اخبرنا ابو الحسن علي بن مشرف فيما اجازنيه و
قرأته على غيره قال حدثنا ابو اسحق الحبال حدثنا ابو محمد بن النحاس حدثنا ابو الورد حدثنا البرقي
عن ابن هشام عن زياد البكائي عن محمد بن اسحق حدثنا ابن شهاب وعاصم
عمر بن قتادة وجماعة ذكرهم بقصة احد بطولها قال قالوا قال سعد بن ابي وقاص
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليناولني السهم لا نصل له فيقول ارم به وقد
رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ عن قوسه حتى اندقت واصيبت
يومئذ عين قتادة يعني ابن النعمان حتى وقعت على وجنته فردها رسول الله صلى الله
عليه وسلم فكانت احسن عينيه وروى قصة قتادة عاصم بن عمر بن قتادة
ويزيد بن عياض بن عمر بن قتادة ورواها ابو سعيد الخدري عن قتادة وبصق
على اثر سهم في وجه ابي قتادة في يوم ذي قرد فما ضرب عليه ولا قاح وروى النسائي
عن عثمان بن حنيف ان اعمى قال يا رسول الله ادع الله ان يكشف لي عن بصري قال
فانطلق فتوضأ ثم صل ركعتين ثم قل اللهم اني اسألك واتوجه اليك بنبيي محمد
نبي الرحمة يا محمد اني اتوجه بك الى ربك ان يكشف عن بصري اللهم شفعه في قال
فرجع وقد كشف الله عن بصره وروى ان ابن ملاعب الاسنة اصابه استسقاء
فبعث الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخذ بيده حثوة من الارض فتفل عليها ثم اعطاها
رسوله فاخذها متعجبا يرى ان قد هزئ به فاتاه بها وهو على شفا فشربها فشفاه الله

الله وذكر العقيلي عن حبيب بن فديك ويقال فويك ان اباه ابيضت عيناه
فكان لا يبصر بهما شيئا فنفث رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه فابصر فرأيته
يدخل الخيط في الابرة وهو ابن ثمانين ورمي كلثوم بن الحصين يوم احد في نحره
فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفل على شجة عبد الله بن انيس فلم تمد
وتفل في عيني علي يوم خيبر وكان رمدا فاصبح بارئا ونفث على ضربة بساق
سلمة بن الاكوع يوم خيبر فبرأت وفي رجل زيد بن معاذ حين اصابها السيف
الى الكعب حين قتل ابن الاشرف فبرأت وعلى ساق علي بن الحكم يوم الخندق
اذ انكسرت فبرأ مكانه وما نزل عن فرسه واشتكى علي بن ابي طالب فجعل
يدعو فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اشفه او عافه ثم ضربه برجله فما اشتكى
ذلك الوجع بعد وقطع ابو جهل يوم بدر يد معوذ بن عفراء فجاء يحمل يده فبصق عليها
رسول الله صلى الله عليه وسلم والصقها فلصقت رواه ابن وهب ومن
روايته ايضا ان خبيب بن يساف اصيب يوم بدر مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم بضربة على عاتقه حتى مال شقه فرده رسول الله صلى الله عليه وسلم
ونفث عليه حتى صح واتته امرأة من خثعم معها صبي به بلاء لا يتكلم فاتي بماء فمضمض
فاه وغسل يديه ثم اعطاها اياه وامرها بسقيه ومسه به فبرأ الغلام وعقل عقلا
يفضل عقول الناس وعن ابن عباس جاءت امرأة بابن لها به جنون فمسح
صدره فثع ثعة فخرج من جوفه مثل الجرو الاسود فشفي وانكفأت القدر على ذراع
محمد بن حاطب وهو طفل فمسح عليه ودعا له وتفل فيه فبرأ لحينه وكانت في كف
شرحبيل الجعفي سلعة تمنعه القبض على السيف وعنان الدابة فشكاها للنبي صلى الله
عليه وسلم فما زال يطحنها بكفه حتى رفعها ولم يبق لها اثر وسألته جارية طعاما
وهو يأكل فناولها من بين يديه وكانت قليلة الحياء فقالت انما اريد من الذي
في فيك فناولها ما في فيه ولم يكن صلى الله عليه وسلم يسأل شيئا فيمنعه فلما استقر
في جوفها القي عليها من الحياء ما لم تكن امرأة بالمدينة اشد حياء منها **في اجابة**
دعائه صلى الله عليه وسلم وهذا باب واسع جدا واجابة دعوة النبي صلى الله
عليه وسلم لجماعة بما دعا لهم وعليهم متواتر على الجملة معلوم ضرورة وقد جاء في حديث

حذيفة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعا لرجل ادركت الدعوة ولده
وولده وولد ولده حدثنا ابو محمد العتابي بقراءتي عليه حدثنا ابو القاسم حاتم بن محمد حدثنا
ابو الحسن القابسي حدثنا ابو زيد المروزي حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن
اسمعيل حدثنا عبد الله بن ابي الاسود حدثنا شعبة عن قتادة عن انس قالت
امي يا رسول الله خادمك انس ادع الله له قال اللهم اكثر ماله وولده وبارك له
فيما آتيته **ومن رواية** عكرمة قال انس فوالله ان مالي لكثير وان ولدي وولد ولدي
ليتعادون اليوم على المائة وفي رواية وما اعلم احدا اصاب من رخاء العيش ما اصبت
ولقد دفنت بيدي هاتين مائة من ولدي لا اقول سقطا ولا ولد ولد ومنه دعاؤه لعبد الرحمن
بن عوف بالبركة **قال** عبد الرحمن فلو رفعت حجرا لرجوت ان اصيب تحته ذهبا
وفتح الله عليه ومات فحفر الذهب من تركته بالفؤوس حتى مجلت فيه الايدي واخذت
كل زوجة ثمانين الفا وكن اربعا وقيل مائة الف وقيل بل صولحت احداهن لانه طلقها
في مرضه على نيف وثمانين الفا واوصى بخمسين الفا بعد صدقاته الفاشية في حياته
وعوارفه العظيمة اعتق يوما ثلاثين عبدا وتصدق مرة بعير فيها سبعمائة بعير وردت
عليه تحمل من كل شيء فتصدق بها وبما عليها وباقتابها واحلاسها ودعا صلى الله
عليه وسلم لمعاوية بالتمكين في البلاد فنال الخلافة ولسعد بن ابي وقاص ان يجيب الله
دعوته فما دعا على احد الا استجيب له ودعا بعز الاسلام بعمر او بابي جهل فاستجيب له
في عمر رضي الله عنه **قال** ابن مسعود ما زلنا اعزة منذ اسلم عمر رضي الله عنه واصاب
الناس في بعض مغازيه عطش فسأله عمر الدعاء فدعا فجاءت سحابة فسقتهم حاجتهم
ثم اقلعت ودعا في الاستسقاء فسقوا ثم شكوا اليه المطر فدعا فصحوا وقال لابي قتادة
افلح وجهك اللهم بارك له في شعره وبشره فمات وهو ابن سبعين سنة وكانه ابن
خمس عشرة وقال للنابغة لا يفضض الله فاك قال فما سقطت له سن وفي رواية
فكان احسن الناس ثغرا اذا سقطت له سن نبتت له اخرى وعاش عشرين ومائة
وقيل اكثر من هذا ودعا لابن عباس اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل فسمي بعد
الحبر وترجمان القرآن ودعا لعبد الله بن جعفر بالبركة في صفقة يمينه فما اشترى شيئا
الا ربح فيه ودعا للمقداد بالبركة فكانت عنده غرائر من المال ودعا لعروة

لعروة بن ابي الجعد فقال فلقد كنت اقوم بالكناسة فما ارجع حتى اربح اربعين
الفا وقال البخاري في حديثه فكان لو اشترى التراب ربح فيه وروي مثل هذا
لغرقدة ايضا وندت له ناقة فدعا فجاء بها اعصار ريح حتى ردها عليه
ودعا لام ابي هريرة فاسلمت ودعا لعلي ان يكفى الحر والبرد فكان يلبس في الشتاء
ثياب الصيف وفي الصيف ثياب الشتاء ولا يصيبه حر ولا برد ودعا
لفاطمة ابنته ان لا يجيعها قالت فما جعت بعد وسأله الطفيل بن عمرو
آية لقومه فقال اللهم نور له فسطع نور بين عينيه فقال يا رب اخاف
ان يقولوا مثلة فتحول الى طرف سوطه فكان يضيء له في الليلة المظلمة فسمي ذا
النور ودعا على مضر فاقحطوا حتى استعطفته قريش فدعا لهم فسقوا ودعا
على كسرى حين مزق كتابه ان يمزق ملكه فلم يبق له باقية ولا بقيت لفارس
رياسة في اقطار الدنيا ودعا على صبي قطع عليه الصلاة ان يقطع الله اثره
فاقعد وقال لرجل رآه يأكل بشماله كل بيمينك فقال لا استطيع فقال لا استطعت
فلم يرفعها الى فيه وقال لعتبة بن ابي لهب اللهم سلط عليه كلبا من كلابك
فاكله الاسد وقال لامرأة الحلك لا سد ناكلها وحديثه المشهور من رواية
عبد الله بن مسعود في دعائه على قريش حين وضعوا السلا على رقبته
وهو ساجد مع الفرث والدم وسماهم قال فلقد رأيتهم قتلوا يوم بدر ودعا
على الحكم بن ابي العاص وكان يختلج بوجهه ويغمز عند النبي صلى الله عليه وسلم
اي لا قراه فقال كذلك كن فلم يزل يختلج الى ان مات ودعا على محلم
ابن جثامة فمات لسبع فلفظته الارض ثم ووري فلفظته مرات فالقوه
بين صدين ورضموا عليه بالحجارة الصد جانب الوادي وجحده رجل بيع
فرس وهي التي شهد فيها خزيمة رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم في الفرس
بعد النبي صلى الله عليه وسلم فقال اللهم ان كان كاذبا فلا تبارك له فيها فاصبحت
شاصية برجلها اي رافعة وهذا الباب اكثر من ان يحاط به **فصل**
في كراماته وبركاته وانقلاب الاعيان له فيما لمسه او باشره اخبرنا احمد بن محمد حدثنا
ابو ذر الهروي اجازة وحدثنا القاضي ابو علي سماعا والقاضي ابو عبد الله محمد

ابن عبد الرحمن وغيرهما قالوا حدثنا ابو الوليد القاضي حدثنا ابو ذر حدثنا
ابو محمد وابو اسحق وابو الهيثم قالوا حدثنا الفربري حدثنا البخاري حدثنا
يزيد بن زريع حدثنا سعيد عن قتادة عن انس بن مالك ان اهل المدينة
فزعوا مرة فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا لابي طلحة كان
يقطف او به قطاف وقال غيره بطيئا فلما رجع قال وجدنا فرسك بحرا
فكان بعد لا يجارى ونخس جملا لجابر وكان قد اعيا فنشط حتى كان ما يملك
زمامه وصنع مثل ذلك بفرس لجعيل الاشجعي خفقها بمخفقة معه وبرك
عليها فلم يملك رأسها نشاطا وباع من بطنها باثني عشر الفا وركب حمارا
قطوفا لسعد بن عبادة فرده هملاجا لا يساير وكانت شعرات من شعره
في قلنسوة خالد بن الوليد فلم يشهد بها قتالا الا رزق النصر وفي الصحيح عن اسماء
بنت ابي بكر رضي الله عنه اخرجت جبة طيالسة وقالت كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يلبسها فنحن نغسلها للمرضى نستشفي بها وحدثنا القاضي
ابو علي عن شيخه ابو القسم بن المأمون قال كانت عندنا قصعة من قصاع
النبي صلى الله عليه وسلم وكنا نجعل فيها الما للمرضى فيستشفون بها واخذ
جهجاه الغفاري القضيب من يد عثمان ليكسره على ركبته فصاح الناس
به فاخذته فيها الاكلة فقطعها ومات قبل الحول وسكب من فضل وضوئه
في بئر قبا فما نزفت بعد وبصق في بئر كانت في دار انس فلم يكن بالمدينة
اعذب منها ومر على ماء فسأل عنه فقيل له اسمه بيسان وماؤه ملح
فقال هو نعمان وماؤه طيب فطاب واتي بدلو من ماء زمزم فمج فيه فصار اطيب
من المسك واعطى الحسن والحسين لسانه فمصاه وكانا يبكيان عطشا فسكتا
وكان لام مالك عكة تهدي فيها للنبي صلى الله عليه وسلم سمنا فامرها النبي صلى الله
عليه وسلم ان لا تعصرها ثم دفعها اليها فاذا هي مملوة سمنا فياتيها بنوها يسألونها
الادم وليس عندها شيء فتعمد اليها فتجد فيها سمنا فكانت تقيم ادمها حتى عصرتها
وكان يتفل في افواه الصبيان المراضيع فيجزيهم ريقه الى الليل ومن ذلك بركة
يده فيما لمسه وغرسه لسلمان حين كاتبه مواليه على ثلثمائة ودية يغرسها لهم

كلها تعلق وتطعم وعلى اربعين اوقية من ذهب فقام عليه السلام وغرسها
له بيده الا واحدة غرسها غيره فاخذت كلها الا تلك الواحدة فقلعها النبي صلى الله
عليه وسلم وردها فاخذت وفي كتاب البزار فاطعم النخل من عامه الا الواحدة
فقلعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وغرسها فاطعمت من عامها واعطاه
مثل بيضة الدجاجة من ذهب بعد ان ادارها على لسانه فوزن منها لمواليه اربعين
اوقية وبقي عنده مثل ما اعطاهم وفي حديث حنش بن عقيل سقاني رسول الله
صلى الله عليه وسلم شربة من سويق شرب اولها وشربت آخرها فما برحت
اجد شبعها اذا جعت وريها اذا عطشت وبردها اذا ظمئت واعطى قتادة بن النعمان
وصلى معه العشاء في ليلة مظلمة مطيرة عرجونا وقال انطلق به فانه سيضيء
من بين يديك عشرا ومن خلفك عشرا فاذا دخلت بيتك فانك سترى
سوادا فاضربه حتى يخرج فانه الشيطان فانطلق فاضاء له العرجون حتى دخل بيته
ووجد السواد فضربه حتى خرج ومنها دفعه لعكاشة جذل حطب وقال اضرب به
حين انكسر سيفه يوم بدر فعاد في يده سيفا صارما طويل القامة ابيض شديد
المتن فقاتل به ثم لم يزل عنده يشهد به المواقف الى ان استشهد في قتال اهل
الردة وكان هذا السيف يسمى العون ودفع لعبد الله بن جحش يوم احد وقد ذهب
سيفه عسيب نخل فرجع في يده سيفا ومنه بركته في درور الشياه الحوائل باللبن
الكثير كقصة شاة ام معبد واعنز معاوية بن ثور وشاة انس وغنم حليمة
مرضعته وشارفها وشاة عبد الله بن مسعود وكانت لم ينز عليها فحل وشاة
المقداد ومن ذلك تزويده اصحابه سقاء ماء بعد ان اوكاه ودعا فيه فلما حضرتهم
الصلاة نزلوا فحلوه فاذا هو لبن طيب وزبدة في فمه من رواية حماد بن سلمة
ومسح على رأس عمير بن سعد وبرك فمات وهو ابن ثمانين فما شاب وروي
مثل هذه القصص عن غير واحد منهم السائب بن يزيد ومدلوك وكان يوجد
لعتبة بن فرقد طيب يغلب طيب نسائه لان رسول الله صلى الله عليه وسلم
مسح بيده على بطنه وظهره وسلت الدم عن وجه عائذ بن عمرو وكان جرح يوم حنين
ودعا له فكانت له غرة كغرة الفرس ومسح على رأس قيس بن زيد الجذامي ودعا له

فهلك ابن مائة سنة ورأسه أبيض وموضع كف النبي صلى الله عليه وسلم وما مرت
يده عليه من شعره أسود فكان يدعى الأغر وروي مثل هذه الحكاية لعمرو بن ثعلبة الجهني
ومسح وجه آخر فما زال على وجهه ومسح وجه قتادة بن ملحان فكان لوجهه بريق
حتى كان ينظر في وجهه كما ينظر في المرآة ووضع يده على رأس حنظلة بن حذيم وبرك
عليه فكان حنظلة يؤتى بالرجل قد ورم وجهه والشاة قد ورم ضرعها فيوضع على موضع
كف النبي صلى الله عليه وسلم فيذهب الورم ونضح في وجه زينب بنت أم سلمة
نضحة من ماء فما يعرف كان في وجه امرأة من الجمال ما بها ومسح على رأس صبي
به عاهة فبرئ واستوى شعره وعلى غير واحد من الصبيان والمرضى والمجانين فبرؤوا
وأتاه رجل به أدرة فأمره أن ينضحها بماء من عين مج فيها ففعل فبرأ وعن طاوس
لم يؤت النبي صلى الله عليه وسلم بأحد به مس فصك في صدره إلا ذهب المس والمجنون
ومج في دلو من بئر ثم صب فيها ففاح فيها ريح المسك وأخذ قبضة من تراب يوم حنين
ورمى بها في وجوه الكفار وقال شاهت الوجوه فانصرفوا يمسحون القذى عن أعينهم
وشكى إليه أبو هريرة النسيان فأمره ببسط ثوبه وغرف بيده فيه ثم أمره بضمه
ففعل فما نسي شيئا بعد وما يروى عنه في هذا كثير وضرب صدر جرير بن عبد الله
ودعا له وكان ذكر له أنه لا يثبت على الخيل فصار من أفرس العرب وأثبتهم
ومسح رأس عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب وهو صغير وكان دميما ودعا له
بالبركة ففرع الرجال طولا وتماما

فصل ومن ذلك ما اطلع عليه من الغيوب وما يكون

والأحاديث في هذا الباب بحر لا يدرك قعره ولا ينزف غمره وهذه المعجزة
من جملة معجزاته المعلومة على القطع الواصل إلينا خبرها على التواتر لكثرة رواتها
واتفاق معانيها على الاطلاع على الغيب حدثنا الإمام أبو بكر محمد بن الوليد الفهري
إجازة وقراءة على غيره قال أبو بكر حدثنا أبو علي التستري حدثنا أبو عمر الهاشمي
حدثنا اللؤلؤي حدثنا أبو داود حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن الأعمش
عن أبي وائل عن حذيفة قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما
ما ترك شيئا يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدثه حفظه من حفظه ونسيه
من نسيه وقد علمه أصحابي هؤلاء وإنه ليكون منه الشيء فأعرفه فأذكره كما يذكر الرجل وجه

وجه الرجل إذا غاب عنه ثم إذا رآه عرفه ثم قال حذيفة ما أدري أنسي أصحابي أم تناسوا
والله ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم من قائد فتنة إلى أن تنقضي الدنيا
يبلغ من معه ثلاثمائة فصاعدا إلا قد سماه لنا باسمه واسم أبيه وقبيلته وقال أبو ذر
لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا
ذكر لنا منه علما وقد خرج أهل الصحيح والأئمة ما أعلم به أصحابه صلى الله عليه وسلم مما وعدهم
به من الظهور على أعدائهم وفتح مكة وبيت المقدس واليمن والشام والعراق
وظهور الأمن حتى تظعن المرأة من الحيرة إلى مكة لا تخاف إلا الله وأن المدينة
ستغزى ويفتح خيبر على يد علي في غد يومه وما يفتح الله على أمته من الدنيا ويؤتون
من زهرتها وقسمتهم كنوز كسرى وقيصر وما يحدث بينهم من الفتن والاختلاف
والأهواء وسلوك سبيل من قبلهم وافتراقهم على ثلث وسبعين فرقة الناجية
منها واحدة وأنها ستكون لهم أنماط ويغدو أحدهم في حلة ويروح في أخرى وتوضع
بين يديه صحفة وترفع أخرى ويسترون بيوتهم كما تستر الكعبة ثم قال آخر الحديث
وأنتم اليوم خير منكم يومئذ وأنهم إذا مشوا المطيطاء وخدمتهم بنات فارس
والروم رد الله بأسهم بينهم وسلط شرارهم على خيارهم وقتالهم الترك والخزر
والروم وذهاب كسرى وفارس حتى لا كسرى ولا فارس بعده وذهاب قيصر
حتى لا قيصر بعده وذكر أن الروم ذات قرون إلى آخر الدهر وبذهاب الأمثل
فالأمثل من الناس وتقارب الزمان وقبض العلم وظهور الفتن والهرج وقال ويل
للعرب من شر قد اقترب وأنه زويت له الأرض فأري مشارقها ومغاربها
وسيبلغ ملك أمته ما زوي له منها فكذلك كان امتدت في المشارق والمغارب
ما بين أرض الهند أقصى المشرق إلى بحر طنجة حيث لا عمارة وراءه وذلك ما لم تملكه
أمة من الأمم ولم تمتد في الجنوب ولا في الشمال مثل ذلك وقوله لا يزال أهل الغرب
ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة ذهب ابن المديني إلى أنهم العرب لأنهم المختصون
بالسقي بالغرب وهي الدلو وغيره يذهب إلى أنهم أهل المغرب وقد ورد المغرب
كذا في الحديث بمعناه وفي حديث آخر من رواية أبي أمامة لا تزال طائفة من أمتي
ظاهرين على الحق قاهرين لعدوهم حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك قيل يا رسول

وابن بهم قال بيت المقدس واخبر بملك بني امية وولاية معاوية ووصاه
واتخاذ بني امية مال الله دولا وخروج ولد العباس بالرايات السود وملكهم
اضعاف ما ملكوا وخروج المهدي وما ينال اهل بيته وتقتيلهم وتشريدهم
وقتل علي رضي الله عنه وان اشقاها الذي يخضب هذه من هذه اي لحيته
من رأسه وانه قسيم النار يدخل اولياؤه الجنة واعداؤه النار فكان فيمن
عاداه الخوارج والناصبة وطائفة ممن ينسب اليه من الروافض كفروه
وقال يقتل عثمان وهو يقرأ المصحف وان الله عسى ان يلبسه قميصا
وانهم يريدون خلعه وانه سيقطر دمه على قوله فسيكفيكهم الله وان
الفتن لا تظهر ما دام عمر حيا وبمحاربة الزبير لعلي وبنباح كلاب الحوأب
على بعض ازواجه وانه يقتل حولها قتلى كثير بعد ما كادت فنبحت على عائشة
رضي الله عنها عند خروجها الى البصرة وان عمارا تقتله الفئة الباغية فقتله
اصحاب معاوية وقال لعبد الله بن الزبير ويل للناس منك وويل لك من الناس
وقال في قزمان وقد ابلى مع المسلمين انه من اهل النار فقتل نفسه وقال
في جماعة فيهم ابو هريرة وسمرة بن جندب وحذيفة آخركم موتا في النار فكان
بعضهم يسأل عن بعض فكان سمرة آخرهم موتا هرم وخرف فاصطلى بالنار
فاحترق فيها وقال في حنظلة الغسيل سلوا زوجته عنه فاني رأيت الملائكة تغسله
فسألوها فقالت انه خرج جنبا واعجله الحال عن الغسل قال ابو سعيد ووجدنا
رأسه يقطر ماء وقال الخلافة في قريش ولن يزال هذا الامر في قريش ما اقاموا
الدين وقال يكون في ثقيف كذاب ومبير فرأوهما الحجاج والمختار وان مسيلمة
يعقره الله وان فاطمة اول اهله لحوقا به وانذر بالردة وبان الخلافة بعده ثلثون
ثم تكون ملكا فكانت كذلك بمدة الحسن بن علي رضي الله عنهما وقال ان هذا الامر
بدأ نبوة ورحمة ثم تكون رحمة وخلافة ثم تكون ملكا عضوضا ثم تكون عتوا وجبروتا
وفسادا في الامة واخبر بشان اويس القرني وبامراء يؤخرون الصلاة عن وقتها
وسيكون في امته ثلثون كذابا فيهم اربع نسوة وفي حديث آخر ثلثون دجالا كذابا آخرهم
الدجال الكذاب كلهم يكذب على الله ورسوله وقال يوشك ان يكثر فيكم العجم

ياكلون فيأكم ويضربون رقابكم ولا تقوم الساعة حتى يسوق الناس بعصاه
رجل من قحطان وقال خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يأتي بعد
ذلك قوم يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون
وقال لا يأتي زمان الا والذي بعده شر منه وقال هلاك امتي على يدي اغيلمة
من قريش قال ابو هريرة راويه لو شئت سميتهم لكم بنو فلان وبنو فلان واخبر
بظهور القدرية والرافضة وسب آخر هذه الامة اولها وقلة الانصار حتى
يكونوا كالملح في الطعام فلم يزل امرهم يتبدد حتى لم يبق لهم جماعة وانهم
سيلقون بعده اثرة واخبر بشان الخوارج وصفتهم والمخدج الذي فيهم
وان سيماهم التحليق وترى رعاء الغنم رؤس الناس والعراة الحفاة يتبارون
في البنيان وان تلد الامة ربتها وان قريشا والاحزاب لا يغزونه ابدا
وانه هو يغزوهم واخبر بالموتان الذي يكون بعد فتح بيت المقدس وما وعد
من سكنى البصرة وانهم يغزون في البحر كالملوك على الاسرة وان الدين
لو كان منوطا بالثريا لناله رجال من ابناء فارس وهاجت ريح في غزاة
فقال هاجت لموت منافق فلما رجعوا الى المدينة وجدوا ذلك وقال لقوم
من جلسائه ضرس احدكم في النار اعظم من احد قال ابو هريرة فذهب القوم
يعني ماتوا وبقيت انا ورجل فقتل مرتدا يوم اليمامة واعلم بالذي غل خرزا
من خرز يهود فوجدت في رحله وبالذي غل الشملة وحديث ناقته حين
ضلت وكيف تعلقت بالشجرة بخطامها وبشان كتاب حاطب الى اهل مكة
وبقضية عمير مع صفوان حين ساره وشارطه على قتل النبي صلى الله
عليه وسلم فلما جاء عمير النبي صلى الله عليه وسلم قاصدا لقتله واطلعه رسول
الله صلى الله عليه وسلم على الامر والسر اسلم واخبر بالمال الذي ترك عمه
العباس عند ام الفضل بعد ان كتمه فقال ما علمه غيري وغيرها فاسلم
واعلم انه سيقتل ابي بن خلف وفي عتبة بن ابي لهب انه يأكله كلب الله
فكان وعن مصارع اهل بدر فكان كما قال وقال في الحسن ان ابني
هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين ولسعد لعلك تخلف حتى ينتفع

بك أقوام ويستضر بك آخرون وأخبر بقتل أهل مؤتة يوم قتلوا وبينهم مسيرة
شهر أو أزيد وبموت النجاشي يوم مات وهو بأرضه وأخبر فيروز إذ ورد
عليه رسولاً من كسرى بموت كسرى ذلك اليوم فلما حقق فيروز القصة أسلم
وأخبر أبا ذر بتطريده كما كان ووجده في المسجد نائماً فقال له كيف بك إذا أخرجت
منه قال أسكن المسجد الحرام قال فإذا أخرجت منه الحديث وبعيشه وحده
وموته وحده وأخبر أن أسرع أزواجه به لحوقاً أطولهن يداً فكانت زينب
لطول يدها بالصدقة وأخبر بقتل الحسين بالطف وأخرج بيده تربة وقال
فيها مضجعه وقال في زيد بن صوحان يسبقه عضو منه إلى الجنة فقطعت يده
في الجهاد وقال في الذين كانوا معه في حراء اثبت فإنما عليك نبي وصديق
وشهيد فقتل عمر وعلي وعثمان وطلحة والزبير وطعن سعد وقال لسراقة كيف
بك إذا ألبست سواري كسرى فلما أتي بهما ألبسهما إياه وقال الحمد لله
سلبهما كسرى وألبسهما سراقة وقال تبنى مدينة بين دجلة ودجيل وقطربل
والصراة تجبى إليها خزائن الأرض يخسف بها يعني بغداد وقال سيكون
في هذه الأمة رجل يقال له الوليد وهو شر لهذه الأمة من فرعون لقومه وقال
لا تقوم الساعة حتى يقتتل فئتان دعواهما واحدة وقال لعمر في سهيل بن عمرو عسى
أن يقوم مقاماً يسرك يا عمر فكان كذلك قام بمكة مقام أبي بكر يوم بلغهم
موت النبي صلى الله عليه وسلم وخطب بنحو خطبته وثبتهم وقوي بصائرهم
وقال لخالد حين وجهه لأكيدر إنك تجده يصيد البقر فوجدت هذه الأمور
كلها في حياته وبعد موته كما قال عليه السلام إلى ما أخبر به جلساءه من أسرارهم
وبواطنهم واطلع عليه من أسرار المنافقين وكفرهم وقولهم فيه وفي المؤمنين
حتى إن كان بعضهم ليقول لصاحبه اسكت فوالله لو لم يكن عنده من يخبره
لأخبرته حجارة البطحاء وإعلامه بصفة السحر الذي سحره به لبيد بن الأعصم وكونه
في مشط ومشاقة في جف طلع نخلة ذكر وأنه ألقي في بئر ذروان فكان كما
قال ووجد على تلك الصفة وإعلامه قريشاً بأكل الأرضة ما في صحيفتهم التي
تظاهروا بها على بني هاشم وقطعوا بها رحمهم وأنها أبقت فيها كل اسم

آب عنه

ومواطنهم صح

اسم لله فوجدوها كما قال ووصفه لكفار قريش بيت المقدس حين كذبوه
في خبر الإسراء ونعته إياه نعت من عرفه وإعلامهم بعيرهم التي مر عليها في طريقه
وإنذارهم بوقت وصولها فكان كله كما قال إلى ما أخبر به من الحوادث التي تكون
ولم تأت بعد ومنها ما ظهرت مقدماتها كقوله عمران بيت المقدس خراب يثرب
وخراب يثرب خروج الملحمة وخروج الملحمة فتح قسطنطينية ومن أشراط الساعة
وآيات حلولها وذكر الحشر والنشر وأخبار الأبرار والفجار والجنة والنار وعرصات
القيامة وبحسب هذا الفصل أن يكون ديواناً مفرداً يشتمل على أجزاء وحده
وفيما أشرنا إليه من نكت الأحاديث التي ذكرناها كفاية وأكثرها في الصحيح وعند الأئمة

فصل في عصمة الله تعالى له من الناس وكفايته من آذاه قال الله تعالى والله يعصمك
من الناس وقال تعالى واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا وقال أليس الله بكاف
عبده قيل بكاف محمداً أعداءه المشركين وقيل غير هذا وقال إنا كفيناك المستهزئين
الذين يجعلون مع الله إلهاً آخر وقال وإذ يمكر بك الذين كفروا الآية أخبرنا القاضي
الشهيد أبو علي الصدفي بقراءتي عليه والفقيه الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله المعافري
قالا حدثنا أبو الحسين الصيرفي حدثنا أبو يعلى البغدادي حدثنا أبو علي السنجي حدثنا
أبو العباس المروزي حدثنا أبو عيسى الحافظ حدثنا عبد بن حميد عن سعيد الجريري عن
عن عبد الله بن شقيق عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يحرس حتى نزلت هذه الآية والله يعصمك من الناس فأخرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم رأسه من القبة فقال لهم يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمني ربي عز وجل
وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا نزل منزلاً اختار له أصحابه شجرة
يقيل تحتها فأتاه أعرابي فاخترط سيفه ثم قال من يمنعك مني فقال الله فرعدت
يد الأعرابي وسقط سيفه وضرب برأسه الشجرة حتى سال دماغه فنزلت الآية وقد
رويت هذه القصة في الصحيح وأن غورث بن الحارث صاحب هذه القصة وأن
النبي صلى الله عليه وسلم عفا عنه فرجع إلى قومه وقال جئتكم من عند خير الناس
وقد حكيت مثل هذه الحكاية أنها جرت له يوم بدر وقد انفرد من أصحابه لقضاء حاجته

فتبعه رجل من المنافقين وذكر مثله وقد روي انه وقع له مثلها في غزوة غطفان بذي امر
مع رجل اسمه دعثور بن الحرث وان الرجل اسلم فلما رجع الى قومه الذين اغروه وكان
سيدهم واشجعهم قالوا له اين ما كنت تقول وقد امكنك فقال اني نظرت الى رجل
ابيض طويل فدفع في صدري فوقعت لظهري وسقط السيف فعرفت انه ملك واسلمت
قيل وفيه نزلت يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم
ايديهم الآية وفي رواية الخطابي ان غورث بن الحرث المحاربي اراد ان يفتك
بالنبي صلى الله عليه وسلم فلم يشعر به الا وهو قائم على رأسه منتضيا سيفه فقال اللهم
اكفنيه بما شئت فانكب من وجهه من زلخة زلخها بين كتفيه وندر سيفه من يده الزلخة
وجع الظهر وقيل في قصته غير هذا وذكر انه فيه نزلت يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله
عليكم اذ هم قوم الآية وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم يخاف قريشا فلما نزلت الآية
استلقى ثم قال من شاء فليخذلني وذكر عبد بن حميد قال كانت حمالة الحطب تضع العضاه
وهي جمر على طريق النبي صلى الله عليه وسلم فكانما يطؤها كثيبا اهيل وذكر ابن اسحق عنها
انها لما بلغها نزول تبت يدا ابي لهب وذكرها بما ذكرها الله مع زوجها من الذم اتت
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد ومعه ابو بكر وفي يدها فهر من حجارة
فلما وقفت عليهما لم تر الا ابا بكر اين صاحبك فقد بلغني انه يهجوني والله لو وجدته
لضربت بهذا الفهر فاه وعن الحكم بن ابي العاص تواعدنا على النبي صلى الله عليه وسلم
حتى اذا رأيناه سمعنا صوتا خلفنا ما ظننا انه بقي بتهامة احد فوقعنا مغشيا
علينا فما افقنا حتى قضى صلاته ورجع الى اهله ثم تواعدنا ليلة اخرى فجئنا حتى اذا رأيناه
جاءت الصفا والمروة فحالت بيننا وبينه وعن عمر رضي الله عنه تواعدت انا وابو
جهم بن حذيفة ليلة قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئنا منزله فسمعنا له فافتتح
وقرأ الحاقة ما الحاقة الى فهل ترى لهم من باقية فضرب ابو جهم على عضد عمر وقال النجا
وفرا هاربين فكانت من مقدمات اسلام عمر ومنه العبرة المشهورة والكفاية التامة
عندما اخافته قريش واجتمعت على قتله وبيتوه فخرج عليهم من بيته فقام على رؤسهم
وقد ضرب الله على ابصارهم وذر التراب على رؤسهم وخلص منهم وحمايته

واخذ الله تعالى ببصرها عن نبيه صلى الله عليه وسلم فقالت يا ابا بكر صح

وحمايته عن رؤيتهم في الغار بما هيأ الله له من الآيات ومن العنكبوت الذي نسج عليه
حتى قال امية بن خلف حين قالوا ندخل الغار ما اربكم فيه وعليه من نسج العنكبوت
ما ارى انه قبل ان يولد محمد ووقفت حمامتان على فم الغار فقالت قريش لو كان
فيه احد لما كانت هناك الحمام وقصته مع سراقة بن مالك بن جعشم حين الهجرة
وقد جعلت قريش فيه وفي ابي بكر الجعائل فانذر به فركب فرسه واتبعه حتى اذا قرب
منه دعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم فساخت قوائم فرسه فخر عنها واستقسم بالازلام
فخرج له ما يكره ثم ركب ودنا حتى سمع قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وابو بكر
يلتفت وقال للنبي صلى الله عليه وسلم اتينا فقال لا تحزن ان الله معنا فساخت
ثانية الى ركبتيها فخر عنها فزجرها فنهضت ولقوائمها مثل الدخان فناداهم بالامان
فكتب له النبي صلى الله عليه وسلم امانا كتبه ابن فهيرة وقيل ابو بكر واخبرهم بالاخبار
وامرهم النبي صلى الله عليه وسلم ان لا يترك احدا يلحق بهم فانصرف يقول للناس
كفيتم ما ههنا وقيل بل قال لهما اراكما دعوتما علي فادعوا لي فنجا ووقع في نفسه
ظهور النبي صلى الله عليه وسلم وفي خبر آخر ان راعيا عرف خبرهما فخرج يشتد يعلم قريشا
فلما ورد مكة ضرب على قلبه فما يدري ما يصنع وانسي ما خرج له حتى رجع الى موضعه
وجاءه فيما ذكر ابن اسحق وغيره ابو جهل بصخرة وهو ساجد وقريش ينظرون
ليطرحها عليه فلزقت بيده ويبست يداه الى عنقه واقبل يرجع القهقرى
الى خلفه ثم سأله ان يدعو له ففعل فانطلقت يداه وكان قد تواعد مع قريش بذلك
وحلف لئن رآه ليدمغنه فسألوه عن شأنه فذكر انه عرض لي دونه فحل ما رأيت
مثله قط هم بي ان يأكلني فقال النبي صلى الله عليه وسلم ذاك جبريل لو دنا لاخذه
وذكر السمرقندي ان رجلا من بني المغيرة اتى النبي صلى الله عليه وسلم ليقتله فطمس الله
على بصره فلم ير النبي صلى الله عليه وسلم وسمع قوله فرجع الى اصحابه ولم يرهم حتى
نادوه وذكر ان في هاتين القصتين نزلت انا جعلنا في اعناقهم اغلالا الآيتين و
من ذلك ما ذكر ابن اسحق في قصته اذ خرج الى بني قريظة في اصحابه فجلس الى جدار بعض
آطامهم فانبعث عمرو بن جحاش احدهم ليطرح عليه رحى فقام النبي صلى الله عليه
وسلم فانصرف الى المدينة واعلمهم بقصتهم وقد قيل ان قوله تعالى يا ايها الذين

آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ همّ قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم فكف ايديهم في هذه
القصة نزلت وحكى السمرقندي انه خرج الى بني النضير يستعين في عقل الكلابيين
الذين قتل عمرو بن امية فقال له حيي بن اخطب اجلس يا ابا القاسم حتى نطعمك
ونعطيك ما سألتنا فجلس النبي صلى الله عليه وسلم مع ابي بكر وعمر وتوامر حيي
معهم على قتله فاعلم جبريل النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقام كأنه يريد حاجته
حتى دخل المدينة وذكر اهل التفسير معنى الحديث عن ابي هريرة ان ابا جهل
وعد قريشا لئن رأى محمدا صلى الله عليه وسلم يصلي ليطأن رقبته فلما صلى
النبي صلى الله عليه وسلم اعلموه فاقبل فلما قرب منه ولّى هاربا ناكصا على عقبيه
متقيا بيديه فسئل فقال لما دنوت منه اشرفت على خندق مملوء نارا كدت
اهوي فيه وابصرت هولا عظيما وخفق اجنحة قد ملأت الارض فقال عليه السلام
تلك الملائكة لو دنا لاختطفته عضوا عضوا ثم انزل على النبي صلى الله عليه وسلم
كلا ان الانسان ليطغى الى آخر السورة ويروى ان شيبة بن عثمان الحجبي ادركه
يوم حنين وكان حمزة قد قتل اباه وعمه فقال اليوم ادرك ثاري من محمد فلما اختلط
الناس اتاه من خلفه ورفع سيفه ليصبه عليه قال فلما دنوت منه ارتفع اليّ شواظ
من نار اسرع من البرق فولّيت هاربا واحسّ بي النبي صلى الله عليه وسلم
فدعاني فوضع يده على صدري وهو ابغض الخلق اليّ فما رفعها الا وهو احب
الخلق اليّ وقال ادن فدنوت فتقدمت امامه اضرب بسيفي واقيه بنفسي ولو
لقيت ابي تلك الساعة لاوقعت به دونه وعن فضالة بن عمرو اردت قتل
النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح وهو يطوف بالبيت فلما دنوت منه قال أفضالة
انت قلت نعم قال ما كنت تحدث به نفسك قلت لا شيء فضحك واستغفر لي
ووضع يده على صدري فسكن قلبي فوالله ما رفعها حتى ما خلق الله شيئا احب
اليّ منه **ومن** مشهور ذلك خبر عامر بن الطفيل واربد بن قيس حين وفدا
على النبي صلى الله عليه وسلم وكان عامر قال له انا اشغل عنك وجه محمد فاضربه
انت فلم يره فعل شيئا فلما كلمه في ذلك قال له والله ما هممت ان اضربه الا وجدتك
بيني وبينه أفأضربك ومن عصمته له تعالى ان كثيرا من اليهود والكهنة انذروا

به وعيّنوه لقريش واخبروهم بسطوته بهم وحضّوهم على قتله فعصمه الله تعالى حتى
بلغ فيه امره ومن ذلك نصره بالرعب مسيرة شهر كما قال عليه السلام **فصل**
ومن معجزاته الباهرة ما جمعه الله تعالى له من المعارف والعلوم وخصه به من الاطلاع
على جميع مصالح الدنيا والدين ومعرفته بامور شرائعه وقوانين دينه وسياسة
عباده ومصالح امته وما كان في الامم قبله وقصص الانبياء والرسل والجبابرة
والقرون الماضية من لدن آدم الى زمنه وحفظ شرائعهم وكتبهم ووعي
سيرهم وسرد انبائهم وايام الله فيهم وصفات اعيانهم واختلاف
آرائهم والمعرفة بمددهم واعمارهم وحكم حكمائهم ومحاجة كل امة من الكفرة
ومعارضة كل فرقة من الكتابيين بما في كتبهم واعلامهم باسرارها ومخبآت
علومها واخبارهم بما كتموه من ذلك وغيّروه الى الاحتواء على لغات العرب
وغريب الفاظ فرقها والاحاطة بضروب فصاحتها والحفظ لايامها وامثالها
وحكمها ومعاني اشعارها والتخصيص بجوامع كلمها الى المعرفة بضرب الامثال الصحيحة
والحكم البينة لتقريب التفهيم للغامض والتبيين للمشكل الى تمهيد قواعد الشرع الذي
لا تناقض فيه ولا تخاذل مع اشتمال شريعته على محاسن الاخلاق ومحامد الآداب
وكل شيء مستحسن مفضل لم ينكر منه ملحد ذو عقل سليم شيئا الا من جهة الخذلان
بل كل جاحد له وكافر من الجاهلية به اذا سمع ما يدعو اليه صوّبه واستحسنه دون
طلب اقامة برهان عليه ثم ما احلّ لهم من الطيبات وحرّم عليهم من الخبائث
وصان به انفسهم واعراضهم واموالهم من المعاقبات والحدود عاجلا والتخويف
بالنار آجلا الى الاحتواء الى ضروب العلوم وفنون المعارف كالطب والعبارة
والفرائض والحساب والنسب وغير ذلك من العلوم مما اتخذ اهل هذه المعارف كلامه
عليه السلام فيها قدوة واصولا في علمهم كقوله عليه السلام الرؤيا لاول عابر
وهي على رجل طائر وقوله الرؤيا ثلاث رؤيا حق ورؤيا يحدث بها الرجل نفسه
ورؤيا تحذير من الشيطان وقوله اذا تقارب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب
وقوله اصل كل داء البردة وما روي عنه وحديث ابي هريرة من قوله المعدة حوض
البدن والعروق اليها واردة وان كان هذا حديثا لا نصححه لضعفه وكونه موضوعا

تكلم عليه الدارقطني وقوله خير ما تداويتم به السعوط واللدود والحجامة والمشي وخير الحجامة
يوم سبع عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين وفي العود الهندي سبعة اشفية
وقوله ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطن الى قوله فان كان لا بد فثلث
للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس وقوله وقد سئل عن سبا
ارجل هو ام امراة او ارض فقال رجل ولد عشرة تيامن منهم ستة وتشاءم
منهم اربعة الحديث بطوله وكذلك جوابه في نسب قضاعة وغير ذلك مما اضطرت
العرب على شغلها بالنسب الى سؤاله عما اختلفوا فيه من ذلك وقوله حمير
رأس العرب ونابها ومذحج هامتها وغلصمتها والازد كاهلها وجمجمتها وهمدان
غاربها وذروتها وقوله ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات
والارض وقوله في الحوض زواياه سواء وقوله في حديث الذكر وان الحسنة
بعشر فتلك مائة وخمسون على اللسان والف وخمسمائة في الميزان وقوله وهو بموضع
نعم موضع الحمام هذا وقوله ما بين المشرق والمغرب قبلة وقوله لعيينة او الاقرع
انا افرس بالخيل منك وقوله لكاتبه ضع القلم على اذنك فانه اذكر للممل هذا مع انه
صلى الله عليه وسلم كان لا يكتب ولكنه اوتي علم كل شيء حتى قد وردت آثار بمعرفته
حروف الخط وحسن تصويرها كقوله لا تمدوا بسم الله الرحمن الرحيم رواه
ابن شعبان من طريق ابن عباس وقوله في الحديث الآخر الذي يروى
عن معاوية انه كان يكتب بين يديه عليه السلام فقال له الق الدواة
وحرف القلم واقم الباء وفرق السين ولا تعور الميم وحسن الله ومد الرحمن
وجود الرحيم وهذا وان لم تصح الرواية انه عليه السلام كتب فلا يبعد ان يرزق
عليه السلام علم هذا ويمنع الكتابة والقراءة واما علمه عليه السلام بلغات
العرب وحفظه معاني اشعارها فامر مشهور قد نبهنا على بعضه اول الكتاب
وكذلك حفظه لكثير من لغات الامم كقوله في الحديث سنه سنه وهي حسنة
بالحبشية وقوله ويكثر الهرج وهو القتل بها وقوله في حديث ابي هريرة اشكم
درد اي وجع البطن بالفارسية الى غير ذلك مما لا يعلم بعض هذا ولا يقوم
ببعضه الا من مارس الدرس والعكوف على الكتب ومثافنة اهلها عمره

عمره وهو رجل كما قال الله تعالى امي لم يكتب ولم يقرأ ولا عرف بصحبة من هذه
صفته ولا نشأ بين قوم لهم علم ولا قراءة لشيء من هذه الامور ولا عرف هو
قبل بشيء منها قال الله تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه
بيمينك الآية انما كانت غاية معارف العرب النسب واخبار اوائلها
والشعر والبيان وانما حصل ذلك لهم بعد التفرغ لعلم ذلك والاشتغال بطلبه
ومباحثة اهله عنه وهذا الفن نقطة من بحر علمه صلى الله عليه وسلم ولا سبيل
الى جحد الملحد لشيء مما ذكرناه ولا وجد الكفرة حيلة في دفع ما نصصناه الا قولهم
اساطير الاولين وانما يعلمه بشر فرد الله قولهم بقوله لسان الذي يلحدون اليه
اعجمي وهذا لسان عربي مبين ثم ما قالوه مكابرة العيان فان الذي نسبوا
تعليمه اليه اما سلمان او العبد الرومي وسلمان انما عرفه بعد الهجرة ونزول الكثير
من القرآن وظهور ما لا يعد من الآيات واما الرومي فكان اسلم وكان يقرأ
على النبي صلى الله عليه وسلم واختلف في اسمه وقيل بل كان النبي صلى الله عليه
وسلم يجلس عنده عند المروة وكلاهما اعجمي اللسان وهم الفصحاء اللد
والخطباء اللسن قد عجزوا عن معارضة ما اتى به والاتيان بمثله بل عن فهم
وصفه وصورة تأليفه ونظمه فكيف باعجمي الكن نعم وقد كان سلمان او بلعام
الرومي او يعيش او جبر او يسار على اختلافهم بين اظهرهم يكلمونه مدى اعمارهم
فهل حكي عن واحد منهم شيء من مثل ما كان يجيء به محمد صلى الله عليه وسلم وهل
عرف واحد منهم بمعرفة شيء من ذلك وما منع العدو حينئذ على كثرة عدده
ودؤوب طلبه وقوة حسده ان يجلس الى هذا فيأخذ عنه ايضا ما يعارض به ويتعلم
منه ما يحتج به على شيعته كفعل النضر بن الحارث بما كان يمخرق به من اخبار كتبه
ولا غاب النبي صلى الله عليه وسلم عن قومه ولا كثرت اختلافاته الى بلاد
اهل الكتب فيقال انه استمد منهم بل لم يزل بين اظهرهم يرعى في صغره وشبابه
على عادة ابنائهم ثم لم يخرج عن بلادهم الا في سفرة او سفرتين لم يطل فيهما
مكثه مدة يحتمل فيها تعليم القليل فكيف الكثير بل كان في سفره في صحبة قومه
ورفاقة عشيرته لم يغب عنهم ولا خالف حاله مدة مقامه بمكة من تعليم واختلاف

الى خبر او قس او منجم او كاهن بل لو كان هذا بعد كله لكان مجيئه بما اتى به من معجز القرآن
قاطعا لكل عذر ومدحضا لكل حجة ومجليا لكل امر غامض فصل ومن خصائصه
عليه السلام وكراماته وباهر آياته انباؤه مع الملائكة والجن وامداد الله له
بالملائكة وطاعة الجن له ورؤية كثير من اصحابه لهم قال الله تعالى وان تظاهرا
عليه فان الله هو مولاه وجبريل الآية وقال اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم
فثبتوا الذين آمنوا وقال اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم الآيتين
وقال واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن الآية حدثنا سفيان
ابن العاصي الفقيه بسماعي عليه حدثنا ابو الليث السمرقندي حدثنا عبد الغافر
الفارسي حدثنا ابو احمد الجلودي حدثنا ابن سفيان ثنا مسلم حدثنا عبيد الله
بن معاذ حدثنا ابي ثنا شعبة عن سليمان الشيباني سمع زر بن حبيش
عن عبد الله قال لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال رأى جبريل في صورته
له ستمائة جناح والخبر في محادثته مع جبريل واسرافيل وغيرهم من الملائكة وما شاهده
من كثرتهم وعظم صور بعضهم ليلة الاسراء مشهور وقد رآهم بحضرته جماعة من الصحابة
في مواطن مختلفة فرأى اصحابه جبريل عليه السلام في صورة رجل يسأله عن الاسلام
والايمان ورأى ابن عباس واسامة وغيرهما عنده جبريل في صورة
دحية ورأى سعد على يمينه وعلى يساره جبريل وميكائيل في صورة رجلين
عليهما ثياب بيض ومثله عن غير واحد وسمع بعضهم زجر الملائكة خيلها يوم
بدر وبعضهم رأى تطاير الرؤس من الكفار ولا يرون الضارب ورأى ابو
سفيان بن الحارث يومئذ رجالا بيضا على خيل بلق بين السماء والارض ما يقوم
لها شيء وقد كانت الملائكة تصافح عمران بن الحصين وارى النبي صلى الله عليه
وسلم لحمزة جبريل في الكعبة فخر مغشيا عليه ورأى عبد الله بن مسعود الجن
ليلة الجن وسمع كلامهم وشبههم برجال الزط وذكر ابن سعد ان مصعب
ابن عمير لما قتل يوم احد اخذ الراية ملك على صورته فكان النبي صلى الله عليه وسلم
يقول له تقدم يا مصعب فقال الملك لست بمصعب فعلم انه ملك وقد ذكر
غير واحد من المصنفين عن عمر بن الخطاب انه قال بينا نحن جلوس مع النبي
صلى الله عليه وسلم اذ اقبل شيخ بيده عصا فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فرد

فرد عليه فقال نغمة الجن من انت قال انا هامة بن الهيم بن لاقيس بن ابليس
فذكر انه لقي نوحا ومن بعده في حديث طويل وان النبي صلى الله عليه وسلم علمه
سورا من القرآن وذكر الواقدي قتل خالد عند هدم العزى للسوداء التي خرجت
له ناشرة شعرها عريانة فجزلها بسيفه واعلم النبي صلى الله عليه وسلم فقال له
تلك العزى وقال عليه السلام ان شيطانا تفلت البارحة ليقطع علي صلاتي
فامكنني الله منه فاخذته فاردت ان اربطه الى سارية من سواري المسجد
حتى تنظروا اليه كلكم فذكرت دعوة اخي سليمان رب اغفر لي وهب لي ملكا
الآية فرده الله خاسئا وهذا باب واسع فصل ومن دلائل نبوته
وعلامات رسالته ما ترادفت به الاخبار عن الرهبان والاحبار وعلماء اهل الكتاب
من صفته وصفة امته واسمه وعلاماته وذكر الخاتم الذي بين كتفيه وما وجد
من ذلك في اشعار الموحدين المتقدمين من شعر تبع والاوس بن حارثة وكعب
ابن لوي وسفيان بن مجاشع وقس بن ساعدة وما ذكر عن سيف
ابن ذي يزن وغيرهم وما عرف به الايادي من امره زيد بن عمرو بن نفيل
وورقة بن نوفل وعثكلان الحميري وعلماء يهود وشامول عالمهم صاحب
تبع من صفته وخبره وما الفي من ذلك في التوراة والانجيل مما قد جمعه العلماء
وبينوه ونقله عنهم ثقات من اسلم منهم مثل ابن سلام وابني سعية
وابن يامين ومخيريق وكعب واشباههم ممن اسلم من علماء يهود وبحيرا ونسطورا
وصاحب بصرى وضغاطر واسقف الشام والجارود وسلمان والنجاشي
ونصارى الحبشة واساقف نجران وغيرهم ممن اسلم من علماء النصارى
وقد اعترف بذلك هرقل وصاحب رومة عالما النصارى ورئيساهم
ومقوقس صاحب مصر والشيخ صاحبه وابن صوريا وابن اخطب واخوه
وكعب بن اسد والزبير بن باطيا وغيرهم من علماء اليهود ممن حملة الحسد
والنفاسة على البقاء على الشقاء والاخبار في هذا كثيرة لا تنحصر وقد قرع
اسماع يهود والنصارى بما ذكر انه في كتبهم من صفته وصفة اصحابه واحتج عليهم
بما انطوت عليه من ذلك صحفهم وذمهم بتحريف ذلك وكتمانه وليهم السنتهم

ببيان امره ودعوتهم المباهلة على الكاذب فما منهم الا من نفر عن معارضته و
ابدا ما الزمهم من كتبهم اظهاره ولو وجدوا خلاف ذلك لكان اظهاره
اهون عليهم من بذل النفوس والاموال وتخريب الديار ونبذ القتال
وقد قال لهم قل فأتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين الى ما انذر به الكهان
مثل شافع بن كليب وشق وسطيح وسواد بن قارب وخنافر وافعى
نجران وجذل بن جذل الكندي وابن خلصة الدوسي وسعد بن بنت كريز
وفاطمة بنت النعمان ومن لا يعد كثرة الى ما ظهر على السنة الاصنام من نبوته
وحلول وقت رسالته وسمع من هواتف الجان ومن ذبايح النصب واجواف
الصور وما وجد من اسم النبي صلى الله عليه وسلم والشهادة له بالرسالة
مكتوبا في الحجارة والقبور بالخط القديم ما اكثره مشهور واسلام من اسلم
بسبب ذلك معلوم مذكور. **فصل ومن ذلك ما ظهر من الآيات عند مولده**
وما حكته امه ومن حضره من العجايب وكونه رافعا راسه عندما وضعته
شاخصا ببصره الى السماء وما راته من النور الذي خرج معها عند ولادته
وما راته اذ ذاك ام عثمان بن ابي العاص من تدلي النجوم وظهور النور عند
ولادته حتى ما تنظر الا النور وقول الشفا ام عبد الرحمن بن عوف لما سقط
عليه السلام على يدي واستهل سمعت قائلا يقول رحمك الله واضاء لي
ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت الى قصور الروم وما تعرفت حليمة وزوجها
ظئراه من بركته ودرور لبنها له ولبن شارفها وخصب غنمها وسرعة
شبابه وحسن نشاته وما جرى من العجايب ليلة مولده من ارتجاج
ايوان كسرى وسقوط شرفاته وغيض بحيرة ساوة وخمود نار فارس وكان
لها الف عام لم تخمد وانه كان اذا اكل مع عمه ابي طالب وآله وهو صغير
شبعوا ورووا فاذا غاب فاكلوا في غيبته لم يشبعوا فكان سائر
ولد ابي طالب يصبحون شعثا ويصبح صلى الله عليه وسلم صقيلا دهينا
كحيلا قالت ام ايمن حاضنته ما رايته صلى الله عليه وسلم شكى جوعا ولا عطشا
صغيرا ولا كبيرا ومن ذلك حراسة السماء بالشهب وقطع رصد الشياطين

ومنعهم استراق السمع وما نشا عليه من بغض الاصنام والعفة عن امور الجاهلية
وما خصه الله به من ذلك وحماه حتى في ستره في الخبر المشهور عند بناء
الكعبة اذ اخذ ازاره ليجعله على عاتقه ليحمل عليه الحجارة وتعرى فسقط الى الارض
حتى رد ازاره عليه فقال له عمه ما بالك قال اني نهيت عن التعري ومن ذلك
اظلال الله له بالغمام في سفره وفي رواية اخرى ان خديجة ونساءها راينه
لما قدم وملكان يظلانه فذكرت ذلك لميسرة فاخبرها انه راى ذلك
منذ خرج معه في سفره وقد روي ان حليمة رات غمامة تظله وهو عندها
وروي ذلك عن اخيه من الرضاعة ومن ذلك انه نزل في بعض اسفاره
قبل مبعثه تحت شجرة يابسة فاعشوشب ما حولها واينعت هي واشرقت
وتدلت عليه اغصانها بمحضر من رآه وميل في الشجرة اليه في الخبر الآخر
حتى اظلته وما ذكر من انه كان لا ظل لشخصه ولا ثيابه ومن ذلك تحبيب

في شمس ولا قمر لانه كان نورا وان الذباب كان لا يقع على جسده

الخلوة اليه حتى اوحي اليه ثم اعلامه بموته ودنو اجله وان قبره في المدينة وفي
بيته وان بين بيته وبين منبره روضة من رياض الجنة وتخيير الله له
عند موته وما اشتمل عليه حديث الوفاة من كراماته وتشريفه وصلوة الملائكة
على جسده على ما رويناه في بعضها واستيذان ملك الموت عليه ولم يستاذن
على غيره قبله ونداؤهم الذي سمعوه ان لا تنزعوا القميص عنه عند غسله وما روي
عن تعزية الخضر والملائكة اهل بيته عند موته الى ما ظهر على اصحابه من كرامته
وبركته في حيوته وموته كاستسقاء عمر بعمه وتبرك غير واحد بذريته الطاهرة
فصل قال القاضي ابو الفضل قد اتينا في هذا الباب على نكت من معجزاته واضحة
وجمل من علامات نبوته مقنعة في واحد منها الكفاية والغنية وتركنا الكثير
سوى ما ذكرنا واقتصرنا من الاحاديث الطوال على عين الغرض وفص المقصد
ومن كثير الاحاديث وغريبها على ما صح واشتهر الا يسيرا من غريبه مما
ذكره مشاهير الائمة وحذفنا الاسناد في جمهورها طلبا للاختصار وبحسب
هذا الباب لو تقصي ان يكون ديوانا جامعا يشتمل على مجلدات عدة ومعجزات
نبينا صلى الله عليه وسلم اظهر من سائر معجزات الرسل بوجهين احدهما

كثرتها وانه لم يؤت نبي معجزة الا وعند نبينا مثلها او ما هو ابلغ منها وقد نبه الناس
على ذلك فان اردته فتامل فصول هذا الباب ومعجزات من تقدم من الانبياء
تقف على ذلك ان شاء الله تعالى واما كونها كثيرة فهذا القران وكله معجز واقل
ما يقع الاعجاز فيه عند بعض ائمة المحققين سورة انا اعطيناك الكوثر او آية في قدرها
وذهب بعضهم الى ان كل آية منه كيف كانت معجزة وزاد آخرون ان كل جملة
منتظمة منه معجزة وان كانت من كلمة او كلمتين والحق ما ذكرناه اولا لقوله تعالى
فاتوا بسورة من مثله فهو اقل ما تحداهم به مع ما ينصر هذا من نظر وتحقيق يطول بسطه
واذا كان هذا ففي القران من الكلمات نحو من سبعة وسبعين الف كلمة ونيف
على عدد بعضهم وعدد كلمات انا اعطيناك الكوثر عشر كلمات فتجزا القران
على نسبة عددها انا اعطيناك الكوثر ازيد من سبعة آلاف جزء كل منها معجز
في نفسه ثم اعجازه كما تقدم بوجهين طريق بلاغته وطريق نظمه فصار في كل
جزء من هذا العدد معجزتان فتضاعف العدد من هذا الوجه ثم فيه وجوه اعجاز
اخر من الاخبار بعلوم الغيب فقد يكون في السورة الواحدة من هذه التجزئة
الخبر عن اشياء من الغيب كل خبر منها بنفسه معجز فتضاعف العدد كرة اخرى
ثم وجوه الاعجاز الاخر التي ذكرناها توجب التضعيف هذا في حق القران فلا يكاد
ياخذ العد معجزاته ولا يحوي الحصر براهينه ثم الاحاديث الواردة والاخبار الصادرة
عنه عليه السلام في هذه الابواب وعما دل على امره مما اشرنا الى جمله يبلغ نحوا
من هذا **الوجه الثالث** وضوح معجزاته صلى الله عليه فان معجزات الرسل كانت
بقدر همم اهل زمانهم وبحسب الفن الذي سما فيه قرنه فلما كان زمن موسى عليه السلام
غاية علم اهله السحر بعث اليهم موسى بمعجزة تشبه ما يدعون قدرتهم فجاءهم منها
ما خرق عادتهم ولم يكن في قدرتهم وابطل سحرهم وكذلك زمن عيسى عليه السلام
اغنى ما كان الطب واوفر ما كان اهله فجاءهم امر لا يقدرون عليه واتاهم ما لم يحتسبوه
من احياء الميت وابراء الاكمه والابرص من دون معالجة ولا طب وهكذا سائر
معجزات الانبياء عليهم السلام ثم ان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم
وجملة معارف العرب وعلومها اربعة البلاغة والشعر والخبر والكهانة فانزل الله

عليه القران الخارق لهذه الاربعة فصول من الفصاحة والايجاز والبلاغة
الخارجة عن نمط كلامهم ومن النظم الغريب والاسلوب العجيب الذي لم يهتدوا
في المنظوم الى طريقه ولا علموا في اساليب الاوزان منهجه ومن الاخبار عن الكوائن
والحوادث والاسرار والمخبآت والضمائر فتوجد على ما كانت ويعترف المخبر عنها
بصحة ذلك وصدقه وان كان اعدى العدو فابطل الكهانة التي تصدق مرة
وتكذب عشرا ثم اجتثها برجم الشهب ورصد النجوم وجاء من الاخبار عن القرون
السالفة وانباء الانبياء والامم البائدة والحوادث الماضية ما يعجز من تفرغ
لهذا العلم عن بعضه على الوجوه التي بسطناها وبينا المعجز فيها ثم بقيت هذه
المعجزة الجامعة لهذه الوجوه الى الفصول الاخر التي ذكرناها في معجزات القران
ثابتة الى يوم القيمة بينة الحجة لكل امة تاتي لا تخفى وجوه ذلك على من نظر فيه وتامل
وجوه اعجازه الى ما اخبر به من الغيوب على هذه السبيل فلا يمر عصر ولا زمن الا
ويظهر فيه صدقه بظهور مخبره على ما اخبر فيتجدد الايمان ويتظاهر البرهان وليس الخبر
كالعيان وللمشاهدة زيادة في اليقين والنفس اشد طمانينة الى عين اليقين
منها الى علم اليقين وان كان كل عندها حقا وسائر معجزات الرسل عليهم
السلام انقرضت بانقراضهم وعدمت بعدم ذواتها ومعجزة نبينا صلى الله عليه
وسلم لا تبيد ولا تنقطع وآياته تتجدد ولا تضمحل ولهذا اشار عليه السلام بقوله
فيما حدثنا القاضي الشهيد ابو علي حدثنا القاضي ابو الوليد حدثنا ابو ذر حدثنا ابو محمد
وابو اسحق وابو الهيثم قالوا حدثنا الفربري حدثنا البخاري حدثنا عبد العزيز بن عبد الله
حدثنا الليث عن سعيد عن ابيه عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال ما من الانبياء نبي الا اعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وانما كان الذي
اوتيت وحيا اوحاه الله الي فارجو اني اكثرهم تابعا يوم القيمة هذا معنى الحديث
عند بعضهم وهو الظاهر والصحيح ان شاء الله تعالى وذهب غير واحد من العلماء في تاويل
هذا الحديث وظهور معجزة نبينا عليه السلام الى معنى آخر من ظهورها بكونها وحيا
وكلاما لا يمكن التخييل فيه ولا التحيل عليه ولا التشبيه فان غيرها من معجزات الرسل
قد رام المعاندون لها باشياء طمعوا في التخييل بها على الضعفاء كالقاء السحرة

عصا لهم وعصيهم وشبه هذا مما تخيله الساحر او تحيل فيه والقران كلام ليس للحيلة
ولا للسحر في التخييل فيه عمل فكان من هذا الوجه عندهم اظهر من غيره من المعجزات
كما لا يتم لشاعر ولا لخطيب ان يكون شاعرا او خطيبا بضرب من التخييل و
والتمويه والتاويل الاول اخلص وارضى وفي هذا التاويل ما يغمض الخفض عليه و
ويغضي ووجه ثالث على مذهب من قال بالصرفة وان المعارضة كانت في مقدور
البشر فصرفوا عنها او على احد مذهبي اهل السنة من ان الاتيان بمثله من جنس
مقدورهم ولكن لم يكن ذلك قبل ولا يكون بعد لان الله تعالى لم يقدرهم
ولا يقدرهم عليه وبين المذهبين فرق بين وعليهما جميعا فترك العرب الاتيان
بما في مقدورهم او ما هو من جنس مقدورهم ورضاهم بالبلاء والجلاء والسباء
والاذلال وتغيير الحال وسلب النفوس والاموال والتقريع والتوبيخ والتعجيز والتهديد
والوعيد ابين آية للعجز عن الاتيان بمثله والنكول عن معارضته وانهم منعوا
عن شيء هو من جنس مقدورهم والى هذا ذهب الامام ابو المعالي الجويني وغيره
قال وهذا عندنا ابلغ في خرق العادة بالافعال البديعة في انفسها كقلب العصا
حية ونحوها فانه قد يسبق الى بال الناظر بدارا ان ذلك من اختصاص صاحب
ذلك بمزيد معرفة في ذلك الفن وفضل علم الى ان يرد ذلك صحيح النظر واما التحدي
للخلائق المئين من السنين بكلام من جنس كلامهم ليأتوا بمثله فلم ياتوا فلم يبق
بعد توفر الدواعي على المعارضة ثم عدمها الا منع الله الخلق عنها بمثابة ما لو قال
نبي آيتي ان يمنع الله القيام عن الناس مع مقدرتهم عليه وارتفاع الزمانة عنهم
فكان ذلك وعجزهم الله عن القيام لكان من ابهر آية واظهر دلالة وبالله التوفيق
وقد غاب عن بعض العلماء وجه ظهور آيته على سائر آيات الانبياء حتى احتاج للعذر
بذلك بدقة افهام العرب وذكاء البابها ووفور عقولها وانهم ادركوا المعجزة
فيه بفطنتهم وجاءهم من ذلك بحسب ادراكهم وغيرهم من القبط وبني اسرائيل
وغيرهم لم يكونوا بهذه السبيل بل كانوا من الغباوة وقلة الفطنة بحيث جوز عليهم
فرعون انه ربهم وجوز عليهم السامري ذلك في العجل بعد ايمانهم وعبدوا المسيح مع اجماعهم
على صلبه وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم فجاءتهم من الآيات الظاهرة البينة للابصار

بقدر غلظ افهامهم ما لا يشكون فيه ومع هذا فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة
ولم يصبروا على المن والسلوى واستبدلوا الذي هو ادنى بالذي هو خير والعرب
على جاهليتها اكثرها يعترف بالصانع وانما كانت تتقرب بالاصنام الى الله تعالى
زلفى ومنهم من آمن بالله وحده من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم بدليل عقله
وصفاء لبه ولما جاءهم الرسول بكتاب الله تعالى فهموا الحكمة وتبينوا الفضل
ادراكهم لاول وهلة معجزته فآمنوا به وازدادوا كل يوم ايمانا ورفضوا الدنيا كلها
في صحبته وهجروا ديارهم واموالهم وقتلوا آباءهم وابناءهم في نصرته واتى في معنى هذا
بما يلوح له رونق ويعجب منه زبرج لو احتيج اليه وحقق لكنا قدمنا من بيان معجزة نبينا صلى الله
عليه وسلم وظهورها ما يغني عن ركوب بطون هذه المسالك وظهورها وبالله
استعين

القسم الثاني فيما يجب على الانام من حقوقه عليه السلام

قال القاضي
ابو الفضل رضي الله عنه وهذا قسم لخصت فيه الكلام في اربعة ابواب على ما ذكرناه
اول الكتاب ومجموعها في وجوب تصديقه واتباعه وطاعته ومحبته ومناصحته و
وتوقيره وبره وحكم الصلاة عليه والتسليم وزيارة قبره عليه السلام

الباب الاول في فرض الايمان به ووجوب طاعته واتباع سنته

اذا تقرر بما قدمناه ثبوت نبوته
وصحة رسالته وجب الايمان به وتصديقه فيما اتى به قال الله تعالى فآمنوا بالله ورسوله
والنور الذي انزلنا وقال انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله
ورسوله وقال فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الآية فالايمان بالنبي محمد عليه السلام
واجب متعين لا يتم ايمان الا به ولا يصح اسلام الا معه قال الله تعالى ومن لم يؤمن
بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا حدثنا ابو محمد الخشني الفقيه بقراءتي عليه
قال حدثنا الامام ابو علي الطبري حدثنا عبد الغافر الفارسي حدثنا ابن عمرويه حدثنا
ابن سفيان حدثنا ابو الحسين حدثنا امية بن بسطام حدثنا يزيد بن زريع حدثنا
روح عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب عن ابيه عن ابي هريرة عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله
ويؤمنوا بي وبما جئت به فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم
على الله قال القاضي ابو الفضل والايمان به عليه السلام هو تصديق نبوته ورسالة الله له

وتصديقه في جميع ما جاء به وما قاله ومطابقة تصديق القلب بذلك شهادة
اللسان بانه رسول الله فاذا اجتمع التصديق به بالقلب والنطق بالشهادة
بذلك باللسان تم الايمان به والتصديق له كما ورد في هذا الحديث نفسه من رواية
عبد الله بن عمر رضي الله عنهما امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله
الا الله وان محمدا رسول الله وزاده وضوحا في حديث جبريل اذ قال اخبرني
عن الاسلام فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان تشهد ان لا اله الا الله
وان محمدا رسول الله وذكر اركان الاسلام ثم سأله عن الايمان قال ان تؤمن
بالله وملائكته وكتبه ورسله الحديث فقد قرر ان الايمان محتاج الى العقد بالجنان
والاسلام به مضطر الى النطق باللسان وهذه الحال المحمودة التامة واما الحال
المذمومة فالشهادة باللسان دون تصديق القلب وهذا هو النفاق قال الله
تعالى اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم
انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون اي كاذبون في قولهم ذلك
عن اعتقادهم وتصديقهم وهم لا يعتقدونه فلما لم تصدق ذلك ضمائرهم لم ينفعهم
ان يقولوا بالسنتهم ما ليس في قلوبهم فخرجوا عن اسم الايمان ولم يكن لهم في الآخرة حكمه
اذ لم يكن معهم ولحقوا بالكافرين في الدرك الاسفل من النار وبقي عليهم حكم الاسلام
باظهار شهادة اللسان في احكام الدنيا المتعلقة بالائمة وحكام المسلمين الذين احكامهم
على الظواهر بما اظهروه من علامة الاسلام اذ لم يجعل للبشر سبيل الى السرائر ولا امروا
بالبحث عنها بل نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التحكم عليها وذم ذلك وقال هلا
شققت عن قلبه والفرق بين القول والعقد ما جعل في حديث جبريل الشهادة من
من الاسلام والتصديق من الايمان وبقيت حالتان اخريان بين هذين احدهما
ان يصدق بقلبه ثم يخترم قبل اتساع وقت للشهادة بلسانه فاختلف فيه فشرط
بعضهم من تمام الايمان القول والشهادة به وراه بعضهم مؤمنا مستوجبا للجنة
لقوله عليه السلام يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان فلم يذكر سوى
ما في القلب وهذا مؤمن بقلبه غير عاص ولا مفرط بترك غيره وهذا هو الصحيح في هذا الوجه
الثانية ان يصدق بقلبه ويطول مهله وعلم ما يلزمه من الشهادة فلم ينطق بها جملة

جملة ولا استشهد في عمره ولا مرة فهذا اختلف فيه ايضا فقيل هو مؤمن لانه مصدق
والشهادة من جملة الاعمال فهو عاص بتركها غير مخلد وقيل ليس بمؤمن حتى يقارن
عقده شهادة اذ الشهادة انشاء عقد والتزام ايمان وهي مرتبطة مع العقد
ولا يتم التصديق مع المهلة الا بها وهذا هو الصحيح وهذه نبذة تفضي الى متسع من الكلام
في الاسلام والايمان وابوابهما وفي الزيادة فيهما والنقصان وهل التجزي ممتنع على
مجرد التصديق لا يصح فيه جملة وانما يرجع الى ما زاد عليه من عمل وقد يعرض فيه
لاختلاف صفاته وتباين حالاته من قوة يقين وتصميم اعتقاد ووضوح معرفة
ودوام حالة وحضور قلب وفي بسط هذا خروج عن غرض التأليف وفيما ذكرنا
غنية فيما قصدنا ان شاء الله تعالى **فصل واما وجوب طاعته فاذا وجب**
الايمان به وتصديقه فيما جاء به وجبت طاعته لان ذلك مما اتى به قال الله تعالى
يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله وقال قل اطيعوا الله والرسول وقال تعالى
واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون وقال ان تطيعوه تهتدوا وقال من يطع
الرسول فقد اطاع الله وقال وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا
وقال ومن يطع الله والرسول فاولئك الآية وقال وما ارسلنا من رسول
الا ليطاع باذن الله فجعل تعالى طاعة رسوله طاعته وقرن طاعته بطاعته
ووعد على ذلك بجزيل الثواب واوعد على مخالفته بسوء العقاب واوجب
امتثال امره واجتناب نهيه قال المفسرون والائمة طاعة الرسول في التزام سنته
والتسليم لما جاء به وقالوا ما ارسل الله من رسول الا فرض طاعته على من
ارسله اليه وقالوا من يطع الرسول في سنته يطع الله في فرائضه وسئل سهل
ابن عبد الله عن شرائع الاسلام فقال وما آتاكم الرسول فخذوه وقال السمرقندي
يقال اطيعوا الله في فرائضه والرسول في سنته وقيل اطيعوا الله فيما حرم عليكم
والرسول فيما بلغكم ويقال اطيعوا الله بالشهادة له بالربوبية والرسول بالشهادة
له بالنبوة حدثنا ابو محمد بن عتاب بقراءتي عليه حدثنا حاتم بن محمد حدثنا ابو الحسن
علي بن محمد بن خلف حدثنا محمد بن احمد حدثنا محمد بن يوسف حدثنا البخاري حدثنا
عبدان اخبرنا عبد الله حدثنا يونس عن الزهري اخبرني ابو سلمة بن عبد الرحمن

أنه سمع أبا هريرة يقول إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أطاعني فقد
أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن أطاع أميري فقد أطاعني ومن عصى
أميري فقد عصاني فطاعة الرسول من طاعة الله إذ الله أمر بطاعته فطاعته
امتثال لما أمر الله به وطاعة له وقد حكى الله عن الكفار في دركات جهنم يوم تقلب وجوههم
في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا فتمنوا طاعته حيث لا ينفعهم التمني
وقال عليه السلام إذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم
وفي حديث أبي هريرة عنه عليه السلام كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى قالوا
ومن يأبى قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى وفي الحديث الآخر الصحيح عنه
عليه السلام مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قوما فقال يا قوم إني رأيت الجيش
بعيني وإني أنا النذير العريان فالنجاء فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا فانطلقوا
على مهلهم فنجوا وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم
فذلك مثل من أطاعني واتبع ما جئت به ومثل من عصاني وكذب ما جئت
به من الحق وفي الحديث الآخر في مثله كمثل من بنى دارا وجعل فيها
مأدبة وبعث داعيا فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة
ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة فالدار الجنة والداعي
محمد فمن أطاع محمدا فقد أطاع الله ومن عصى محمدا فقد عصى الله ومحمد فرق بين
الناس

فصل وأما وجوب اتباعه وامتثال سنته والاقتداء بهديه

فقد قال تعالى قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم
وقال فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم
تهتدون وقال فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم إلى قوله تسليما
أي ينقادون لحكمك يقال سلم واستسلم وأسلم إذا انقاد وقال لقد كان لكم
في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر الآية قال محمد بن علي
الترمذي الأسوة في الرسول الاقتداء به والاتباع لسنته وترك مخالفته في قول أو فعل
وقال غير واحد من المفسرين بمعناه وقيل هو عتاب للمتخلفين عنه وقال سهل في قوله
تعالى صراط الذين أنعمت عليهم قال بمتابعة السنة فأمرهم تعالى بذلك ووعدهم
الاهتداء باتباعه لأن الله أرسله بالهدى ودين الحق ليزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة

والحكمة ويهديهم إلى صراط مستقيم ووعدهم محبته تعالى في الآية الأخرى ومغفرته
إذا اتبعوه وآثروه على أهوائهم وما تجنح إليه نفوسهم وأن صحة إيمانهم بانقيادهم
له ورضاهم بحكمه وترك الاعتراض عليه وروي عن الحسن أن أقواما قالوا يا رسول الله
إنا نحب الله فأنزل الله تعالى قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني الآية وروي
أن الآية نزلت في كعب بن الأشرف وغيره وأنهم قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه
ونحن أشد حبا لله فأنزل الله الآية وقال الزجاج معناه إن كنتم تحبون الله أن
تقصدوا طاعته فافعلوا ما أمركم به إذ محبة العبد لله والرسول طاعته لهما ورضاه
بما أمر ومحبة الله لهم عفوه عنهم وإنعامه عليهم برحمته ويقال الحب من الله عصمة
وتوفيق ومن العبد طاعة كما قال القائل

تعصي الإله وأنت تظهر حبه ... هذا لعمري في القياس بديع
لو كان حبك صادقا لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع

ويقال محبة العبد لله تعظيمه له وهيبته منه ومحبة الله له رحمته له وإرادته الجميل
له وتكون بمعنى مدحه وثنائه عليه قال القشيري فإذا كان بمعنى الرحمة والإرادة
والمدح كان من صفات الذات وسيأتي بعد في ذكر محبة العبد غير هذا بحول
الله تعالى حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن جعفر الفقيه قال حدثنا أبو الأصبغ عيسى
ابن سهل وحدثنا أبو الحسن يونس بن مغيث الفقيه بقراءتي عليه قالا ثنا
حاتم بن محمد حدثنا أبو حفص الجهني حدثنا أبو بكر الآجري حدثنا إبراهيم بن موسى الجوزي
حدثنا داود بن رشيد حدثنا الوليد بن مسلم عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان
عن عبد الرحمن بن عمرو السلمي وحجر الكلاعي عن العرباض بن سارية في حديثه
في موعظة النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين
المهديين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة
ضلالة زاد في حديث جابر بمعناه وكل ضلالة في النار وفي حديث أبي رافع عنه عليه السلام
لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول
لا أدري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه وفي حديث عائشة صنع رسول الله صلى الله
عليه وسلم شيئا ترخص فيه فتنزه عنه قوم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فحمد الله

ثم قال ما بال قوم يتنزهون عن الشيء أصنعه فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدهم
له خشية وروي عنه عليه السلام قال القرآن صعب مستصعب على من كرهه
وهو الحكم فمن استمسك بحديثي وفهمه وحفظه جاء مع القرآن ومن تهاون
بالقرآن وحديثي خسر الدنيا والآخرة أمرت أمتي أن يأخذوا بقولي ويطيعوا
أمري ويتبعوا سنتي فمن رضي بالقرآن قال الله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه
الآية وقال عليه السلام من اقتدى بي فهو مني ومن رغب عن سنتي فليس مني
وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن أحسن الحديث كتاب الله
وخير الهدى هدى محمد وشر الأمور محدثاتها وعن عبد الله بن عمرو بن العاصي قال
النبي صلى الله عليه وسلم العلم ثلثة فما سوى ذلك فهو فضل آية محكمة أو سنة
قائمة أو فريضة عادلة وعن الحسن بن أبي الحسن قال عليه السلام عمل قليل
في سنة خير من عمل كثير في بدعة وقال عليه السلام إن الله يدخل العبد الجنة
بالسنة تمسك بها وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم المتمسك
بسنتي عند فساد أمتي له أجر مائة شهيد وقال عليه السلام إن بني إسرائيل
افترقوا على اثنتين وسبعين ملة وإن أمتي ستفترق على ثلث وسبعين كلها
في النار إلا واحدة قالوا ومن هم يا رسول الله قال الذي أنا عليه اليوم وأصحابي
وعن أنس قال عليه السلام من أحيى سنتي فقد أحياني ومن أحياني كان معي
وعن عمرو بن عوف المزني أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لبلال بن الحارث
من أحيى سنة من سنتي قد أميتت بعدي فإن له من الأجر مثل من عمل
بها من غير أن ينقص من أجورهم شيئا ومن ابتدع بدعة ضلالة لا ترضي
الله ورسوله كان عليه مثل آثام من عمل بها لا ينقص ذلك من أوزار
الناس شيئا **فصل وأما ما ورد عن السلف والأئمة من اتباع سنته و**
والاقتداء بهديه وسيرته فحدثنا الشيخ أبو عمران موسى بن عبد الرحمن بن أبي
تليد الفقيه سماعا عليه قال حدثنا أبو عمر الحافظ حدثنا سعيد بن نصر حدثنا
قاسم بن أصبغ ووهب بن مسرة قالا حدثنا محمد بن وضاح حدثنا
يحيى بن يحيى حدثنا مالك عن ابن شهاب عن رجل من آل خالد بن

أسيد أنه سأل عبد الله بن عمر فقال يا أبا عبد الرحمن إنا نجد صلوة الخوف
وصلوة الحضر في القرآن ولا نجد صلوة السفر فقال ابن عمر يا ابن أخي إن الله
بعث محمدا ولا نعلم شيئا فإنما نفعل كما رأيناه يفعل وقال عمر بن عبد العزيز
سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاة الأمر بعده سننا الأخذ بها
تصديق لكتاب الله واستعمال لطاعة الله وقوة على دين الله ليس لأحد
تغييرها ولا تبديلها ولا النظر في رأي من خالفها من اقتدى بها فهو مهتد
ومن انتصر بها منصور ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله
ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيرا وقال الحسن بن أبي الحسن عمل
قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة وقال ابن شهاب بلغنا عن رجال
من أهل العلم قالوا الاعتصام بالسنة نجاة وكتب عمر بن الخطاب تعلموا السنة
والفرائض واللحن أي اللغة وقال إن ناسا يجادلونكم يعني بالقرآن فخذوهم
بالسنن فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله وفي خبره حين صلى
بذي الحليفة ركعتين فقال أصنع كما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعن علي حين قرن فقال له عثمان ترى أني أنهى الناس عنه وتفعله
قال لم أكن أدع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لقول أحد من الناس
وعنه ألا إني لست بنبي ولا يوحى إلي ولكني أعمل بكتاب الله وسنة نبيه صلى
الله عليه وسلم ما استطعت وكان ابن مسعود يقول القصد في السنة خير
من الاجتهاد في البدعة وقال ابن عمر صلوة السفر ركعتان من خالف السنة
كفر وقال أبي بن كعب عليكم بالسبيل والسنة فإنه ما على الأرض من عبد
على السبيل والسنة ذكر الله ففاضت عيناه من خشية ربه فيعذبه الله
أبدا وما على الأرض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله في نفسه فاقشعر
جلده من خشية الله إلا كان مثله كمثل شجرة قد يبس ورقها فهي كذلك إذ أصابتها
ريح شديدة فتحاتت عنها ورقها إلا حط عنه خطاياه كما تحات عن الشجرة
ورقها فإن اقتصادا في سبيل وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل
وسنة وانظروا أن يكون عملكم إن كان اجتهادا أو اقتصادا أن يكون

يصنع

على منهاج الانبياء وسننهم. وكتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز الى عمر بحال
بلده وكثرة لصوصه هل يأخذهم بالظنة او يحملهم على البينة وما جرت عليه السنة
فكتب اليه عمر خذهم بالبينة وما جرت عليه السنة فان لم يصلحهم الحق فلا اصلحهم الله
وعن عطاء في قوله تعالى فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول اي الى كتاب الله
وسنة رسول الله وقال الشافعي ليس في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا اتباعها وقال عمر ونظر الى الحجر الاسود انك حجر لا تنفع ولا تضر ولولا اني
رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك ثم قبله. وروي عبد الله بن عمر
يدير ناقته في مكان فسئل فقال لا ادري الا اني رأيت رسول الله صلى الله عليه
وسلم فعله ففعلته. وقال ابو عثمان الحيري من امر السنة على نفسه قولا وفعلا
نطق بالحكمة ومن امر الهوى على نفسه نطق بالبدعة. وقال سهل التستري
اصول مذهبنا ثلثة الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في الاخلاق والافعال
والاكل من الحلال واخلاص النية في جميع الاعمال. وجاء في تفسير قوله تعالى
والعمل الصالح يرفعه انه الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم. وحكي عن احمد
ابن حنبل قال كنت يوما مع جماعة تجردوا ودخلوا الماء فاستعملت الحديث
من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام الا بمئزر ولم اتجرد فرأيت تلك
الليلة قائلا لي يا احمد ابشر فان الله قد غفر لك باستعمالك السنة وجعلك اماما يقتدى
بك قلت من انت قال جبريل. **فصل في مخالفة امره وتبديل سنته ضلال وبدعة
متوعد من الله عليه بالخذلان والعذاب** قال الله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن امره
ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم. وقال ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين
له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى الآية. حدثنا ابو محمد عبد الله بن ابي جعفر
وعبد الرحمن بن عتاب بقراءتي عليهما قالا حدثنا ابو القاسم حاتم بن محمد حدثنا
ابو الحسن القابسي حدثنا ابو الحسن بن مسرور الدباغ حدثنا احمد بن ابي سليمان حدثنا
سحنون بن سعيد حدثنا ابن القاسم حدثنا مالك عن العلاء بن عبد الرحمن عن ابيه عن ابي
هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى المقبرة وذكر الحديث في صفة امته
وفيه فليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال فاناديهم الا هلم الا هلم

هلم فيقال انهم بدلوا بعدك فاقول فسحقا فسحقا فسحقا. وروى انس ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال من رغب عن سنتي فليس مني وقال من ادخل في امرنا ما ليس منه
فهو رد. وروى ابن ابي رافع عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا الفين احدكم
متكئا على اريكته يأتيه الامر من امري مما امرت به او نهيت عنه فيقول لا ادري
ما وجدناه في كتاب الله اتبعناه. زاد في حديث المقدام الا وان ما حرم رسول الله
صلى الله عليه وسلم مثل ما حرم الله. وقال عليه السلام وجيء بكتاب في كتف كفى بقوم
حمقا او قال ضلالا ان يرغبوا عما جاء به نبيهم مشتغلين به الى ما جاء به غير نبيهم
او كتاب غير كتابهم فنزلت اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم الآية
وقال عليه السلام هلك المتنطعون. وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه لست
تاركا شيئا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل به الا عملت به اني اخشى
ان تركت شيئا من امره ان ازيغ. **الباب الثاني في لزوم محبته** قال الله
تعالى قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها
الآية فكفى بهذا حضا وتنبيها ودلالة وحجة على الزام محبته ووجوب فرضها
وعظم خطرها واستحقاقه لها عليه السلام اذ قرع تعالى من كان ماله واهله وولده
احب اليه من الله ورسوله واوعدهم بقوله فتربصوا حتى يأتي الله بامره ثم
فسقهم بتمام الآية واعلمهم انهم ممن ضل ولم يهده الله. حدثنا ابو علي الغساني
الحافظ فيما اجازنيه وهو مما قرأته على غير واحد قال حدثنا سراج بن عبد الله
القاضي حدثنا ابو محمد الاصيلي حدثنا المروزي حدثنا ابو عبد الله محمد بن يوسف
حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا يعقوب بن ابرهيم حدثنا ابن علية عن عبد العزيز بن
صهيب عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن احدكم حتى اكون
احب اليه من ولده ووالده والناس اجمعين. وعن ابي هريرة نحوه. وعن انس
عنه عليه السلام ثلث من كن فيه وجد حلاوة الايمان ان يكون الله ورسوله
احب اليه مما سواهما وان يحب المرء لا يحبه الا لله وان يكره ان يعود في الكفر
كما يكره ان يقذف في النار. وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال للنبي صلى الله
عليه وسلم لانت احب الي من كل شيء الا نفسي التي بين جنبي فقال النبي

صلى الله عليه وسلم لن يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه فقال عمر
والذي انزل عليك الكتاب لانت احب الي من نفسي التي بين جنبي فقال النبي
صلى الله عليه وسلم الآن يا عمر قال سهل من لم ير ولاية الرسول عليه السلام
عليه في جميع الاحوال ويرى نفسه في ملكه عليه السلام لا يذوق حلاوة سنته لان
النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه الحديث

فصل في ثواب محبته حدثنا ابو محمد بن عتاب بقراءتي عليه حدثنا ابو القاسم
حاتم بن محمد حدثنا ابو الحسن علي بن خلف حدثنا ابو زيد المروزي حدثنا محمد بن
يوسف حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا عبدان حدثني ابي حدثنا شعبة عن عمرو بن
مرة عن سالم بن ابي الجعد عن انس ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال
متى الساعة يا رسول الله قال ما اعددت لها قال ما اعددت لها من كثير صلوة
ولا صوم ولا صدقة ولكني احب الله ورسوله قال انت مع من احببت وعن صفوان
ابن قدامة هاجرت الى النبي صلى الله عليه وسلم فاتيته فقلت يا رسول الله ناولني
يدك ابايعك فناولني يده فقلت يا رسول الله اني احبك قال المرء مع من احب
وروى هذا اللفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن مسعود وابو موسى وانس
وعن ابي ذر بمعناه وعن علي رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم اخذ بيد
حسن وحسين فقال من احبني واحب هذين واباهما وامهما كان معي في درجتي
يوم القيمة وروى ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله لانت
احب الي من اهلي ومالي واني لاذكرك فما اصبر حتى اجيء فانظر اليك واني ذكرت
موتي وموتك فعرفت انك اذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين وان دخلتها
لا اراك فانزل الله ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين
والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا فدعا به فقراها عليه
وفي حديث آخر كان رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم ينظر اليه لا يطرف فقال ما بالك
قال بابي وامي اتمتع من النظر اليك فاذا كان يوم القيمة رفعك الله بتفضيله فانزل الله الآية
وفي حديث انس من احبني كان معي في الجنة

فصل فيما روي عن السلف والائمة من محبتهم صلى الله عليه وسلم وشوقهم له حدثنا القاضي الشهيد حدثنا العذري
حدثنا الرازي حدثنا الجلودي حدثنا ابن سفيان حدثنا مسلم حدثنا قتيبة حدثنا
يعقوب بن عبد الرحمن عن سهيل عن ابيه عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من اشد امتي لي حبا ناس يكونون بعدي يود احدهم لو رآني باهله
وماله ومثله عن ابي ذر وتقدم حديث عمر وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم لانت
احب الي من نفسي وما تقدم عن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم في مثله
وعن عمرو بن العاص ما كان احد احب الي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عبدة
بنت خالد بن معدان قالت ما كان خالد يأوي الى فراشه الا وهو يذكر من شوقه
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى اصحابه من المهاجرين والانصار يسميهم ويقول
هم اصلي وفصلي واليهم يحن قلبي فعجل رب قبضي اليك حتى يغلبه النوم **وروي**
عن ابي بكر رضي الله عنه انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم والذي بعثك بالحق
لاسلام ابي طالب كان اقر لعيني من اسلامه يعني اباه ابا قحافة وذلك ان اسلام
ابي طالب كان اقر لعينك ونحوه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال للعباس ان تسلم
احب الي من ان يسلم الخطاب لان ذلك احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعن ابن اسحق ان امرأة من الانصار قتل ابوها واخوها وزوجها يوم احد مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالت ما فعل رسول الله قالوا خيرا هو بحمد الله كما تحبين قالت
ارنيه انظر اليه فلما رأته قالت كل مصيبة بعدك جلل وسئل علي بن ابي طالب
رضي الله عنه كيف كان حبكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان والله
احب الينا من اموالنا واولادنا وآبائنا وامهاتنا ومن الماء البارد على الظماء وعن زيد
ابن اسلم خرج عمر ليلة يحرس فرأى مصباحا في بيت واذا عجوز تنفش صوفا
وتقول على محمد صلاة الابرار صلى عليه الطيبون الاخيار قد كنت قواما بكا بالاسحار
يا ليت شعري والمنايا اطوار هل تجمعني وحبيبي الدار تعني النبي صلى الله عليه وسلم
فجلس عمر يبكي وفي الحكاية طول **وروي** ان عبد الله بن عمر خدرت رجله فقيل
له اذكر احب الناس اليك يزل عنك فصاح يا محمداه فانتشرت ولما احتضر بلال
نادت امرأته واحزناه قالت لعائشة اكشفي لي قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
فكشفته لها فبكت حتى ماتت ولما اخرج اهل مكة زيد بن الدثنة من الحرم ليقتلوه قال

طال شوقي اليهم صح

فقال واطرباه غدا القى الاحبة محمدا وحزبه
ذكره القشيري ومثله عن حذيفة
بن اليمان رضي الله تعالى عنهما وروي
ان امرأة صح

له أبو سفيان بن حرب أنشدك بالله يا زيد أتحب أن محمدا الآن عندنا مكانك
تضرب عنقه وأنك في أهلك فقال زيد رضي الله عنه والله ما أحب أن محمدا الآن
في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة وأني جالس في أهلي فقال أبو سفيان ما رأيت من الناس
أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس كانت المرأة
إذا أتت النبي صلى الله عليه وسلم حلفها بالله ما خرجت من بغض زوج ولا رغبة
بأرض عن أرض وما خرجت إلا حبا لله ورسوله ووقف ابن عمر رضي الله عنهما على ابن
الزبير بعد قتله فاستغفر له وقال كنت والله فيما علمت صواما قواما تحب الله ورسوله

فصل في علامة محبته عليه الصلاة والسلام اعلم أن من أحب شيئا آثره
وآثر موافقته وإلا لم يكن صادقا في حبه وكان مدعيا فالصادق في حب النبي صلى الله
عليه وسلم من تظهر علامات ذلك عليه وأولها الاقتداء به واستعمال سنته واتباع
أقواله وأفعاله وامتثال أوامره واجتناب نواهيه والتأدب بآدابه في عسره
ويسره ومنشطه ومكرهه وشاهد هذا قوله تعالى قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني
يحببكم الله وإيثار ما شرعه وحض عليه على هوى نفسه وموافقة شهوته قال الله تعالى
والذين تبوؤا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم
حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة وإسخاط العباد في رضى الله عنه
حدثنا القاضي أبو علي الحافظ حدثنا أبو الحسين الصيرفي وأبو الفضل بن خيرون قالا
حدثنا أبو يعلى البغدادي حدثنا أبو علي السنجي حدثنا محمد بن محبوب ثنا أبو عيسى حدثنا
أبو مسلم بن حاتم حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري عن أبيه عن علي بن زيد عن سعيد
بن المسيب قال قال أنس بن مالك قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني إن
قدرت أن تصبح وتمسي ليس في قلبك غش لأحد فافعل ثم قال يا بني وذلك من سنتي
ومن أحيى سنتي فقد أحبني ومن أحبني كان معي في الجنة فمن اتصف بهذه الصفة فهو
كامل المحبة لله ورسوله ومن خالفها في بعض هذه الأمور فهو ناقص المحبة ولا يخرج
عن اسمها ودليله قوله عليه السلام للذي حده في الخمر ولعنه بعضهم وقال ما أكثر ما يؤتى به
فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله ومن علامات محبة النبي
صلى الله عليه وسلم كثرة ذكره له فمن أحب شيئا أكثر ذكره ومنها كثرة شوقه إلى

لقاء حبيبه صح

إلى لقائه فكل حبيب يحب وفي حديث الأشعريين عند قدومهم المدينة أنهم كانوا
يرتجزون غدا نلقى الأحبة محمدا وحزبه وتقدم قول بلال ومثله قال عمار قبل قتله
وما ذكرناه من قصة خالد بن معدان ومن علاماتها مع كثرة ذكره تعظيمه له وتوقيره
عند ذكره وإظهار الخشوع والانكسار مع سماع اسمه قال إسحاق التجيبي كان أصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم بعده لا يذكرونه إلا خشعوا واقشعرت جلودهم وبكوا
وكذلك كثير من التابعين منهم من يفعل ذلك محبة له وشوقا إليه ومنهم من يفعل
تهيبا وتوقيرا ومنها محبته لمن أحب النبي صلى الله عليه وسلم ومن هو بسببه
من آل بيته وصحابته من المهاجرين والأنصار وعداوة من عاداهم وبغض
من أبغضهم وسبهم فمن أحب شيئا أحب من يحب وقد قال عليه السلام في
في الحسن والحسين اللهم إني أحبهما فأحبهما وفي رواية في الحسن فأحب من يحبه
وقال من أحبهما فقد أحبني ومن أحبني فقد أحب الله وقال الله الله في أصحابي لا تتخذوهم
غرضا فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن
آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك أن يأخذه وقال في فاطمة إنها بضعة
مني يغضبني ما أغضبها **وقال** لعائشة في أسامة بن زيد أحبيه فإني أحبه وقال
آية الإيمان حب الأنصار وآية النفاق بغضهم **وفي حديث** ابن عمر رضي الله عنهما
من أحب العرب فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم فبالحقيقة من أحب شيئا
أحب كل شيء يحبه وهذه سيرة السلف حتى في المباحات وشهوات النفس
وقد قال أنس حين رأى النبي صلى الله عليه وسلم يتتبع الدباء من حوالي القصعة
فما زلت أحب الدباء من يومئذ وهذا الحسن بن علي وعبد الله بن عباس وابن
جعفر أتوا سلمى وسألوها أن تصنع لهم طعاما مما كان يعجب رسول الله صلى الله
وكان ابن عمر يلبس النعال السبتية ويصبغ بالصفرة إذ رأى النبي صلى الله عليه
وسلم يفعل نحو ذلك ومنها بغض من أبغض الله ورسوله ومعاداة من عاداه
ومجانبة من خالف سنته وابتدع في دينه واستثقاله كل أمر يخالف شريعته
قال الله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله
وهؤلاء أصحابه صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم قد قتلوا أحباءهم وقاتلوا آباءهم

وأبناءهم في مرضاته وقال عبد الله بن عبد الله بن أبي لو شئت لأتيتك برأسه
يعني أباه ومنها أن يحب القرآن الذي أتى به عليه السلام وهدى به واهتدى وتخلق
به حتى قالت عائشة كان خلقه القرآن ومحبته للقرآن تلاوته والعمل به وتفهمه ويحب
سنته ويقف عند حدودها قال سهل بن عبد الله علامة حب الله حب القرآن
وعلامة حب الله وحب القرآن حب النبي صلى الله عليه وسلم وعلامة حب النبي
صلى الله عليه وسلم حب السنة وعلامة حب السنة حب الآخرة وعلامة حب الآخرة
بغض الدنيا وعلامة بغض الدنيا أن لا يدخر إلا زادا وبلغة إلى الآخرة وقال ابن مسعود
لا يسأل أحد عن نفسه إلا القرآن فإن كان يحب القرآن فهو يحب الله
ورسوله ومن علامة حبه للنبي صلى الله عليه وسلم شفقته على أمته ونصحه
لهم وسعيه في مصالحهم ورفع المضار عنهم كما كان عليه السلام بالمؤمنين رؤفا
رحيما ومن علامة تمام محبته زهد مدعيها في الدنيا وإيثاره الفقر واتصافه
وقد قال عليه السلام لأبي سعيد الخدري إن الفقر إلى من يحبني منكم أسرع من السيل
من أعلى الوادي أو الجبل إلى أسفله وفي حديث عبد الله بن مغفل قال رجل
للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله إني أحبك فقال انظر ما تقول قال والله
إني أحبك ثلاث مرات قال إن كنت تحبني فأعد للفقر تجفافا ثم ذكر نحو حديث أبي سعيد
بمعناه **فصل في معنى المحبة للنبي صلى الله عليه وسلم وحقيقتها** اختلف
الناس في تفسير محبة الله ومحبة النبي صلى الله عليه وسلم وكثرت عباراتهم في ذلك
وليس ترجع بالحقيقة إلى اختلاف مقال ولكنها اختلاف أحوال فقال سفيان
الثوري المحبة اتباع الرسول عليه السلام كأنه التفت إلى قوله تعالى قل إن كنتم
تحبون الله فاتبعوني الآية وقال بعضهم محبة الرسول اعتقاد نصرته والذب
عن سنته والانقياد لها وهيبة مخالفته وقال بعضهم المحبة دوام الذكر للمحبوب
وقال آخر إيثار المحبوب وقال بعضهم المحبة الشوق إلى المحبوب وقال بعضهم المحبة مواطاة
القلب لمراد الرب يحب ما أحب ويكره ما كره وقال آخر المحبة ميل القلب إلى موافق
له وأكثر العبارات المتقدمة إشارة إلى ثمرات المحبة دون حقيقتها وحقيقة المحبة
الميل إلى ما يوافق الإنسان وتكون موافقته له إما لاستلذاذه بإدراكه كحب الصور

الجميلة والأصوات الحسنة والأطعمة والأشربة اللذيذة وأشباهها مما كل طبع
سليم مائل إليها لموافقتها له أو لاستلذاذه بإدراكه بحاسة عقله وقلبه معاني
باطنة شريفة كمحبة الصالحين والعلماء وأهل المعروف والمأثور عنهم السير والأفعال
الحسنة فإن طبع الإنسان مائل إلى الشغف بأمثال هؤلاء حتى يبلغ التعصب
بقوم لقوم والتشيع من أمة في آخرين ما يؤدي إلى الجلاء عن الأوطان وهتك الحرم
واخترام النفوس أو يكون حبه إياه لموافقته له من جهة إحسانه له وإنعامه
عليه فقد جبلت النفوس على حب من أحسن إليها فإذا تقرر لك هذا نظرت
هذه الأسباب كلها في حقه عليه السلام فعلمت أنه عليه السلام جامع لهذه
المعاني الثلاثة الموجبة للمحبة أما جمال الصورة والظاهر وكمال الأخلاق والباطن
فقد قررنا منها قبل فيما مر من الكتاب ما لا يحتاج إلى زيادة وأما إحسانه
وإنعامه على أمته فكذلك قد مر منه في أوصاف الله تعالى له من رأفته بهم ورحمته
لهم وهدايته إياهم وشفقته عليهم واستنقاذهم به من النار وأنه بالمؤمنين
رؤف رحيم ورحمة للعالمين ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه ويتلو عليهم
آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم إلى صراط مستقيم فأي إحسان
أجل قدرا وأعظم خطرا من إحسانه إلى جميع المؤمنين وأي إفضال أعم منفعة
وأكثر فائدة من إنعامه على كافة المسلمين إذ كان ذريعتهم إلى الهداية ومنقذهم
من العماية وداعيهم إلى الفلاح والكرامة ووسيلتهم إلى ربهم وشفيعهم والمتكلم عنهم
والشاهد لهم والموجب لهم البقاء الدائم والنعيم السرمد فقد استبان لك أنه
عليه السلام مستوجب للمحبة الحقيقية شرعا بما قدمناه من صحيح الآثار وعادة وجبلة
بما ذكرناه آنفا لإفاضته الإحسان وعمومه الإجمال فإذا كان الإنسان يحب
من منحه في دنياه مرة أو مرتين معروفا أو استنقذه من هلكة أو مضرة مدة التأذي
بها قليل منقطع فمن منحه ما لا يبيد من النعيم ووقاه ما لا يفنى من عذاب الجحيم أولى
بالحب وإذا كان يحب بالطبع ملك لحسن سيرته أو حاكم لما يؤثر من قوام
طريقته أو قاص بعيد الدار لما يشاد من علمه أو كرم شيمته فمن جمع هذه الخصال
على غاية مراتب الكمال أحق بالحب وأولى بالميل وقد قال علي رضي الله عنه

في صفته عليه السلام من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة أحبه وذكرنا
عن بعض الصحابة انه كان لا يصرف بصره عنه محبة فيه **فصل في مناصحته
عليه السلام** قال الله تعالى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله
ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم قال اهل التفسير
اذا نصحوا لله ورسوله اذا كانوا مخلصين مسلمين في السر والعلانية حدثنا الفقيه
ابو الوليد بقراءتي عليه ثنا حسين بن محمد حدثنا يوسف بن عبد الله حدثنا ابن عبد المؤمن
حدثنا ابو بكر التمار حدثنا ابو داود حدثنا احمد بن يونس حدثنا زهير حدثنا سهيل
ابن ابي صالح عن عطاء بن يزيد عن تميم الداري قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة قالوا لمن
يا رسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم قال ائمتنا
رحمهم الله النصيحة لله ولرسوله وائمة المسلمين وعامتهم واجبة قال الامام
ابو سليمان البستي النصيحة كلمة يعبر بها عن جملة ارادة الخير للمنصوح له وليس
يمكن ان يعبر عنها بكلمة واحدة تحصرها ومعناها في اللغة الاخلاص من قولهم
نصحت العسل اذا خلصته من شمعه وقال ابو بكر بن اسحق الخفاف النصح
فعل الشيء الذي به الصلاح والملاءمة مأخوذ من النصاح وهو الخيط الذي يخاط به
الثوب وقال ابو اسحق الزجاج نحوه فنصيحة الله تعالى صحة الاعتقاد له بالوحدانية
ووصفه بما هو اهله وتنزيهه عما لا يجوز عليه والرغبة في محابه والبعد عن مساخطه
والاخلاص في عبادته والنصيحة لكتابه الايمان به والعمل بما فيه وتحسين تلاوته و
والتخشع عنده والتعظيم له وتفهمه والتفقه فيه والذب عنه من تأويل الغالين
وطعن الملحدين والنصيحة لرسوله التصديق بنبوته وبذل الطاعة فيما امر به ونهى
عنه قاله ابو سليمان وقال ابو بكر ومؤازرته ونصرته وحمايته حيا وميتا واحياء
سنته بالطلب والذب عنها ونشرها والتخلق باخلاقه الكريمة وآدابه الجميلة
وقال ابو ابراهيم اسحق التجيبي نصيحة رسول الله صلى الله عليه وسلم التصديق
بما جاء به والاعتصام بسنته ونشرها والحض عليها والدعوة الى الله والى كتابه
والى رسوله واليها والى العمل بها وقال احمد بن محمد من مفروضات القلوب اعتقاد

اعتقاد النصيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم **قال** ابو بكر الآجري وغيره النصح
له يقتضي نصحين نصحا في حياته ونصحا بعد مماته ففي حياته نصح اصحابه له بالنصر
والمحاماة عنه ومعاداة من عاداه والسمع والطاعة له وبذل النفوس
والاموال دونه كما قال تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآية وقال
وينصرون الله ورسوله الآية واما نصيحة المسلمين له بعد وفاته فالتزام التوقير
والاجلال وشدة المحبة له والمثابرة على تعلم سنته والتفقه في شريعته ومحبة
آل بيته واصحابه ومجانبة من رغب عن سنته وانحرف عنها وبغضه
والتحذير منه والشفقة على امته والبحث عن تعرف اخلاقه وسيرته وآدابه والصبر
على ذلك فعلى ما ذكره تكون النصيحة احدى ثمرات المحبة وعلامة من علاماتها
كما قدمناه وحكى الامام ابو القاسم القشيري ان عمرو بن الليث احد ملوك
خراسان ومشاهير الثوار المعروف بالصفار رؤي في النوم فقيل له ما فعل الله
بك فقال غفر لي فقيل بماذا قال صعدت ذروة جبل يوما فاشرفت على جنودي
فاعجبتني كثرتهم فتمنيت اني حضرت رسول الله عليه الصلاة والسلام فاعنته ونصرته
فشكر الله لي ذلك وغفر لي واما النصح لائمة المسلمين فطاعتهم في الحق
ومعونتهم فيه وامرهم به وتذكيرهم اياه على احسن وجه وتنبيههم على ما غفلوا عنه
وكتم عنهم من امور المسلمين وترك الخروج عليهم وتضريب الناس وافساد
قلوبهم عليهم والنصح لعامة المسلمين ارشادهم الى مصالحهم ومعونتهم في امر
دينهم ودنياهم بالقول والفعل وتنبيه غافلهم وتبصير جاهلهم ورفد محتاجهم
وستر عوراتهم ودفع المضار عنهم وجلب المنافع اليهم

الباب الثالث
في تعظيم امره ووجوب توقيره وبره

قال الله تعالى يا ايها النبي انا ارسلنا
ك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وقال يا ايها
الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الثلاث الآيات وقال
لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا فاوجب تعالى تعزيره وتوقيره
والزم اكرامه وتعظيمه **قال** ابن عباس تعزروه تجلوه وقال المبرد تعزروه
تبالغوا في تعظيمه وقال الاخفش تنصرونه وقال الطبري تعينونه وقرئ

تعزروه ترائس من العز ونهى عن التقدم بين يديه بالقول وسوء الادب
بسبقه بالكلام على قول ابن عباس وغيره وهو اختيار ثعلب قال سهل بن
عبد الله لا تقولوا قبل ان يقول واذا قال فاستمعوا له وانصتوا ونهوا
عن التقدم والتعجل بقضاء امر قبل قضائه فيه وان يفتاتوا بشيء في ذلك
من قتال او غيره من امر دينهم الا بامره ولا يسبقوه به والى هذا يرجع قول
الحسن ومجاهد والضحاك والسدي والثوري ثم وعظهم وحذرهم مخالفة
ذلك فقال واتقوا الله ان الله سميع عليم قال الماوردي اتقوه يعني
في التقدم وقال السلمي اتقوا الله في اهمال حقه وتضييع حرمته انه سميع
لقولكم عليم بفعلكم ثم نهاهم عن رفع الصوت فوق صوته والجهر له بالقول
كما يجهر بعضهم لبعض ويرفع صوته وقيل كما ينادي بعضهم بعضا باسمه قال
ابو محمد مكي اي لا تسابقوه بالكلام وتغلظوا له بالخطاب ولا تنادوه باسمه
نداء بعضكم لبعض ولكن عظموه ووقروه ونادوه باشرف ما يحب ان
ينادى به يا رسول الله يا نبي الله وهذا كقوله في الآية الاخرى لا تجعلوا دعاء
الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا على احد التأويلين وقال غيره لا تخاطبوه
الا مستفهمين ثم خوفهم الله تعالى بحبط اعمالهم ان هم فعلوا ذلك وحذرهم
منه قيل نزلت الآية في وفد بني تميم وقيل في غيرهم اتوا النبي فنادوه يا محمد
يا محمد اخرج الينا فذمهم الله تعالى بالجهل ووصفهم بان اكثرهم لا يعقلون
وقيل نزلت الآية الاولى في محاورة كانت بين ابي بكر وعمر رضي الله عنهما
بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم واختلاف جرى بينهما حتى ارتفعت
اصواتهما وقيل نزلت في ثابت بن قيس بن شماس خطيب النبي صلى الله
عليه وسلم في مفاخرة بني تميم وكان في اذنيه صمم فكان يرفع صوته فلما نزلت
هذه الآية اقام في منزله وخشي ان يكون حبط عمله ثم اتى النبي صلى الله عليه
وسلم فقال يا نبي الله لقد خشيت ان اكون هلكت نهانا الله ان نجهر بالقول
وانا امرؤ جهير الصوت فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ثابت اما ترضى
ان تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة فقتل يوم اليمامة وروي

وروي ان ابا بكر لما نزلت هذه الآية قال والله يا رسول الله لا اكلمك بعدها الا
كاخي السرار وان عمر كان اذا حدثه كاخي السرار ما كان يسمع رسول الله بعد
هذه الآية حتى يستفهمه فانزل الله تعالى فيهم ان الذين يغضون اصواتهم
عند رسول الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة واجر عظيم
وقيل نزلت ان الذين ينادونك من وراء الحجرات في غير بني تميم نادوه
باسمه وروى صفوان بن عسال بينا النبي صلى الله عليه وسلم في سفر
اذ ناداه اعرابي بصوت له جهوري ايا محمد ايا محمد فقلنا اغضض من صوتك
فانك قد نهيت عن رفع الصوت وقال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا
راعنا قال بعض المفسرين هي لغة كانت في الانصار نهوا عن قولها تعظيما للنبي
صلى الله عليه وسلم وتبجيلا له لان معناها ارعنا نرعك فنهوا عن قولها اذ مقتضاها
كانهم لا يرعونه الا برعايته لهم بل حقه ان يرعى على كل حال وقيل كانت اليهود تعرض بها
للنبي صلى الله عليه وسلم بالرعونة فنهي المسلمون عن قولها قطعا للذريعة ومنعا للتشبه
بهم في قولها لمشاركة اللفظ وقيل غير هذا **فصل في عادة الصحابة رضي الله**
عنهم في تعظيمه عليه السلام وتوقيره واجلاله حدثنا القاضي ابو علي الصدفي وابو بحر
الاسدي بسماعي عليهما في آخرين قالوا حدثنا احمد بن عمر حدثنا احمد بن الحسن حدثنا
محمد بن عيسى حدثنا ابراهيم بن سفيان حدثنا مسلم حدثنا محمد بن المثنى وابو معن الرقاشي
واسحق بن منصور قالوا حدثنا الضحاك بن مخلد اخبرنا حيوة بن شريح حدثني يزيد بن
ابي حبيب عن ابن شماسة المهري قال حضرنا عمرو بن العاص فذكر حديثا طويلا
فيه عن عمرو قال وما كان احد احب الي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا اجل
في عيني منه اجلالا له ولو سئلت ان اصفه ما اطقت لاني لم اكن املأ عيني منه
وروى الترمذي عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج على اصحابه
من المهاجرين والانصار وهم جلوس فيهم ابو بكر وعمر فلا يرفع احد منهم بصره اليه
الا ابو بكر وعمر فانهما كانا ينظران اليهما ويبتسمان اليه ويبتسم اليهما وروى اسامة
بن شريك اتيت النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه حوله كانما على رؤوسهم الطير وفي حديث
صفته اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما على رؤوسهم الطير وقال عروة بن مسعود

وما كنت اطيق ان املأ عيني منه صح

ينظران اليه صح

حين وجهته قريش عام القضية الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأى من تعظيم اصحابه
له ما رأى وانه لا يتوضأ الا ابتدروا وضوءه وكادوا يقتتلون عليه ولا يبصق بصاقا
ولا يتنخم نخامة الا تلقوها باكفهم فدلكوا بها وجوههم واجسادهم ولا تسقط منه شعرة
الا ابتدروها واذا امرهم بامر ابتدروا امره واذا تكلم خفضوا اصواتهم عنده وما يحدون
وما يحدون اصواتهم عنده
اليه النظر تعظيما له فلما رجع الى قريش قال يا معشر قريش انى جئت كسرى فى ملكه
وقيصر فى ملكه والنجاشى فى ملكه وانى والله ما رأيت ملكا فى قوم قط مثل محمد فى اصحابه
وفى رواية ان رأيت ملكا قط يعظمه اصحابه ما يعظم محمدا اصحابه وقد رأيت قوما لا يسلمونه
ابدا وعن انس لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحلاق يحلقه
واطاف به اصحابه فما يريدون ان تقع شعرة الا فى يد رجل ومن هذا لما اذنت
قريش لعثمان فى الطواف بالبيت حين وجهه النبى صلى الله عليه وسلم
اليهم فى القضية ابى وقال ما كنت لافعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه
وسلم وفى حديث طلحة ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
قالوا لاعرابى جاهل سله عمن قضى نحبه وكانوا يهابونه ويوقرونه فسأله فاعرض
عنه اذ طلع طلحة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا ممن قضى نحبه وفى حديث
قيلة فلما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا القرفصاء ارعدت من الفرق
وذلك هيبة له وتعظيما وفى حديث المغيرة كان اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يقرعون
بابه بالاظافير وقال البراء بن عازب لقد كنت اريد ان اسأل رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن الامر فأؤخره سنين من هيبته فصل واعلم ان حرمة النبى صلى الله
عليه وسلم بعد موته وتوقيره وتعظيمه لازم كما كان حال حياته وذلك عند ذكره
عليه السلام وذكر حديثه وسنته وسماع اسمه وسيرته ومعاملة آله وعترته وتعظيم
اهل بيته وصحابته قال ابو ابراهيم التجيبى واجب على كل مؤمن متى ذكره او ذكر عنده
ان يخضع ويخشع ويتوقر ويسكن من حركته ويأخذ من هيبته واجلاله بما كان يأخذ
به نفسه لو كان بين يديه ويتأدب بما ادبنا الله به قال القاضى ابو الفضل
وهذه كانت سيرة سلفنا الصالحين وائمتنا الماضين رضى الله عنهم حدثنا القاضى
ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الاشعرى وابو القاسم احمد بن بقى الحاكم وغير واحد

فيما اجازونيه قالوا حدثنا ابو العباس احمد بن عمر بن دلهاث قال حدثنا ابو الحسن
على بن فهر حدثنا ابو بكر محمد بن احمد بن الفرج حدثنا ابو الحسن عبد الله بن المنتاب حدثنا
يعقوب بن اسحق بن ابى اسرائيل حدثنا ابن حميد قال ناظر ابو جعفر امير المؤمنين
مالكا فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له مالك يا امير المؤمنين لا ترفع
صوتك فى هذا المسجد فان الله عز وجل ادب قوما فقال لا ترفعوا اصواتكم فوق
صوت النبى الآية ومدح قوما فقال ان الذين يغضون اصواتهم الآية وذم قوما
ان الذين ينادونك الآية وان حرمته ميتا كحرمته حيا فاستكان لها ابو جعفر
وقال يا ابا عبد الله استقبل القبلة وادعو ام استقبل رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة ابيك
آدم عليه السلام الى الله يوم القيمة بل استقبله واستشفع به فيشفعك الله تعالى
قال الله تعالى ولو انهم اذ ظلموا انفسهم الآية وقال مالك وقد سئل عن ايوب
السختيانى ما حدثتكم عن احد الا وايوب افضل منه قال وحج حجتين فكنت ارمقه
ولا اسمع منه غير انه كان اذا ذكر النبى صلى الله عليه وسلم بكى حتى ارحمه فلما رأيت منه ما رأيت
واجلاله للنبى صلى الله عليه وسلم كتبت عنه وقال مصعب بن عبد الله كان
مالك اذا ذكر النبى صلى الله عليه وسلم يتغير لونه وينحنى حتى يصعب ذلك على جلسائه
فقيل له يوما فى ذلك فقال لو رأيتم ما رأيت لما انكرتم على ما ترون ولقد كنت ارى محمد
ابن المنكدر وكان سيد القراء لا نكاد نسأله عن حديث ابدا الا يبكى حتى نرحمه
ولقد كنت ارى جعفر بن محمد وكان كثير الدعابة والتبسم فاذا ذكر النبى عنده اصفر
وما رأيته يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا على طهارة ولقد اختلفت
اليه زمانا فما كنت اراه الا على ثلث خصال اما مصليا واما صامتا واما يقرأ
القرآن ولا يتكلم فيما لا يعنيه وكان من العلماء العباد الذين يخشون الله عز وجل
ولقد كان عبد الرحمن بن القاسم يذكر النبى صلى الله عليه وسلم فينظر الى لونه
كأنه نزف منه الدم وقد جف لسانه فى فمه هيبة لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ولقد كنت آتى عامر بن عبد الله بن الزبير فاذا ذكر عنده النبى صلى الله عليه
وسلم بكى حتى لا يبقى فى عينيه دموع ولقد رأيت الزهرى وكان من اهنأ الناس

وانه بهم فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم فكأنه ما عرفك ولا عرفته ولقد كنت
آتي صفوان بن سليم وكان من المتعبدين المجتهدين فاذا ذكر النبي صلى الله عليه
بكى فلا يزال يبكي حتى يقوم الناس عنه ويتركوه وروي عن قتادة انه كان اذا
سمع الحديث اخذه العويل والزويل ولما كثر على مالك الناس قيل له لو جعلت
مستمليا يسمعهم فقال قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق
صوت النبي وحرمته حيا وميتا سواء وكان عبد الرحمن بن مهدي اذا قرأ
حديث النبي صلى الله عليه وسلم امرهم بالسكوت وقال لا ترفعوا اصواتكم فوق
صوت النبي ويتأول انه يجب له من الانصات عند قراءة حديثه ما يجب له
عند سماع قوله

فصل في سيرة السلف رواية حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته

حدثنا حسين بن محمد الحافظ حدثنا ابو الفضل بن
خيرون ثنا ابو بكر البرقاني وغيره حدثنا ابو الحسن الدارقطني حدثنا علي بن مبشر
حدثنا احمد بن سنان القطان ثنا يزيد بن هارون ثنا المسعودي عن مسلم
البطين عن عمرو بن ميمون قال اختلفت الى ابن مسعود سنة فما سمعته يقول
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انه حدث يوما فجرى على لسانه
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم علاه كرب حتى رأيت العرق يتحدر عن جبهته
ثم قال هكذا ان شاء الله او فوق ذا او ما دون ذا او ما هو قريب من ذا وفي
وفي رواية فتربد وجهه وفي رواية وقد تغرغرت عيناه وانتفخت اوداجه وقال
ابراهيم بن عبد الله بن قريم الانصاري قاضي المدينة مر مالك بن انس
على ابي حازم وهو يحدث فجازه وقال اني لم اجد موضعا اجلس فيه فكرهت
ان آخذ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا قائم وقال مالك
جاء رجل الى ابن المسيب فسأله عن حديث وهو مضطجع فجلس وحدثه فقال له
الرجل وددت انك لم تتعن فقال اني كرهت ان احدثك عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم وانا مضطجع وروي عن محمد بن سيرين انه قد يكون يضحك
فاذا ذكر عنده حديث النبي صلى الله عليه وسلم خشع وقال ابو مصعب
كان مالك بن انس لا يحدث بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو

وهو على وضوء اجلالا له وحكى مالك ذلك عن جعفر بن محمد وقال مصعب
بن عبد الله كان مالك بن انس اذا حدث عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم توضأ وتهيأ ولبس ثيابه ثم يحدث قال مصعب فسئل عن ذلك
فقال انه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مطرف كان اذا
اتى الناس مالكا خرجت اليهم الجارية فتقول لهم يقول لكم الشيخ تريدون
الحديث او المسائل فان قالوا المسائل خرج اليهم وان قالوا الحديث
دخل مغتسله واغتسل وتطيب ولبس ثيابا جددا ولبس ساجه وتعمم ووضع
على رأسه رداءه وتلقى له منصة فيخرج فيجلس عليها وعليه الخشوع ولا يزال
يبخر بالعود حتى يفرغ من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال غيره
ولم يكن يجلس على تلك المنصة الا اذا حدث عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ابن ابي اويس فقيل لمالك في ذلك فقال احب ان اعظم
حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا احدث الا على طهارة متمكنا
قال وكان يكره ان يحدث في الطريق او هو قائم او مستعجل وقال احب ان افهم
حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عبد الله بن المبارك كنت عند مالك
وهو يحدثنا فلدغته عقرب ست عشرة مرة وهو يتغير لونه ويصفر ولا يقطع
حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغ من المجلس وتفرق الناس
عنه قلت له يا ابا عبد الله لقد رأيت منك اليوم عجبا قال نعم انما صبرت اجلالا
لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن مهدي مشيت يوما مع مالك
الى العقيق فسألته عن حديث فانتهرني وقال لي كنت في عيني اجل من ان
تسأل عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نمشي وسأله جرير
ابن عبد الحميد القاضي عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم
فامر بحبسه فقيل له انه قاض قال القاضي احق من ادب وذكر ان هشام
ابن الغازي سأل مالكا عن حديث وهو واقف فضربه عشرين سوطا
ثم اشفق فحدثه عشرين حديثا فقال هشام وددت لو زادني سياطا ويزيدني
حديثا قال عبد الله بن صالح كان مالك والليث لا يكتبان الحديث الا وهما

وقال ضرار بن مرة كانوا يكرهون ان يحدثوا
على غير وضوء صح

طاهراً وكان قتادة يستحب أن لا تقرأ أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم
إلا على وضوء ولا يحدث إلا على طهارة وكان الأعمش إذا أراد أن يحدث
وهو على غير وضوء تيمم **فصل ومن توقيره صلى الله عليه وسلم وبره بر آله**
وذريته وأمهات المؤمنين أزواجه كما حض عليه السلام وسلكه
السلف الصالح رضي الله عنهم قال الله تعالى إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس
أهل البيت الآية وقال تعالى وأزواجه أمهاتهم حدثنا الشيخ أبو محمد بن أحمد
العدل من كتابه وكتبت من أصله حدثنا أبو الحسن المقرئ الفرغاني حدثتني
أم القاسم بنت الشيخ أبي بكر الخفاف قالت حدثني أبي حدثنا حاتم هو ابن عقيل
حدثنا يحيى هو ابن إسمعيل حدثنا يحيى هو الحماني حدثنا وكيع عن أبيه عن سعيد بن مسروق
عن يزيد بن حيان عن زيد بن أرقم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
أنشدكم الله أهل بيتي ثلثاً قلنا لزيد من أهل بيته قال آل علي وآل جعفر
وآل عقيل وآل العباس وقال عليه السلام إني تارك فيكم ما إن أخذتم به
لم تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما وقال عليه السلام
معرفة آل محمد براءة من النار وحب آل محمد جواز على الصراط والولاية لآل
محمد أمان من العذاب **قال بعض العلماء** معرفتهم هي معرفة مكانهم من النبي صلى الله
عليه وسلم وإذا عرفهم بذلك عرف وجوب حقهم وحرمتهم بسببه وعن عمر بن
أبي سلمة لما نزلت إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت الآية وذلك
في بيت أم سلمة دعا فاطمة وحسناً وحسيناً فجللهم بكساء وعلي خلف ظهره ثم
قال اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً **وعن**
سعد بن أبي وقاص لما نزلت آية المباهلة دعا النبي صلى الله عليه وسلم علياً وحسناً
وحسيناً وفاطمة وقال اللهم هؤلاء أهلي وقال النبي صلى الله عليه وسلم في علي من كنت
مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وقال فيه لا يحبك إلا مؤمن
ولا يبغضك إلا منافق وقال للعباس والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الإيمان
حتى يحبكم لله ولرسوله ومن آذى عمي فقد آذاني وإنما عم الرجل صنو أبيه وقال للعباس
اغد علي يا عم مع ولدك فجمعهم وجللهم بملاءته وقال هذا عمي وصنو أبي وهؤلاء أهل بيتي

بيتي فاسترهم من النار كستري إياهم فأمنت أسكفة الباب وحوائط البيت
آمين آمين وكان يأخذ أسامة بن زيد والحسن ويقول اللهم إني أحبهما
فأحبهما وقال أبو بكر رضي الله عنه ارقبوا محمداً في أهل بيته والذي نفسي بيده لقرابة
رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إلي أن أصل من قرابتي وقال صلى الله
عليه وسلم أحب الله من أحب حسناً وقال من أحبني وأحب هذين وأشار
إلى حسن وحسين وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيمة وقال صلى الله عليه
وسلم من أهان قريشاً أهانه الله وقال قدموا قريشاً ولا تقدموها وقال
عليه السلام لأم سلمة لا تؤذيني في عائشة وعن عقبة بن الحرث رأيت أبا بكر
رضي الله عنه وجعل الحسن على عنقه وهو يقول بأبي شبيه بالنبي ليس شبيهاً
بعلي وعلي يضحك **وروي** عن عبد الله بن حسن قال أتيت عمر بن عبد العزيز
في حاجة فقال لي إذا كانت لك حاجة فأرسل إلي أو اكتب فإني أستحيي من الله تعالى
أن يراك على بابي **وعن** الشعبي صلى زيد بن ثابت على جنازة أمه ثم قربت له بغلته
ليركبها فجاء ابن عباس فأخذ بركابه فقال زيد خل عنه يا ابن عم رسول الله فقال
هكذا نفعل بالعلماء فقبل زيد يد ابن عباس وقال هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت
رسول الله **ورأى** ابن عمر محمد بن أسامة بن زيد فطأطأ ابن عمر رأسه ونقر
بيده الأرض وقال لو رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحبه **وقال** الأوزاعي
دخلت بنت أسامة بن زيد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمر بن
عبد العزيز ومعها مولى لها يمسك بيدها فقام لها عمر ومشى إليها حتى جعل يديها بين يديه
ويداه في ثيابه ومشى بها حتى أجلسها على مجلسه وجلس بين يديها وما ترك لها
حاجة إلا قضاها ولما فرض عمر بن الخطاب لابنه عبد الله في ثلثة آلاف ولأسامة بن
زيد في ثلثة آلاف وخمسمائة قال عبد الله لأبيه لم فضلته فوالله ما سبقني إلى مشهد
فقال له لأن زيداً كان أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبيك وأسامة
أحب إليه منك فآثرت حب رسول الله صلى الله عليه وسلم على حبي وبلغ معاوية أن
كابس بن ربيعة يشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دخل عليه من باب الدار
قام عن سريره وتلقاه وقبل بين عينيه وأقطعه المرغاب لشبهه صورة رسول الله صلى الله

وحسيناً

فقال ليت هذا عندي فقيل له هو محمد بن أسامة

عليه وسلم وروي ان مالكا رحمه الله لما ضربه جعفر بن سليمان ونال منه ما نال
وحمل مغشيا عليه دخل عليه الناس فافاق فقال اشهدكم اني جعلت ضاربي
في حل فسئل عن ذلك فقال خفت ان اموت فالقى النبي عليه السلام فاستحيي منه
ان يدخل بعض آله النار بسببي وقيل ان المنصور اقاده من جعفر فقال له
اعوذ بالله والله ما ارتفع منها سوط عن جسمي الا وقد جعلته في حل لقرابته
من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو بكر بن عياش لو اتاني ابو بكر
وعمر وعلي لبدأت بحاجة علي قبلهما لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولان اخر من السماء الى الارض احب الي من ان اقدمه عليهما وقيل لابن عباس
ماتت فلانة لبعض ازواج النبي صلى الله عليه وسلم فسجد فقيل له اتسجد هذه
الساعة فقال اليس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم آية
فاسجدوا واي آية اعظم من ذهاب ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ابو بكر
وعمر رضي الله عنهما يزوران ام ايمن مولاة النبي ويقولان كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يزورها ولما وردت حليمة السعدية على النبي صلى الله عليه وسلم بسط
لها رداءه وقضى حاجتها فلما توفي صلى الله عليه وسلم وفدت على ابي بكر وعمر
فصنعا بها مثل ذلك **فصل ومن توقيره وبره صلى الله عليه وسلم توقير
اصحابه وبرهم ومعرفة حقهم والاقتداء بهم** وحسن الثناء عليهم والاستغفار
لهم والامساك عما شجر بينهم ومعاداة من عاداهم والاضراب عن اخبار المؤرخين
وجهلة الرواة وضلال الشيعة والمبتدعين القادحة في احد منهم وان يلتمس لهم
فيما نقل مثل ذلك فيما كان بينهم من الفتن احسن التأويلات ويخرج لهم اصوب
المخارج اذ هم اهل ذلك ولا يذكر احد منهم بسوء ولا يغمص عليه امر بل تذكر حسناتهم
وفضائلهم وحميد سيرهم ويسكت عما وراء ذلك كما قال عليه الصلاة والسلام
اذا ذكر اصحابي فامسكوا وقال الله تعالى محمد رسول الله والذين معه اشداء
على الكفار رحماء بينهم الى آخر السورة وقال والسابقون الاولون من المهاجرين
والانصار الآية وقال لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة
وقال رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآية حدثنا القاضي ابو علي حدثنا ابو

ابو الحسين وابو الفضل قالا حدثنا ابو يعلى حدثنا ابو علي السنجي حدثنا محمد بن محبوب
حدثنا الترمذي حدثنا الحسن بن الصباح حدثنا سفيان بن عيينة عن زائدة
عن عبد الملك بن عمير عن ربعي بن حراش عن حذيفة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اقتدوا باللذين من بعدي ابي بكر وعمر وقال اصحابي كالنجوم
بايهم اقتديتم اهتديتم وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
مثل اصحابي كمثل الملح في الطعام لا يصلح الا به وقال الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا
بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن آذاهم فقد آذاني
ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك ان يأخذه وقال لا تسبوا
اصحابي فلو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه وقال
من سب اصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه
صرفا ولا عدلا وقال اذا ذكر اصحابي فامسكوا وقال في حديث جابر ان الله
اختار اصحابي على جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين واختار لي
منهم اربعة ابا بكر وعمر وعثمان وعليا فجعلهم خير اصحابي وفي اصحابي كلهم خير
وقال من احب عمر فقد احبني ومن ابغض عمر فقد ابغضني وقال مالك بن انس
وغيره من ابغض الصحابة وسبهم فليس له في فيء المسلمين حق ونزع بآية
الحشر والذين جاءوا من بعدهم الآية وقال من غاظه اصحاب محمد فهو
كافر قال الله تعالى ليغيظ بهم الكفار وقال عبد الله بن المبارك خصلتان
من كانتا فيه نجا الصدق وحب اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قال ايوب
السختياني من احب ابا بكر فقد اقام الدين ومن احب عمر فقد اوضح السبيل
ومن احب عثمان فقد استضاء بنور الله ومن احب عليا فقد اخذ بالعروة
الوثقى ومن احسن الثناء على اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم فقد
برئ من النفاق ومن انتقص احدا منهم فهو مبتدع مخالف للسنة والسلف
الصالح واخاف ان لا يصعد له عمل الى السماء حتى يحبهم جميعا ويكون قلبه سليما
وفي حديث خالد بن سعيد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يا ايها الناس اني راض
عن ابي بكر فاعرفوا له ذلك ايها الناس اني راض عن عمر وعن علي وعن عثمان

وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف فاعرفوا لهم ذلك ايها
الناس ان الله غفر لاهل بدر والحديبية ايها الناس احفظوني في اصحابي
واصهاري واختاني لا يطالبكم احد منهم بمظلمة فانها مظلمة لا توهب في القيمة
غدا وقال رجل للمعافى ابن عمران اين عمر بن عبد العزيز من معاوية فغضب
وقال لا يقاس باصحاب النبي صلى الله عليه وسلم احد معاوية صاحبه وصهره
وكاتبه وامينه على وحي الله واتي النبي صلى الله عليه وسلم بجنازة رجل فلم يصل
عليه وقال كان يبغض عثمان فابغضه الله وقال عليه السلام في الانصار
اعفوا عن مسيئهم واقبلوا من محسنهم وقال احفظوني في اصحابي واصهاري
فانه من حفظني فيهم حفظه الله في الدنيا والآخرة ومن لم يحفظني فيهم تخلى الله منه
ومن تخلى الله منه يوشك ان ياخذه وعنه عليه السلام من حفظني في اصحابي
كنت له حافظا يوم القيمة وقال من حفظني في اصحابي ورد علي الحوض ومن لم يحفظني
في اصحابي لم يرد علي الحوض ولم يرني الا من بعيد قال مالك رضي الله عنه
هذا النبي صلى الله عليه وسلم مؤدب الخلق الذي هدانا الله به وجعله رحمة
للعالمين يخرج في جوف الليل الى البقيع فيدعو لهم ويستغفر كالمودع لهم
وبذلك امره الله وامر النبي بحبهم وموالاتهم ومعاداة من عاداهم وروي
عن كعب ليس احد من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم الا له شفاعة يوم القيمة
وطلب من المغيرة بن نوفل ان يشفع له يوم القيمة قال سهل بن عبد الله التستري
لم يؤمن بالرسول من لم يوقر اصحابه ولم يعز اوامره **فصل ومن اعظامه**
واكباره اعظام جميع اسبابه واكرام مشاهده وامكنته من مكة والمدينة
ومعاهده وما لمسه عليه السلام او عرف به وروي عن صفية بنت نجدة قالت
كانت لابي محذورة قصة في مقدم راسه اذا قعد وارسلها اصابت الارض
فقيل له الا تحلقها فقال لم اكن بالذي احلقها وقد مسها رسول الله صلى الله
عليه وسلم بيده وكانت في قلنسوة خالد بن الوليد شعرات من شعره عليه السلام
فسقطت قلنسوته في بعض حروبه فشد عليها شدة انكر عليه اصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم كثرة من قتل فيها فقال لم افعلها بسبب القلنسوة بل لما تضمنته

فانا ابغضه صح

من شعره عليه السلام لئلا اسلب بركتها وتقع في ايدي المشركين وروي ابن عمر
واضعا يده على مقعد النبي صلى الله عليه وسلم من المنبر ثم وضعها على وجهه
ولهذا كان مالك رحمه الله لا يركب بالمدينة دابة وكان يقول استحيي من الله
ان اطأ تربة فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابة وروي انه وهب
للشافعي رحمهما الله كراعا كثيرا كان عنده فقال له الشافعي امسك منها
دابة فاجابه بمثل هذا الجواب وقد حكى ابو عبد الرحمن السلمي عن احمد بن فضلويه
الزاهد وكان من الغزاة الرماة انه قال ما مسست القوس بيدي الا على طهارة
منذ بلغني ان النبي صلى الله عليه وسلم اخذ القوس بيده وقد افتى مالك فيمن
قال تربة المدينة ردية يضرب ثلثين درة وامر بحبسه وكان له قدر وقال
ما احوجه الى ضرب عنقه تربة دفن فيها النبي صلى الله عليه وسلم يزعم انها غير
طيبة وفي الصحيح انه قال عليه السلام في المدينة من احدث فيها حدثا او آوى محدثا
فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا
وحكي ان جهجاها الغفاري اخذ قضيب النبي صلى الله عليه وسلم من يد عثمان
رضي الله عنه وتناوله ليكسره على ركبته فصاح به الناس فاخذته الاكلة في ركبته
فقطعها ومات قبل الحول وقال عليه السلام من حلف على منبري كاذبا فليتبوأ
مقعده من النار وحدثت ان ابا الفضل الجوهري لما ورد المدينة
زائرا وقرب من بيوتها ترجل ومشى باكيا منشدا

ولما رأينا رسم من لم يدع لنا   فؤادا لعرفان الرسوم ولا لبا
نزلنا عن الاكوار نمشي كرامة   لمن بان عنه ان نلم به ركبا

وحكي عن بعض المريدين انه لما اشرف على مدينة الرسول عليه السلام انشأ يقول متمثلا

رفع الحجاب لنا فلاح لناظر   قمر تقطع دونه الاوهام
واذا المطي بنا بلغن محمدا   فظهورهن على الرجال حرام
قربننا من خير من وطئ الثرى   فلها علينا حرمة وذمام

وحكي عن بعض المشايخ انه حج ماشيا فقيل له في ذلك فقال العبد الآبق
يأتي الى بيت مولاه راكبا لو قدرت ان امشي على راسي ما مشيت على قدمي

قال القاضي وجدير بمواطن عمرت بالوحي والتنزيل وتردد بها جبريل وميكائيل وعرجت منها الملائكة والروح وضجت عرصاتها بالتقديس والتسبيح واشتملت تربتها على جسد سيد البشر وانتشر عنها من دين الله وسنة رسوله ما انتشر مدارس آيات ومساجد وصلوات ومشاهد الفضائل والخيرات ومعاهد البراهين والمعجزات ومناسك الدين ومشاعر المسلمين ومواقف سيد المرسلين ومتبوأ خاتم النبيين حيث انفجرت النبوة واين فاض عبابها ومواطن مهبط الرسالة واول ارض مس جلد المصطفى ترابها ان تعظم عرصاتها وتتنسم نفحاتها وتقبل ربوعها وجدرانها

يا دار خير المرسلين ومن به | هدي الانام وخص بالآيات
عندي لاجلك لوعة وصبابة | وتشوق متوقد الجمرات
وعلي عهد ان ملأت محاجري | من تلكم الجدرات والعرصات
لاعفرن مصون شيبي بينها | من كثرة التقبيل والرشفات
لولا العوادي والاعادي زرتها | ابدا ولو سحبا على الوجنات
لكن سأهدي من حفيل تحيتي | لقطين تلك الدار والحجرات
اذكى من المسك المفتق نفحة | تغشاه بالآصال والبكرات
وتخصه بزواكي الصلوات | ونوامي التسليم والبركات

الباب الرابع في حكم الصلاة عليه والتسليم وفرض ذلك وفضيلته

قال الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي الآية قال ابن عباس معناه ان الله وملائكته يباركون على النبي وقيل ان الله يترحم على النبي والملائكة يدعون له قال المبرد واصل الصلاة الترحم فهي من الله رحمة ومن الملائكة رقة واستدعاء للرحمة من الله تعالى وقد ورد في الحديث صفة صلاة الملائكة على من جلس ينتظر الصلاة اللهم اغفر له اللهم ارحمه فهذا دعاء وقال بكر القشيري الصلاة من الله تعالى لمن دون النبي صلى الله عليه وسلم رحمة وللنبي صلى الله عليه وسلم تشريف وزيادة تكرمة وقال ابو العالية صلاة الله ثناؤه عليه عند الملائكة وصلاة الملائكة الدعاء قال ابو الفضل وقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم في حديث تعليم الصلاة عليه بين لفظ الصلاة ولفظ البركة فدل انهما بمعنيين واما التسليم الذي امر الله تعالى به عباده فقال القاضي ابو بكر بن بكير نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم فامر اصحابه ان يسلموا عليه وكذلك من بعدهم امروا ان يسلموا على النبي صلى الله عليه وسلم عند حضورهم قبره وعند ذكره وفي معنى السلام عليه ثلاثة وجوه احدها السلامة لك ومعك ويكون السلام مصدرا كاللذاذ واللذاذة الثاني اي السلام على حفظك ورعايتك متول له وكفيل به ويكون هنا السلام اسم الله تعالى الثالث ان السلام بمعنى المسالمة له والانقياد كما قال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما

فصل اعلم ان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فرض على الجملة

غير محدد بوقت لامر الله تعالى بالصلاة عليه وحمل الائمة والعلماء له على الوجوب واجمعوا عليه وحكى ابو جعفر الطبري ان محمل الآية عنده على الندب وادعى فيه الاجماع ولعله فيما زاد على مرة والواجب منه الذي يسقط به الحرج ومأثم ترك الفرض مرة كالشهادة له بالنبوة وما عدا ذلك فمندوب مرغب فيه من سنن الاسلام وشعار اهله قال القاضي ابو الحسن بن القصار المشهور عن اصحابنا ان ذلك واجب في الجملة على الانسان وفرض عليه ان يأتي بها مرة في دهره مع القدرة على ذلك وقال القاضي ابو بكر بن بكير افترض الله على خلقه ان يصلوا على نبيه ويسلموا تسليما ولم يجعل ذلك لوقت معلوم فالواجب ان يكثر المرء منها ولا يغفل عنها قال القاضي ابو محمد بن نصر الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم واجبة في الجملة قال القاضي ابو عبد الله محمد بن سعيد ذهب مالك واصحابه وغيرهم من اهل العلم ان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فرض بالجملة بعقد الايمان لا تتعين في الصلاة وان من صلى عليه مرة واحدة في عمره سقط الفرض عنه وقال اصحاب الشافعي الفرض منها الذي امر الله به ورسوله عليه السلام هو الصلاة وقالوا اما في غيرها فلا خلاف انها غير واجبة واما في الصلاة فحكى الامامان ابو جعفر الطبري والطحاوي وغيرهما اجماع جميع المتقدمين والمتأخرين من علماء الامة على ان

الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في التشهد غير واجبة وشذ الشافعي في ذلك
فقال من لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم من بعد التشهد الآخر وقبل السلام
فصلوته فاسدة وان صلى عليه قبل ذلك لم تجزه ولا سلف له في هذا القول ولا سنة
يتبعها وقد بالغ في انكار هذه المسئلة عليه لمخالفته فيها من تقدمه جماعة وشنعوا
عليه الخلاف فيها منهم الطبري والقشيري وغير واحد وقال ابو بكر بن المنذر
يستحب ان لا يصلي احد صلاة الا صلى فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فان ترك
ذلك تارك فصلاته مجزئة في مذهب مالك واهل المدينة وسفين الثوري واهل
الكوفة من اصحاب الرأي وغيرهم وهو قول جمل اهل العلم وحكي عن مالك وسفيان
انها في التشهد الاخير مستحبة وان تاركها في التشهد مسيء وشذ الشافعي فاوجب
على تاركها في الصلاة الاعادة واوجب اسحق الاعادة مع تعمد تركها دون
النسيان وحكى ابو محمد ابن ابي زيد عن محمد بن المواز ان الصلاة على النبي صلى الله
عليه وسلم فريضة قال ابو محمد يريد ليست من فرائض الصلوة وقاله محمد
بن عبد الحكم وغيره وحكى ابن القصار وعبد الوهاب ان محمد بن المواز يراها
فريضة في الصلاة كقول الشافعي وحكى ابو يعلى العبدي المالكي عن المذهب
فيها ثلثة اقوال في الصلوة الوجوب والسنة والندب وقد خالف الخطابي
من اصحاب الشافعي وغيره الشافعي في هذه المسئلة قال الخطابي وليست بواجبة
في الصلوة وهو قول جماعة الفقهاء الا الشافعي ولا اعلم له فيها قدوة والدليل
على انها ليست من فروض الصلوة عمل السلف الصالح قبل الشافعي واجماعهم عليه
وقد شنع الناس عليه هذه المسئلة جدا وهذا تشهد ابن مسعود الذي اختاره
الشافعي وهو الذي علمه له النبي صلى الله عليه وسلم ليس فيه الصلاة على النبي صلى الله
عليه وسلم وكذلك كل من روى التشهد عن النبي صلى الله عليه وسلم كابي هريرة
وابن عباس وجابر وابن عمر وابي سعيد الخدري وابي موسى الاشعري وعبد الله
ابن الزبير ولم يذكروا فيه صلوة على النبي صلى الله عليه وسلم يعلمنا التشهد كما يعلمنا
السورة من القران ونحوه عن ابي سعيد وقال ابن عمر كان ابو بكر يعلمنا التشهد
على المنبر كما يعلمون الصبيان في الكتاب وعلمه ايضا على المنبر عمر بن الخطاب وفي

الحديث لا صلاة لمن لم يصل علي قال ابن القصار معناه كاملة او لمن لم يصل
علي مرة في عمره وضعف اهل الحديث كلهم رواية هذا الحديث وفي حديث ابي جعفر
عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم من صلى صلوة لم يصل فيها علي
وعلى اهل بيتي لم تقبل منه قال الدارقطني الصواب انه قول ابي جعفر محمد بن علي
ابن الحسين لو صليت صلاة لم اصل فيها على النبي ولا على اهل بيته لرأيت
انها لا تتم

فصل في المواطن التي يستحب فيها الصلوة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم

ويرغب من ذلك في تشهد الصلاة كما قدمناه
وذلك بعد التشهد وقبل الدعاء حدثنا القاضي ابو علي رحمه الله بقراءتي عليه قال حدثنا
الامام ابو القسم البلخي حدثنا الفارسي عن ابي القسم الخزاعي عن ابي سعيد
الهيثم عن ابي عيسى الحافظ قال حدثنا محمود بن غيلان حدثنا عبد الله بن يزيد
المقرئ حدثنا حيوة بن شريح حدثني ابو هانئ الخولاني ان عمرو بن مالك الجنبي
اخبره انه سمع فضالة بن عبيد يقول سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا
يدعو في صلاته فلم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم
عجل هذا ثم دعاه فقال له ولغيره اذا صلى احدكم فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه
ثم ليصل على النبي ثم ليدع الله بما شاء وروي من غير هذا السند بتحميد الله هو
اصح وعن عمر بن الخطاب قال الدعاء والصلاة معلق بين السماء والارض ولا
يصعد الى الله منه شيء حتى يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وعن علي عن النبي
صلى الله عليه وسلم بمعناه وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال وعلى آل محمد وروي ان الدعاء محجوب حتى يصلي الداعي على النبي
صلى الله عليه وسلم وعن ابن مسعود اذا اراد احدكم ان يسأل شيئا بدعوه
فليبدأ بمدحه والثناء عليه بما هو اهله ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليسأل
فانه اجدر ان ينجح وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلوني
كقدح الراكب فان الراكب يملأ قدحه ثم يضعه ويرفع متاعه فان احتاج شربه او الوضوء
توضأ والا اهراقه ولكن اجعلوني في اول الدعاء ووسطه وآخره وقال ابن عطاء
للدعاء اركان واجنحة واسباب واوقات فان وافق اركانه قوي وان وافق

طار في السماء وان وافق مواقيته فاز وان وافق اسبابه انجح فاركانه حضور
القلب والرقة والاستكانة والخشوع وتعلق القلب بالله وقطعه من الاسباب
واجنحته الصدق ومواقيته الاسحار واسبابه الصلوة على محمد صلى الله عليه وسلم
وفي الحديث الدعاء بين الصلوتين على لا يرد وفي حديث آخر كل دعاء محجوب
دون السماء فاذا جاءت الصلوة على صعد الدعاء وفي دعاء ابن عباس
الذي رواه عنه حنش فقال في آخره واستجب دعائي ثم تبدأ بالصلوة على النبي
صلى الله عليه وسلم ان تصلي على محمد عبدك ونبيك ورسولك افضل ما صليت
على احد من خلقك اجمعين آمين ومن مواطن الصلوة عليه عند ذكره
وسماع اسمه او كتابه او عند الاذان وقال عليه السلام رغم انف رجل ذكرت
عنده فلم يصل علي وكره ابن حبيب ذكر النبي صلى الله عليه وسلم عند الذبح
وكره سحنون الصلوة عليه عند التعجب وقال لا يصلى عليه الا على طريق الاحتساب
وطلب الثواب قال اصبغ بن القسم موطنان لا يذكر فيهما الا الله الذبيحة والعطاس
فلا تقل فيهما بعد ذكر الله محمد رسول الله ولو قال بعد ذكر الله محمد صلى الله على محمد
لم يكن تسمية له مع الله وقاله اشهب قال ولا ينبغي ان تجعل الصلوة على النبي صلى الله
فيه استنانا وروى النسائي عن اوس بن اوس عن النبي صلى الله عليه وسلم
الامر بالاكثار من الصلوة عليه في يوم الجمعة ومن مواطن الصلوة والسلام دخول المسجد
قال ابو اسحق بن شعبان وينبغي لمن دخل المسجد ان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم
وعلى آله ويترحم عليه وعلى آله ويبارك عليه وعلى آله ويسلم تسليما ويقول اللهم
اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك واذا خرج فعل مثل ذلك وجعل موضع
رحمتك فضلك وقال عمرو بن دينار اذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم
قال ان لم يكن في البيت احد فقل السلام على النبي ورحمة الله وبركاته السلام
علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على اهل البيت ورحمة الله وبركاته
قال ابن عباس المراد بالبيوت هنا المساجد وقال النخعي اذا لم يكن في المسجد احد
فقل السلام على رسول الله واذا لم يكن في البيت احد فقل السلام علينا وعلى عباد الله
الصالحين وعن علقمة اذا دخلت المسجد اقول السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته

وبركاته صلى الله وملائكته على محمد ونحوه عن كعب اذا دخل المسجد واذا خرج ولم
يذكر الصلوة واحتج ابن شعبان لما ذكره بحديث فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان يفعله اذا دخل المسجد ومثله عن ابي بكر بن عمرو بن حزم وذكر
السلام والرحمة وقد ذكرنا هذا الحديث آخر القسم والاختلاف في الفاظه
ومن مواطن الصلوة عليه صلوة الجنائز وذكر عن ابي امامة انها من السنة
ومن مواطن الصلوة التي مضى عليها عمل الامة ولم تنكرها الصلوة على النبي وآله في الرسائل
وما يكتب بعد البسملة ولم يكن هذا في الصدر الاول واحدث عند ولاية بني
هاشم فمضى به عمل الناس في اقطار الارض ومنهم من يختم به ايضا الكتب
وقال عليه السلام من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام اسمي
في ذلك الكتاب ومن مواطن السلام على النبي صلى الله عليه وسلم
تشهد الصلوة حدثنا ابو القسم خلف بن ابرهيم المقرئ الخطيب رحمه الله
وغيره قال انبتني كريمة بنت احمد قالت حدثنا ابو الهيثم حدثنا محمد بن يوسف
حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا ابو نعيم حدثنا الاعمش عن شقيق بن سلمة
عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا صلى احدكم فليقل
التحيات لله والصلوات والطيبات السلام عليك ايها النبي ورحمة الله
وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فانكم اذا قلتموها اصابت
كل عبد صالح في السماء والارض هذا احد مواطن التسليم عليه وسنته
اول التشهد وقد روى مالك عن ابن عمر انه كان يقول ذلك اذا فرغ من
تشهده واراد ان يسلم واستحب مالك في المبسوط ان يسلم بمثل ذلك
قبل السلام قال محمد بن مسلمة اراد ما جاء عن عائشة وابن عمر انهما كانا
يقولان عند سلامهما السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام
علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليكم واستحب اهل العلم ان ينوي
الانسان حين سلامه كل عبد صالح في السماء والارض من الملائكة وبني آدم
والجن قال مالك في المجموعة واحب للمأموم اذا سلم امامه ان يقول السلام
على النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام

عليكم. **فصل في كيفية الصلاة عليه والتسليم** حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن جعفر
الفقيه بقراءتي عليه حدثنا القاضي أبو الأصبغ حدثنا أبو عبد الله بن عتاب
حدثنا أبو بكر بن واقد وغيره قالوا حدثنا أبو عيسى حدثنا عبيد الله حدثنا يحيى حدثنا
مالك عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم عن أبيه عن عمرو بن سليم الزرقي
أنه قال أخبرني أبو حميد الساعدي أنهم قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك
فقال قولوا اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على إبراهيم وبارك
على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد وفي رواية
مالك عن أبي مسعود الأنصاري قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آله كما صليت
على إبراهيم وبارك على محمد كما باركت على آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد
والسلام كما قد علمتم وفي رواية كعب بن عجرة اللهم صل على محمد وآل محمد كما
صليت على إبراهيم وبارك على محمد وآل محمد كما باركت إنك حميد مجيد وعن عقبة
ابن عمرو في حديثه اللهم صل على محمد النبي الأمي وعلى آل محمد وفي رواية أبي
سعيد الخدري اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وذكر معناه وحدثنا
القاضي أبو عبد الله التميمي سماعا عليه وأبو علي الحسن بن طريف النحوي بقراءتي
عليه قال حدثنا أبو عبد الله بن سعدون الفقيه حدثنا أبو بكر المطوعي حدثنا
أبو عبد الله الحاكم عن أبي بكر بن أبي دارم الحافظ عن علي بن أحمد العجلي عن حرب
ابن الحسن عن يحيى بن المساور عن عمرو بن خالد عن زيد بن علي بن الحسين
عن أبيه علي عن أبيه الحسين عن أبيه علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وقال
عدهن في يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عدهن في يدي جبريل
وقال هكذا أنزلت من عند رب العزة اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت
على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما
باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد اللهم وترحم على محمد وعلى
آل محمد كما ترحمت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد اللهم و
تحنن على محمد وعلى آل محمد كما تحننت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك
حميد مجيد اللهم وسلم على محمد وعلى آل محمد كما سلمت على إبراهيم وعلى آل

آل إبراهيم إنك حميد مجيد وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
من سره أن يكتال بالمكيال الأوفى إذا صلى علينا أهل البيت فليقل اللهم
صل على محمد النبي وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته كما صليت
على إبراهيم إنك حميد مجيد وفي رواية زيد بن خارجة الأنصاري سألت النبي
صلى الله عليه وسلم كيف نصلي عليك فقال صلوا واجتهدوا في الدعاء
ثم قولوا اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد
وعن سلامة الكندي كان علي يعلمنا الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
اللهم داحي المدحوات وباري المسموكات اجعل شرائف صلواتك ونوامي
بركاتك ورأفة تحننك على محمد عبدك ورسولك الفاتح لما أغلق والخاتم
لما سبق والمعلن الحق بالحق والدامغ لجيشات الأباطيل كما حمل فاضطلع
بأمرك لطاعتك مستوفزا في مرضاتك واعيا لوحيك حافظا على نفاذ
أمرك حتى أورى قبسا لقابس آلاء الله تصل بأهله أسبابه به هديت
القلوب بعد خوضات الفتن والإثم موضحات الأعلام ونائرات
الأحكام ومنيرات الإسلام فهو أمينك المأمون وخازن علمك المخزون
وشهيدك يوم الدين وبعيثك نعمة ورسولك بالحق رحمة اللهم افسح له في عدنك
واجزه مضاعفات الخير من فضلك مهنئات له غير مكدرات من فوز
ثوابك المحلول وجزيل عطائك المعلول اللهم أعل على بناء الناس بناءه
وأكرم مثواه لديك ونزله وأتمم له نوره واجزه من ابتعاثك له مقبول
الشهادة ومرضي المقالة ذا منطق عدل وخطة فصل وبرهان عظيم
وعنه أيضا في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم إن الله وملائكته يصلون
على النبي الآية لبيك اللهم وسعديك صلوات الله البر الرحيم والملائكة المقربين
والنبيين والصديقين والشهداء والصالحين وما سبح لك من شيء يا رب
العالمين على محمد بن عبد الله خاتم النبيين وسيد المرسلين وإمام المتقين
ورسول رب العالمين الشاهد البشير الداعي إليك بإذنك السراج المنير
وعليه السلام وعن عبد الله بن مسعود اللهم اجعل صلواتك وبركاتك

ورحمتك على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك
ورسولك امام الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه فيه
الاولون والآخرون اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابرهيم
انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابرهيم وعلى آل
ابرهيم انك حميد مجيد وكان الحسن البصري يقول من اراد ان يشرب
بالكأس الاوفى من حوض المصطفى فليقل اللهم صل على محمد وعلى آله
واصحابه واولاده وازواجه وذريته واهل بيته واصهاره وانصاره و
واشياعه ومحبيه وامته وعلينا معهم اجمعين يا ارحم الراحمين وعن طاوس
عن ابن عباس انه كان يقول اللهم تقبل شفاعة محمد الكبرى وارفع درجته
العليا وآته سؤله في الآخرة والاولى كما آتيت ابرهيم وموسى وعن وهيب
ابن الورد انه كان يقول في دعائه اللهم اعط محمدا افضل ما سألك لنفسه
واعط محمدا افضل ما سألك له احد من خلقك واعط محمدا افضل ما انت
مسؤل له الى يوم القيمة وعن ابن مسعود انه كان يقول اذا صليتم على النبي
عليه السلام فاحسنوا الصلوة عليه فانكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه
وقولوا اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وامام
المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير وقائد الخير
ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه فيه الاولون والآخرون
اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل ابرهيم انك حميد مجيد اللهم بارك
على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل ابرهيم انك حميد مجيد ومما يؤثر في تطويل
الصلوة وتكثير الثناء على اهل البيت وغيرهم كثير وقوله السلام قد علمتم
هو ما علمه في التشهد من قوله السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام
علينا وعلى عباد الله الصالحين وفي تشهد علي السلام على نبي الله السلام
على انبياء الله ورسله السلام على رسول الله السلام على محمد بن عبد الله
السلام علينا وعلى المؤمنين والمؤمنات من غاب منهم ومن شهد
اللهم اغفر لمحمد وتقبل شفاعته واغفر لاهل بيته واغفر لي ولوالدي وما

ولدا وارحمهما السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليك ايها
النبي ورحمة الله وبركاته جاء في هذا الحديث الدعاء للنبي بالمغفرة وفي حديث
الصلوة عليه ايضا قبل الدعاء له بالرحمة ولم يأت في غيره من الاحاديث المرفوعة
المعروفة وقد ذهب ابو عمر بن عبد البر وغيره الى انه لا يدعى للنبي بالرحمة وانما يدعى
له بالصلوة والبركة التي تختص به ويدعى لغيره بالرحمة والمغفرة وقد ذكر ابو محمد بن ابي
زيد في الصلوة على النبي اللهم ارحم محمدا وآل محمد كما رحمت على ابرهيم وآل ابرهيم
ولم يأت هذا في حديث صحيح وحجته قوله في السلام السلام عليك ايها النبي ورحمة الله
وبركاته **فصل في فضيلة الصلوة على النبي والتسليم عليه والدعاء له** حدثنا
الفقيه ابو الشيخ محمد الصالح من كتابه ثنا القاضي يونس بن مغيث ثنا ابو بكر
بن معاوية حدثنا النسائي انا سويد بن نصر انا عبد الله عن حيوة ابن شريح قال
ابي كعب بن علقمة انه سمع عبد الرحمن بن جبير مولى نافع انه سمع عبد الله بن عمر يقول
سمعت رسول الله عليه وسلم يقول اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول
وصلوا علي فانه من صلى علي صلى الله عليه عشرا ثم سلوا الى الوسيلة فانها
منزلة في الجنة لا ينبغي الا لعبد من عباد الله وارجو ان اكون هو انا فمن سأل
لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة وروى انس بن مالك ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال من صلى علي صلوة صلى الله عليه عشر صلوات وحط عنه عشر خطيئات
ورفع له عشر درجات وكتب له عشر حسنات وعن انس عنه عليه السلام ان جبريل
ناداني فقال من صلى عليك صلوة صلى الله عليه عشرا وفي رواية ورفعه عشر درجات ومن رواية
عبد الرحمن بن عوف عنه عليه السلام لقيت جبريل فقال اني ابشرك ان الله
يقول من سلم عليك سلمت عليه ومن صلى عليك صليت عليه ونحوه من رواية
ابي هريرة ومالك بن اوس بن الحدثان وعبيد الله بن ابي طلحة وعن زيد بن
الخطاب سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من قال اللهم صل على محمد وانزله
المنزل المقرب عندك يوم القيمة وجبت له شفاعتي وعن ابن مسعود اولى الناس
بي يوم القيمة اكثرهم علي صلوة وعن ابي هريرة عنه عليه السلام من صلى علي في كتاب
لم تزل الملائكة تستغفر له ما بقي اسمي في ذلك الكتاب وعن عامر بن ربيعة

سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من صلى علي صلوة صلت عليه الملائكة
ما صلى علي فليقلل من ذلك عبد او ليكثر وعن ابي بن كعب كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا ذهب ربع الليل قام فقال يا ايها الناس اذكروا الله
جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه فقال ابي بن كعب يا رسول الله
اني اكثر الصلوة عليك فكم اجعل لك من صلوتي قال ما شئت قال الربع قال
ما شئت وان زدت فهو خير قال النصف قال ما شئت وان زدت فهو خير قال
الثلثين قال ما شئت وان زدت فهو خير قال يا رسول الله فاجعل صلوتي كلها لك
قال اذا تكفى همك ويغفر لك ذنبك وعن ابي طلحة دخلت على النبي صلى الله عليه
وسلم فرأيت من بشره وطلاقته ما لم اره قط فسألته فقال وما يمنعني وقد
خرج جبريل آنفا فأتاني ببشارة من ربي ان الله تعالى بعثني اليك ابشرك
انه ليس احد من امتك يصلي عليك الا صلى الله عليه وملائكته بها عشرا وعن
وعن جابر بن عبد الله قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من قال حين يسمع النداء
اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلوة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه
مقاما محمودا الذي وعدته حلت له الشفاعة يوم القيمة وعن سعد بن ابي وقاص من
قال حين يسمع المؤذن وانا اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا
عبده ورسوله رضيت بالله ربا وبمحمد رسولا وبالاسلام دينا غفر له وروى ابن وهب
ان النبي صلى الله عليه وسلم من سلم علي عشرا فكأنما اعتق رقبة وفي بعض الآثار
ليردن علي اقوام ما اعرفهم الا بكثرة صلوتهم علي وفي آخر ان انجاكم يوم القيمة من اهوالها
ومواطنها اكثركم علي صلوة وعن ابي بكر الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم امحق
للذنوب من الماء البارد للنار والسلام عليه افضل من عتق الرقاب

فصل في ذم من لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم واثمه

حدثنا القاضي الشهيد ابو علي
رحمه الله حدثنا ابو الفضل بن خيرون وابو الحسين الصيرفي قالا حدثنا ابو يعلى ثنا
السنجي حدثنا محمد بن محبوب حدثنا ابو عيسى حدثنا احمد بن ابراهيم الدورقي حدثنا ربعي
بن ابراهيم عن عبد الرحمن بن اسحق وعن سعيد بن ابي سعيد عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل

علي ورغم انف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل ان يغفر له ورغم انف رجل
ادرك عنده ابواه الكبر فلم يدخلاه الجنة قال عبد الرحمن واظنه قال او احدهما
وفي حديث آخر ان النبي صلى الله عليه وسلم صعد المنبر فقال آمين ثم صعد فقال
آمين ثم صعد فقال آمين فسأله معاذ عن ذلك فقال ان جبريل صلى الله عليه اتاني فقال يا محمد
من سميت بين يديه فلم يصل عليك فمات فدخل النار فابعده الله قل آمين
فقلت آمين وقال فيمن ادرك رمضان فلم يقبل منه فمات مثل ذلك ومن
ادرك ابويه او احدهما فلم يبرهما فمات مثله وعن علي بن ابي طالب عنه عليه السلام
انه قال البخيل الذي ذكرت عنده فلم يصل علي وعن جعفر بن محمد عن ابيه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذكرت عنده فلم يصل علي اخطئ به طريق الجنة
وعن علي بن ابي طالب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان البخيل كل
البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي وعن ابي هريرة قال ابو القسم صلى الله
عليه وسلم ايما قوم جلسوا مجلسا ثم تفرقوا قبل ان يذكروا الله ويصلوا على النبي
صلى الله عليه وسلم كانت عليهم من الله ترة ان شاء عذبهم وان شاء
غفر لهم وعن ابي هريرة من نسي الصلوة علي نسي طريق الجنة وعن قتادة عنه عليه
السلام من الجفاء ان اذكر عند الرجل فلا يصلي علي وعن جابر عنه عليه السلام
ما جلس قوم مجلسا ثم تفرقوا عنه على غير صلوة على النبي صلى الله عليه وسلم الا تفرقوا
عن انتن من ريح الجيفة وعن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يجلس
قوم مجلسا لا يصلون فيه على النبي صلى الله عليه وسلم الا كان عليهم حسرة وان دخلوا
الجنة لما يرون من الثواب حكى ابو عيسى الترمذي عن بعض اهل العلم قال اذا صلى الرجل
على النبي صلى الله عليه وسلم مرة في المجلس اجزأ عنه ما كان في ذلك المجلس

فصل في تخصيصه عليه السلام بتبليغ صلوة من صلى عليه او سلم من الانام

حدثنا القاضي ابو عبد الله التميمي حدثنا الحسين بن محمد حدثنا ابو عمر الحافظ حدثنا
ابن عبد المؤمن حدثنا ابن داسة حدثنا ابو داود حدثنا ابن عوف حدثنا المقرئ
حدثنا حيوة عن ابي صخر حميد بن زياد عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن ابي
هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من احد يسلم علي الا رد الله

على روحي حتى ارد عليه السلام وذكر ابو بكر بن ابي شيبة عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي عند قبري سمعته ومن صلى
علي نائيا بلغته وعن ابن مسعود ان لله ملائكة سياحين في الارض يبلغوني عن امتي
السلام ونحوه عن ابي هريرة وعن ابن عمر اكثروا من السلام على نبيكم كل جمعة
فانه يؤتى به منكم كل جمعة وفي رواية فان احدا لا يصلي علي الا عرضت علي صلوته حين
يفرغ منها وعن الحسن عنه عليه السلام حيثما كنتم فصلوا علي فان صلوتكم
تبلغني وعن ابن عباس ليس احد من امة محمد يسلم عليه ويصلي عليه الا بلغه
وذكر بعضهم ان العبد اذا صلى على النبي صلى الله عليه وسلم عرض عليه اسمه وعن الحسن
ابن علي اذا دخلت المسجد فسلم على النبي فان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لا تتخذوا بيتي عيدا ولا تتخذوا بيوتكم قبورا وصلوا علي حيث كنتم فان صلوتكم تبلغني
حيث كنتم وفي حديث اوس اكثروا علي من الصلوة يوم الجمعة فان صلوتكم معروضة
علي وعن سليمان بن سحيم رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت يا رسول الله
هؤلاء الذين يأتونك فيسلمون عليك اتفقه سلامهم قال نعم وارد عليهم
وعن ابن شهاب بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اكثروا من الصلوة
علي في الليلة الزهراء واليوم الازهر فانهما يؤديان عنكم وان الارض لا تأكل
اجساد الانبياء وما من مسلم يصلي علي الا حملها ملك حتى يؤديها الي ويسميه
حتى انه ليقول ان فلانا يقول كذا وكذا

فصل في الاختلاف في الصلوة على غير النبي وسائر الانبياء عليهم السلام

قال القاضي رحمه الله عامة اهل العلم
متفقون على جواز الصلوة على غير النبي صلى الله عليه وسلم وروي عن ابن عباس
انه لا يجوز الصلوة على غير النبي صلى الله عليه وسلم وروي عنه لا ينبغي الصلوة على احد
الا النبيين وقال سفيان يكره ان يصلى الا على نبي ووجدت بخط بعض شيوخي
مذهب مالك انه لا يجوز ان يصلى على احد من الانبياء سوى محمد عليه السلام وهذا
غير معروف من مذهبه وقد قال مالك في المبسوطة ليحيى بن اسحق اكره الصلوة
على غير الانبياء وما ينبغي لنا ان نتعدى ما امرنا به قال يحيى بن يحيى لست اخذ بقوله
ولا بأس بالصلوة على الانبياء كلهم وعلى غيرهم واحتج بحديث ابن عمر وبما جاء في

جاء في حديث تعليم النبي صلى الله عليه وسلم الصلوة عليه وفيه وعلى ازواجه
وعلى آله وقد وجدت معلقا عن ابي عمران الفاسي وروي عن ابن عباس
كراهة الصلوة على غير النبي صلى الله عليه وسلم قال وبه نقول ولم يكن يستعمل فيما
مضى وقد روى عبد الرزاق عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم صلوا على انبياء الله ورسله فان الله بعثهم كما بعثني
قالوا والاسانيد عن ابن عباس لينة والصلوة في لسان العرب بمعنى الترحم
والدعاء وذلك على الاطلاق حتى يمنع منه حديث صحيح او اجماع وقد قال الله
تعالى هو الذي يصلي عليكم وملائكته الآية وقال خذ من اموالهم صدقة تطهرهم
وتزكيهم بها وصل عليهم الآية وقال اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة و
قال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل ابي اوفى وكان اذا اتاه قوم بصدقتهم
قال اللهم صل على آل فلان وفي حديث الصلوة اللهم صل على محمد وعلى ازواجه
وذريته وفي آخر وعلى آل محمد قيل اتباعه وقيل امته وقيل الاتباع والرهط و
العشيرة وقيل آل الرجل ولده وقيل قومه وقيل اهله الذين حرمت عليهم الصدقة
وفي رواية انس سئل النبي صلى الله عليه وسلم من آل محمد قال كل تقي
ويجيء على مذهب الحسن ان المراد بآل محمد محمد نفسه فانه كان يقول في صلاته
على النبي اللهم اجعل صلوتك وبركاتك على آل محمد يريد نفسه لانه كان لا يخل
بالفرض ويأتي بالنفل لان الفرض الذي امر الله به هو الصلوة على محمد نفسه
وهذا مثل قوله عليه السلام لقد اوتي مزمارا من مزامير آل داود يريد من مزامير
داود نبي الله صلى الله عليه وسلم وفي حديث ابي حميد الساعدي في الصلوة
اللهم صل على محمد وازواجه وذريته وفي حديث ابن عمر انه كان يصلي على النبي
صلى الله عليه وسلم وعلى ابي بكر وعمر ذكره مالك في الموطأ من رواية يحيى الاندلسي
والصحيح من رواية غيره ويدعو لابي بكر وعمر وروى ابن وهب عن انس بن
مالك كنا ندعو لاصحابنا بالغيب فنقول اللهم اجعل منك على فلان صلوات
قوم ابرار الذين يقومون بالليل ويصومون بالنهار قال القاضي والذي ذهب
اليه المحققون واميل اليه ما قاله مالك وسفيان رحمهما الله وروي عن ابن عباس

واختاره غير واحد من الفقهاء والمتكلمين انه لا يصلى على غير الانبياء عند ذكرهم
بل هو شيء يختص به الانبياء توقيرا لهم وتعزيرا كما يخص الله تعالى عند ذكره
بالتنزيه والتقديس والتعظيم ولا يشاركه فيه غيره كذلك يجب تخصيص النبي
صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء بالصلاة والتسليم ولا يشارك فيه
سواهم كما امر الله به بقوله صلوا عليه وسلموا تسليما ويذكر من سواهم من الائمة
وغيرهم بالغفران والرضا كما قال تعالى يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين
سبقونا بالايمان وقال والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وايضا
فهو امر لم يكن معروفا في الصدر الاول كما قال ابو عمران وانما احدثته الرافضة
والمتشيعة في بعض الائمة فشاركوهم عند الذكر لهم بالصلوة وساووهم بالنبي
صلى الله عليه وسلم في ذلك وايضا فان التشبه باهل البدع منهي عنه فتجب
مخالفتهم فيما التزموه من ذلك وذكر الصلاة على الآل والازواج مع النبي صلى الله
عليه وسلم بحكم التبع والاضافة اليه لا على التخصيص قالوا وصلوة النبي صلى الله
عليه وسلم على من صلى عليه مجراها مجرى الدعاء والمواجهة ليس فيها معنى التعظيم
والتوقير قالوا وقد قال تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا
فكذلك يجب ان يكون الدعاء له مخالفا لدعاء الناس بعضهم لبعض وهذا اختيار
الامام ابي المظفر الاسفرائني من شيوخنا **فصل في حكم زيارة قبره عليه
السلام وفضيلة من زاره وسلم عليه وكيف يسلم ويدعوا** وزيارة
قبره عليه السلام سنة من سنن المسلمين مجمع عليها وفضيلة مرغب فيها
روي عن ابن عمر قال النبي صلى الله عليه وسلم من زار قبري وجبت له شفاعتي
وعن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من زارني في
المدينة محتسبا كان في جواري وكنت له شفيعا يوم القيمة وفي حديث آخر من
زارني بعد موتي فكانما زارني في حيوتي وكره مالك ان يقال زرنا قبر النبي وقد
اختلف في معنى ذلك فقيل كراهة الاسم لما ورد من قوله عليه السلام لعن الله
زوارات القبور وهذا يرده قوله عليه السلام نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها
ولا تقولوا هجرا وقوله من زار قبري فقد اطلق اسم الزيارة وقيل لان ذلك لما قيل

لما قيل ان الزائر افضل من المزور وهذا ايضا ليس بشيء اذ ليس كل زائر
بهذه الصفة وليس عموما وقد ورد في حديث اهل الجنة زيارتهم لربهم ولم يمنع
هذا اللفظ في حقه والاولى عندي ان منعه وكراهة مالك له لاضافته الى قبر النبي
صلى الله عليه وسلم وانه لو قال زرنا النبي لم يكرهه لقوله عليه السلام اللهم لا تجعل
قبري وثنا يعبد بعدي اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد
فحمى اضافة هذا اللفظ الى القبر والتشبه بفعل اولئك قطعا للذريعة وحسما
للباب والله اعلم **قال** اسحق بن ابرهيم الفقيه ومما لم يزل من شان من حج
المرور بالمدينة والقصد الى الصلاة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
والتبرك برؤية روضته ومنبره وقبره ومجلسه وملامس يديه ومواطئ قدميه
والعمود الذي كان يستند اليه وينزل جبريل بالوحي فيه عليه وبمن عمره وقصده
من الصحابة وائمة المسلمين والاعتبار بذلك كله **وقال** ابن ابي فديك سمعت
بعض من ادركت يقول بلغنا انه من وقف عند قبر النبي صلى الله عليه و
وسلم فتلا هذه الآية ان الله وملائكته يصلون على النبي ثم قال صلى الله عليك
يا محمد من يقولها سبعين مرة ناداه ملك صلى الله عليك يا فلان ولم تسقط
له حاجة **وعن يزيد** بن ابي سعيد المهري قدمت على عمر بن عبد العزيز فلما ودعته
قال لي اليك حاجة اذا اتيت المدينة سترى قبر النبي صلى الله عليه وسلم
فاقرئه مني السلام قال غيره وكان يبرد اليه البريد من الشام وقال بعضهم
رايت انس بن مالك اتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فوقف فرفع يديه حتى
ظننت انه افتتح الصلاة فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ثم انصرف **قال**
مالك في رواية ابن وهب اذا سلم على النبي صلى الله عليه وسلم ودعا يقف
ووجهه الى القبر لا الى القبلة ويدنو ويسلم ولا يمس القبر بيده **وقال** في
في المبسوط لا ارى ان يقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم يدعو ولكن يسلم
ويمضي قال ابن ابي مليكة من احب ان يقوم وجاه النبي صلى الله عليه وسلم
فليجعل القنديل الذي في القبلة على راسه وقال كان ابن عمر يسلم
على القبر رايته مائة مرة او اكثر يجيء الى القبر فيقول السلام على النبي صلى

عليه وسلم السلام على ابي بكر السلام على ابي ثم ينصرف وفي الموطأ
من رواية يحيى بن يحيى الليثي انه كان يقف على قبر النبي صلى الله عليه وسلم
فيصلي على النبي وعلى ابي بكر وعمر وعند ابن القاسم والقعنبي ويدعو لابي بكر
وعمر قال مالك في رواية ابن وهب يقول المسلم السلام عليك ايها النبي
ورحمة الله وبركاته قال في المبسوط ويسلم على ابي بكر وعمر قال القاضي ابو الوليد
الباجي وعندي انه يدعو للنبي بلفظ الصلاة ولابي بكر وعمر كما في حديث
ابن عمر من الخلاف وقال ابن حبيب ويقول اذا دخل مسجد الرسول
صلى الله عليه وسلم بسم الله وسلام على رسول الله عليه السلام
السلام علينا من ربنا وصلى الله وملائكته على محمد اللهم اغفر لي ذنوبي
وافتح لي ابواب رحمتك وجنتك واحفظني من الشيطان الرجيم ثم اقصد
الى الروضة وهي ما بين القبر والمنبر فاركع فيها ركعتين قبل وقوفك بالقبر
تحمد الله فيها وتسأله تمام ما خرجت اليه والعون عليه وان كانت
ركعتاك في غير الروضة اجزأتاك وفي الروضة افضل وقد قال عليه
السلام ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على ترعة
من ترع الجنة ثم تقف بالقبر متواضعا متوقرا فتصلي عليه وتثني بما
يحضرك وتسلم على ابي بكر وعمر وتدعو لهما واكثر من الصلوة في مسجد
النبي صلى الله عليه وسلم بالليل والنهار ولا تدع ان تأتي مسجد قباء
وقبور الشهداء قال مالك في كتاب محمد ويسلم على النبي صلى الله عليه وسلم
اذا دخل وخرج يعني في المدينة وفيما بين ذلك قال محمد واذا خرج جعل آخر
عهده الوقوف بالقبر وكذلك من خرج مسافرا وروى ابن وهب
عن فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم ان النبي صلى الله عليه قال اذا دخلت
المسجد فصل على النبي صلى الله عليه وسلم وقل اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح
لي ابواب رحمتك واذا خرجت فصل على النبي صلى الله عليه وسلم
وقل اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب فضلك وفي رواية اخرى فليسلم
مكان فليصل فيه ويقول اذا خرج اللهم اني اسألك من فضلك وفي

اخرى احفظني من الشيطان وعن محمد بن سيرين كان الناس يقولون
اذا دخلوا المسجد صلى الله وملائكته على محمد السلام عليك ايها النبي ورحمة الله
بسم الله دخلنا وبسم الله خرجنا وعلى الله توكلنا وكانوا يقولون اذا
خرجوا مثل ذلك وعن فاطمة ايضا كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا دخل
المسجد قال صلى الله على محمد وسلم ثم ذكر مثل حديث فاطمة قبل هذا وفي رواية
حمد الله وسمى وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وذكر مثله وفي رواية
بسم الله والسلام على رسول الله وعن غيرها كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا دخل المسجد قال اللهم افتح لي ابواب رحمتك ويسر لي ابواب
رزقك وعن ابي هريرة اذا دخل احدكم المسجد فليصل على النبي صلى الله عليه
وسلم وليقل اللهم افتح لي وقال مالك في المبسوط وليس يلزم من دخل المسجد
وخرج منه من اهل المدينة الوقوف بالقبر وانما ذلك للغرباء وقال فيه ايضا لا بأس
لمن قدم من سفر او خرج الى سفر ان يقف على قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيصلي
عليه ويدعو له ولابي بكر وعمر فقيل له فان ناسا من اهل المدينة لا يقدمون
من سفر ولا يريدونه يفعلون ذلك في اليوم مرة او اكثر وربما وقفوا في الجمعة
او في الايام المرة والمرتين او اكثر عند القبر فيسلمون ويدعون ساعة فقال
لم يبلغني هذا عن احد من اهل الفقه ببلدنا وتركه واسع ولا يصلح آخر هذه الامة الا
ما اصلح اولها ولم يبلغني عن اول هذه الامة وصدرها انهم كانوا يفعلون ذلك
ويكره الا لمن جاء من سفر او اراده قال ابن القاسم ورأيت اهل المدينة اذا
خرجوا منها او دخلوها اتوا القبر فسلموا قال وذلك رأيي قال الباجي ففرق بين
اهل المدينة والغرباء لان الغرباء قصدوا لذلك واهل المدينة مقيمون بها
لم يقصدوها من اجل القبر والتسليم وقال عليه السلام اللهم لا تجعل قبري
وثنا يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد وقال
صلى الله عليه وسلم لا تجعلوا قبري عيدا ومن كتاب احمد بن سعيد الهندي
فيمن وقف بالقبر لا يلتصق به ولا يمسه ولا يقف عنده طويلا وفي العتبية
يبدأ بالركوع قبل السلام في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم واحب مواضع التنفل

فيه مصلى النبي صلى الله عليه وسلم حيث العمود المخلّق وأما في الفريضة فالتقدم
الى الصفوف والتنفل فيه للغرباء أحب الي من التنفل في البيوت **فصل**
فيما يلزم من دخل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم من الادب سوى ما قدمناه وفضل الصلوة
فيه وفي مسجد مكة وذكر قبره ومنبره وفضل سكنى المدينة ومكة قال الله تعالى لمسجد أسس
على التقوى من اول يوم احق ان تقوم فيه روي ان النبي صلى الله عليه وسلم
سئل اي مسجد هو قال مسجدي هذا وهو قول ابن المسيب وزيد بن ثابت
وابن عمر ومالك بن انس وغيرهم وعن ابن عباس انه مسجد قبا وحدثنا هشام
ابن احمد الفقيه بقراءتي عليه قال ثنا الحسين بن محمد الحافظ حدثنا ابو عمر النمري
حدثنا ابو محمد بن عبد المؤمن حدثنا ابو بكر بن داسة حدثنا ابو داود حدثنا مسدد
حدثنا سفين عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن ابي هريرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال لا تشد الرحال الا الى ثلثة مساجد مسجد الحرام ومسجدي هذا
والمسجد الاقصى وقد تقدمت الآثار في الصلوة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم
عند دخول المسجد **وعن عبد الله** بن عمرو بن العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان اذا دخل المسجد قال اعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم
من الشيطان الرجيم قال مالك رحمه الله سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه
صوتا في المسجد فدعا بصاحبه فقال ممن انت قال رجل من ثقيف قال
لو كنت من هاتين القريتين [لأدبتك صح] ان مسجدنا لا ترفع فيه الصوت قال محمد
بن مسلمة لا ينبغي لاحد ان يعتمد المسجد برفع الصوت ولا بشيء من الاذى
وان ينزه عما يكره قال القاضي حكى ذلك كله القاضي اسمعيل في مبسوطه
في باب فضل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم والعلماء كلهم متفقون ان حكم
سائر المساجد [هذا الحكم صح] قال القاضي اسمعيل وقال محمد بن مسلمة ويكره في مسجد الرسول
صلى الله عليه وسلم الجهر على المصلين فيما يخلط عليهم صلاتهم وليس مما يخص
المساجد رفع الصوت قد كره رفع الصوت بالتلبية في مساجد الجماعات
الا المسجد الحرام ومسجدنا وقال ابو هريرة عنه عليه السلام صلوة في مسجدي
هذا خير من الف صلوة فيما سواه الا المسجد الحرام قال القاضي اختلف الناس

الناس في معنى هذا الاستثناء على اختلافهم في المفاضلة بين مكة والمدينة
فذهب مالك في رواية اشهب عنه وقاله ابن نافع صاحبه وجماعة اصحابه
الى ان معنى الحديث ان الصلوة في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم
افضل من الصلاة في سائر المساجد بالف صلوة الا المسجد الحرام فان
الصلوة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم افضل من الصلوة فيه بدون
الالف واحتجوا بما روي عن عمر بن الخطاب صلوة في المسجد الحرام
خير من مائة صلوة فيما سواه فتأتي فضيلة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم
بتسع مائة وعلى غيره بالف وهذا مبني على تفضيل المدينة على مكة على ما قدمناه
وهو قول عمر بن الخطاب ومالك واكثر المدنيين وذهب اهل مكة والكوفة
الى تفضيل مكة وهو قول عطاء وابن وهب وابن حبيب من اصحاب
مالك وحكاه الساجي عن الشافعي وحملوا الاستثناء في الحديث المتقدم
على ظاهره وان الصلوة في المسجد الحرام افضل واحتجوا بحديث عبد الله بن الزبير
عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثل حديث ابي هريرة وفيه وصلوة في المسجد
الحرام افضل من الصلوة في مسجدي هذا بمائة صلوة وروى قتادة
مثله فتأتي فضل الصلوة في المسجد الحرام على هذا على الصلوة في المساجد
بمائة الف ولا خلاف ان موضع قبره صلى الله عليه وسلم افضل بقاع
الارض قال القاضي ابو الوليد الباجي الذي يقتضيه الحديث مخالفة حكم مكة
سائر المساجد ولا يعلم منه حكمها مع المدينة وذهب الطحاوي الى ان هذا
التفضيل انما هو في صلوة الفرض وذهب مطرف من اصحابنا الى ان ذلك
في النافلة ايضا قال وجمعة خير من جمعة ورمضان خير من رمضان وقد
ذكر عبد الرزاق في تفضيل رمضان بالمدينة وغيرها حديثا نحوه قال عليه
السلام ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومثله عن ابي هريرة
وعن ابي سعيد وزاد ومنبري على حوضي وفي حديث آخر ومنبري على ترعة
من ترع الجنة قال الطبري فيه معنيان احدهما ان المراد بالبيت بيت سكناه
على الظاهر مع انه روي ما يبينه بين حجرتي ومنبري والثاني ان البيت هنا القبر

وهو قول زيد بن اسلم في هذا الحديث كما روي بين قبري ومنبري قال الطبري
واذا كان قبره في بيته اتفقت معاني الروايات ولم يكن بينها خلاف لان قبره
في حجرته وهو بيته وقوله ومنبري على حوضي قيل يحتمل انه منبره بعينه الذي كان في الدنيا
وهو الظاهر والثاني ان يكون له هناك منبر والثالث ان قصد منبره والحضور
عنده بملازمة الاعمال الصالحة يورد الحوض ويوجب الشرب منه قاله الباجي
وقوله روضة من رياض الجنة يحتمل معنيين احدهما انه موجب لذلك وان الدعاء
والصلوة فيه يستحق ذلك من الثواب كما قيل الجنة تحت ظلال السيوف
والثاني ان تلك البقعة قد ينقلها الله فتكون في الجنة بعينها قاله الداودي
وروى ابن عمر وجماعة من الصحابة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في المدينة
لا يصبر على لأوائها وشدتها احد الا كنت له شهيدا او شفيعا يوم القيمة وقال
فيمن تحمل عن المدينة والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون وقال انما المدينة كالكير تنفي
خبثها وينصع طيبها وقال لا يخرج احد من المدينة رغبة عنها الا ابدلها الله خيرا
منه وروي عنه عليه السلام من مات في احد الحرمين حاجا او معتمرا بعثه الله
يوم القيمة لا حساب عليه ولا عذاب وفي طريق آخر بعث من الآمنين يوم القيمة
وعن ابن عمر من استطاع ان يموت بالمدينة فليمت بها فاني اشفع لمن
يموت بها وقال ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة الى قوله آمنا قال بعض
المفسرين آمنا من النار وقيل كان يأمن من الطلب من احدث حدثا ولجأ
اليه في الجاهلية وهذا مثل قوله تعالى واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا
على قول بعضهم وحكي ان قوما اتوا سعدون الخولاني بالمنستير فاعلموه ان كتامة
قتلوا رجلا واضرموا عليه النار طول الليل فلم تعمل فيه وبقي ابيض البدن فقال
لعله حج ثلث حجج قالوا نعم قال حدثت ان من حج حجة ادى فرضه ومن حج ثانية
داين ربه ومن حج ثلث حجج حرم الله شعره وبشره على النار ولما نظر رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى الكعبة قال مرحبا بك من بيت ما اعظمك واعظم حرمتك
وفي الحديث عنه عليه السلام ما من احد يدعو الله عند الركن الاسود الا استجاب الله له
وكذلك عند الميزاب وعنه عليه السلام من صلى خلف المقام ركعتين غفر له ما

تقدم من ذنبه وما تأخر وحشر يوم القيمة من الآمنين قرأت على القاضي الحافظ
ابي علي رحمه الله حدثكم ابو العباس العذري قال حدثنا ابو اسامة محمد بن احمد
ابن محمد الهروي ثنا الحسن بن رشيق سمعت ابا الحسن محمد بن الحسن سمعت
ابا بكر محمد بن ادريس سمعت الحميدي قال سمعت سفيان بن عيينة قال سمعت عمرو بن
دينار قال سمعت ابن عباس يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ما دعا احد بشيء في هذا الملتزم الا استجيب له قال ابن عباس وانا فما دعوت الله
بشيء منذ سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا استجيب لي وقال عمرو بن
دينار وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من ابن عباس
الا استجيب لي وقال سفيان وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا
من عمرو الا استجيب لي وقال الحميدي وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ
سمعت هذا من سفيان الا استجيب لي وقال محمد بن ادريس وانا فما دعوت الله
بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحميدي الا استجيب لي وقال ابو الحسن محمد
بن الحسن وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من محمد
ابن ادريس الا استجيب لي وقال اسامة بن زيد وما اذكر الحسن ابن رشيق
قال فيه شيئا وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحسن
ابن رشيق الا استجيب لي من امر الدنيا وانا ارجو ان يستجاب لي من امر الآخرة قال
العذري وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من ابي اسامة
الا استجيب لي قال ابو علي وانا فقد دعوت الله فيه باشياء كثيرة استجيب لي بعضها
وارجو من سعة فضله ان يستجيب لي بقيتها قال ابو الفضل ذكرنا نبذة من هذه النكت
في هذا الفصل وان لم تكن من الباب لتعلقها بالفصل الذي قبله حرصا على تمام
الفائدة والله الموفق للصواب برحمته

القسم الثالث فيما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم وما يستحيل او يجوز عليه وما يمتنع او يصح من الاحوال البشرية ان يضاف اليه

قال الله تعالى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افإن مات او قتل الآية
وقال ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة كانا يأكلان
الطعام وقال وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام و

ويمشون في الاسواق وقال قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي الآية فمحمد صلى الله عليه وسلم
وسائر الانبياء من البشر ارسلوا الى البشر ولولا ذلك لما طاق الناس مقاومتهم
والقبول عنهم ومخاطبتهم قال الله تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا اي لما كان
الا في صورة البشر الذين يمكنكم مخالطتهم اذ لا تطيقون مقاومة الملك ومخاطبته
ورؤيته اذا كان على صورته وقال قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين
لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا اي لا يمكن في سنة الله ارسال الملك الا لمن
هو من جنسه او من خصه الله تعالى واصطفاه وقواه على مقاومته كالانبياء
والرسل وسائط بين الله تعالى وبين خلقه يبلغونهم اوامره ونواهيه ووعده
ووعيده ويعرفونهم بما لم يعلموه من امره وخلقه وجلاله وسلطانه وجبروته
وملكوته فظواهرهم واجسادهم وبنيتهم متصفة باوصاف البشر طارئ عليها
ما يطرأ على البشر من الاعراض والاسقام والموت والفناء ونعوت الانسانية
وارواحهم وبواطنهم متصفة باعلى من اوصاف البشر متعلقة بالملأ الاعلى
متشبهة بصفات الملائكة سليمة من التغير والآفات لا يلحقها غالبا عجز البشرية
ولا ضعف الانسانية اذ لو كانت بواطنهم خالصة للبشرية كظواهرهم لما اطاقوا الاخذ
عن الملائكة ورؤيتهم ومخاطبتهم ومخالتهم كما لا يطيقه غيرهم من البشر ولو كانت اجسامهم
وظواهرهم متسمة بنعوت الملائكة وبخلاف صفات البشر لما اطاق البشر
ومن ارسلوا اليه مخالطتهم كما تقدم من قول الله تعالى فجعلوا من جهة الاجسام
والظواهر مع البشر ومن جهة الارواح والبواطن مع الملائكة كما قال عليه السلام
لو كنت متخذا من امتي خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن اخوة الاسلام لكن صاحبكم
خليل الرحمن وكما قال تنام عيناي ولا ينام قلبي وقال اني لست كهيئتكم اني اظل
يطعمني ربي ويسقيني فبواطنهم منزهة عن الآفات مطهرة من النقائص والاعتلالات
وهذه جملة لن يكتفي بمضمونها كل ذي همة بل الاكثر يحتاج الى بسط وتفصيل على ما
نأتي به بعد في البابين بعون الله وهو حسبي ونعم الوكيل

الباب الاول فيما يختص بالامور الدينية والكلام في عصمة نبينا وسائر الانبياء صلوات الله عليه وعليهم اجمعين

قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه اعلم ان الطوارئ من التغيرات و

والآفات على آحاد البشر لا تخلو ان تطرأ على جسمه او على حواسه بغير قصد واختيار
كالامراض والاسقام او تطرأ بقصد واختيار وكله في الحقيقة عمل وفعل ولكن
جرى رسم المشايخ بتفصيله الى ثلثة انواع عقد بالقلب وقول باللسان وعمل
بالجوارح وجميع البشر تطرأ عليهم الآفات والتغييرات بالاختيار وبغير الاختيار
في هذه الوجوه كلها والنبي صلى الله عليه وسلم وان كان من البشر ويجوز على جبلته
ما يجوز على جبلة البشر فقد قامت البراهين القاطعة وتمت كلمة الاجماع
على خروجه عنهم وتنزيهه عن كثير من الآفات التي تقع على الاختيار وعلى غير
الاختيار كما سنبينه ان شاء الله تعالى فيما نأتي به من التفاصيل

فصل في حكم عقد قلب النبي صلى الله عليه وسلم من وقت نبوته

اعلم منحنا الله واياك
توفيقه ان ما تعلق منه بطريق التوحيد والعلم بالله وصفاته والايمان به وبما اوحي
اليه فعلى غاية المعرفة ووضوح العلم واليقين والانتفاء عن الجهل بشيء من ذلك
او الشك او الريب فيه والعصمة من كل ما يضاد المعرفة بذلك واليقين هذا ما وقع
اجماع المسلمين عليه ولا يصح بالبراهين الواضحة ان يكون في عقود الانبياء سواه و
لا يعترض على هذا بقول ابراهيم عليه السلام قال بلى ولكن ليطمئن قلبي اذ لم يشك
ابراهيم في اخبار الله تعالى له باحياء الموتى ولكن اراد طمأنينة القلب وترك المنازعة
لمشاهدة الاحياء فحصل له العلم الاول بوقوعه واراد العلم الثاني بكيفيته
ومشاهدته الوجه الثاني ان ابراهيم عليه السلام انما اراد اختبار منزلته عند ربه
وعلم اجابة دعوته بسؤال ذلك من ربه ويكون قوله او لم تؤمن اي الم تصدق بمنزلتك
مني وخلتك واصطفائك والوجه الثالث انه سأل زيادة يقين وقوة طمأنينة
وان لم يكن في الاول شك اذ العلوم الضرورية والنظرية قد تتفاضل في قوتها وطريان
الشكوك على الضروريات ممتنع ومجوز في النظريات فاراد الانتقال من النظر
او الخبر الى المشاهدة والترقي من علم اليقين الى عين اليقين فليس الخبر
كالمعاينة ولهذا قال سهل بن عبد الله سأل كشف غطاء العيان ليزداد بنور
اليقين تمكنا في حاله الوجه الرابع انه لما احتج على المشركين بان ربه يحيي ويميت
طلب ذلك من ربه ليصح احتجاجه عيانا الوجه الخامس قول بعضهم هو سؤال

على طريق الادب والمراد اقدرني على احياء الموتى وقوله ليطمئن قلبي عن هذه الامنية
او جواب وسوسة اي من نفسه الشك وما شك لكن ليجاوب فيزداد قربه
وقول نبينا عليه السلام نحن احق من ابراهيم بالشك نفي لان يكون ابراهيم شك
وابعد للخواطر الضعيفة ان تظن هذا بابراهيم اي نحن موقنون بالبعث واحياء الله
الموتى فلو شك ابراهيم لكنا اولى بالشك منه اما على طريق الادب او ان يريد
امته الذين يجوز عليهم الشك او على طريق التواضع والاشفاق ان حملت قصة
ابراهيم على اختبار حاله او زيادة يقينه فان قلت فما معنى قوله فان كنت في شك
مما انزلنا اليك فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك الآيتين فاحذر
ثبت الله قلبك ان يخطر ببالك ما ذكره فيه بعض المفسرين عن ابن عباس
او غيره من اثبات شك للنبي صلى الله عليه وسلم فيما اوحي اليه وانه من البشر
فمثل هذا لا يجوز عليه جملة بل قد قال ابن عباس لم يشك النبي ولم يسأل ونحوه
عن ابن جبير والحسن وحكي قتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما اشك
ولا اسأل وعامة المفسرين على هذا واختلفوا في معنى الآية فقيل المراد قل
يا محمد للشاك ان كنت في شك الآية قالوا وفي السورة نفسها ما دل على هذا التأويل
قوله قل يا ايها الناس ان كنتم في شك من ديني الآية وقيل المراد بالخطاب العرب
وغير النبي صلى الله عليه وسلم كما قال لئن اشركت ليحبطن عملك الآية الخطاب له
والمراد غيره ومثله فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء ونظيره كثير قال بكر بن العلاء
الا تراه يقول ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله وهو عليه السلام كان
المكذب فيما يدعو اليه فكيف يكون ممن كذب به فهذا كله يدل على ان المراد
بالخطاب غيره ومثل هذه الآية قوله الرحمن فاسأل به خبيرا المأمور هاهنا غير النبي
صلى الله عليه وسلم ليسأل النبي والنبي صلى الله عليه وسلم هو الخبير المسؤول
لا المستخبر السائل وقيل ان هذا الشك الذي امر به غير النبي صلى الله عليه وسلم
بسؤال الذين يقرؤون الكتاب انما هو فيما قصه الله من اخبار الامم لا فيما دعا اليه
من التوحيد والشريعة ومثل هذا قوله تعالى واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا
الآية المراد به المشركون والخطاب مواجهة للنبي صلى الله عليه وسلم قاله القتبي وقيل

معناه سلنا عمن ارسلنا من قبلك فحذف الخافض وتم الكلام ثم
ابتدأ اجعلنا من دون الرحمن آلهة الى آخر الآية على طريق الانكار اي ما جعلنا
حكاه مكي وقيل امر النبي صلى الله عليه وسلم ان يسأل الانبياء ليلة الاسراء
عن ذلك فكان اشد يقينا من ان يحتاج الى السؤال فروي انه قال لا اسأل
قد اكتفيت قاله ابن زيد وقيل سل امم من ارسلنا هل جاؤوهم بغير التوحيد
وهو معنى قول مجاهد والسدي والضحاك وقتادة والمراد بهذا والذي قبله اعلامه
بما بعثت به الرسل وانه تعالى لم يأذن في عبادة غيره لاحد ردا على مشركي العرب
وغيرهم في قولهم انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى وكذلك قوله تعالى والذين آتيناهم
الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين اي في علمهم بانك
رسول الله وان لم يقروا بذلك وليس المراد به شكه فيما ذكر في اول الآية وقد
يكون ايضا على مثل ما تقدم اي قل لمن امترى يا محمد في ذلك لا تكونن من الممترين
بدليل قوله اول الآية افغير الله ابتغي حكما الآية وان النبي صلى الله عليه وسلم
يخاطب بذلك غيره وقيل هو تقرير كقوله أانت قلت للناس اتخذوني وامي
الهين وقد علم انه لم يقل وقيل معناه ما كنت في شك فاسأل تزدد طمأنينة
وعلما الى علمك ويقينك وقيل ان كنت تشك فيما شرفناك وفضلناك
به فاسألهم عن صفتك في الكتب ونشر فضائلك وحكي عن ابي عبيدة ان
المراد ان كنت في شك في غيرك فيما انزلنا فان قيل فما معنى قوله حتى اذا استيأس
الرسل وظنوا انهم قد كذبوا على قراءة التخفيف قلنا المعنى في ذلك ما قالته
عائشة معاذ الله ان تظن ذلك الرسل بربها وانما معنى ذلك ان الرسل
لما استيأسوا ظنوا ان من وعدهم النصر من اتباعهم كذبوهم وعلى هذا اكثر
المفسرين وقيل ان الضمير في ظنوا عائد على الاتباع والامم لا على الانبياء والرسل
وهو قول ابن عباس والنخعي وابن جبير وجماعة من العلماء وبهذا المعنى قرأ مجاهد
كذبوا بالفتح فلا تشغل بالك من شاذ التفسير سواه مما لا يليق بمنصب العلماء
فكيف بالانبياء عليهم السلام وكذلك ما ورد في حديث السيرة ومبتدأ الوحي
من قوله لخديجة لقد خشيت على نفسي ليس معناه الشك فيما آتاه الله بعد رؤية

الملك ولكن لعله خشي ان لا تحتمل قوته مقاومة الملك واعباء الوحي فينخلع قلبه
او تزهق نفسه هذا على ما ورد في الصحيح انه قاله بعد لقائه الملك او يكون
ذلك قبل لقائه الملك واعلام الله تعالى له بالنبوة لاول ما عرضت عليه من العجائب
وسلم عليه الحجر والشجر وبدأته المنامات والتباشير كما روي في بعض هذا الحديث
ان ذلك كان اولا في المنام ثم اري في اليقظة مثل ذلك تأنيسا له عليه السلام لئلا
يفجأه الامر مشاهدة ومشافهة فلا يحتمله لاول حالة بنية البشرية وفي الصحيح
عن عائشة اول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا
الصادقة قالت ثم حبب اليه الخلاء وقالت الى ان جاءه الحق وهو في غار
حراء الحديث وعن ابن عباس مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة
خمس عشرة سنة يسمع الصوت ويرى الضوء سبع سنين ولا يرى
شيئا وثمان سنين يوحى اليه وقد روى ابن اسحق عن بعضهم ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال وذكر جواره بغار حراء قال فجاءني وانا نائم فقال اقرأ فقلت
ما اقرأ وذكر نحو حديث عائشة في غطه له واقرائه اقرأ باسم ربك السورة قال
فانصرف عني وهببت من نومي كانما صورت في قلبي ولم يكن ابغض الي من شاعر
او مجنون ثم قلت لا تحدث عني قريش بهذا ابدا لاعمدن الى حالق من الجبل
فلاطرحن نفسي منه فلاقتلنها فبينا انا عامد لذلك اذ سمعت مناديا ينادي
من السماء يا محمد انت رسول الله وانا جبريل فرفعت رأسي فاذا جبريل على صورة
رجل وذكر الحديث فقد بين في هذا ان قوله لما قال وقصده ما قصد انما كان قبل
لقاء جبريل عليه السلام وقبل اعلام الله له بالنبوة واظهاره واصطفائه
له بالرسالة ومثله حديث عمرو بن شرحبيل انه عليه السلام قال لخديجة اني
اذا خلوت وحدي سمعت نداء وقد خشيت والله ان يكون هذا لامر ومن
ومن رواية حماد بن سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لخديجة اني لاسمع
صوتا وارى ضوءا واخشى ان يكون بي جنون وعلى هذا يتأول لو صح قول بعض
هذه الاحاديث ان الابعد شاعر او مجنون والفاظ يفهم منها معاني الشك
في تصحيح ما رآه وانه كان كله في ابتداء امره وقبل لقاء الملك واعلام الله انه

انه رسوله فكيف وبعض هذه الالفاظ لا تصح طرقها واما بعد اعلام الله تعالى
ولقائه الملك فلا يصح فيه ريب ولا يجوز عليه شك فيما القي اليه وقد روى
ابن اسحق عن شيوخه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرقى بمكة
من العين قبل ان ينزل عليه فلما نزل عليه القرآن اصابه نحو ما كان يصيبه
فقالت له خديجة اوجه اليك من يرقيك قال اما الآن فلا وحديث خديجة
واختبارها امر جبريل بكشف رأسها الحديث انما ذلك في حق خديجة لتستحقق
صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وان الذي يأتيه ملك وان تزول
الشك عنها لا انها فعلت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم وليختبر هو حاله بذلك
بل قد ورد في حديث عبد الله بن محمد بن يحيى بن عروة عن هشام عن ابيه
عن عائشة ان ورقة امر خديجة ان تختبر الامر بذلك وفي حديث اسمعيل بن
ابي حكيم انها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن عم هل تستطيع ان تخبرني
بصاحبك اذا جاءك قال نعم فلما جاءه جبريل اخبرها فقالت له اجلس الى شقي
وذكر الحديث الى آخره وفيه فقالت ما هذا بشيطان هذا الملك يا ابن عم فاثبت
وابشر وآمنت به فهذا يدل على انها مستثبتة بما فعلته لنفسها ومستظهرة لايمانها
لا للنبي صلى الله عليه وسلم وقول معمر في فترة الوحي فحزن النبي صلى الله عليه وسلم
فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا كي يتردى من رؤس شواهق الجبال لا يقدح
في هذا الاصل لقول معمر عنه فيما بلغنا ولم يسنده ولا ذكر رواته ولا من حدث
به ولا ان النبي صلى الله عليه وسلم قاله ولا يعرف مثل هذا الا من جهة النبي
صلى الله عليه وسلم مع انه قد يحمل على انه كان اول الامر كما ذكرناه او انه فعل
ذلك لما احرجه من تكذيب من تبلغه كما قال تعالى فلعلك باخع نفسك على آثارهم
ان لم يؤمنوا بهذا الحديث ويصحح معنى هذا التأويل حديث رواه شريك
عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر بن عبد الله ان المشركين لما اجتمعوا
بدار الندوة للتشاور في شأن النبي صلى الله عليه وسلم واتفق رأيهم
على ان يقولوا انه ساحر اشتد ذلك عليه وتزمل في ثيابه وتدثر فيها فجاءه
جبريل فقال يا ايها المزمل يا ايها المدثر او خاف ان الفترة لامر او سبب منه

يخشى ان تكون عقوبة من ربه فيفعل ذلك بنفسه ولم يرد بعد شرع بالنهي عن
من ذلك فيعترض به ونحو هذا فرار يونس عليه السلام خشية تكذيب
قومه له لما وعدهم بالعذاب فقول الله في يونس فظن ان لن نقدر عليه
فنادى معناه ان لن نضيق عليه قال مكي طمع في رحمة الله وان لا يضيق عليه
مسلكه في خروجه وقيل حسن ظنه بمولاه انه لا يقضي عليه العقوبة وقيل نقدر
عليه ما اصابه وقد قرئ نقدر عليه بالتشديد وقيل نؤاخذه بغضبه وذهابه وقال
ابن زيد معناه أفظن ان لن نقدر عليه بالاستفهام ولا يليق ان يظن بنبي
ان يجهل صفة من صفات ربه وكذلك قوله اذ ذهب مغاضبا الصحيح مغاضبا
لقومه لكفرهم وهو قول ابن عباس والضحاك وغيرهما لا لربه اذ مغاضبة الله تعالى
له ومعاداته لله كفر لا يليق بالمؤمنين فكيف بالانبياء عليهم السلام وقيل
مغاضبا
مستحييا من قومه ان يسموه بالكذب او يقتلوه كما ورد في الخبر وقيل لبعض
الملوك فيما امره به من التوجه الى امر امره الله به على لسان نبي آخر فقال له يونس
غيري اقوى عليه مني فعزم عليه فخرج لذلك مغاضبا وقد روي عن ابن عباس
ان ارسال يونس ونبوته انما كان بعد ان نبذه الحوت واستدل من الآية
بقوله فنبذناه بالعراء وهو سقيم وانبتنا عليه شجرة من يقطين وارسلناه
ويستدل ايضا بقوله ولا تكن كصاحب الحوت وذكر القصة ثم قال فاجتباه
ربه فجعله من الصالحين فتكون هذه القصة اذا قبل نبوته فان قيل فما معنى قوله عليه
السلام انه ليغان على قلبي فاستغفر الله كل يوم مائة مرة وفي طريق في اليوم
اكثر من سبعين مرة فاحذر ان يقع ببالك ان يكون هذا الغين وسوسة
او ريبا وقع في قلبه عليه السلام بل اصل الغين في هذا ما يتغشى القلب ويغطيه
قاله ابو عبيدة واصله من غين السماء وهو اطباق الغيم عليها وقال غيره
والغين شيء يغشى القلب ولا يغطيه كل التغطية كالغيم الرقيق الذي يعرض في الهواء
فلا يمنع ضوء الشمس وكذلك لا يفهم من الحديث انه يغان على قلبه مائة مرة او اكثر
من سبعين في اليوم اذ ليس يقتضيه لفظه الذي ذكرناه وهو اكثر الروايات
وانما هذا عدد للاستغفار لا للغين فيكون المراد بهذا الغين اشارة الى غفلات قلبه

وفترات نفسه وسهوها عن مداومة الذكر ومشاهدة الحق بما كان
صلى الله عليه وسلم دفع اليه من مقاساة البشر وسياسة الامة ومعاناة
الاهل ومقاومة الولي والعدو ومصلحة النفس وكلفه من اعباء اداء
الرسالة وحمل الامانة وهو في كل هذا في طاعة ربه وعبادة خالقه و
لكن لما كان صلى الله عليه وسلم ارفع الخلق عند الله مكانة واعلاهم
درجة واتمهم به معرفة وكانت حاله عند خلوص قلبه وخلوص همته وتفرده
بربه واقباله بكليته عليه ومقامه هنالك ارفع حاليه رأى عليه السلام
حال فترته عنها وشغله بسواها غضا من علي حاله وخفضا من رفيع
مقامه فاستغفر الله من ذلك هذا اولى وجوه الحديث واشهرها والى
معنى ما اشرنا اليه مال كثير من الناس وحام حوله فقارب ولم يرد
وقد قربنا غامض معناه وكشفنا للمستفيد محياه وهو مبني على جواز
الفترات والغفلات والسهو في غير طريق البلاغ على ما سيأتي وذهبت
طائفة من ارباب القلوب ومشيخة المتصوفة ممن قال بتنزيه النبي صلى الله
عليه وسلم عن هذا جملة واجله ان يجوز عليه في حال سهوا وفترة الى ان معنى
الحديث ما يهم خاطره ويغم فكره من امر امته عليه السلام لاهتمامه بهم وكثرة
شفقته عليهم فيستغفر لهم قالوا وقد يكون الغين هنا على قلبه السكينة
التي تتغشاه لقوله تعالى فانزل الله سكينته عليه ويكون استغفاره
عليه السلام عندها اظهارا للعبودية والافتقار وقال ابن عطاء استغفاره
وفعله هذا تعريف للامة يحملهم على الاستغفار قال غيره ويستشعرون الحذر
ولا يركنون الى الامن وقد يحتمل ان تكون هذه الاغانة حالة خشية واعظام
تغشى قلبه فيستغفر حينئذ شكرا لله تعالى وملازمة لعبوديته كما قال في ملازمة
العبادة افلا اكون عبدا شكورا وعلى هذه الوجوه الاخيرة يحمل ما روي في بعض
طرق هذا الحديث عنه عليه السلام انه ليغان على قلبي في اليوم اكثر من سبعين
مرة فاستغفر الله فان قلت فما معنى قوله تعالى لمحمد عليه السلام ولو شاء الله
لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين وقوله لنوح عليه السلام فلا تسألني

ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين فاعلم أنه لا يلتفت في ذلك إلى قول
من قال في آية نبينا عليه السلام لا تكونن ممن يجهل أن الله لو شاء لجمعهم على الهدى
وفي آية نوح لا تكونن ممن يجهل أن وعد الله حق لقوله وإن وعدك الحق إذ فيه إثبات
الجهل بصفة من صفات الله وذلك لا يجوز على الأنبياء عليهم السلام والمقصود
وعظهم أن لا يتشبهوا في أمورهم بسمات الجاهلين كما قال إني أعظك وليس
في آية منها دليل على كونهم على تلك الصفة التي نهاهم عن الكون عليها فكيف وآية
نوح قبلها فلا تسألن ما ليس لك به علم فحمل ما بعدها على ما قبلها أولى لأن مثل هذا
قد يحتاج إلى إذن وقد تجوز إباحة السؤال فيه ابتداء فنهاه الله أن يسأله عما طوى
عنه علمه وأكنه من غيبه من السبب الموجب لهلاك ابنه ثم أكمل الله نعمته عليه بإعلامه
ذلك بقوله إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح حكى معناه مكي كذلك أمر نبينا
عليه السلام في الآية الأخرى بالتزام الصبر على إعراض قومه ولا يحرج عند ذلك فيقارب
حال الجاهل بشدة التحسر حكاه أبو بكر بن فورك وقيل معنى الخطاب لأمة محمد
أي فلا تكونوا من الجاهلين حكاه أبو محمد مكي وقال مثله في القرآن كثير فبهذا الفصل
وجب القول بعصمة الأنبياء منه بعد النبوة قطعا فإن قلت فإذا قررت
عصمتهم من هذا وأنه لا يجوز عليهم شيء من ذلك فما معنى إذا وعيد الله لنبينا عليه السلام
على ذلك إن فعله وتحذيره منه كقوله لئن أشركت ليحبطن عملك الآية وقوله
ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك الآية وقوله إذا لأذقناك ضعف الحياة
وضعف الآية وقوله لأخذنا منه باليمين وقوله وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك
عن سبيل الله وقوله فإن يشإ الله يختم على قلبك وقوله وإن لم تفعل فما بلغت رسالته
وقوله اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين فاعلم وفقنا الله وإياك أنه عليه السلام
لا يصح ولا يجوز أن لا يبلغ ولا أن يخالف أمر ربه ولا أن يشرك بالله ولا أن يتقول على الله
ما لا يجب أو يفتري عليه أو يضل أو يختم على قلبه أو يطيع الكافرين لكن يسر أمره بالمكاشفة
والبيان في البلاغ للمخالفين وأن إبلاغه إن لم يكن بهذه السبيل فكأنه ما بلغ وطيب
نفسه وقوى قلبه بقوله والله يعصمك من الناس كما قال لموسى وهارون عليهما السلام
لا تخافا لتشتد بصائرهم في الإبلاغ وإظهار دين الله ويذهب عنهم خوف العدو المضعف

المضعف للنفس وأما قوله ولو تقول علينا بعض الأقاويل الآية وقوله إذا لأذقناك
ضعف الحياة فمعناه أن هذا جزاء من فعل هذا وجزاؤك لو كنت ممن يفعله
وهو لا يفعله وكذلك قوله وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك فالمراد غيره
كما قال إن تطيعوا الذين كفروا الآية وقوله فإن يشإ الله يختم على قلبك
ولئن أشركت ليحبطن عملك وما أشبهه فالمراد غيره وأن هذه حال من أشرك
والنبي صلى الله عليه وسلم لا يجوز عليه هذا وقوله اتق الله ولا تطع الكافرين فليس فيه
أنه أطاعهم والله ينهاه عما يشاء ويأمره بما يشاء كما قال ولا تطرد الذين يدعون
ربهم الآية وما كان طردهم عليه السلام ولا كان من الظالمين **فصل**

وأما عصمتهم من هذا الفن قبل النبوة فللناس فيه خلاف والصواب أنهم
معصومون قبل النبوة من الجهل بالله وصفاته والتشكك في شيء من ذلك
وقد تعاضدت الأخبار والآثار عن الأنبياء عليهم السلام بتنزيههم عن هذه
النقيصة منذ ولدوا ونشأتهم على التوحيد والإيمان بل على إشراق أنوار
المعارف ونفحات ألطاف السعادة كما نبهنا عليه في الباب الثاني
من القسم الأول من كتابنا هذا ولم ينقل أحد من أهل الأخبار أن أحدا نبئ
واصطفي ممن عرف بكفر وإشراك قبل ذلك ومستند هذا الباب النقل وقد
استدل بعضهم بأن القلوب تنفر عمن كانت هذه سبيله وأنا أقول
إن قريشا قد رمت نبينا عليه السلام بكل ما افترته وعير كفار الأمم أنبياءها
بكل ما أمكنها واختلقته مما نص الله عليه أو نقلته إلينا الرواة ولم نجد في شيء
من ذلك تعييرا لواحد منهم برفضه آلهته وتقريعه بذمه بترك ما كان قد جامعهم
عليه ولو كان هذا لكانوا بذلك مبادرين وبتلونه في معبوده محتجين ولكان
توبيخهم له بنهيهم عما كان يعبد قبل أفظع وأقطع في الحجة من توبيخه بنهيهم عن
تركهم آلهتهم وما كان يعبد آباؤهم من قبل ففي إطباقهم على الإعراض عنه
دليل على أنهم لم يجدوا سبيلا إليه إذ لو كان لنقل وما سكتوا عنه كما لم يسكتوا
عند تحويل القبلة وقالوا ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها كما حكاه الله تعالى عنهم
وقد استدل القاضي القشيري على تنزيههم عن هذا بقوله تعالى وإذ أخذ الله

ميثاق النبيين الى قوله لتؤمنن به ولتنصرنه قال فطهره الله في الميثاق وبعيد
ان ياخذ منه الميثاق قبل خلقه ثم ياخذ ميثاق النبيين بالايمان به ونصره قبل
مولده بدهور ويجوز عليه الشرك او غيره من الذنوب هذا ما لا يجوزه الا ملحد
هذا معنى كلامه وكيف يكون ذلك وقد اتاه جبريل وشق قلبه صغيرا واستخرج منه
علقة وقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله وملاه حكمة وايمانا كما تظاهرت
به اخبار المبدأ ولا يشتبه عليك بقول ابرهيم في الكوكب والقمر والشمس هذا ربي
فانه قد قيل كان هذا في سن الطفولية وابتداء النظر والاستدلال وقبل لزوم التكليف
وذهب معظم الحذاق من العلماء والمفسرين الى انه انما قال ذلك مبكتا لقومه ومستدلا
عليهم وقيل معناه الاستفهام الوارد مورد الانكار والمراد افهذا ربي وقال
الزجاج قوله هذا ربي اي على قولكم كما قال اين شركائي اي عندكم ويدل على انه لم يعبد
شيئا من ذلك ولا اشرك قط بالله طرفة عين قول الله تعالى عنه اذ قال لابيه
وقومه ما تعبدون ثم قال افرايتم ما كنتم تعبدون انتم واباؤكم الاقدمون فانهم عدو لي
الا رب العالمين وقال اذ جاء ربه بقلب سليم اي من الشرك وقوله واجنبني
وبني ان نعبد الاصنام فان قلت فما معنى قوله لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم
الضالين قيل انه ان لم يؤيدني بمعونته اكن مثلكم في ضلالكم وعبادتكم على معنى الاشفاق
والحذر والا فهو معصوم في الازل من الضلال فان قلت فما معنى قوله وقال الذين
كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا ثم قال بعد عن الرسل قد
افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها فلا يشكل عليك لفظة
العود وانها تقتضي انهم انما يعودون الى ما كانوا فيه من ملتهم فقد تاتي هذه اللفظة
في كلام العرب لغير ما ليس له ابتداء بمعنى الصيرورة كما جاء في حديث الجهنميين عادوا
حمما ولم يكونوا قبل كذلك ومثله قول الشاعر * فعادا بعد ابوالا * وما كانا قبل كذلك
فان قلت فما معنى قوله ووجدك ضالا فهدى فليس هو من الضلال الذي هو الكفر
قيل ضالا عن النبوة فهداك اليها قاله الطبري وقيل ووجدك بين اهل الضلال
فعصمك من ذلك وهداك للايمان والى ارشادهم ونحوه عن السدي وغير واحد
وقيل ضالا عن شريعتك اي لا تعرفها فهداك اليها والضلال هنا التحير ولهذا كان

كان عليه السلام يخلو بغار حراء في طلب ما يتوجه به الى ربه ويتشرع به حتى هداه الله
الى الاسلام قال معناه القشيري وقيل لا تعرف الحق فهداك اليه وهذا مثل قوله
وعلمك ما لم تكن تعلم قاله علي بن عيسى قال ابن عباس لم تكن له ضلالة معصية
وقيل هدى اي بين امرك بالبراهين وقيل ووجدك ضالا بين مكة والمدينة فهداك
الى المدينة وقيل المعنى ووجدك فهدى بك ضالا وعن جعفر بن محمد ووجدك
ضالا عن محبتي لك في الازل اي لا تعرفها فمننت عليك بمعرفتي وقرا الحسن بن علي
ووجدك ضال فهدى اي اهتدى بك قال ابن عطا ووجدك ضالا اي محبا
لمعرفتي والضال المحب كما قال تعالى انك لفي ضلالك القديم اي محبتك القديمة ولم
ولم يريدوا ههنا في الدين اذ لو قالوا ذلك في نبي الله لكفروا ومثله عنده هذا قوله انا
لنراها في ضلال مبين اي محبة بينة وقال الجنيد ووجدك متحيرا في بيان ما انزل اليك
فهداك لبيانه لقوله وانزلنا اليك الذكر الاية وقيل ووجدك لم يعرفك احد بالنبوة
حتى اظهرك فهدى بك السعداء ولا اعلم احدا قال من المفسرين فيها ضالا عن الايمان
وكذلك في قصة موسى عليه السلام فعلتها اذا وانا من الضالين اي من المخطئين
الفاعلين شيئا بغير قصد قاله ابن عرفة وقال الازهري معناه من الناسين
وقد قيل ذلك في قوله ووجدك ضالا فهدى اي ناسيا كما قال تعالى ان تضل
احديهما فان قلت فما معنى قوله ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان فالجواب ان
السمرقندي قال معناه ما كنت تدري قبل الوحي ان تقرا القران ولا كيف تدعوا
الخلق الى الايمان وقال بكر القاضي نحوه قال ولا الايمان الذي هو الفرائض والاحكام
قال فكان قبل مؤمنا بتوحيده ثم نزلت الفرائض التي لم يكن يدريها قبل فزاد
بالتكليف ايمانا وهو احسن وجوهه فان قلت فما معنى قوله وان كنت من قبله
لمن الغافلين فاعلم انه ليس بمعنى قوله والذين هم عن اياتنا غافلون بل حكى
ابو عبد الله الهروي ان معناه لمن الغافلين عن قصة يوسف اذ لم تعلمها الا بوحينا
وكذلك الحديث الذي رواه عثمان بن ابي شيبة بسنده عن جابر ان النبي صلى الله
عليه وسلم قد كان يشهد مع المشركين مشاهدهم فسمع ملكين خلفه احدهما يقول
لصاحبه اذهب حتى تقوم خلفه فقال الاخر كيف اقوم خلفه وعهده باستلام

الاصنام فلم تشهد بعد نهيه احدًا حديث انكره احمد بن حنبل جدا وقال هذا موضوع
او شبيه بالموضوع وقال الدارقطني يقال ان عثمان وهم في اسناده والحديث
بالجملة منكر غير متفق على اسناده فلا يلتفت اليه والمعروف عن النبي صلى
الله عليه وسلم خلافه عند اهل العلم من قوله بغضت الي الاصنام وقوله
في الحديث الآخر الذي روته ام ايمن حين كلمه عمه وآله في حضور بعض اعيادهم
وعزموا عليه فيه بعد كراهته لذلك فخرج معهم ورجع مرعوبا فقال كلما دنوت
منها من صنم تمثل لي شخص ابيض طويل يصيح بي وراءك لا تمسه فما شهد
بعد لهم عيدا وقوله في قصة بحيرا حين استحلف النبي صلى الله عليه وسلم باللات والعزى
اذ لقيه بالشام في سفرته مع عمه ابي طالب وهو صبي ورأى فيه علامات النبوة
فاختبره بذلك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لا تسألني بهما فوالله ما ابغضت
شيئا قط بغضهما فقال له بحيرا فبالله الا ما اخبرتني عما اسألك عنه
فقال سل عما بدا لك وكذلك المعروف من سيرته عليه السلام وتوفيق الله
له انه كان قبل نبوته يخالف المشركين في وقوفهم بمزدلفة في الحج فكان يقف
هو بعرفة لانه كان موقف ابراهيم عليه السلام

فصل قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه قد بان بما قدمناه عقود الانبياء في التوحيد والايمان والوحي وعصمتهم
في ذلك على ما بيناه فاما ما عدا هذا الباب من عقود قلوبهم فجماعها انها مملوءة علما
ويقينا على الجملة وانها قد احتوت من المعرفة والعلم بامور الدين والدنيا ما لا شيء
فوقه ومن طالع الاخبار واعتنى بالحديث وتأمل ما قلناه وجده وقد قدمنا منه
في حق نبينا في الباب الرابع اول قسم من هذا الكتاب ما ينبه على ما وراءه الا
ان احوالهم في هذه المعارف تختلف فاما ما تعلق منها بامر الدنيا فلا يشترط في حق الانبياء
عليهم السلام العصمة من عدم معرفة الانبياء ببعضها او اعتقادها على خلاف
ما هي عليه ولا وصم عليهم فيه اذ هممهم متعلقة بالآخرة وانبائها وامر الشريعة وقوانينها
وامور الدنيا تضادها بخلاف غيرهم من اهل الدنيا الذين يعلمون ظاهرا من الحياة
الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون كما سنبين هذا في الباب الثاني ان شاء الله تعالى
ولكنه لا يقال انهم لا يعلمون شيئا من امر الدنيا فان ذلك يؤدي الى الغفلة والبله

والبله وهم المنزهون عنه بل قد ارسلوا الى اهل الدنيا وقلدوا سياستهم وهدايتهم
والنظر في مصالح دينهم ودنياهم وهذا لا يكون مع عدم العلم بامور الدنيا
بالكلية واحوال الانبياء وسيرهم في هذا الباب معلومة ومعرفتهم بذلك كله
مشهورة واما ان كان هذا العقد مما يتعلق بالدين فلا يصح من النبي الا العلم
ولا يجوز عليه جهله جملة لانه لا يخلو ان يكون حصل عنده ذلك عن وحي من الله
فهو ما لا يصح الشك فيه على ما قدمناه فكيف الجهل بل حصل له العلم اليقين او
يكون فعل ذلك باجتهاده فيما لم ينزل عليه فيه شيء على القول بتجويز وقوع الاجتهاد
منه في ذلك على قول المحققين وعلى مقتضى حديث ام سلمة اني انما اقضي بينكم
برأيي فيما لم ينزل علي فيه خرجه الثقات وكقصة اسرى بدر والاذن للمتخلفين
على رأي بعضهم فلا يكون ايضا ما يعتقده مما يثمره اجتهاده الا حقا وصحيحا هذا هو الحق
الذي لا يلتفت الى خلاف من خالف فيه ممن اجاز عليهم الخطأ في الاجتهاد ان لو
قام عليه دليل ولا على القول بتصويب المجتهدين الذي هو الحق والصواب عندنا
ولا على القول الآخر بان الحق في طرف واحد لعصمة النبي صلى الله عليه وسلم من الخطأ
في الاجتهاد في الشرعيات ولان القول في تخطئة المجتهدين انما هو بعد استقرار الشرع
ونظر النبي صلى الله عليه وسلم واجتهاده انما هو فيما لم ينزل عليه فيه شيء ولم يشرع له
قبل هذا فيما عقد عليه صلى الله عليه وسلم قلبه فاما ما لم يعقد عليه قلبه من امر
النوازل الشرعية فقد كان لا يعلم منها اولا الا ما علمه الله شيئا شيئا حتى استقر
علم جملتها عنده اما بوحي من الله او اذن ان يشرع في ذلك ويحكم بما اراه الله وقد كان
ينتظر الوحي في كثير منها ولكنه لم يمت صلى الله عليه وسلم حتى استفرغ علم جميعها
عنده عليه السلام وتقررت معارفها لديه على التحقيق ورفع الشك والريب
وانتفاء الجهل وبالجملة فلا يصح منه الجهل بشيء من تفاصيل الشرع الذي امر بالدعوة
اليه اذ لا تصح دعوته الى ما لا يعلمه واما ما تعلق بعقده من ملكوت السموات والارض
وخلق الله وتعيين اسمائه الحسنى وآياته الكبرى وامور الآخرة واشراط الساعة
واحوال السعداء والاشقياء وعلم ما كان ويكون مما لم يعلمه الا بوحي فعلى ما تقدم من انه
معصوم فيه لا يأخذه فيما اعلم منه شك ولا ريب بل هو فيه على غاية اليقين لكنه لا

لا يشترط له العلم بجميع تفاصيل ذلك وإن كان عنده من علم ذلك ما ليس عند
جميع البشر لقوله إني لا أعلم إلا ما علمني ربي ولقوله ولا خطر على قلب بشر فلا تعلم
نفس ما أخفي لهم من قرة أعين وقول موسى للخضر هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت
رشدا وقوله صلى الله عليه وسلم أسألك بأسمائك الحسنى ما علمت منها وما لم أعلم
وقوله أسألك بكل اسم سميت به نفسك أو استأثرت به في علم الغيب عندك
وقد قال الله تعالى وفوق كل ذي علم عليم **قال** زيد بن أسلم وغيره حتى ينتهي العلم
إلى الله وهذا ما لا خفاء به إذ معلوماته تعالى لا يحاط بها ولا منتهى لها هذا حكم عقد النبي
صلى الله عليه وسلم في التوحيد والشرع والمعارف والأمور الدينية **فصل**
واعلم أن الأمة مجمعة على عصمة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من الشيطان وكفايته
منه لا في جسمه بأنواع الأذى ولا على خاطره بالوساوس وقد أخبرنا القاضي الحافظ
أبو علي رحمه الله قال حدثنا أبو الفضل بن خيرون العدل حدثنا أبو بكر البرقاني وغيره
حدثنا أبو الحسن الدارقطني حدثنا إسمعيل الصفار حدثنا عباس الترقفي حدثنا
محمد بن يوسف حدثنا سفيان عن منصور عن سالم بن أبي الجعد عن مسروق عن عبد الله
ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه
من الجن وقرينه من الملائكة قالوا وإياك يا رسول الله قال وإياي ولكن الله أعانني
عليه فأسلم زاد غيره عن منصور فلا يأمرني إلا بخير **وعن عائشة** رضي الله تعالى عنها بمعناه
روي فأسلم بضم الميم أي فأسلم أنا منه وصحح بعضهم هذه الرواية ورجحها وروي
فأسلم يعني القرين أنه انتقل من حال كفره إلى الإسلام فصار لا يأمر إلا بخير كالملك
وهو ظاهر الحديث ورواه بعضهم فاستسلم قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه فإذا
كان هذا حكم شيطانه وقرينه المسلط على كل أحد من بني آدم فكيف بمن بعد منه ولم يلزم
صحبته ولا أقدر على الدنو منه وقد جاءت في الآثار تصدي الشياطين له في غير موطن
رغبة في إطفاء نوره وإماتة نفسه وإدخال شغل عليه إذ يئسوا من إغوائه فانقلبوا
خاسرين كتعرضه له في صلاته فأخذه النبي صلى الله عليه وسلم وأسره ففي الصحيح قال
أبو هريرة عنه عليه السلام إن الشيطان عرض لي قال عبد الرزاق في صورة هر
فشد علي يقطع علي الصلاة فأمكنني الله منه فذعته ولقد هممت أن أوثقه إلى سارية

حتى تصبحوا تنظرون إليه فذكرت قول أخي سليمان رب اغفر لي وهب لي ملكا الآية
فرده الله خاسئا وفي حديث أبي الدرداء عنه عليه السلام إن عدو الله
إبليس جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي والنبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة
وذكر تعوذه بالله منه ولعنه له ثم أردت أخذه وذكر نحوه وقال لأصبح موثقا
يتلاعب به ولدان أهل المدينة وكذلك في حديثه في الإسراء وطلب عفريت له
بشعلة نار فعلمه جبريل ما يتعوذ به منه ذكره في الموطأ ولما لم يقدر على أذاه بمباشرته
تسبب بالتوسط إلى عداه كقضيته مع قريش في الائتمار بقتل النبي صلى الله عليه وسلم
وتصوره في صورة الشيخ النجدي ومرة أخرى في غزوة يوم بدر في صورة سراقة بن مالك
وهو قوله تعالى وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم الآية ومرة ينذر بشأنه عند بيعة العقبة
وكل هذا فقد كفاه الله أمره وعصمه ضره وشره وقد قال عليه السلام إن عيسى عليه السلام
كفي من لمسه فجاء ليطعن بيده في خاصرته حين ولد فطعن في الحجاب وقال عليه السلام
حين لد في مرضه وقيل خشينا أن يكون به ذات الجنب فقال إنها من الشيطان
ولم يكن ليسلطه علي فإن قيل فما معنى قوله تعالى وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ
بالله الآية فقد قال بعض المفسرين إنها راجعة إلى قوله وأعرض عن الجاهلين ثم
قال وإما ينزغنك أي يستخفنك غضب يحملك على ترك الإعراض عنهم فاستعذ
بالله وقيل النزغ هنا الفساد كما قال من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين
إخوتي وقيل ينزغنك يغرينك ويحركك والنزغ أدنى الوسوسة فأمره الله تعالى
أنه متى تحرك عليه غضب على عدوه أو رام الشيطان من إغرائه وخواطر أدنى
وساوسه ما لم يجعل له سبيل إليه أن يستعيذ منه فيكفى أمره ويكون سبب
تمام عصمته إذ لم يسلط عليه بأكثر من التعرض له ولم يجعل له قدرة عليه وقد قيل
في هذه الآية غير هذا وكذلك لا يصح أن يتصور له الشيطان في صورة الملك ويلبس عليه
لا في أول الرسالة ولا بعدها والاعتماد في ذلك دليل المعجزة بل لا يشك النبي صلى الله
عليه وسلم أن ما يأتيه من الله الملك ورسوله حقيقة إما بعلم ضروري يخلقه الله
له أو ببرهان يظهره لديه لتتم كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته فإن قيل فما معنى
قوله وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته

الآية فاعلم ان للناس في هذه الآية اقاويل منها السهل والوعث والسمين
والغث وأولى ما يقال فيها ما عليه الجمهور من المفسرين ان التمني ههنا التلاوة
والقاء الشيطان فيها اشغاله بخواطر واذكار من امور الدنيا للتالي حتى يدخل
عليه الوهم والنسيان فيما تلاه او يدخل غير ذلك على افهام السامعين من
من التحريف وسوء التأويل ما يزيله الله وينسخه ويكشف لبسه ويحكم آياته وسيأتي
الكلام على هذه الآية بعد ما شبع من هذا ان شاء الله تعالى وقد حكى السمرقندي
انكار قول من قال بتسلط الشيطان على ملك سليمان وغلبته عليه وان مثل هذا
لا يصح وقد ذكرنا قصة سليمان مبينة بعد هذا ومن قال ان الجسد هو الذي ولد
له وقال ابو محمد مكي في قصة ايوب وقوله اني مسني الشيطان بنصب وعذاب
انه لا يجوز لاحد ان يتأول ان الشيطان هو الذي امرضه والقى الضر في بدنه ولا يكون
الا بفعل الله وامره ليبتليهم ويثيبهم قال مكي وقد قيل ان الذي اصابه الشيطان
ما وسوس به الى اهله فان قلت فما معنى قوله تعالى عن يوشع وما انسانيه الا
الشيطان وقوله عن يوسف فأنساه الشيطان ذكر ربه وقول نبينا عليه السلام
حين نام عن الصلوة يوم الوادي ان هذا واد به شيطان وقول موسى عليه السلام
في وكزته هذا من عمل الشيطان فاعلم ان هذا الكلام قد يرد في جميع هذا على مورد
مستمر كلام العرب في وصفهم كل قبيح من شخص او فعل بالشيطان او فعله
كما قال تعالى كأنه رؤس الشياطين وقال صلى الله عليه وسلم فليقاتله فانما هو
شيطان وايضا فان قول يوشع لا يلزمنا الجواب عنه اذ لم يثبت له في ذلك
الوقت نبوة مع موسى قال الله واذ قال موسى لفتاه والمروي انما نبئ بعد موت
موسى وقيل قبيل موته وقول موسى كان قبل نبوته بدليل القرآن وقصة يوسف
قد ذكر انها كانت قبل نبوته وقد قال المفسرون في قوله فانساه الشيطان قولين احدهما
ان الذي انساه الشيطان ذكر ربه احد صاحبي السجن وربه الملك اي انساه ان يذكر
للملك شأن يوسف عليه السلام وايضا فان مثل هذا من فعل الشيطان ليس
فيه تسلط على يوسف ويوشع بوساوس ونزغ وانما هو بشغل خواطرهما بامور
اخر وتذكيرهما من امورهما ما ينسيهما ما نسيا واما قوله عليه السلام ان هذا واد

واد به شيطان فليس فيه ذكر تسلطه عليه ولا وسوسته له بل ان كان بمقتضى ظاهره
فقد بين امر ذلك الشيطان بقوله ان الشيطان اتى بلالا فلم يزل يهدئه كما يهدأ
الصبي حتى نام فاعلم ان تسلط الشيطان في ذلك الوادي انما كان على بلال الموكل
بكلاءة الفجر هذا ان جعلنا قوله ان هذا واد به شيطان تنبيها على سبب النوم
عن الصلوة واما ان جعلناه تنبيها على سبب الرحيل عن الوادي وعلة
لترك الصلوة به وهو دليل مساق حديث زيد بن اسلم فلا اعتراض في هذا
الباب لبيانه وارتفاع اشكاله **فصل** واما اقواله عليه السلام فقامت
الدلائل الواضحة بصحة المعجزة على صدقه واجمعت الامة فيما كان طريقه البلاغ
انه معصوم فيه من الاخبار عن شيء منها بخلاف ما هو به لا قصدا وعمدا ولا
سهوا وغلطا اما تعمد الخلف في ذلك فمنتف بدليل المعجزة القائمة مقام
قول الله صدق فيما قال اتفاقا وباطباق اهل الملة اجماعا واما وقوعه
على جهة الغلط في ذلك فبهذه السبيل عند الاستاذ ابي اسحق الاسفرائني
ومن قال بقوله ومن جهة الاجماع فقط وورود الشرع بانتفاء ذلك وعصمة
النبي صلى الله عليه وسلم لا من مقتضى المعجزة نفسها عند القاضي ابي بكر الباقلاني
ومن وافقه لاختلاف بينهم في مقتضى دليل المعجزة لا نطول بذكره فنخرج عن
عن غرض الكتاب فلنعتمد على ما وقع عليه اجماع المسلمين انه لا يجوز عليه خلف
في القول بابلاغ الشريعة والاعلام بما اخبر عن ربه وما اوحاه اليه من وحيه
لا على وجه العمد ولا على غير عمد ولا في حالي الرضا والسخط والصحة والمرض و
وفي حديث عبد الله بن عمرو قلت يا رسول الله اكتب كل ما اسمع منك
قال نعم قلت في الرضا والغضب قال نعم فاني لا اقول في ذلك كله الا حقا ولنزد
ما اشرنا اليه من دليل المعجزة عليه بيانا فنقول اذا قامت المعجزة على صدقه
وانه لا يقول الا حقا ولا يبلغ عن الله الا صدقا وان المعجزة قائمة مقام قول الله
له صدقت فيما تذكره عني وهو يقول اني رسول الله اليكم لابلغكم ما ارسلت
به اليكم وابين لكم ما نزل عليكم وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى وقد
جاءكم الرسول بالحق من ربكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا

لم يصح ان يوجد منه في هذا الباب خبر بخلاف مخبره على اي وجه كان فلو جوزنا
الغلط والسهو لما تميز لنا من غيره ولا اختلط الحق بالباطل فالمعجزة مشتملة
على تصديقه جملة واحدة من غير خصوص فتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم
عن ذلك كله واجب برهانا واجماعا كما قاله ابو اسحق **فصل** وقد توجهت
ههنا **لبعض الطاعنين سؤالات** منها ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم
لما قرأ سورة والنجم وقال افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى قال
تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى ويروى ترتضى وفي رواية ان شفاعتها
لترتجى وانها لمع الغرانيق العلى وفي اخرى والغرانقة العلى تلك الشفاعة ترتجى
فلما ختم السورة سجد وسجد معه المسلمون والكفار لما سمعوه اثنى على آلهتهم وما
وقع في الروايات ان الشيطان القاها على لسانه وان النبي صلى الله عليه وسلم
كان تمنى ان لو نزل عليه شئ يقارب بينه وبين قومه وفي رواية اخرى ان لا ينزل
عليه شئ ينفرهم عنه وذكر هذه القصة ان جبريل جاءه فعرض عليه السورة
فلما بلغ الكلمتين قال ما جئتك بهاتين فحزن لذلك النبي صلى الله عليه وسلم
فانزل الله تسلية له وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الآية وقوله وان
كادوا ليفتنونك الآية فاعلم اكرمك الله ان لنا في الكلام على مشكل هذا
الحديث مأخذين احدهما في توهين اصله والثاني على تسليمه اما المأخذ الاول
فيكفيك ان هذا حديث لم يخرجه احد من اهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سليم متصل
وانما اولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب المتلقفون
من الصحف كل صحيح وسقيم وصدق القاضي ابو بكر بن العلاء المالكي حيث قال
لقد بلي الناس ببعض اهل الاهواء والتفسير وتعلق بذلك الملحدون مع ضعف
نقلته واضطراب رواياته وانقطاع اسناده واختلاف كلماته فقائل
يقول انه في الصلوة وآخر يقول قالها في نادي قومه حين انزلت عليه السورة
وآخر يقول قالها وقد اصابته سنة وآخر يقول بل حدث نفسه فسها وآخر يقول
ان الشيطان قالها على لسانه وان النبي صلى الله عليه وسلم لما عرضها على جبريل
قال ما هكذا اقرأتك وآخر يقول بل اعلمهم الشيطان ان النبي صلى الله عليه وسلم

يقول صح

قرأها فلما بلغ النبي ذلك قال والله ما هكذا انزلت الى غير ذلك
من اختلاف الرواة ومن حكيت هذه الحكاية عنه من المفسرين والتابعين
لم يسندها احد منهم ولا رفعها الى صاحب واكثر الطرق عنهم فيها ضعيفة واهية
والمرفوع فيه حديث شعبة عن ابي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس
فيما احسب الشك في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم كان بمكة وذكر
القصة قال ابو بكر البزار هذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم
باسناد متصل يجوز ذكره الا هذا ولم يسنده عن شعبة الا امية بن
خالد وغيره يرسله عن سعيد بن جبير وانما يعرف عن الكلبي عن ابي صالح
عن ابن عباس فقد بين لك ابو بكر رحمه الله انه لا يعرف من طريق
يجوز ذكره سوى هذا وفيه من الضعف ما نبه عليه مع وقوع الشك فيه
كما ذكرناه الذي لا يوثق به ولا حقيقة معه واما حديث الكلبي فمما لا تجوز الرواية
عنه ولا ذكره لقوة ضعفه وكذبه كما اشار اليه البزار رحمه الله والذي منه
في الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ والنجم وهو بمكة فسجد معه المسلمون والمشركون
والجن والانس هذا توهينه من طريق النقل فاما من جهة المعنى فقد قامت
الحجة واجمعت الامة على عصمته صلى الله عليه وسلم ونزاهته عن مثل هذه
الرذيلة اما من تمنيه ان ينزل عليه مثل هذا من مدح آلهة غير الله وهو كفر
او ان يتسور عليه الشيطان ويشبه عليه القرآن حتى يجعل فيه ما ليس منه حتى ينبهه
جبريل عليهما السلام وذلك كله ممتنع في حقه صلى الله عليه وسلم او يقول
ذلك النبي من قبل نفسه عمدا وذلك كفر او سهوا وهو معصوم من هذا كله
وقد قررنا بالبرهان والاجماع عصمته عليه السلام من جريان الكفر على قلبه او لسانه
لا عمدا ولا سهوا او ان يتشبه عليه ما يلقيه الملك مما يلقي الشيطان او يكون
للشيطان عليه سبيل او ان يتقول على الله لا عمدا ولا سهوا ما لم ينزل عليه
وقد قال تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل الآية وقال اذا لاذقناك
ضعف الحيوة وضعف الممات الآية ووجه ثان وهو استحالة هذه القصة نظرا
وعرفا وذلك ان هذا الكلام لو كان كما روي لكان بعيد الالتئام متناقض

ويعتقد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان من القرآن
ما ليس منه صح

الانام ممنوح المزوح بالذم متى ذل التأليف والنظم ولما كان النبي صلى الله
عليه وسلم ولا من بحضرته من المسلمين وصناديد المشركين ممن يخفى عليه ذلك
وهذا لا يخفى على ادنى متأمل فكيف بمن رجح حلمه واتسع في باب البيان
ومعرفة فصيح الكلام علمه ووجه ثالث انه قد علم من عادة المنافقين و
ومعاندي المشركين وضعفة القلوب والجهلة من المسلمين نفورهم
لاول وهلة وتخليط العدو على النبي صلى الله عليه وسلم لاقل فتنة وتعييرهم
المسلمين والشمات بهم الفينة بعد الفينة وارتداد من في قلبه مرض ممن
اظهر الاسلام لادنى شبهة ولم يحك احد في هذه القصة شيئا سوى هذه
الرواية الضعيفة الاصل ولو كان ذلك لوجدت قريش بها على المسلمين
الصولة ولاقامت بها اليهود عليهم الحجة كما فعلوا مكابرة في قصة الاسراء
حتى كانت في ذلك لبعض الضعفاء ردة وكذلك ما روي في قصة القضية
ولا فتنة اعظم من هذه البلية لو وجدت ولا تشغيب للمعادي حينئذ اشد
من هذه الحادثة لو امكنت فما روي فيها عن معاند كلمة ولا عن مسلم بسببها
بنت شفة فدل على بطلها واجتثاث اصلها ولا شك في ادخال بعض
شياطين الانس والجن هذا الحديث على بعض مغفلي المحدثين ليلبس
به على ضعفاء المسلمين ووجه رابع ذكر الرواة لهذه القضية ان فيها نزلت
وان كادوا ليفتنونك الآيتين وهاتان الآيتان تردان الخبر الذي رووه
لان الله تعالى ذكر انهم كادوا يفتنونه حتى يفتري وانه لولا ان ثبته لكاد
يركن اليهم فمضمون هذا ومفهومه ان الله عصمه من ان يفتري وثبته حتى لم يركن
اليهم قليلا فكيف كثيرا وهم يروون في اخبارهم الواهية انه زاد على الركون
والافتراء بمدح آلهتهم وانه عليه السلام قال افتريت على الله وقلت ما لم يقل
وهذا ضد مفهوم الآية وهي تضعف الحديث لو صح فكيف ولا صحة له وهذا مثله
في الآية الاخرى ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم ان يضلوك
وما يضلون الا انفسهم وما يضرونك من شيء وقد روي عن ابن عباس
كل ما في القرآن كاد فهو ما لا يكون قال الله تعالى يكاد سنا برقه يذهب بالابصار ولم

ولم يذهب واكاد اخفيها ولم يفعل قال القشيري القاضي ولقد طالبه
قريش وثقيف اذ مر بآلهتهم ان يقبل بوجهه اليها ووعدوه الايمان
به ان فعل فما فعل ولا كان ليفعل قال ابن الانباري ما قارب الرسول
ولا ركن وقد ذكرت في معنى الآية تفاسير اخر ما ذكرناه من نص الله على عصمة
رسوله يرد سفسفها فلم يبق في الآية الا ان الله امتن على رسوله بعصمته
وتثبيته بما كاده به الكفار وراموا من فتنته ومرادنا من ذلك تنزيهه
وعصمته صلى الله عليه وسلم وهو مفهوم الآية واما المأخذ الثاني فهو مبني
على تسليم الحديث لو صح وقد اعاذنا الله من صحته ولكن على كل حال
فقد اجاب على ذلك ائمة المسلمين باجوبة منها الغث والسمين فمنها ما روي
قتادة ومقاتل ان النبي صلى الله عليه وسلم اصابته سنة عند قراءته
هذه السورة فجرى هذا الكلام على لسانه بحكم النوم وهذا لا يصح اذ لا يجوز على النبي
مثله في حالة من احواله ولا يخلقه الله على لسانه ولا يستولي الشيطان عليه في نوم
ولا يقظة لعصمته في هذا الباب من جميع العمد والسهو وفي قول الكلبي ان النبي صلى الله
عليه وسلم حدث نفسه فقال ذلك الشيطان على لسانه وفي رواية ابن
شهاب عن ابي بكر بن عبد الرحمن قال وسها فلما اخبر بذلك قال انما ذلك من الشيطان
وكل هذا لا يصح ان يقوله عليه السلام لا سهوا ولا قصدا ولا يتقوله الشيطان على لسانه
وقيل لعل النبي صلى الله عليه وسلم قاله اثناء تلاوته على تقدير التقرير والتوبيخ للكفار
كقول ابراهيم عليه السلام هذا ربي على احد التأويلات وكقوله بل فعله كبيرهم هذا بعد
السكت وبيان الفصل بين الكلامين ثم رجع الى تلاوته وهذا ممكن مع بيان
الفصل وقرينة تدل على المراد وانه ليس من المتلو وهو احد ما ذكره القاضي
ابو بكر ولا يعترض على هذا بما روي انه كان في الصلاة فقد كان الكلام قبل فيها
غير ممنوع والذي يظهر ويترجح في تأويله عنده وعند غيره من المحققين على تسليمه
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان كما امره ربه يرتل القرآن ترتيلا ويفصل الآي
تفصيلا في قراءته كما رواه الثقات عنه فيمكن ترصد الشيطان لتلك السكتات
ودسه فيها ما اختلقه من تلك الكلمات محاكيا نغمة النبي صلى الله عليه وسلم بحيث

يسمعه من دنا اليه من الكفار فظنوها من قول النبي صلى الله عليه وسلم واشاعوها
ولم يقدح ذلك عند المسلمين لحفظ السورة قبل ذلك على ما انزلها الله وتحققهم
من حال النبي صلى الله عليه وسلم في ذم الاوثان وعيبها ما عرف منه وقد حكى
موسى بن عقبة في مغازيه نحو هذا وقال ان المسلمين لم يسمعوها وانما القى
الشيطان ذلك في اسماع المشركين وقلوبهم ويكون ما روي من حزن النبي
صلى الله عليه وسلم لهذه الاشاعة والشبهة وسبب هذه الفتنة وقد قال الله
تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الآية فمعنى تمنى تلا قال الله تعالى
لا يعلمون الكتاب الا اماني اي تلاوة وقوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان اي يذهبه
ويزيل اللبس ويحكم آياته وقيل معنى الآية هو ما يقع للنبي صلى الله عليه وسلم
من السهو اذا قرأ فينتبه لذلك ويرجع عنه وهذا نحو قول الكلبي في الآية انه حدث
نفسه وقال اذا تمنى اي حدث نفسه وفي رواية ابي بكر بن عبد الرحمن نحوه
وهذا السهو في القراءة انما يصح فيما ليس طريقه تغيير المعاني وتبديل الالفاظ
وزيادة ما ليس من القرآن بل السهو عن اسقاط آية منه او كلمة ولكنه لا يقر
على هذا السهو بل ينبه عليه ويذكر به للحين على ما سنذكره في حكم ما يجوز عليه
من السهو وما لا يجوز ومما يظهر في تأويله ان مجاهدا لما روى هذه القصة والغرانقة
العلى فان سلمنا القصة قلنا لا يبعد ان هذا كان قرآنا والمراد بالغرانقة
العلى وان شفاعتهن لترتجى الملائكة على هذه الرواية وبهذا فسر الكلبي الغرانقة
انها الملائكة وذلك ان الكفار كانوا يعتقدون الاوثان والملائكة بنات الله
سبحانه كما حكى الله عنهم في هذه السورة بقوله الكم الذكر وله الانثى فانكر الله كل هذا
من قولهم ورجاء الشفاعة من الملائكة صحيح فلما تأوله المشركون على ان المراد
بهذا الذكر آلهتهم ولبس عليهم الشيطان ذلك وزينه والقاه اليهم نسخ الله ما القى
الشيطان واحكم آياته ورفع تلاوة تلك اللفظتين اللتين وجد الشيطان بهما سبيلا
للتلبيس كما نسخ كثير من القرآن ورفعت تلاوته وكان في انزال الله تعالى لذلك
حكمة وفي نسخه حكمة ليضل به من يشاء ويهدي من يشاء وما يضل به الا الفاسقين وليجعل
ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وان الظالمين لفي

لفي شقاق بعيد وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له
قلوبهم الآية وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قرأ هذه السورة وبلغ ذكر اللات
والعزى ومناة الثالثة الاخرى خاف الكفار ان يأتي بشيء من ذمها فسبقوا
الى مدحها بتلك الكلمتين ليخلطوا في تلاوة النبي صلى الله عليه وسلم ويشنعوا
عليه على عادتهم وقولهم لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ونسب
هذا الفعل الى الشيطان لحمله لهم عليه واشاعوا ذلك واذاعوه وان النبي
صلى الله عليه وسلم قاله فحزن لذلك من كذبهم وافترائهم عليه فسلاه
الله تعالى بقوله وما ارسلنا من قبلك من رسول الآية وبين للناس الحق
من ذلك من الباطل وحفظ القرآن واحكم آياته ودفع ما لبس به العدو كما
ضمنه الله تعالى بقوله انا نحن نزلنا الذكر الآية ومن ذلك ما روي من قصة
يونس عليه السلام انه وعد قومه العذاب عن ربه فلما تابوا كشف عنهم العذاب
فقال لا ارجع اليهم كذابا فذهب مغاضبا فاعلم اكرمك الله ان ليس في خبر
من الاخبار الواردة في هذا الباب ان يونس عليه السلام قال لهم ان الله
مهلككم وانما فيه انه دعا عليهم بالهلاك والدعاء ليس بخبر يطلب صدقه
من كذبه لكنه قال لهم ان العذاب مصبحكم وقت كذا وكذا فكان ذلك كما قال
ثم رفع الله عنهم العذاب وتداركهم قال الله تعالى الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا
عنهم عذاب الخزي الآية وروي في الاخبار انهم رأوا دلائل العذاب ومخايله
قاله ابن مسعود وقال سعيد بن جبير غشيهم العذاب كما يغشى الثوب القبر
فان قلت فما معنى ما روي من ان عبد الله بن ابي سرح كان يكتب لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم ارتد مشركا وصار الى قريش فقال لهم اني كنت اصرف
محمدا حيث اريد كان يملي علي عزيز حكيم فاقول او عليم حكيم فيقول نعم كل صواب
وفي حديث آخر فيقول له النبي صلى الله عليه وسلم اكتب كذا فيقول اكتب
كذا فيقول اكتب كيف شئت ويقول اكتب عليما حكيما فيقول سميعا بصيرا
فيقول له اكتب كيف شئت وفي الصحيح عن انس ان نصرانيا كان يكتب للنبي
صلى الله عليه وسلم بعد ما اسلم ثم ارتد وكان يقول ما يدري محمد الا ما كتبت له

آمنوا ص

فاعلم ثبتنا الله واياك على الحق ولا جعل للشيطان وتلبيسه الحق بالباطل الينا
سبيلا ان مثل هذه الحكاية لولا لا يوقع في قلب مؤمن ريبا اذ هي حكاية
عمن ارتد ونحن لا نقبل خبر المسلم المتهم فكيف بكافر افترى هو ومثله على الله
ورسوله ما هو اعظم من هذا والعجب لسليم العقل يشغل بمثل هذه الحكاية
سره وقد صدرت من عدو كافر مبغض للدين مفتر على الله ورسوله
ولم يرو عن احد من المسلمين ولا ذكر احد من الصحابة انه شاهد ما قاله وافتراه
على نبي الله وانما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله واولئك هم
الكاذبون ولو كانت صحيحة لما كان فيها قدح ولا توهم للنبي صلى الله عليه وسلم
فيما اوحي اليه ولا جواز النسيان والغلط عليه والتحريف فيما بلغه ولا طعن في نظم
القرآن وانه من عند الله اذ ليس فيه لو صح اكثر من ان الكاتب قال له
عليم حكيم او كتبه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم كذلك فسبقه لسانه
او قلمه بكلمة او كلمتين مما نزل على الرسول قبل اظهار الرسول لها اذ كان ما تقدم
مما املاه الرسول يدل عليها ويقتضي وقوعها بقوة قدرة الكاتب
على الكلام ومعرفته به وجودة حسه وفطنته كما يتفق ذلك للعارف
اذا سمع البيت ان يسبق الى قافيته او مبتدأ الكلام الحسن الى ما يتم به
ولا يتفق ذلك في جملة الكلام كما لا يتفق في آية ولا سورة وكذلك قوله
عليه السلام ان صح كل صواب فقد يكون هذا فيما كان فيه من مقاطع
الآي وجهان وقراءتان انزلتا جميعا على النبي عليه السلام فاملى احديهما و
توصل الكاتب بفطنته ومعرفته بمقتضى الكلام الى الاخرى فذكرها للنبي
عليه السلام كما قد بيناه فيصوبها له النبي صلى الله عليه وسلم ثم احكم الله
من ذلك ما احكم ونسخ ما نسخ كما قد وجد ذلك في بعض مقاطع الآي مثل
قوله ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم وهذه
قراءة الجمهور وقد قرأ جماعة فانك انت الغفور الرحيم وليست من المصحف
وكذلك كلمات جاءت على وجهين في غير المقاطع قرأ بهما معا الجمهور
وثبتتا في المصحف مثل وانظر الى العظام كيف ننشزها وننشرها ونقص

ونقض الحق ونقص الحق وكل هذا لا يوجب ريبا ولا يسبب للنبي صلى الله
عليه وسلم غلطا ولا وهما وقد قيل ان هذا يحتمل ان يكون فيما يكتبه عن
عن النبي صلى الله عليه وسلم الى الناس غير القرآن فيصف الله ويسميه
في ذلك كيف شاء

فصل هذا القول فيما طريقه البلاغ

واما ما ليس سبيله سبيل البلاغ من الاخبار التي لا مستند لها الى الاحكام
الشرعية ولا اخبار المعاد ولا تضاف الى وحي بل في امور الدنيا واحوال
نفسه فالذي يجب اعتقاده تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن ان يقع خبره
في شيء من ذلك بخلاف مخبره لا عمدا ولا سهوا ولا غلطا وانه معصوم من ذلك
في حال رضاه وفي حال سخطه وجده ومزحه وصحته ومرضه ودليل ذلك اتفاق السلف
واجماعهم عليه وذلك انا نعلم من دين الصحابة وعادتهم مبادرتهم الى تصديق جميع
احواله والثقة بجميع اخباره في اي باب كانت وعن اي شيء وقعت وانه لم يكن
لهم توقف ولا تردد في شيء منها ولا استثبات عن حاله عند ذلك هل وقع فيها
سهو ام لا ولما احتج ابن ابي الحقيق اليهودي على عمر رضي الله عنه حين اجلاهم من خيبر
باقرار رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم واحتج عليهم عمر بقوله صلى الله عليه وسلم
كيف بك اذا اخرجت من خيبر فقال اليهودي كانت هزيلة من ابي القاسم فقال
عمر رضي كذبت يا عدو الله وايضا فان اخباره وآثاره وسيره وشمائله معتنى بها
مستقصى تفاصيلها ولم يرد في شيء منها استدراكه عليه السلام الغلط في قول
قاله او اعترافه بوهم في شيء اخبر به ولو كان ذلك لنقل كما نقل من قصته عليه السلام
رجوعه عما اشار به على الانصار في تلقيح النخل وكان ذلك رأيا لا خبرا وغير ذلك
من الامور التي ليست من هذا الباب كقوله عليه السلام والله لا احلف على يمين
فارى غيرها خيرا منها الا فعلت الذي حلفت عليه وكفرت عن يميني وقوله انكم تختصمون
الي الحديث وقوله اسق يا زبير حتى يبلغ الماء الجدر كما سنبين كل ما في هذا من مشكل في هذا
الباب والذي بعده ان شاء الله تعالى مع اشباهها وايضا فان الكذب
متى عرف من احد في شيء من الاخبار بخلاف ما هو على اي وجه كان استريب
بخبره واتهم في حديثه ولم يقع قوله في النفوس موقعا ولهذا ترك المحدثون والعلماء

الحديث ممن عرف بالوهم والغفلة وسوء الحفظ وكثرة الغلط مع ثقته وايضا فان
تعمد الكذب في امور الدنيا معصية والاكثار منه كبيرة باجماع مسقط للمروة وكل هذا
مما ينزه عنه منصب النبوة والمرة الواحدة منه فيما يستبشع ويستشنع مما يخل بصاحبها
ويزري بقائلها لاحقة بذلك واما فيما لا يقع هذا الموقع فان عددناها من الصغاير
فهل تجري على حكمها في الخلاف فيها مختلف فيه والصواب تنزيه النبوة عن قليله
وكثيره وسهوه وعمده اذ عمدة النبوة البلاغ والاعلام والتبيين وتصديق
ما جاء به النبي وتجويز شيء من هذا قادح في ذلك ومشكك فيه مناقض للمعجزة فلنقطع
عن يقين بانه لا يجوز على الانبيا خلف في القول في وجه من الوجوه لا بقصد ولا بغير
قصد ولا نتسامح مع من تسامح في تجويز ذلك عليهم حال السهو فيما ليس طريقه البلاغ
نعم وبانه لا يجوز عليهم الكذب قبل النبوة ولا الاتسام به في امورهم واحوال دنياهم
لان ذلك كان يزري ويريب بهم وينفر القلوب عن تصديقهم بعد وانظر الى احوال
اهل عصر النبي صلى الله عليه وسلم من قريش وغيرها من الامم وسؤالهم عن حاله
في صدق لسانه وما عرفوا به من ذلك واعترفوا به مما عرف واتفق اهل النقل
على عصمة نبينا صلى الله عليه وسلم منه قبل وبعد وقد ذكرنا من الاثار فيه في الباب
الثاني اول الكتاب ما يبين لك صحة ما اشرنا اليه **فصل فان قلت فما معنى**
قوله صلى الله عليه وسلم في حديث السهو الذي حدثنا به الفقيه ابو اسحق ابرهيم بن جعفر
قال حدثنا القاضي ابو الاصبغ بن سهل حدثنا حاتم بن محمد حدثنا ابو عبد الله بن الفخار
حدثنا ابو عيسى حدثنا ابو عبد الله حدثنا يحيى بن مالك عن داود بن الحصين عن ابي سفيان
مولى ابن ابي احمد انه قال سمعت ابا هريرة يقول صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
صلوة العصر فسلم في ركعتين فقام ذو اليدين فقال يا رسول الله اقصرت الصلوة
ام نسيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ذلك لم يكن وفي الرواية الاخرى ما قصرت
وما نسيت الحديث بقصته فاخبر بنفي الحالتين وانها لم تكن وقد كان احد ذلك كما قال
ذو اليدين قد كان بعض ذلك يا رسول الله فاعلم وفقنا الله واياك ان للعلماء
في ذلك اجوبة بعضها بصدد الانصاف ومنها ما هو بنية التعسف والاعتساف
وها انا اقول اما على القول بتجويز الوهم والغلط مما ليس طريقه من القول البلاغ وهو

لبس ه

وهو الذي زيفناه من القولين فلا اعتراض بهذا الحديث وشبهه واما على مذهب
من يمنع السهو والنسيان في افعاله جملة ويرى انه في مثل هذا عامد لصورة النسيان
ليسن فهو صادق في خبره لانه لم ينس ولا قصرت ولكنه على هذا القول تعمد هذا
الفعل في هذه الصورة ليسنه لمن اعتراه مثله وهو قول مرغوب عنه نذكره في
موضعه واما على احالة السهو عليه في الاقوال وتجويز السهو عليه فيما ليس طريقه
القول كما سنذكره ففيه اجوبة منها ان النبي صلى الله عليه وسلم اخبر عن اعتقاده
وضميره اما انكار القصر فحق وصدق باطنا وظاهرا واما النسيان فاخبر صلى الله
عليه وسلم عن اعتقاده وانه لم ينس في ظنه فكانه قصد الخبر بهذا عن ظنه
وان لم ينطق به وهذا صدق ايضا ووجه ثان ان قوله ولم انس راجع
الى السلام اي اني سلمت قصدا وسهوت عن العدد اي لم انس في نفس
السلام وهذا محتمل وفيه بعد ووجه ثالث وهو ابعدها ما ذهب اليه بعضهم وان
احتمله اللفظ من قوله كل ذلك لم يكن اي لم يجتمع القصر والنسيان بل كان
احدهما ومفهوم اللفظ خلافه مع الرواية الاخرى الصحيحة وهو قوله ما قصرت
الصلوة وما نسيت هذا ما رايت فيه لائمتنا وكل من هذه الوجوه محتمل اللفظ
على بعد بعضها وتعسف الاخر منها قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه والذي
اقول ويظهر لي انه اقرب من هذه الوجوه كلها ان قوله لم انس انكار للفظ الذي
نفاه عن نفسه وانكره على غيره بقوله بئسما لاحدكم ان يقول نسيت اية كذا
وكذا ولكنه نسي وبقوله في بعض روايات الحديث الاخر لست انسى ولكن انسى
فلما قال له السائل اقصرت الصلوة ام نسيت انكر قصرها كما كان ونسيانه
هو من قبل نفسه وانه ان كان جرى شيء من ذلك فقد نسي حتى سئل
فتحقق انه نسي واجري عليه ذلك ليسن فقوله على هذا لم انس ولم تقصر وكل
ذلك لم يكن صدق وحق لم تقصر ولم ينس حقيقة ولكنه نسي ووجه اخر استثرته
من كلام بعض المشايخ وذلك انه قال ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يسهو
ولا ينسى ولذلك نفى عن نفسه النسيان قال لان النسيان غفلة وافة والسهو
انما هو شغل بال وكان النبي صلى الله عليه وسلم يسهو في صلوته ولا يغفل عنها

غيره ه

وكان شغله عن حركات الصلاة بما في الصلاة شغلاً بها لا غفلة عنها فهذا ان
تحقق على هذا المعنى لم يكن في قوله ما قصرت وما نسيت خلف في قول واما قصة
كلمات ابرهيم عليه السلام المذكورة في الحديث انها كذباته الثلث المنصوصة
في القرآن منها اثنتان قوله اني سقيم وقال بل فعله كبيرهم هذا وقوله للملك
عن زوجته انها اختي فاعلم اكرمك الله ان هذه كلها خارجة عن الكذب
لا في القصد ولا في غيره وهي داخلة في باب المعاريض التي فيها مندوحة
عن الكذب اما قوله اني سقيم فقال الحسن وغيره معناه ساسقم اي ان
كل مخلوق معرض لذلك فاعتذر لقومه من الخروج معهم الى عيدهم بهذا
وقيل بل سقيم بما قدر علي من الموت وقيل سقيم القلب بما اشاهده من
من كفركم وعنادكم وقيل بل كانت الحمى تأخذه عند طلوع نجم معلوم فلما
رآه اعتذر بعادته وكل هذا ليس فيه كذب بل خبر صحيح صدق
وقيل بل عرض بسقم حجته عليهم وضعف ما اراد بيانه لهم من جهة النجوم
التي كانوا يشتغلون بها وانه اثناء نظره في ذلك وقبل استقامة حجته
عليهم في حال سقم ومرض حال انه لم يشك هو ولا ضعف ايمانه ولكنه ضعف
في استدلاله عليهم وسقم نظره كما يقال حجة سقيمة ونظر معلول حتى الهمه الله
باستدلاله وصحة حجته عليهم بالكوكب والشمس والقمر ما نصه الله وقدمنا بيانه
واما قوله بل فعله كبيرهم هذا الآية فانه علق خبره بشرط نطقه كانه قال ان كان
ينطق فهو فعله على طريق التبكيت لقومه وهذا صدق ايضاً ولا خلف فيه
واما قوله اختي فقد بين في الحديث وقال فانك اختي في الاسلام وهو صدق
والله تعالى يقول انما المؤمنون اخوة فان قلت فهذا النبي صلى الله عليه
وسلم قد سماها كذبات وقال لم يكذب ابرهيم الا ثلث كذبات وقال
في حديث الشفاعة ويذكر كذباته فمعناه انه لم يتكلم بكلام صورته صورة الكذب
وان كان حقاً في الباطن الا هذه الكلمات ولما كان مفهوم ظاهرها خلاف
باطنها اشفق ابرهيم عليه السلام من مؤاخذته بها واما الحديث كان النبي
صلى الله عليه وسلم اذا اراد غزوة ورى بغيرها فليس فيه خلف انما هو

ستر مقصده لئلا يأخذ عدوه حذره وكتم وجه ذهابه بذكر السؤال عن موضع
آخر والبحث عن اخباره والتعريض بذكره لا انه يقول تجهزوا الى غزوة كذا
او وجهتنا الى موضع كذا خلاف مقصده فهذا لم يكن والاول ليس فيه خبر
يدخله الخلف فان قلت فما معنى قول موسى عليه السلام وقد سئل
اي الناس اعلم فقال انا اعلم فعتب الله عليه ذلك اذ لم يرد العلم
اليه الحديث وفيه قال بل عبد لنا بمجمع البحرين اعلم منك وهذا خبر
قد انبأنا الله انه ليس كذلك فاعلم انه وقع في هذا الحديث من بعض طرقه
الصحيحة عن ابن عباس هل تعلم احداً اعلم منك فاذا كان جوابه على علمه
فهو خبر حق وصدق لا خلف فيه ولا شبهة وعلى الطريق الآخر فمحمله على ظنه
ومعتقده كما لو صرح به لان حاله في النبوة والاصطفاء يقتضي ذلك فيكون
اخباره بذلك ايضاً عن اعتقاده وحسبانه صدقاً لا خلف فيه وقد يريد بقوله
انا اعلم بما تقتضيه وظائف النبوة من علوم التوحيد وامور الشريعة وسياسة
الامة ويكون الخضر اعلم منه بامور اخر مما لا يعلمه احد الا باعلام الله من علوم
غيبه كالقصص المذكورة في خبرهما فكان موسى اعلم على الجملة بما تقدم وهذا اعلم
على الخصوص بما اعلم ويدل عليه قوله تعالى وعلمناه من لدنا علماً وعتب الله
ذلك عليه فيما قاله العلماء انكار هذا القول عليه لانه لم يرد العلم اليه كما قالت الملائكة
لا علم لنا الا ما علمتنا او لانه لم يرض قوله شرعاً وذلك والله اعلم لئلا يقتدي به فيه
من لم يبلغ كماله في تزكية نفسه وعلو درجته من امته فيهلك لما تضمنه من مدح
الانسان نفسه ويورثه ذلك من الكبر والعجب والتعاطي والدعوى وان نزه
عن هذه الرذائل الانبياء فغيرهم بمدرجة سبيلها ودرك ليلها الا من عصمه الله
فالتحفظ منها اولى لنفسه وليقتدى به ولهذا قال عليه السلام تحفظاً من مثل
ما اتفق له به انا سيد ولد آدم ولا فخر وهذا الحديث احدى حجج القائلين بنبوة
الخضر لقوله فيه انا اعلم من موسى ولا يكون الولي اعلم من النبي واما الانبياء
عليهم السلام فيتفاضلون في المعارف وبقوله وما فعلته عن امري فدل
انه بوحي ومن قال انه ليس بنبي قال يحتمل ان يكون فعله بامر نبي آخر وهذا

يضعف لانا ما علمنا انه كان في زمن موسى عليه السلام نبي غيره الا اخاه هرون
وما نقل احد من اهل الاخبار في ذلك شيئا يعول عليه واذا جعلنا اعلم منك ليس
على العموم وانما هو على الخصوص وفي قضايا معينة لم يحتج الى اثبات نبوة الخضر
ولهذا قال بعض الشيوخ كان موسى اعلم من الخضر فيما اخذ عن الله والخضر اعلم فيما
دفع اليه من موسى وقال آخر انما ألجئ موسى الى الخضر للتأديب لا للتعليم **فصل**

واما ما يتعلق بالجوارح من الاعمال ولا يخرج من جملتها القول باللسان فيما عدا
الخبر الذي وقع فيه الكلام ولا الاعتقاد بالقلب فيما عدا التوحيد وما قدمناه
من معارفه المختصة به فاجمع المسلمون على عصمة الانبياء من الفواحش والكبائر
الموبقات ومستند الجمهور في ذلك الاجماع الذي ذكرناه وهو مذهب القاضي
ابي بكر ومنعها غيره بدليل العقل مع الاجماع وهو قول الكافة واختاره الاستاذ
ابو اسحق وكذلك لا خلاف انهم معصومون من كتمان الرسالة والتقصير في التبليغ
لان كل ذلك يقتضي العصمة منه المعجزة مع الاجماع على ذلك من الكافة واما الصغائر
فجوزها جماعة من السلف وغيرهم على الانبياء وهو مذهب ابي جعفر الطبري وغيره
من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين وسنورد بعد هذا ما احتجوا به وذهبت طائفة اخرى
الى الوقف وقالوا العقل لا يحيل وقوعها منهم ولم يأت في الشرع قاطع باحد الوجهين
وذهبت طائفة اخرى من المحققين من الفقهاء والمتكلمين الى عصمتهم من الصغائر
كعصمتهم من الكبائر قالوا لاختلاف الناس في الصغائر وتعيينها من الكبائر
واشكال ذلك وقول ابن عباس وغيره ان كل ما عصي الله به فهو كبيرة وانه
انما سمي منها الصغير بالاضافة الى ما هو اكبر منه ومخالفة الباري في اي امر كان
يجب كونه كبيرة **قال** القاضي ابو محمد عبد الوهاب لا يمكن ان يقال في معاصي الله
صغيرة الا على معنى انها تغتفر باجتناب الكبائر ولا يكون لها حكم مع ذلك بخلاف
الكبائر اذا لم يتب منها فلا يحبطها شيء والمشيئة في العفو عنها الى الله تعالى وهو
قول القاضي ابي بكر وجماعة ائمة الاشعرية وكثير من ائمة الفقهاء وقال بعض ائمتنا
ولا يجب على القولين ان يختلف انهم معصومون عن تكرار الصغائر وكثرتها اذ
يلحقها ذلك بالكبائر ولا في صغيرة ادت الى ازالة الحشمة واسقطت المروءة وا

واوجبت الازراء والخساسة فهذا ايضا مما يعصم عنه الانبياء اجماعا لان
مثل هذا يحط منصب المتسم به ويزري بصاحبه وينفر القلوب عنه والانبياء
منزهون عن ذلك بل يلحق بهذا ما كان من قبيل المباح فادى الى مثله لخروجه
بما ادى اليه عن اسم المباح الى الحظر وقد ذهب بعضهم الى عصمتهم من الصغائر بالمصير
الى امتثال افعالهم واتباع آثارهم وسيرهم مطلقا وجمهور الفقهاء على ذلك
من اصحاب مالك والشافعي وابي حنيفة من غير التزام قرينة بل مطلقا عند
بعضهم وان اختلفوا في حكم ذلك وحكى ابن خويز منداد وابو الفرج عن مالك
التزام ذلك وجوبا وهو قول الابهري وابن القصار واكثر اصحابنا وقول اكثر
اهل العراق وابن سريج والاصطخري وابن خيران من الشافعية واكثر الشافعية
على ان ذلك ندب وذهبت طائفة الى الاباحة وقيد بعضهم الاتباع فيما كان
من الامور الدينية وعلم به مقصد القربة ومن قال بالاباحة في افعاله لم يقيد
فلو جوزنا عليهم الصغائر لم يمكن الاقتداء بهم في افعالهم اذ ليس كل فعل من افعاله
يتميز مقصده من القربة او الاباحة او الحظر او المعصية ولا يصح ان يؤمر
المرء بامتثال امر لعله معصية لا سيما على من يرى تقديم الفعل على القول
اذا تعارضا من الاصوليين ونزيد هذه الحجة بيانا بان نقول من جوز الصغائر ومن نفاها
عن نبينا عليه السلام مجمعون على انه لا يقر على منكر من قول او فعل وانه متى راى
شيئا فسكت عنه صلى الله عليه وسلم دل على جوازه فكيف يكون هذا حاله
في حق غيره ثم نجوز وقوعه منه في نفسه وعلى هذا المأخذ تجب عصمتهم من مواقعة
المكروه كما قيل واذ الحظر او الندب على الاقتداء بفعله ينافي الزجر والنهي
عن فعل المكروه وايضا فقد علم من دين الصحابة قطعا الاقتداء بافعال النبي
صلى الله عليه وسلم كيف توجهت وفي كل فن كالاقتداء باقواله فقد نبذوا خوا
خواتيمهم حين نبذ خاتمه وخلعوا نعالهم حين خلع واحتجاجهم برؤية ابن عمر اياه
جالسا لقضاء حاجته مستقبلا بيت المقدس واحتج غير واحد منهم في غير
شيء مما بابه العبادة او العادة بقوله رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يفعله وقال صلى الله عليه وسلم هلا اخبرتيها اني اقبل وانا صائم وقالت عائشة

من مواقعة المكروه قصدا وقد استدل
بعض الائمة على عصمتهم صح

وحجته كنت افعله انا ورسول الله صلى الله عليه وسلم وغضب عليه السلام
على الذي اخبر بمثل هذا عنه فقال يحل الله لرسوله ما شاء وقال اني لاخشاكم
لله واعلمكم بحدوده والآثار في هذا اعظم من ان نحيط عليها لكنه يعلم من مجموعها
على القطع اتباعهم افعاله واقتداؤهم بها ولو جوزوا عليه المخالفة في شيء منها
لما اتسق هذا ولنقل عنهم وظهر بحثهم عن ذلك ولما انكر عليه السلام على الآخر
قوله واعتذاره بما ذكرناه واما المباحات فجائز وقوعها منهم اذ ليس فيها قدح
بل هي مأذون فيها وايديهم كايدي غيرهم مسلطة عليها الا انهم بما خصوا به
من رفيع المنزلة وشرحت له صدورهم من انوار المعرفة واصطفوا به من تعلق
بالهم بالله والدار الآخرة لا يأخذون من المباحات الا الضرورات مما يتقوون
به على سلوك طريقهم وصلاح دينهم وضرورة دنياهم وما اخذ على هذه السبيل
التحق طاعة وصار قربة كما بينا منه اول الكتاب طرفا في خصال نبينا عليه السلام
فبان لك عظيم فضل الله على نبينا وعلى سائر انبيائه عليهم السلام بان
افعالهم قربات وطاعات بعيدة عن وجه المخالفة ورسم المعصية **فصل**
وقد اختلف في عصمتهم من المعاصي قبل النبوة فمنعها قوم وجوزها آخرون
والصحيح ان شاء الله تنزيههم من كل عيب وعصمتهم من كل ما يوجب الريب
وكيف والمسألة تصورها كالممتنع فان المعاصي والنواهي انما تكون بعد تقرر
الشرع وقد اختلف الناس في حال نبينا عليه السلام قبل ان يوحى اليه هل كان
متبعا لشرع قبله ام لا فقال جماعة لم يكن متبعا لشيء وهذا قول الجمهور فالمعاصي
على هذا القول غير موجودة ولا معتبرة في حقه حينئذ اذ الاحكام الشرعية انما تتعلق
بالاوامر والنواهي وتقرر الشريعة ثم اختلفت حجج القائلين بهذه المقالة عليها
فذهب سيف السنة ومقتدى فرق الامة القاضي ابو بكر الى ان طريق العلم
بذلك النقل وموارد الخبر من طريق السمع وحجته انه لو كان ذلك لنقل ولما
امكن كتمه وستره في العادة اذ كان من مهم امره واولى ما اهتبل به من سيرته
ولفخر به اهل تلك الشريعة ولاحتجوا به عليه ولم يؤثر شيء من ذلك جملة وذهبت
طائفة الى امتناع ذلك عقلا قالوا لانه يبعد ان يكون متبوعا من عرف تابعا

تابعا وبنوا هذا على التحسين والتقبيح وهي طريقة غير سديدة واستناد
ذلك الى النقل كما تقدم للقاضي ابي بكر اولى واظهر وقالت فرقة اخرى بالوقف
في امره عليه السلام وترك قطع الحكم عليه بشيء في ذلك اذ لم يحل الوجهين
منها العقل ولا استبان عندها في احدهما طريق النقل وهو مذهب
ابي المعالي وقالت فرقة ثالثة انه كان عاملا بشرع من قبله ثم اختلفوا
هل يتعين ذلك الشرع ام لا فوقف بعضهم عن تعيينه واحجم وجسر بعضهم
على التعيين وصمم ثم اختلفت هذه المعينة فيمن كان يتبع فقيل نوح وقيل ابراهيم
وقيل موسى وقيل عيسى صلوات الله عليهم فهذه جملة المذاهب في هذه المسألة
والاظهر فيها ما ذهب اليه القاضي ابو بكر وابعدها مذاهب المعينين اذ لو كان
شيء من ذلك لنقل كما قدمناه ولم يخف جملة ولا حجة لهم في ان عيسى عليه السلام
آخر الانبياء فلزمت شريعته من جاء بعدها اذ لم يثبت عموم دعوة عيسى
بل الصحيح انه لم يكن لنبي دعوة عامة الا لنبينا صلى الله عليه وسلم ولا حجة ايضا
للآخر في قوله تعالى ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وللآخرين في قوله شرع لكم من الدين
ما وصى به نوحا فمحمل هذه الآية على اتباعهم في التوحيد كقوله اولئك الذين هدى الله
فبهداهم اقتده وقد سمى الله تعالى فيهم من لم يبعث ولم تكن له شريعة تخصه
كيوسف بن يعقوب على قول من يقول انه ليس برسول وقد سمى الله
تعالى جماعة منهم في هذه الآية شرائعهم مختلفة لا يمكن الجمع بينها فدل ان المراد
ما اجتمعوا عليه من التوحيد وعبادة الله تعالى وبعد هذا فهل يلزم من قال
بمنع الاتباع هذا القول في سائر الانبياء غير نبينا عليهم السلام او يخالفون
بينهم اما من منع الاتباع عقلا فيطرد اصله في كل رسول بلا مرية واما من مال
الى النقل فاينما تصور له وتقرر اتبعه ومن قال بالوقف فعلى اصله ومن قال
بوجوب الاتباع لمن قبله يلتزمه بمساق حجته في كل نبي **فصل هذا حكم**
ما يكون المخالفة فيه من الاعمال عن قصد وهو ما يسمى معصية ويدخل
تحت التكليف واما ما يكون بغير قصد وتعمد كالسهو والنسيان في الوظائف الشرعية
مما تقرر الشرع بعدم تعلق الخطاب به وترك المؤاخذة عليه فاحوال الانبياء

عليهم صلوات الله في ترك المواخذة به وكونه ليس بمعصية لهم مع اجمعهم
سواء ثم ذلك على نوعين ما طريقه البلاغ وتقرير الشرع وتعلق الاحكام
وتعليم الامة بالفعل واخذهم باتباعه فيه وما هو خارج عن هذا مما يختص بنفسه
اما الاول فحكمه عند جماعة من العلماء حكم السهو في القول في هذا الباب وقد ذكرنا
الاتفاق على امتناع ذلك في حق النبي عليه السلام وعصمته من جوازه عليه
قصدا او سهوا فكذلك قالوا الافعال في هذا الباب لا يجوز طرو المخالفة
فيها لا عمدا ولا سهوا لانها بمعنى القول من جهة التبليغ والاداء وطرو هذه
العوارض عليها يوجب التشكيك وتسبب المطاعن واعتذروا عن احاديث
السهو بتوجيهات نذكرها بعد هذا والى هذا مال ابو اسحق وذهب الاكثر من الفقهاء
والمتكلمين الى ان المخالفة في الافعال البلاغية والاحكام الشرعية سهوا
وعن غير قصد منه جائز عليه كما تقرر من احاديث السهو في الصلاة
وفرقوا بين ذلك وبين الاقوال البلاغية لقيام المعجزة على الصدق في القول
ومخالفة ذلك تناقضها واما السهو في الافعال فغير مناقض لها ولا قادح في
في النبوة بل غلطات الفعل وغفلات القلب من سمات البشر كما قال عليه
السلام انما انا بشر انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني نعم بل حالة النسيان
والسهو هنا في حقه عليه السلام سبب افادة علم وتقرير شرع كما قال عليه السلام
اني لا انسى او انسى لاسن بل قد روي لست انسى ولكن انسى لاسن وهذه الحالة
زيادة له في التبليغ وتمام عليه في النعمة بعيدة عن سمات النقص واغراض
الطعن فان القائلين بتجويز ذلك يشترطون ان الرسل لا تقر على السهو
والغلط بل ينبهون عليه ويعرفون حكمه بالفور على قول بعضهم وهو الصحيح
وقبل انقراضهم على قول الآخرين واما ما ليس طريقه البلاغ ولا بيان الاحكام
من افعاله عليه السلام وما يختص به من امور دينه واذكار قلبه مما لم يفعله ليتبع
فيه فالاكثر من طبقات علماء الامة على جواز السهو والغلط عليه فيها ولحوق
الفترات والغفلات بقلبه وذلك بما كلفه من مقاساة الخلق وسياسات الامة ومعاناة
الاهل وملاحظة الاعداء ولكن ليس على سبيل الندور كما قال عليه السلام انه

على سبيل التكرار ولا الاتصال بل

انه ليغان على قلبي فاستغفر الله وليس في هذا شيء يحط من رتبته ويناقض
معجزته وذهبت طائفة الى منع السهو والنسيان والغفلات والفترات في حقه
عليه السلام جملة وهو مذهب جماعة المتصوفة واصحاب علم القلوب والمقامات
ولهم في هذه الاحاديث مذاهب نذكرها ان شاء الله تعالى **فصل**
في الكلام على الاحاديث المذكور فيها السهو منه عليه السلام قد قدمنا في الفصول
قبل هذا ما يجوز فيه عليه السهو عليه السلام وما يمتنع واحلناه في الاخبار جملة وفي الاقوال
الدينية قطعا واجزنا وقوعه في الافعال الدينية على الوجه الذي رتبناه واشرنا
الى ما ورد في ذلك ونحن نبسط القول فيه الصحيح من الاحاديث الواردة في سهوه عليه السلام
في الصلاة ثلاثة احاديث اولها حديث ذي اليدين في السلام من اثنتين
والثاني حديث ابن بحينة في القيام من اثنتين الثالث حديث ابن مسعود
ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر خمسا وهذه الاحاديث مبنية على السهو
في الفعل الذي قررناه وحكمة الله فيه ليستن به اذ البلاغ بالفعل اجلى منه بالقول
وارفع للاحتمال وشرطه انه لا يقر على هذا السهو بل يشعر به ليرتفع الالتباس وتظهر فائدة
الحكمة فيه كما قدمناه وان النسيان والسهو في الفعل في حقه عليه السلام غير مضاد
للمعجزة ولا قادح في التصديق وقد قال عليه السلام انما انا بشر انسى كما تنسون
فاذا نسيت فذكروني وقال رحم الله فلانا لقد اذكرني كذا وكذا آية كنت اسقطتهن
ويروى انسيتهن وقال عليه السلام اني لانسى او انسى لاسن وقيل هذا اللفظ
شك من الراوي وقد روي اني لا انسى ولكن انسى لاسن وذهب ابن نافع
وعيسى بن دينار انه ليس بشك وان معناه التقسيم اي انسى انا او ينسيني
الله **قال القاضي** ابو الوليد الباجي يحتمل ما قالاه ان يريد اني انسى في اليقظة و
انسى في النوم او انسى على سبيل عادة البشر من الذهول عن الشيء او انسى
مع اقبالي عليه وتفرغي له فاضاف احد النسيانين الى نفسه اذ كان له بعض
السبب فيه ونفى الآخر عن نفسه اذ هو فيه كالمضطر وذهبت طائفة من اصحاب
المعاني والكلام على الحديث الى ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يسهو في الصلاة
ولا ينسى لان النسيان ذهول وغفلة وآفة **قال** والنبي صلى الله عليه وسلم منزه عنها

والسهو يشغل فكان عليه السلام يسهو في صلاته ويشغله عن حركات الصلاة ما في الصلاة
شغلا بها لا غفلة عنها واحتج بقوله في الرواية الاخرى اني لا انسى وذهبت طائفة
الى منع هذا كله عنه وقالوا ان سهوه عليه السلام كان عمدا وقصد ليسن وهذا قول
مرغوب عنه متناقض المقاصد لا يحلى منه بطائل لانه كيف يكون متعمدا في حال
ولا حجة لهم في قولهم انه امر بتعمد صورة النسيان ليسن لقوله اني لانسى او انسى وقد
اثبت احد الوصفين ونفى مناقضة التعمد والقصد وقال انما انا بشر مثلكم انسى
كما تنسون وقد مال الى هذا عظيم من المحققين من ائمتنا وهو ابو المظفر الاسفرائني
ولم يرتضه غيره منهم ولا ارتضيه ولا حجة لهاتين الطائفتين في قوله اني لا انسى ولكن
انسى اذ ليس فيه نفي حكم النسيان بالجملة وانما فيه نفي لفظه وكراهة لقبه كقوله عليه
الصلاة والسلام بئس لاحدكم ان يقول نسيت آية كذا ولكنه نسي او نفى الغفلة
وقلة الاهتمام بامر الصلاة عن قلبه لكن شغل بها عنها ونسي بعضها ببعضها كما ترك
يوم الخندق حتى خرج وقتها وشغل بالتحرز من العدو عنها فشغل بطاعة عن طاعة
وقيل ان الذي ترك يوم الخندق اربع صلوات الظهر والعصر والمغرب والعشاء
وبه احتج من ذهب الى جواز تاخير الصلوة في الخوف اذا لم يتمكن من ادائها الى وقت
الامن وهو مذهب الشاميين والصحيح ان حكم صلوة الخوف كان بعد هذا فهو ناسخ له
فان قلت فما تقول في نومه صلى الله عليه وسلم عن الصلاة يوم الوادي وقد قال
ان عيني تنامان ولا ينام قلبي فاعلم ان للعلماء عن ذلك اجوبة منها ان المراد بان
هذا حكم قلبه عند نومه وعينيه في غالب الاوقات وقد يندر منه غير ذلك كما يندر من غيره
خلاف عادته ويصحح هذا التأويل قوله عليه السلام في الحديث نفسه ان الله قبض
ارواحنا وقول بلال فيه ما القيت علي نومة مثلها قط ولكن مثل هذا انما يكون لامر
يريده الله من اثبات حكم وتاسيس سنة واظهار شرع وكما قال في الحديث الآخر
لو شاء الله لايقظنا ولكن اراد ان يكون لمن بعدكم الثاني ان قلبه لا يستغرقه النوم
حتى يكون منه الحدث فيه لما روي انه كان محروسا وانه كان ينام حتى ينفخ وحتى يسمع
غطيطه ثم يصلي ولا يتوضأ وحديث ابن عباس المذكور فيه وضوءه عند قيامه من النوم
فيه نومه مع اهله فلا يمكن الاحتجاج به على وضوئه بمجرد النوم اذ لعل ذلك لملامسة الاهل

نساها

الاهل او لحدث آخر كيف وفي آخر الحديث نفسه ثم نام حتى سمعت غطيطه ثم
اقيمت الصلوة فصلى ولم يتوضأ وقيل لا ينام قلبه من اجل انه يوحى اليه في النوم
وليس في قصة الوادي الا نوم عينيه عن رؤية الشمس وليس هذا من فعل
القلب وقد قال عليه السلام ان الله قبض ارواحنا ولو شاء لردها الينا
في حين غير هذا فان قيل فلولا عادته من استغراق النوم لما قال لبلال اكلأ لنا
الصبح فقيل في الجواب انه كان من شانه عليه السلام التغليس بالصبح ومراعاة
اول الفجر لا تصح ممن نامت عينه اذ هو ظاهر يدرك بالجوارح الظاهرة فوكل بلالا
بمراعاة اوله ليعلمه بذلك كما لو شغل بشغل غير النوم عن مراعاته فان قيل فما معنى
نهيه عليه السلام عن القول نسيت وقد قال عليه السلام اني لانسى كما تنسون
فاذا نسيت فذكروني وقال لقد اذكرني كذا وكذا آية كنت انسيتها فاعلم
اكرمك الله لا تعارض في هذه الالفاظ اما نهيه عن ان يقال نسيت آية كذا
فمحمول على ما نسخ نقله من القرآن اي ان الغفلة في هذا لم تكن منه ولكن الله اضطره
اليها ليمحو ما يشاء ويثبت وما كان من سهو او غفلة من قبله تذكرها صلح ان يقال
فيه انسى وقد قيل ان هذا منه صلى الله عليه وسلم على طريق الاستحباب ان يضيف
الفعل الى خالقه والآخر على طريق الجواز لاكتساب العبد فيه واسقاطه عليه السلام
لما اسقط من هذه الآيات جائز عليه بعد بلاغ ما امر ببلاغه وتوصيله الى عباده ثم يستذكرها
من امته او من قبل نفسه الا ما قضى الله نسخه ومحوه من القلوب وترك استذكاره
وقد يجوز ان ينسى منه قبل البلاغ ما لا يغير نظما ولا يخلط حكما مما لا يدخل خللا في الخبر
ثم يذكره اياه ويستحيل دوام نسيانه له لحفظ الله تعالى كتابه وتكليفه بلاغه

فصل في الرد على من اجاز عليهم الصغائر والكلام على ما احتجوا به في ذلك

اعلم ان المجوزين للصغائر على الانبياء عليهم السلام من الفقهاء والمحدثين
ومن شايعهم على ذلك تظاهر كثيرة من القرآن والحديث ان التزموا ظواهرها
افضت بهم الى تجويز الكبائر وخرق الاجماع وما لا يقول به مسلم فكيف وكل ما احتجوا
به مما اختلف المفسرون في معناه وتقابلت الاحتمالات في مقتضاه وجاءت
اقاويل فيها للسلف بخلاف ما التزموه من ذلك فاذا لم يكن مذهبهم اجماعا

نسخه
ان ينسى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ما هو
سبيله كرة ويجوز صح

وكان الخلاف فيما احتجوا به قد بما قامت الدلالة على خطأ قولهم وصحة غيره وجب تركه
والمصير الى ما صح وها نحن نأخذ في النظر فيها ان شاء الله فمن ذلك قوله تعالى
لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وقوله تعالى
واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات وقوله تعالى ووضعنا عنك وزرك الذي
انقض ظهرك وقوله تعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم وقوله تعالى لولا كتاب
من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم وقوله تعالى عبس وتولى ان جاءه
الاعمى الآية وما قص من قصص غيره من الانبياء كقوله تعالى وعصى آدم ربه
فغوى وقوله تعالى فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء الآية وقوله تعالى عنه ربنا
ظلمنا انفسنا الآية وقوله تعالى عن يونس سبحانك اني كنت من الظالمين وما
ذكر تعالى من قصة وقصة داود وقوله وظن داود انما فتناه فاستغفر ربه وخر
راكعا واناب الى قوله مآب وقوله تعالى ولقد همت به وهم بها وما قص من قصته
مع اخوته وقوله تعالى عن موسى فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان
وقول النبي صلى الله عليه وسلم في دعائه اللهم اغفر لي ما قدمت واخرت واسررت
واعلنت ونحوه من دعائه عليه السلام وذكر الانبياء عليهم الصلاة والسلام
في الموقف ذنوبهم في حديث الشفاعة وقوله عليه السلام انه ليغان على قلبي فاستغفر الله
وفي حديث ابي هريرة اني لاستغفر الله واتوب اليه في اليوم اكثر من سبعين مرة
وقوله تعالى عن نوح والا تغفر لي الآية وقد كان قال الله تعالى له ولا تخاطبني في الذين
ظلموا انهم مغرقون وقال عن ابرهيم والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين وقوله
تعالى عن موسى تبت اليك وقوله تعالى ولقد فتنا سليمان الى ما اشبه هذه الظواهر
واما احتجاجهم بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فهذا قد اختلف فيه
المفسرون فقيل المراد ما كان قبل النبوة وما بعدها وقيل المراد ما وقع لك من ذنب
وما لم يقع اعلمه انه مغفور له وقيل ما كان قبل النبوة والمتأخر عصمتك بعدها حكاه
احمد بن نصر وقيل المراد بذلك امته عليه السلام وقيل المراد ما كان عن سهو وغفلة
وتأويل حكاه الطبري واختاره القشيري وقيل ما تقدم لابيك وما تأخر من ذنوب
امتك حكاه السمرقندي والسلمي عن ابن عطاء وبمثله والذي قبله يتأول قوله

قوله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات قال مكي مخاطبة النبي صلى الله
عليه وسلم ههنا هي مخاطبة لامته وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم لما امر ان يقول
وما ادري ما يفعل بي ولا بكم سر بذلك الكفار فانزل الله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم
من ذنبك وما تأخر الآية وبمآل المؤمنين في الآية الاخرى بعدها قاله ابن عباس
فمقصد الآية انك مغفور لك غير مؤاخذ بذنب ان لو كان قال بعضهم المغفرة
ههنا تبرئة من العيوب واما قوله تعالى ووضعنا عنك وزرك الذي انقض
ظهرك فقيل ما سلف من ذنبك قبل النبوة وهو قول ابن زيد والحسن
ومعنى قول قتادة وقيل معناه انه حفظ قبل نبوته منها وعصم ولولا ذلك لاثقلت
ظهره حكاه السمرقندي وقيل المراد بذلك ما اثقل ظهره من اعباء الرسالة حتى بلغها
حكاه الماوردي والسلمي وقيل حططنا عنك ثقل ايام الجاهلية حكاه مكي
وقيل ثقل شغل سرك وحيرتك وشريعتك حتى شرعنا ذلك لك حكى معناه
القشيري وقيل معناه خففنا عليك ما حملت بحفظك لما استحفظت وحفظ
عليك ومعنى انقض اي كاد ان ينقضه فيكون المعنى على من جعل ذلك لما قبل النبوة
اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بامور فعلها قبل نبوته وحرمت عليه بعد النبوة
فعدها اوزارا وثقلت عليه واشفق منها او يكون الوضع عصمة الله له
وكفايته من ذنوب لو كانت لانقضت ظهره او يكون من ثقل الرسالة
او ما ثقل عليه وشغل قلبه من امور الجاهلية واعلام الله تعالى بحفظ ما استحفظه
من وحيه واما قوله عز وجل عفا الله عنك لم اذنت لهم فامر لم يتقدم للنبي
صلى الله عليه وسلم فيه من الله تعالى نهي فيعد معصية بل لم يعده اهل العلم
معاتبة وغلطوا من ذهب الى ذلك قال نفطويه وقد حاشاه الله من ذلك
بل كان مخيرا في امرين قالوا وقد كان له ان يفعل ما شاء فيما لم ينزل عليه فيه
وحي فكيف وقد قال الله تعالى فأذن لمن شئت منهم فلما اذن لهم اعلمه الله
بما لم يطلع عليه من سرهم انه لو لم يأذن لهم لقعدوا وانه لا حرج عليه فيما فعل
وليس عفا ههنا بمعنى غفر بل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم عفا الله لكم عن
صدقة الخيل والرقيق ولم تجب عليهم قط اي لم يلزمكم ذلك ونحوه

وطلب نسخة

ولا عده الله تعالى عليه معصية صح

قشيري قال وانما يقول العفو لا يكون الا عن ذنب من لم يعرف كلام العرب
قال ومعنى عفا الله عنك اي لم يلزمك ذنبا قال الداودي روي انها تكرمة
قال مكي هو استفتاح كلام مثل اصلحك الله واعزك الله وحكى السمرقندي
ان معناه عافاك الله واما قوله في اسارى بدر ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى
يثخن في الارض الآيتين فليس فيه دليل الزام ذنب للنبي صلى الله عليه وسلم
بل فيه بيان ما خص به وفضل من بين سائر الانبياء فكأنه قال ما كان هذا لنبي
غيرك كما قال عليه السلام احلت لي الغنائم ولم تحل لنبي قبلي فان قيل فما معنى
قوله تريدون عرض الدنيا الآية قيل المعنى بالخطاب لمن اراد ذلك منهم وتجرد
غرضه لعرض الدنيا وحده والاستكثار منها وليس المراد بهذا النبي عليه
السلام ولا علية اصحابه بل قد روي عن الضحاك انها نزلت حين انهزم
المشركون يوم بدر واشتغل الناس بالسلب وجمع الغنائم عن القتال
حتى خشي عمر رضي الله عنه ان يعطف عليهم العدو ثم قال تعالى لولا كتاب من الله
سبق لمسكم فيما اخذتم واختلف المفسرون في معنى هذه الآية فقيل معناها
انه سبق مني ان لا اعذب احدا الا بعد النهي لعذبتكم فهذا ينفي ان يكون امر الاسرى
معصية وقيل المعنى لولا ايمانكم بالقرآن وهو الكتاب السابق فاستوجبتم به الصفح
لعوقبتم على الغنائم ويزاد هذا القول تفسيرا وبيانا بان يقال لولا ما كنتم مؤمنين
بالقرآن وكنتم ممن احلت لهم الغنائم لعوقبتم كما عوقب من تعدى وقيل لولا
انه سبق في اللوح المحفوظ انها حلال لكم لعوقبتم فهذا كله ينفي الذنب والمعصية
لان من فعل ما احل له لم يعص قال الله تعالى فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا وقيل
بل كان عليه السلام قد خير في ذلك وقد روي عن علي رضي الله عنه قال جاء
جبريل الى النبي صلى الله عليهما وسلم يوم بدر فقال خير اصحابك في الاسارى
ان شاءوا القتل وان شاءوا الفداء على ان يقتل منهم عام المقبل مثلهم
فقالوا الفداء ويقتل منا وهذا دليل على صحة ما قلناه وانهم لم يفعلوا الا ما اذن
لهم فيه لكن بعضهم مال الى اضعف الوجهين مما كان الاصلح غيره من الاثخان
والقتل فعوتبوا على ذلك وبين لهم ضعف اختيارهم وتصويب اختيار

اختيار غيرهم وكلهم غير عصاة ولا مذنبين والى نحو هذا اشار الطبري وقوله
عليه السلام في هذه القضية لو نزل من السماء عذاب ما نجا منه الا عمر اشارة
الى هذا من تصويب رأيه ورأي من اخذ بمأخذه في اعزاز الدين واظهار
كلمته وابادة عدوه وان هذه القضية لو استوجبت عذابا نجا منه عمر ومثله و
وعين عمر لانه اول من اشار بقتلهم ولكن الله لم يقدر عليهم في ذلك عذابا
لحله لهم فيما سبق وقال الداودي والخبر بهذا لا يثبت ولو ثبت لما جاز ان
نظن ان النبي صلى الله عليه وسلم حكم بما لا نص فيه ولا دليل من نص ولا جعل
الامر اليه فيه وقد نزهه الله تعالى عن ذلك وقال القاضي ابو بكر بن العلاء اخبر الله
نبيه عليه الصلوة والسلام في هذه الآية ان تأويله وافق ما كتبه له من احلال
الغنائم والفداء وقد كان قبل هذا فادوا في سرية عبد الله بن جحش التي
قتل فيها ابن الحضرمي بالحكم بن كيسان وصاحبه فما عتب الله ذلك عليهم
وذلك قبل بدر بازيد من عام فهذا كله يدل على ان فعل النبي صلى الله عليه
وسلم في شأن الاسرى كان على تأويل وبصيرة وعلى ما تقدم قبل مثله
فلم ينكره الله عليهم لكن الله تعالى اراد لعظم امر بدر وكثرة اسراها والله تعالى
اعلم اظهار نعمته وتأكيد منته بتعريفهم ما كتبه في اللوح المحفوظ من حل ذلك لهم
لا على وجه عتاب وانكار وتذنيب هذا معنى كلامه واما قوله عبس وتولى
الآيات فليس فيه اثبات ذنب له عليه السلام بل اعلام الله ان ذلك
المتصدي له ممن لا يتزكى وان الصواب والاولى كان لو كشف لك حال
الرجلين الاقبال على الاعمى وفعل النبي صلى الله عليه وسلم لما فعل وتصديه
لذلك الكافر كان طاعة لله تعالى وتبليغا عنه واستيلافا له كما شرعه الله
له لا معصية ومخالفة له وما قصه الله عليه من ذلك اعلام بحال الرجلين وتوهين
امر الكافر عنده والاشارة الى الاعراض عنه بقوله وما عليك الا يزكى وقيل اراد بعبس
وتولى الكافر الذي كان مع النبي صلى الله عليه وسلم قاله ابو تمام واما قصة آدم
عليه السلام وقوله تعالى فاكلا منها بعد قوله ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين
وقوله تعالى الم انهكما عن تلكما الشجرة وتصريحه عليه بالمعصية بقوله وعصى آدم

الوقت صح

ربه فغوى اي جهل وقيل اخطأ فان الله تعالى قد اخبر بعذره بقوله ولقد عهدنا
الى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما **قال** ابن زيد نسي عداوة ابليس وما عهد الله
اليه من ذلك بقوله ان هذا عدو لك ولزوجك الآية وقيل نسي ذلك بما اظهر
لهما وقال ابن عباس انما سمي الانسان انسانا لانه عهد اليه فنسي وقيل لم يقصد المخالفة
استحلالا لها ولكنهما اغترا بحلف ابليس لهما اني لكما لمن الناصحين وتوهما ان احدا
لا يحلف بالله حانثا وقد روي عذر آدم بمثل هذا في بعض الآثار وقال ابن جبير حلف
بالله لهما حتى غرهما والمؤمن يخدع وقد قيل نسي ولم ينو المخالفة فلذلك قال ولم نجد له
عزما اي قصدا للمخالفة واكثر المفسرين على ان العزم هنا الحزم والصبر وقيل كان عند
اكله سكران وهذا فيه ضعف لان الله وصف خمر الجنة انها لا تسكر فاذا كان ناسيا
لم تكن معصية وكذلك كان ملبسا غلطا عليه اذ الاتفاق على خروج الناسي والساهي
عن حكم التكليف وقال الشيخ ابو بكر بن فورك وغيره انه يمكن ان يكون ذلك قبل
النبوة ودليل ذلك قوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى
فذكر ان الاجتباء والهداية كانا بعد العصيان وقيل بل اكلها متأولا وهو لا يعلم انها
الشجرة التي نهي عنها لانه تأول نهي الله عن شجرة مخصوصة لا على الجنس ولهذا قيل
انما كانت التوبة من ترك التحفظ لا من المخالفة وقيل تأول ان الله لم ينهه عنها
نهي تحريم فان قيل فعلى كل حال فقد قال الله تعالى وعصى آدم وقال تعالى
فتاب عليه وقوله في حديث الشفاعة ويذكر ذنبه واني نهيت عن اكل الشجرة
فعصيت فسيأتي الجواب عنه وعن اشباهه مجملا آخر الفصل ان شاء الله
واما قصة يونس فقد مضى الكلام على بعضها آنفا وليس في قصة يونس نص
على ذنب وانما فيه ابق وذهب مغاضبا وقد تكلمنا عليه وقيل انما نقم الله عليه
خروجه عن قومه فارا من العذاب وقيل بل لما وعدهم العذاب ثم عفا الله عنهم
قال والله لا القاهم بوجه كذاب ابدا وقيل بل كانوا يقتلون من كذب فخاف
ذلك وقيل ضعف عن حمل اعباء الرسالة وقد تقدم الكلام انه لم يكذبهم وهذا كله
ليس فيه نص على معصية الا على قول مرغوب عنه وقوله اذ ابق الى الفلك المشحون
قال المفسرون تباعد واما قوله اني كنت من الظالمين فالظلم وضع الشيء في غير

في غير موضعه فهذا اعتراف منه عند بعضهم بذنبه فاما ان يكون لخروجه عن قومه بغير
اذن ربه او لضعفه عما حمله او لدعائه بالعذاب على قومه وقد دعا نوح بهلاك قومه فلم يؤاخذ
وقال الواسطي في معناه نزه ربه عن الظلم واضاف الظلم الى نفسه اعترافا واستحقاقا
ومثل هذا قول آدم وحواء ربنا ظلمنا انفسنا اذ كانا السبب في وضعهما غير الموضع الذي
انزلا فيه واخراجهما من الجنة وانزالهما الى الارض **واما قصة** داود عليه السلام فلا يجب
ان يلتفت الى ما سطره فيها الاخباريون عن اهل الكتاب الذين بدلوا وغيروا
ونقله بعض المفسرين ولم ينص الله على شيء من ذلك ولا ورد في حديث صحيح
والذي نص الله عليه قوله وظن داود انما فتناه الى قوله وحسن مآب وقوله فيه اواب
فمعنى فتناه اي اختبرناه واواب قال قتادة مطيع وهذا التفسير اولى قال ابن عباس
وابن مسعود ما زاد داود على ان قال للرجل انزل لي عن امرأتك واكفلنيها فعاتبه الله
على ذلك ونبهه عليه وانكر عليه شغله بالدنيا وهذا الذي ينبغي ان يعول عليه من امره
وقيل خطبها على خطبته وقيل بل احب بقلبه ان يستشهد وحكى السمرقندي ان ذنبه
الذي استغفر منه قوله لاحد الخصمين لقد ظلمك فظلمه بقول خصمه والى نفي ما اضيف
في الاخبار الى داود من ذلك ذهب احمد بن نصر وابو تمام وغيرهما من المحققين قال
الداودي ليس في قصة داود واوريا خبر يثبت ولا يظن بنبي محبة قتل مسلم
وقيل ان الخصمين اللذين اختصما اليه رجلان في نتاج غنم على ظاهر الآية **واما قصة**
يوسف عليه السلام واخوته فليس على يوسف منها تعقب واما اخوته فلم تثبت
نبوتهم فيلزم الكلام على افعالهم وذكر الاسباط وعدهم في القرآن عند ذكر الانبياء
قال المفسرون يريد من نبي من ابناء الاسباط وقد قيل انهم كانوا حين فعلوا بيوسف
ما فعلوه صغار الاسنان ولهذا لم يميزوا يوسف حين اجتمعوا به ولهذا قالوا
ارسله معنا غدا يرتع ويلعب وان ثبتت لهم نبوة فبعد هذا والله اعلم
واما قول الله تعالى ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه فعلى مذهب
كثير من الفقهاء والمحدثين ان هم النفس لا يؤاخذ به وليست سيئة لقوله عليه
السلام عن ربه اذا هم عبدي بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة فلا معصية في همه
اذا واما على مذهب المحققين من الفقهاء والمتكلمين فان الهم اذا وطنت عليه النفس

سيئة واما ما لم توطن عليه النفس من همومها وخواطرها فهو المعفو عنه وهذا
هو الحق فيكون ان شاء الله هم يوسف من هذا ويكون قوله وما ابرئ نفسي
الآية اي ما ابرئها من هذا الهم او يكون ذلك منه على طريق التواضع والاعتراف
بمخالفة النفس لما زكي قبل وبرئ فكيف وقد حكى ابو حاتم عن ابي عبيدة
ان يوسف لم يهم وان الكلام فيه تقديم وتأخير اي ولقد همت به ولولا
ان رأى برهان ربه لهم بها وقد قال الله تبارك وتعالى كذلك لنصرف عنه
السوء والفحشاء وقال تعالى وغلقت الابواب وقالت هيت لك قال معاذ
الله انه ربي احسن مثواي الآية قيل في ربي الله وقيل الملك وقيل هم بها
اي بزجرها ووعظها وقيل هم بها اي غمها امتناعه عنها وقيل هم بها نظر اليها
وقيل هم بضربها ودفعها وقيل هذا كله كان قبل نبوته وقد ذكر بعضهم ما زال
النساء يملن الى يوسف عليه السلام ميل شهوة حتى نبأه الله فالقى عليه هيبة
النبوة فشغلت كل من رآه عن حسنه واما خبر موسى عليه السلام مع قتيله
الذي وكزه فقد نص الله تعالى انه من عدوه قال كان من القبط الذين على دين
فرعون ودليل السورة في هذا كله انه قبل نبوة موسى وقال قتادة وكزه موسى
بالعصا ولم يتعمد قتله فعلى هذا لا معصية له في ذلك وقوله هذا من عمل الشيطان
وقوله ظلمت نفسي فاغفر لي قال ابن جريج قال ذلك من اجل انه لا ينبغي لنبي ان
يقتل حتى يؤمر وقال النقاش لم يقتله عن عمد مريدا للقتل وانما وكزه وكزة يريد
بها دفع ظلمه قال وقد قيل ان هذا كان قبل النبوة وهو مقتضى التلاوة وقوله تعالى
في قصته وفتناك فتونا اي ابتليناك ابتلاء بعد ابتلاء قيل في هذه القصة وما جرى
له مع فرعون وقيل القاؤه في التابوت واليم وغير ذلك وقيل معناه اخلصناك
اخلاصا قاله ابن جبير ومجاهد من قولهم فتنت الفضة في النار اذا خلصتها واصل
الفتنة معنى الاختبار واظهار ما بطن الا انه استعمل في عرف الشرع في اختبار
ادى الى ما يكره وكذلك ما روي في الخبر الصحيح من ان ملك الموت جاءه فلطم عينه
ففقأها الحديث ليس فيه ما يحكم على موسى عليه السلام بالتعدي وفعل ما لا يجب له اذ هو
ظاهر الامر بين الوجه جائز الفعل لان موسى عليه السلام دافع عن نفسه من اتاه

هيبة صح

لاتلافها وقد تصور له في صورة آدمي ولا يمكن انه علم حينئذ انه ملك الموت فدافعه
عن نفسه مدافعة ادت الى ذهاب عين تلك الصورة التي تصور له فيها الملك
امتحانا من الله تعالى فلما جاءه بعد واعلمه الله انه رسوله اليه استسلم وللمتقدمين
والمتأخرين على هذا الحديث اجوبة هذا اسدها عندي وهو تأويل شيخنا الامام
ابي عبد الله المازري وقد تأوله قديما ابن عائشة وغيره على صكه ولطمه بالحجة
وفقئ عين حجته وهو كلام مستعمل في هذا الباب في اللغة معروف واما قصة
سليمان عليه السلام وما حكى فيها اهل التفسير من ذنبه وقوله ولقد فتنا سليمان
فمعناه ابتليناه وابتلاؤه ما حكي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لاطوفن
الليلة على مائة امرأة او تسع وتسعين كلهن يأتين بفارس يجاهد في سبيل الله
فقال له صاحبه قل ان شاء الله فلم يقل فلم تحمل منهن الا امرأة واحدة
جاءت بشق رجل قال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو قال
ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله قال اصحاب المعاني والشق هو الجسد
الذي القي على كرسيه حين عرض عليه وهي عقوبته ومحنته وقيل بل مات
فالقي على كرسيه ميتا وقيل ذنبه حرصه على ذلك وتمنيه وقيل لم يستثن
لما استغرقه من الحرص وغلب عليه من التمني وقيل عقوبته ان سلب ملكه وذنبه
ان احب بقلبه ان يكون الحق لاختانه على خصمهم وقيل اوخذ بذنب قارفه
بعض نسائه ولا يصح ما نقله الاخباريون من تشبه الشيطان به وتسلطه على ملكه وتصرفه
في امته بالجور في حكمه لان الشياطين لا يسلطون على مثل هذا وقد عصم الانبياء من مثله
وان سئل لم يقل سليمان في القصة المذكورة ان شاء الله فعنه اجوبة اسدها
ما روي في الحديث الصحيح انه نسي ان يقولها وذلك لينفذ مراد الله تعالى والثاني انه
لم يسمع صاحبه وشغل عنه وقوله عليه السلام هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي لم يفعل
هذا سليمان عليه السلام غيرة على الدنيا ولا نفاسة بها ولكن مقصده في ذلك على ما
ذكره المفسرون ان لا يسلط عليه احد كما سلط عليه الشيطان الذي سلبه اياه مدة
امتحانه على قول من قال ذلك وقيل بل اراد ان يكون له من الله فضيلة وخاصة يختص
بها كاختصاص غيره من انبياء الله ورسله بخواص منه وقيل ليكون ذلك دليلا

من خرافاتهم ما نقله

وحجة على نبوته كالآية الحديدية لداود واحياء الموتى لعيسى واختصاص محمد بالشفاعة
ونحو هذا وأما قصة نوح عليه السلام فظاهرة العذر وانه اخذ فيها بالتأويل وظاهر
اللفظ لقوله تعالى واهلك فطلب مقتضى هذا اللفظ واراد علم ما طوي عنه
من ذلك لا انه شك في وعد الله فبين الله عليه انه ليس من اهله الذين وعده
نجاتهم لكفره وعمله الذي هو غير صالح وقد اعلمه انه مغرق الذين ظلموا ونهاه
عن مخاطبته فيهم فأوخذ بهذا التأويل وعتب عليه واشفق هو من اقدامه على ربه
لسؤاله ما لم يؤذن له في السؤال فيه وكان نوح عليه السلام فيما حكاه النقاش لا يعلم
بكفر ابنه وقيل في الآية غير هذا وكل هذا لا يقضي على نوح بمعصية سوى ما ذكرناه
من تأويله واقدامه بالسؤال فيما لم يؤذن له فيه ولا نهي عنه وما روي في الصحيح
من ان نبيا قرصته نملة فحرق قرية النمل فاوحى الله اليه ان قرصتك نملة احرقت
أمة من الامم تسبح فليس في هذا الحديث ما يقتضي ان هذا الذي أتى معصية بل فعل
ما رآه مصلحة وصوابا بقتل من يؤذي جنسه ويمنع المنفعة بما اباح الله الا ترى
ان هذا النبي كان نازلا تحت الشجرة فلما آذته النملة تحول برحله عنها مخافة تكرار
الاذى عليه وليس فيما اوحى الله اليه ما يوجب معصية بل ندبه الى احتمال الصبر
وترك التشفي كما قال تعالى ولئن صبرتم لهو خير للصابرين اذ ظاهر فعله انما كان
لاجل انها آذته هو في خاصته فكان انتقاما لنفسه وقطع مضرة يتوقعها من بقية
النمل هناك ولم يأت في كل هذا امرا نهي عنه فيعصي به ولا نص فيما اوحى الله
اليه بذلك ولا بالتوبة والاستغفار منه والله اعلم فان قيل فما معنى قوله عليه السلام
ما من احد الا ألم بذنب او كاد الا يحيى بن زكريا او كما قال عليهما السلام فالجواب عنه
كما تقدم من ذنوب الانبياء التي وقعت عن غير قصد وعن سهو وغفلة **فصل**
فان قلت فاذا نفيت عنهم صلوات الله وسلامه عليهم الذنوب والمعاصي
بما ذكرته من اختلاف المفسرين وتأويل المحققين فما معنى قوله تعالى وعصى آدم
ربه فغوى وما تكرر في القرآن والحديث الصحيح من اعتراف الانبياء بذنوبهم وتوبتهم
واستغفارهم وبكائهم على ما سلف منهم واشفاقهم وهل يشفق ويتاب ويستغفر
من لا شيء **فاعلم** وفقنا الله واياك ان درجة الانبياء صلوات الله عليهم

في الرفعة والعلو والمعرفة بالله وسنته في عباده وعظم سلطانه وقوة بطشه
مما يحملهم على الخوف منه جل جلاله والاشفاق من المؤاخذة بما لا يؤاخذ به
غيرهم وانهم في تصرفهم بامور لم ينهوا عنها ولا امروا بها ثم اوخذوا عليها
وعوتبوا بسببها او حذروا من المؤاخذة بها واتوها على وجه التأويل او السهو
او تزيد من امور الدنيا المباحة خائفون وجلون وهي ذنوب بالاضافة
الى علي منصبهم ومعاص بالنسبة الى كمال طاعتهم لا انها كذنوب غيرهم
ومعاصيهم فان الذنب مأخوذ من الشيء الدني الرذل ومنه ذنب كل
شيء آخره واذناب الناس رذالهم فكأن هذه ادنى افعالهم واسوأ ما يجري
من افعالهم لتطهيرهم وتنزيههم وعمارة بواطنهم وظواهرهم بالعمل الصالح
والكلم الطيب والذكر الظاهر والخفي والخشية لله واعظامه في السر والعلانية
وغيرهم يتلوث من الكبائر والقبائح والفواحش ما تكون بالاضافة اليه هذه
الهنات في حقه كالحسنات كما قيل حسنات الابرار سيئات المقربين
اي يرونها بالاضافة الى علي احوالهم كالسيئات وكذلك العصيان الترك والمخالفة
فعلى مقتضى اللفظة كيف ما كانت من سهو او تأويل فهي مخالفة وترك
وقوله غوى اي جهل ان تلك الشجرة هي التي نهي عنها والغي الجهل وقيل اخطأ ما طلب
من الخلود اذ اكلها وخابت امنيته وهذا يوسف عليه السلام قد اوخذ بقوله
لاحد صاحبي السجن اذكرني عند ربك فانساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن
بضع سنين قيل انسي يوسف ذكر الله وقيل انسي صاحبه ان يذكره لسيده
الملك قال النبي صلى الله عليه وسلم لولا كلمة يوسف ما لبث في السجن ما لبث
قال ابن دينار لما قال ذلك يوسف قيل له اتخذت من دوني وكيلا
لاطيلن حبسك فقال يا رب انسى قلبي كثرة البلوى وقال بعضهم يؤاخذ
الانبياء بمثاقيل الذر لمكانتهم عنده ويجاوز عن سائر الخلق لقلة مبالاته
بهم في اضعاف ما اتوا به من سوء الادب وقد قال المحتج للفرقة الاولى
على سياق ما قلناه اذا كان الانبياء عليهم السلام يؤاخذون بهذا مما لا
يؤاخذ به غيرهم من السهو والنسيان وما ذكرته وحالهم ارفع فحالهم اذا في هذا

اسوة حالا من غيرهم فاعلم اكرمك الله انا لا نثبت لك المؤاخذة في هذا
على حد مؤاخذة غيرهم بل نقول انهم يؤاخذون بذلك في الدنيا ليكون ذلك
زيادة في درجاتهم ويبتلون بذلك ليكون استشعارهم له سببا لمنماة
رتبهم كما قال تعالى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى وقال لداود عليه السلام
فغفرنا له ذلك الآية وقال بعد قول موسى تبت اليك اني اصطفيتك على الناس
وقال بعد ذكر فتنة سليمان وانابته فسخرنا له الريح الى قوله وحسن مآب قال
بعض المتكلمين زلات الانبياء في الظاهر زلات وفي الحقيقة كرامات وزلف
واشار الى نحو ما قدمناه وايضا فلينبه غيرهم من البشر منهم او ممن ليس في درجتهم
بمؤاخذتهم بذلك فيستشعروا الحذر ويعتقدوا المحاسبة ليلتزموا الشكر
على النعم ويعدوا الصبر على المحن بملاحظة ما وقع باهل هذا النصاب الرفيع المعصوم
فكيف من سواهم ولهذا قال صالح المري ذكر داود عليه السلام بسطة للتوابين
قال ابن عطاء لم يكن ما نص الله تعالى من قصة صاحب الحوت نقصا له ولكن استزادة
من نبينا عليه الصلوة والسلام وايضا فيقال لهم فانكم ومن وافقكم تقولون
بغفران الصغائر باجتناب الكبائر ولا خلاف في عصمة الانبياء عليهم السلام
من الكبائر فما جوزتم من وقوع الصغائر عليهم هي مغفورة على هذا فما معنى المؤاخذة
بها اذا عندكم وخوف الانبياء وتوبتهم منها وهي مغفورة لو كانت فما اجابوا
به فهو جوابنا عن المؤاخذة بافعال السهو والتأويل وقد قيل ان كثرة استغفار
النبي صلى الله عليه وسلم وتوبته وغيره من الانبياء عليهم السلام على وجه
ملازمة الخضوع والعبودية والاعتراف بالتقصير شكرا لله تعالى على نعمه كما قال
عليه السلام وقد امن من المؤاخذة بما تقدم وما تأخر افلا اكون عبدا شكورا
وقال اني اخشاكم لله واعلمكم بما اتقي قال الحرث بن اسد خوف الملائكة
والانبياء عليهم السلام خوف اعظام وتعبد لله لانهم آمنون وقيل فعلوا
ذلك ليقتدي بهم وليستن بهم اممهم كما قال عليه السلام لو تعلمون ما اعلم لضحكتم
قليلا ولبكيتم كثيرا وايضا فان في التوبة والاستغفار معنى آخر لطيفا اشار
اليه بعض العلماء وهو استدعاء محبة الله تعالى قال الله تعالى ان الله يحب

يحب التوابين ويحب المتطهرين فاحداث الرسل والانبياء الاستغفار والتوبة
والانابة والاوبة في كل حين استدعاء لمحبة الله تعالى والاستغفار فيه معنى
التوبة وقد قال الله تعالى لنبيه عليه السلام بعد ان غفر له ما تقدم وما تأخر من ذنبه
لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الآية وقال تعالى فسبح بحمد ربك
واستغفره انه كان توابا **فصل** قد استبان لك ايها الناظر بما قررناه ما هو
الحق من عصمته عليه السلام عن الجهل بالله تعالى وصفاته او كونه على حالة تنافي
العلم بشيء من ذلك كله جملة بعد النبوة عقلا واجماعا وقبلها سمعا ونقلا
ولا بشيء مما قررناه من امور الشرع واداه عن ربه من الوحي قطعا عقلا وشرعا
وعصمته عن الكذب وخلف القول منذ نبأه الله وارسله قصدا وغير قصد
واستحالة ذلك عليه شرعا واجماعا ونظرا وبرهانا وتنزيهه عنه قبل النبوة قطعا
وتنزيهه عن الكبائر اجماعا وعن الصغائر تحقيقا وعن استدامة السهو والغفلة
واستمرار الغلط والنسيان عليه فيما شرعه للامة وعصمته في كل حالاته من رضى
وغضب وجد ومزح فيجب عليك ان تتلقاه باليمين وتشد عليه يد الضنين و
تقدر هذه الفصول حق قدرها وتعلم عظيم فائدتها وخطرها فان من يجهل ما يجب
للنبي عليه الصلوة والسلام او يجوز او يستحيل عليه ولا يعرف صور احكامه لا يأمن
ان يعتقد في بعضها خلاف ما هي عليه ولا ينزهه عما يجب ان يضاف اليه
فيهلك من حيث لا يدري ويسقط في هوة الدرك الاسفل من النار اذ ظن الباطل
به واعتقاد ما لا يجوز عليه يحل صاحبه دار البوار ولهذا ما احتاط عليه السلام
على الرجلين رأياه ليلا وهو معتكف في المسجد مع صفية فقال لهما انها صفية
ثم قال لهما ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم واني خشيت ان يقذف
في قلوبكما شيئا فتهلكا **قال القاضي** هذه اكرمك الله احدى فوائد ما تكلمنا عليه
في هذه الفصول ولعل جاهلا لا يعلم بجهله اذا سمع شيئا منها يرى ان الكلام فيها
جملة من فضول العلم وان السكوت اولى وقد استبان لك انه متعين للفائدة
التي ذكرناها وفائدة ثانية يضطر اليها في اصول الفقه ويبتني عليها مسائل
من الفقه لا تتعدد ويتخلص بها من تشغيب مختلفي الفقهاء في عدة منها وهي الحكم

في اقوال النبي صلى الله عليه وسلم وافعاله، وهو باب عظيم واصل كبير من اصول الفقه
ولا بد من بنائه على صدق النبي صلى الله عليه وسلم في اخباره وبلاغه وانه لا يجوز عليه
السهو فيه وعصمته من المخالفة في افعاله عمدا وبحسب اختلافهم في وقوع الصغائر وقع
خلاف في امتثال الفعل بسط بيانه في كتب ذلك العلم فلا نطول به وفائدة ثالثة
يحتاج اليها الحاكم والمفتي فيمن اضاف الى النبي صلى الله عليه وسلم شيئا من هذه
الامور ووصفه بها فمن لم يعرف ما يجوز وما يمتنع عليه وما وقع الاجماع فيه والخلاف
كيف تصمم في الفتيا في ذلك ومن اين يدري هل ما قاله فيه نقص او مدح فاما ان
يجترئ على سفك دم مسلم حرام او يسقط حقا ويضيع حرمة للنبي صلى الله عليه وسلم
وبسبيل هذا ما قد اختلف ارباب الاصول وائمة العلماء والمحققين في عصمة
الملائكة

فصل في القول في عصمة الملائكة

اجمع المسلمون ان الملائكة مؤمنون
فضلاء واتفق ائمة المسلمين ان حكم المرسلين منهم حكم النبيين سواء في العصمة
مما ذكرنا عصمتهم منه وانهم في حقوق الانبياء والتبليغ اليهم كالانبياء مع الامم
واختلفوا في غير المرسلين منهم فذهب طائفة الى عصمة جميعهم عن المعاصي
واحتجوا بقوله تعالى لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وبقوله وما منا
الا له مقام معلوم وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون وبقوله ومن عنده
لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون وبقوله
ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته الآية وقوله كرام بررة ولا يمسه
الا المطهرون ونحوه من السمعيات وذهب طائفة الى ان هذا خصوص للمرسلين
منهم والمقربين واحتجوا باشياء ذكرها اهل الاخبار والتفاسير نحن نذكرها
ان شاء الله تعالى بعد ونبين الوجه ان شاء الله فيها والصواب عصمة جميعهم وتنزيه
نصابهم الرفيع عن جميع ما يحط من رتبهم ومنزلتهم عن جليل مقدارهم ورأيت
بعض شيوخنا اشار ان لا حاجة بالفقيه الى الكلام في عصمتهم وانا اقول ان للكلام
في ذلك ما للكلام في عصمة الانبياء عليهم السلام من الفوائد التي ذكرناها سوى فائدة
الكلام في الاقوال والافعال فهي ساقطة ههنا فمما احتج به من لم يوجب عصمة جميعهم
قصة هاروت وماروت وما ذكر فيها اهل الاخبار ونقلة المفسرين وما روي عن

علي وابن عباس في خبرهما وابتلائهما فاعلم اكرمك الله ان هذه الاخبار
لم يرو منها شيء لا سقيم ولا صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس هو
شيئا يؤخذ بقياس والذي منه في القرآن اختلف المفسرون في معناه وانكر ما قال
بعضهم فيه كثير من السلف كما سنذكره وهذه الاخبار من كتب اليهود وافترائهم
كما نص الله تعالى اول الآيات من افترائهم بذلك على سليمان وتكفيرهم
اياه وقد انطوت القصة على شنع عظيمة وها نحن نخبر في ذلك ما يكشف غطاء
هذه الاشكالات ان شاء الله فاختلف اولا في هاروت وماروت هل هما ملكان
او انسان وهل هما المراد بالملكين ام لا وهل القراءة ملكين او ملكين وهل ما
في قوله تعالى وما انزل وما يعلمان من احد نافية او موجبة فاكثر المفسرين ان الله
امتحن الناس بالملكين لتعليم السحر وتبيينه وان عمله كفر فمن تعلمه كفر ومن تركه
آمن قال الله تعالى انما نحن فتنة فلا تكفر وتعليمهما الناس له تعليم انذار اي يقولان
لمن جاء يطلب تعلمه لا تفعلوا كذا فانه يفرق بين المرء وزوجه ولا تتحيلوا بكذا
فانه سحر فلا تكفروا فعلى هذا فعل الملكين طاعة وتصرفهما فيما امرا به ليس بمعصية
وهي لغيرهما فتنة وروى ابن وهب عن خالد بن ابي عمران انه ذكر عنده
هاروت وماروت وانهما يعلمان السحر فقال نحن ننزههما عن هذا فقرأ بعضهم وما
انزل على الملكين فقال خالد لم ينزل عليهما فهذا خالد على جلالته وعلمه نزههما
عن تعليم السحر الذي قد ذكر غيره انهما مأذون لهما في تعليمه بشريطة ان يبينا
انه كفر وانه امتحان من الله تعالى وابتلاء فكيف لا ينزههما عن كبائر المعاصي
والكفر المذكورة في تلك الاخبار وقول خالد لم ينزل يريد ان ما نافية وهو قول ابن
عباس رضي الله عنهما قال مكي وتقدير الكلام وما كفر سليمان يريد بالسحر الذي افتعلته
الشياطين واتبعتهم في ذلك اليهود وما انزل على الملكين قال مكي هما جبريل
وميكائيل عليهما السلام ادعى اليهود عليهما المجيء به كما ادعوا عليه على سليمان
فاكذبهم الله في ذلك ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت
وماروت وقيل هما رجلان تعلماه قال الحسن هاروت وماروت علجان من اهل
بابل وقرأ وما انزل على الملكين بكسر اللام وتكون ما ايجابا على هذا وكذلك قراءة

عبد الرحمن بن ابزى بكسر اللام ولكنه قال الملكان هنا داود وسليمان وتكون ما
نفيا على ما تقدم وقيل كانا ملكين من بني اسرائيل فمسخهما الله حكاه السمرقندي
والقراءة بكسر اللام شاذة فحمل الآية على تقدير ابي محمد مكي حسن ينزه
الملائكة ويذهب الرجس عنهم ويطهرهم تطهيرا وقد وصفهم الله بانهم
مطهرون وكرام بررة ولا يعصون الله ما امرهم ومما يذكرونه قصة ابليس
وانه كان من الملائكة ورئيسا فيهم ومن خزان الجنة الى آخر ما حكوه و
وانه استثناه من الملائكة بقوله فسجدوا الا ابليس وهذا ايضا لم يتفق عليه
بل الاكثر ينفون ذلك وانه ابو الجن كما آدم ابو الانس وهو قول الحسن
وقتادة وابن زيد وقال شهر بن حوشب كان من الجن الذين طردهم الملائكة
الى الارض حين افسدوا والاستثناء من غير الجنس شائع في كلام العرب
سائغ وقد قال الله تعالى ما لهم به من علم الا اتباع الظن ومما رووه من الاخبار
ان خلقا من الملائكة عصوا الله فحرقوا وامروا ان يسجدوا لآدم فابوا فحرقوا
ثم آخرون كذلك حتى سجد له من ذكره الله الا ابليس في اخبار لا اصل لها
تردها صحاح الاخبار فلا نشتغل بها

الباب الثالث فيما يخصهم من الامور الدنيوية ويطرأ عليهم من العوارض البشرية

قد قدمنا انه عليه السلام وسائر
الانبياء والرسل من البشر وان جسمه وظاهره خالص للبشر يجوز عليه من
الآفات والتغييرات والآلام والاسقام وتجرع كأس الحمام ما يجوز
على البشر وهذا كله ليس بنقيصة فيه لان الشيء انما يسمى ناقصا بالاضافة
الى ما هو اتم منه واكمل من نوعه وقد كتب الله على اهل هذه الدار فيها تحيون
وفيها تموتون ومنها تخرجون وخلق جميع البشر بمدرجة الغير فقد مرض صلى الله عليه وسلم
واشتكى واصابه الحر والقر وادركه الجوع والعطش ولحقه الغضب والضجر
وناله الاعياء والتعب ومسه الضعف والكبر وسقط فجحش شقه وشجه
الكفار وكسروا رباعيته وسقي السم وسحر وتداوى واحتجم وتنشر وتعوذ
ثم قضى نحبه وتوفي صلى الله عليه وسلم ولحق بالرفيق الاعلى وتخلص من دار
الامتحان والبلوى وهذه سمات البشر التي لا محيص عنها واصاب غيره

من الانبياء ما هو اعظم منه فقتلوا قتلا ورموا في النار ونشروا بالمناشير
ومنهم من وقاه الله ذلك في بعض الاوقات ومنهم من عصمه كما عصم بعد
نبينا عليه السلام من الناس فلئن لم يكف نبينا ربه تعالى يد ابن قميئة
يوم احد ولا حجبه عن عيون عداه عند دعوته اهل الطائف فلقد اخذ عن عيون
قريش عند خروجه الى ثور وامسك عنه سيف غورث وحجر ابي جهل
وفرس سراقة ولئن لم يقه من سحر ابن الاعصم فلقد وقاه ما هو اعظم من سم
اليهودية وهكذا سائر انبيائه مبتلى ومعافى وذلك من تمام حكمته ليظهر
شرفهم في هذه المقامات ويبين امرهم ويتم كلمته فيهم وليحقق بامتحانهم بشريتهم
ويرتفع الالتباس عن اهل الضعف فيهم لئلا يضلوا بما يظهر من العجائب
على ايديهم ضلال النصارى بعيسى ابن مريم وليكون في محنهم تسلية لاممهم
ووفور لاجورهم عند ربهم تماما على الذي احسن اليهم قال بعض المحققين
وهذه الطوارئ والتغييرات المذكورة انما تختص باجسامهم البشرية المقصود
بها مقاومة البشر ومعاناة بني آدم لمشاكلة الجنس واما بواطنهم فمنزهة
غالبا عن ذلك معصومة منه متعلقة بالملأ الاعلى والملائكة لاخذها عنهم وتلقيها
الوحي منهم قال وقد قال عليه السلام ان عيني تنامان ولا ينام قلبي وقال اني
لست كهيئتكم اني ابيت يطعمني ربي ويسقيني وقال لست انسى ولكن انسى
ليستن بي فاخبر ان سره وباطنه وروحه بخلاف جسمه وظاهره وان
الآفات التي تحل ظاهره من ضعف وجوع وسهر ونوم لا يحل منها شيء باطنه
بخلاف غيره من البشر في حكم الباطن لان غيره اذا نام استغرق النوم
جسمه وقلبه وهو عليه السلام في نومه حاضر القلب كما هو في يقظته حتى قد جاء
في بعض الآثار انه كان محروسا من الحدث في نومه لكون قلبه يقظان
كما ذكرناه وكذلك غيره اذا جاع ضعف لذلك جسمه وخارت قوته فبطلت
بالكلية جملته وهو عليه السلام قد اخبر انه لا يعتريه ذلك وانه بخلافهم لقوله
لست كهيئتكم اني ابيت يطعمني ربي ويسقيني وكذلك اقول انه في هذه
الاحوال كلها من وصب ومرض وسحر وغضب لم يجر على باطنه ما يخل به

ولا وضع منه على لسانه وجوارحه ما لا يليق به كما يعتري غيره من البشر مما نأخذ في بيانه

فصل فإن قلت فقد جاءت الأخبار الصحيحة أنه عليه السلام سحر

كما حدثنا الشيخ أبو محمد العتابي بقراءتي عليه قال حدثنا حاتم بن محمد حدثنا أبو الحسن
علي بن خلف حدثنا محمد بن أحمد حدثنا محمد بن يوسف حدثنا البخاري حدثنا عبيد
بن إسمعيل حدثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة
قالت سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أنه ليخيل إليه أنه فعل الشيء وما فعله
وفي رواية أخرى حتى كأنه يخيل إليه أنه كان يأتي النساء ولا يأتيهن
الحديث وإذا كان هذا من التباس الأمر على المسحور فكيف حال النبي صلى الله
عليه وسلم في ذلك وكيف جاز عليه وهو معصوم فاعلم وفقنا الله وإياك
أن هذا الحديث صحيح متفق عليه وقد طعنت فيه الملحدة وتذرعت به لسخف
عقولها وتلبيسها على أمثالها إلى التشكيك في الشرع وقد نزه الله تعالى
الشرع والنبي عليه السلام عما يدخل في أمره لبسا وإنما السحر مرض من الأمراض
وعارض من العلل يجوز عليه كأنواع الأمراض مما لا ينكر ولا يقدح
في نبوته وأما ما ورد من أنه كان يخيل إليه أنه فعل الشيء ولا يفعله فليس في هذا
ما يدخل عليه داخلة في شيء من تبليغه أو شريعته أو يقدح في صدقه لقيام الدليل
والإجماع على عصمته من هذا وإنما هذا فيما يجوز طروه عليه من أمر دنياه التي لم يبعث
بسببها ولا فضل من أجلها وهو فيها عرضة للآفات كسائر البشر فغير بعيد
أن يخيل إليه من أمورها ما لا حقيقة له ثم ينجلي عنه كما كان وأيضا فقد فسر هذا
الفصل الحديث الآخر من قوله حتى يخيل إليه أنه يأتي أهله ولا يأتيهن
وقال سفين وهذا أشد ما يكون من السحر ولم يأت في خبر منها أنه نقل عنه
في ذلك قول بخلاف ما كان أخبر أنه فعله ولم يفعله وإنما كانت خواطر
وتخيلات وقد قيل إن المراد بالحديث أنه كان يتخيل الشيء أنه فعله وما فعله
لكنه تخييل لا يعتقد صحته فتكون اعتقاداته كلها على السداد وأقواله على الصحة
هذا ما وقفت عليه لأئمتنا من الأجوبة عن هذا الحديث مع ما أوضحناه من معنى
كلامهم وزدناه بيانا من تلويحاتهم وكل وجه منها مقنع لكنه قد ظهر لي في هذا

في هذا الحديث تأويل أجلى وأبعد من مطاعن ذوي الأضاليل يستفاد
من نفس الحديث وهو أن عبد الرزاق قد روى هذا الحديث عن ابن المسيب
وعروة بن الزبير وقال فيه عنهما سحر يهود بني زريق رسول الله صلى الله عليه وسلم
فجعلوه في بئر حتى كاد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينكر بصره ثم دله الله على ما
صنعوا فاستخرجه من البئر وذكر عن عطاء الخراساني عن يحيى بن يعمر حبس رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن عائشة سنة فبينا هو نائم أتاه ملكان فقعد أحدهما عند
رأسه والآخر عند رجليه الحديث **قال** عبد الرزاق حبس رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن عائشة خاصة سنة حتى أنكر بصره وروى محمد بن سعد عن ابن عباس
رضي الله عنهما مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم فحبس عن النساء والطعام
والشراب فهبط عليه ملكان وذكر القصة فقد استبان لك من مضمون هذه الروايات
أن السحر إنما تسلط على ظاهره وجوارحه لا على قلبه واعتقاده وعقله وأنه إنما
أثر في بصره وحبسه عن وطء نسائه ويكون معنى قوله يخيل إليه أنه يأتي أهله ولا يأتيهن
أي يظهر له من نشاطه ومتقدم عادته القدرة على النساء فإذا دنى منهن أصابته
أخذة السحر فلم يقدر على إتيانهن كما يعتري من أخذ واعترض ولعله لمثل هذا أشار سفين
بقوله وهذا أشد ما يكون من السحر ويكون قول عائشة في الرواية الأخرى أنه ليخيل إليه
أنه فعل الشيء وما فعله من باب ما اختل من بصره كما ذكر في الحديث فيظن أنه رأى
شخصا من بعض أزواجه أو شاهد فعلا من غيره ولم يكن على ما يخيل إليه لما أصابه
في بصره وضعف نظره لا لشيء طرأ عليه في ميزه وإذا كان هذا لم يكن فيما ذكر من إصابة
السحر له وتأثيره فيه ما يدخل لبسا ولا يجد به الملحد المعترض أنسا

فصل هذه حاله في جسمه فأما أحواله في أمور الدنيا فنحن نسبرها على أسلوبها المتقدم بالعقد والقول والفعل

أما العقد منها فقد يعتقد في أمور الدنيا الشيء على وجه ويظهر خلافه
أو يكون منه على شك أو ظن بخلاف أمور الشرع كما حدثنا أبو بحر سفين بن العاصي وغير
واحد سماعا وقراءة قالوا حدثنا أبو العباس أحمد بن عمر حدثنا أبو العباس الرازي حدثنا
أبو أحمد بن عمرويه حدثنا ابن سفين حدثنا مسلم حدثنا عبد الله الرومي وعباس العنبري
وأحمد المعقري قالوا حدثنا النضر بن محمد قال حدثني عكرمة حدثنا أبو النجاشي حدثنا رافع

ابن خديج قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يأبرون النخل
فقال ما تصنعون قالوا كنا نصنعه قال لعلكم لو لم تفعلوا كان خيرا فتركوه فنقصت
فذكروا له ذلك فقال انما انا بشر اذا امرتكم بشيء من دينكم فخذوا به واذا امرتكم بشيء
من رأيي فانما انا بشر وفي رواية انس انتم اعلم بامر دنياكم وفي حديث آخر انما
ظننت ظنا فلا تؤاخذوني بالظن **وفي حديث** ابن عباس في قصة الخرص فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انا بشر فما حدثتكم عن الله فهو حق وما قلت
فيه من قبل نفسي فانما انا بشر اخطئ واصيب وهذا على ما قررناه فيما قاله من قبل
نفسه واجتهاده في شرع شرعه وسنة سنها وكما حكى ابن اسحق انه عليه السلام
لما نزل بادنى مياه بدر قال له الحباب بن المنذر أهذا منزل انزلكه الله ليس لنا ان نتقدمه
ام هو الرأي والحرب والمكيدة قال لا بل هو الرأي والحرب والمكيدة قال فانه ليس
بمنزل انهض حتى نأتي ادنى ماء من القوم فننزله ثم نغور ما وراءه من القلب فنشرب
ولا يشربون فقال اشرت بالرأي وفعل ما قاله وقد قال له الله وشاورهم في الامر
واراد مصالحة بعض عدوه على ثلث تمر المدينة فاستشار الانصار فلما اخبروه برأيهم
رجع عنه فمثل هذا واشباهه من امور الدنيا التي لا مدخل فيها لعلم ديانة ولا اعتقادها
ولا تعليمها يجوز عليه فيه ما ذكرناه اذ ليس في هذا كله نقيصة ولا محطة وانما هي امور
اعتيادية يعرفها من جربها وجعلها همه وشغل نفسه بها والنبي صلى الله عليه وسلم
مشحون القلب بمعرفة الربوبية ملآن الجوانح بعلوم الشريعة مقيد البال بمصالح
الامة الدينية والدنيوية ولكن هذا انما يكون في بعض الامور ويجوز في النادر
وفيما سبيله التدقيق في حراسة الدنيا واستثمارها لا في الكثير المؤذن بالبله والغفلة
وقد تواتر بالنقل عنه عليه السلام من المعرفة بامور الدنيا ودقائق مصالحها وسياسة
فرق اهلها ما هو معجز في البشر كما قد نبهنا عليه في باب معجزاته من هذا الكتاب

فصل واما ما يعتقده في امور احكام البشر الجارية على يديه وقضاياهم ومعرفة المحق من المبطل وعلم المصاب من المفسد فبهذه السبيل لقوله عليه السلام
انما انا بشر وانكم تختصمون الي ولعل بعضكم ان يكون الحن بحجته من بعض فاقضي له
على نحو مما اسمع فمن قضيت له من حق اخيه بشيء فلا يأخذ منه شيئا فانما اقطع له قطعة

قطعة من النار حدثنا الفقيه ابو الوليد رحمه الله حدثنا الحسين بن محمد الحافظ
حدثنا ابو عمر حدثنا ابو محمد حدثنا ابو بكر حدثنا ابو داود حدثنا محمد بن كثير حدثنا سفيان
عن هشام بن عروة عن ابيه عن زينب بنت ابي سلمة عن ام سلمة قالت
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث وفي رواية الزهري عن عروة
فلعل بعضكم ان يكون ابلغ من بعض فاحسب انه صادق فاقضي له وتجري احكامه
عليه السلام على الظاهر وموجب غلبات الظن بشهادة الشاهد ويمين الحالف
ومراعاة الاشبه ومعرفة العفاص والوكاء مع مقتضى حكمة الله في ذلك فانه تعالى
لو شاء لاطلعه على سرائر عباده ومخبآت ضمائر امته فتولى الحكم بينهم بمجرد يقينه
وعلمه دون حاجة الى اعتراف او بينة او يمين او شبهة ولكن لما امر الله امته
باتباعه والاقتداء به في افعاله واحواله وقضاياه وسيره وكان هذا لو كان
مما يختص بعلمه ويؤثره الله به لم يكن للامة سبيل الى الاقتداء به في شيء من ذلك ولا قامت
حجة بقضيته لاحد في شريعته لانا لا نعلم ما اطلع عليه هو في تلك القضية لحكمه هو اذا
في ذلك بالمكنون من اعلام الله له بما اطلعه عليه من سرائرهم وهذا ما لا تعلمه الامة فاجرى الله
تعالى احكامه على ظواهرهم التي يستوي في ذلك هو وغيره من البشر ليتم اقتداء امته
به في تعيين قضاياه وتنزيل احكامه ويأتون ما اتوا من ذلك على علم ويقين من سنته
اذ البيان بالفعل اوقع منه بالقول وارفع لاحتمال اللفظ وتأويل المتأول وكان
حكمه على الظاهر اجلى في البيان واوضح في وجوه الاحكام واكثر فائدة لموجبات
التشاجر والخصام وليقتدي بذلك كله حكام امته ويستوثق بما يؤثر عنه
وينضبط قانون شريعته وطي ذلك عنه من علم الغيب الذي استأثر به عالم الغيب
فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول فيعلمه بما شاء ويستأثر بما شاء ولا
ولا يقدح هذا في نبوته ولا يفصم عروة من عصمته

فصل واما اقواله الدنيوية من اخباره عن احواله واحوال غيره وما يفعله او فعله فقد قدمنا ان الخلف فيها ممتنع عليه
في كل حال وعلى اي وجه من عمد او سهو او صحة او مرض او رضى او غضب وانه معصوم
منه صلى الله عليه وسلم هذا فيما طريقه الخبر المحض مما يدخله الصدق والكذب فاما
المعاريض الموهم ظاهرها خلاف باطنها فجائز ورودها منه في الامور الدنيوية

لا سيما القصد المصلحي كتوريته عن وجه مغازيه لئلا يأخذ العدو حذره كما روي من ممازحته
ودعابته لبسط امته وتطييب قلوب المؤمنين من صحابته وتأكيدا في تحببهم
ومسرة نفوسهم كقوله لاحملنك على ابن الناقة وقوله للمرأة التي سألته عن زوجها
اهو الذي بعينه بياض وهذا كله صدق لان كل جمل ابن ناقة وكل انسان
بعينه بياض وقد قال صلى الله عليه وسلم اني لامزح ولا اقول الا حقا هذا كله فيما
بابه الخبر فاما بابه غير الخبر مما صورته صورة الامر والنهي في الامور الدنيوية فلا يصح
منه ايضا ولا يجوز عليه ان يأمر احدا بشيء او ينهى احدا عن شيء وهو يبطن خلافه
وقد قال عليه السلام ما كان لنبي ان تكون له خائنة الاعين فكيف ان تكون له خيانة
قلب فان قلت فما قوله تعالى في قصة زيد واذ تقول للذي انعم الله عليه
وانعمت عليه امسك عليك زوجك الآية فاعلم اكرمك الله ولا تسترب
في تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا الظاهر وان يأمر زيدا بامساكها
وهو يحب تطليقه اياها كما ذكر عن جماعة من المفسرين واصح ما في هذا ما حكاه
اهل التفسير عن علي بن حسين رضي الله عنهما ان الله تعالى كان اعلم
نبيه عليه السلام ان زينب ستكون من ازواجه فلما شكاها اليه زيد قال
له امسك عليك زوجك واتق الله واخفى منه في نفسه ما اعلمه الله به من انه
سيتزوجها مما الله مبديه ومظهره بتمام التزويج وطلاق زيد لها وروى نحوه
عمرو بن فائد عن الزهري قال نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم يعلمه ان الله
تعالى يزوجه زينب بنت جحش فذلك الذي اخفى في نفسه ويصحح هذا قول المفسرين
في قوله تعالى بعد هذا وكان امر الله مفعولا اي لا بد لك ان تتزوجها ويوضح هذا
ان الله لم يبد من امره معها غير زواجه لها فدل انه الذي اخفاه صلى الله عليه وسلم
مما كان اعلمه به تعالى وقوله تعالى في القصة ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله
له سنة الله الآية فدل انه لم يكن عليه حرج في الامر قال الطبري ما كان الله ليؤثم
نبيه صلى الله عليه وسلم فيما احل مثال فعله لمن قبله من الرسل قال الله تعالى سنة الله
في الذين خلوا من قبل اي من النبيين فيما احل لهم ولو كان على ما روي في حديث
قتادة من وقوعها من قلب النبي صلى الله عليه وسلم عند ما اعجبته ومحبة طلاق زيد لها

لكان فيه اعظم الحرج وما لا يليق به من مد عينيه لما نهي عنه من زهرة الحياة
الدنيا ولكان هذا نفس الحسد المذموم الذي لا يرضاه ولا يتسم به الاتقياء
فكيف سيد الانبياء عليه وعليهم السلام قال القشيري وهذا اقدام عظيم من
من قائله وقلة معرفة بحق النبي صلى الله عليه وسلم وبفضله وكيف يقال
رآها فاعجبته وهي بنت عمته ولم يزل يراها منذ ولدت ولا كان النساء
يحتجبن منه صلى الله عليه وسلم وهو زوجها لزيد وانما جعل الله طلاق زيد وتزويج
النبي صلى الله عليه وسلم اياها لازالة حرمة التبني وابطال سنته كما قال تعالى
ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وقال لكي لا يكون
على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم ونحوه لابن فورك وقال ابو الليث السمرقندي
فان قيل فما الفائدة في امر النبي صلى الله عليه وسلم لزيد في امساكها فهو ان الله
اعلم نبيه انها زوجته فنهاه النبي صلى الله عليه وسلم عن طلاقها اذ لم تكن بينهما
الفة واخفى في نفسه ما اعلمه الله به فلما طلقها زيد خشي قول الناس يتزوج امرأة
ابنه فامره الله بزواجها ليباح مثل ذلك لامته كما قال تعالى لكي لا يكون على المؤمنين
حرج في ازواج ادعيائهم الآية وقد قيل كان امره لزيد بامساكها قمعا للشهوة وردا
للنفس عن هواها وهذا اذا جوزنا عليه انه رآها فجأة واستحسنها ومثل هذا لا نكرة
فيه لما طبع ابن آدم من استحسانه للحسن ونظرة الفجأة معفو عنها ثم قمع نفسه
عنها وامر زيدا بامساكها وانما تنكر تلك الزيادات التي في القصة والتعويل والاولى
ما ذكرناه عن علي بن حسين وحكاه السمرقندي وهو قول ابن عطاء وصححه واستحسنه
القاضي القشيري وعليه عول ابن فورك وقال انه معنى ذلك عند المحققين
من اهل التفسير قال والنبي صلى الله عليه وسلم منزه عن استعمال النفاق
في ذلك واظهار خلاف في نفسه وقد نزهه الله عن ذلك بقوله تعالى
ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له قال ومن ظن ذلك بالنبي صلى الله
عليه وسلم فقد اخطأ قال وليس معنى الخشية هنا الخوف وانما معناه
الاستحياء اي يستحيي منهم ان يقولوا تزوج زوجة ابنه وان خشيته عليه السلام
من الناس كانت من ارجاف المنافقين واليهود وتشنيعهم على المسلمين

بقولهم تزوج زوجة ابنه بعد نهيه عن نكاح حلائل الابناء كما كان فعتبه الله عليه
ونزهه عن الالتفات اليهم فيما احله لهم كما عتبه على مراعاة رضى ازواجه في سورة
التحريم بقوله تعالى لم تحرم ما احل الله لك الآية كذلك قوله ههنا وتخشى الناس
والله احق ان تخشاه وقد روي عن الحسن وعائشة لو كتم رسول الله صلى الله
عليه وسلم شيئا لكتم هذه الآية لما فيها من عتبه وابداء ما اخفاه

فصل

فان قلت قد تقررت عصمته عليه السلام في اقواله في جميع احواله وانه لا يصح
منها خلف ولا اضطراب في عمد ولا سهو ولا صحة ولا مرض ولا جد ولا مزح ولا رضى
ولا غضب ولكن ما معنى الحديث في وصيته عليه السلام الذي حدثنا به القاضي الشهيد
ابو علي رحمه الله قال حدثنا القاضي ابو الوليد حدثنا ابو ذر حدثنا ابو محمد وابو الهيثم
وابو اسحق قالوا حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا علي بن عبد الله
حدثنا عبد الرزاق بن همام اخبرنا معمر عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله
عن ابن عباس قال لما احتضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي البيت رجال
فقال النبي صلى الله عليه وسلم هلموا اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده فقال
بعضهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غلبه الوجع الحديث وفي رواية ائتوني
اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعدي ابدا فتنازعوا فقالوا ما له اهجر استفهموه فقال
دعوني فان الذي انا فيه خير وفي طريق فقال النبي صلى الله عليه وسلم يهجر وفي رواية
هجر ويروى اهجر ويروى اهجرا وفيه فقال عمر ان النبي عليه السلام قد اشتد
به الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا وكثر اللغط فقال قوموا عني واختلف
اهل البيت واختصموا فمنهم من يقول قربوا يكتب لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم
كتابا ومنهم من يقول ما قال عمر قال ائمتنا في هذا الحديث النبي صلى الله عليه وسلم
غير معصوم من الامراض وما يكون من عوارضها من شدة وجع وغشي ونحوه
مما يطرأ على جسمه معصوم ان يكون منه من القول اثناء ذلك ما يطعن في معجزته
ويؤدي الى فساد في شريعته من هذيان او اختلال في كلام وعلى هذا لا يصح ظاهر
رواية من روى في الحديث هجرا اذ معناه هذى يقال هجر هجرا اذا افحش واهجر
تعدية هجر وانما الاصح والاولى اهجر على طريق الانكار على من قال لا يكتب وهكذا روايتنا

فيه في صحيح البخاري من رواية جميع الرواة في حديث الزهري المتقدم
وفي حديث محمد بن سلام عن ابن عيينة وكذا ضبطه الاصيلي بخطه في كتابه
وغيره من هذه الطريق كذا رويناه عن مسلم في حديث سفين
وعن غيره وقد تحمل عليه رواية من رواه هجر على حذف الف الاستفهام والتقدير
اهجر او ان يحمل قول القائل هجر او اهجر دهشة من قائل ذلك وحيرة
لعظيم ما شاهد من حال الرسول صلى الله عليه وسلم وشدة وجعه وهول
المقام الذي اختلف فيه عليه والامر الذي هم بالكتاب فيه حتى لم يضبط
هذا القائل لفظه واجرى الهجر مجرى شدة الوجع لا انه اعتقد انه يجوز عليه
الهجر كما حملهم الاشفاق على حراسته والله تعالى يقول والله يعصمك
من الناس ونحو هذا واما على رواية اهجرا وهي رواية ابي اسحق المستملي
في الصحيح في حديث ابن جبير عن ابن عباس من رواية قتيبة فقد يكون
هذا راجعا الى المختلفين عنده صلى الله عليه وسلم ومخاطبة لهم من بعضهم
اي جئتم باختلافكم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين يديه هجرا ومنكرا
من القول والهجر بضم الهاء الفحش في المنطق وقد اختلف العلماء في معنى هذا
الحديث وكيف اختلفوا بعد امره لهم عليه السلام ان يأتوه بالكتاب فقال
بعضهم اوامر النبي صلى الله عليه وسلم يفهم ايجابها من ندبها من اباحتها
بقرائن فلعل قد ظهر بقرائن قوله صلى الله عليه وسلم لبعضهم ما فهموا انه
لم تكن منه عزمة بل امر رده الى اختيارهم وبعضهم لم يفهم ذلك فقال استفهموه
فلما اختلفوا كف عنه اذ لم تكن عزمة ولما راوه من صواب رأي عمر رضي الله
عنه ثم هؤلاء قالوا وقد يكون امتناع عمر اما اشفاقا على النبي صلى الله عليه
وسلم من تكليفه في تلك الحال املاء الكتاب وان تدخل عليه مشقة
من ذلك كما قال ان النبي اشتد به الوجع وقيل خشي عمر ان يكتب امورا
يعجزون عنها فيحصلون في الحرج بالمخالفة ورأى ان الارفق بالامة في تلك
الامور سعة الاجتهاد وحكم النظر وطلب الصواب فيكون المصيب والمخطي
مأجورا وقد علم عمر تقرر الشرع وتأسيس الملة وان الله تعالى قال اليوم

اكملت لكم دينكم وقوله عليه السلام اوصيكم بكتاب الله وعترتي وقول
عمر حسبنا كتاب الله رد على من نازعه لا على امر النبي صلى الله عليه وسلم
وقد قيل ان عمر خشي تطرق المنافقين ومن في قلبه مرض لما كتب في ذلك
الكتاب في الخلوة وان يتقولوا في ذلك الاقاويل كادعاء الرافضة الوصية
وغير ذلك وقيل انه كان من النبي صلى الله عليه وسلم على طريق المشورة والاختبار
هل يتفقون على ذلك ام يختلفون فلما اختلفوا تركه وقالت طائفة اخرى
معنى الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم كان مجيبا في هذا الكتاب
لما طلب منه لا انه ابتدأ بالامر به بل اقتضاه منه بعض اصحابه فاجاب رغبتهم
وكره ذلك غيرهم للعلل التي ذكرناها واستدل في مثل هذه القضية بقول
العباس لعلي انطلق بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فان كان الامر فينا
علمناه وكراهة علي هذا وقوله والله لا افعل الحديث واستدل بقوله دعوني
فان الذي انا فيه خير من ارسال الامر وترككم كتاب الله وان تدعوني مما
طلبتم وذكر ان الذي طلب كتابة امر الخلافة بعده وتعيين ذلك **فصل**

فان قلت فما وجه حديثه ايضا الذي حدثناه الفقيه ابو محمد الخشني
بقراءتي عليه حدثنا ابو علي الطبري حدثنا عبد الغافر الفارسي حدثنا ابو احمد الجلودي
حدثنا ابرهيم بن سفين حدثنا مسلم بن الحجاج حدثنا قتيبة حدثنا ليث عن سعيد
ابن ابي سعيد عن سالم مولى النصريين قال سمعت ابا هريرة يقول سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم انما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر
واني قد اتخذت عندك عهدا لن تخلفنيه فايما مؤمن آذيته او سببته او جلدته
فاجعلها له كفارة وقربة تقربه بها اليك يوم القيمة وفي رواية فايما احد
دعوت عليه دعوة وفي رواية ليس لها باهل وفي رواية فايما رجل من المسلمين
سببته او لعنته او جلدته فاجعلها له زكوة وصلوة ورحمة وكيف يصح ان يلعن
النبي صلى الله عليه وسلم من لا يستحق اللعن ويسب من لا يستحق السب ويجلد من
لا يستحق الجلد او يفعل مثل ذلك عند الغضب وهو معصوم من هذا كله **فاعلم**
شرح الله صدرك ان قوله اولا ليس لها باهل اي عندك يا رب في باطن امره

امره فان حكمه صلى الله عليه وسلم على الظاهر كما قال وللحكمة التي ذكرناها فحكم عليه السلام
بجلده او ادبه بسبه او لعنه بما اقتضاه عنده حال ظاهره ثم دعا عليه السلام
لشفقته على امته ورأفته ورحمته للمؤمنين التي وصفه الله بها وحذره ان
يتقبل فيمن دعا عليه دعوته ان يجعل دعاءه وفعله له رحمة فهو معنى قوله
ليس لها باهل لا انه عليه السلام يحمله الغضب ويستفزه الضجر لان يفعل مثل
هذا بمن لا يستحقه من مسلم وهذا معنى صحيح ولا يفهم من قوله اغضب كما يغضب
البشر ان الغضب حمله على ما لا يجب بل يجوز ان يكون المراد بهذا ان الغضب لله
حمله على معاقبته بلعنه او سبه وانه مما كان يحتمل ويجوز عفوه عنه او كان
مما خير بين المعاقبة فيه او العفو عنه وقد يحمل انه خرج مخرج الاشفاق وتعليم
امته الخوف والحذر من تعدي حدود الله وقد يحمل ما ورد من دعائه هنا
ومن دعواته على غير واحد في غير موطن على غير العقد والقصد بل بما
جرت به عادة العرب وليس المراد بها الاجابة كقوله عليه السلام تربت
يمينك ولا اشبع الله بطنك وعقرى حلقى وغيرها من دعواته عليه السلام
وقد ورد في صفته في غير حديث انه عليه السلام لم يكن فحاشا وقال انس
لم يكن سبابا ولا فاحشا ولا لعانا وكان يقول لاحدنا عند المعتبة ما له ترب جبينه
فيكون حمل الحديث على هذا المعنى ثم اشفق عليه السلام من موافقة امثالها
اجابة فعاهد ربه كما قال في الحديث ان يجعل ذلك للمقول له زكاة ورحمة وقربة
وقد يكون ذلك اشفاقا على المدعو عليه وتأنيسا له لئلا يلحقه من استشعار الخوف
والحذر من لعن النبي صلى الله عليه وسلم وتقبل دعائه ما يحمله على الياس والقنوط
وقد يكون ذلك سؤالا منه لربه لمن جلده او سبه على حق وبوجه صحيح ان يجعل
ذلك كفارة له لما اصاب وتمحية لما اجترم وان تكون عقوبته له في الدنيا
سبب العفو والغفران كما جاء في الحديث الآخر ومن اصاب من ذلك شيئا فعوقب به
فهو كفارة فان قلت فما معنى حديث الزبير وقول النبي صلى الله عليه وسلم له حين
تخاصمه مع الانصاري في شراج الحرة اسق يا زبير حتى يبلغ الكعبين فقال
له الانصاري ان كان ابن عمتك يا رسول الله فتلون وجه رسول الله صلى الله

عليه وسلم ثم قال اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يبلغ الجدر الحديث
فالجواب ان النبي صلى الله عليه وسلم منزه ان يقع بنفس مسلم منه في هذه
القضية امر يريب ولكنه صلى الله عليه وسلم ندب الزبير اولا الى الاقتصار
على بعض حقه على طريق التوسط والصلح فلما لم يرض بذلك الآخر ولج وقال ما لا يجب
استوفى النبي صلى الله عليه وسلم حينئذ للزبير حقه ولهذا ترجم البخاري على هذا
الحديث باب اذا اشار الامام بالصلح فابى حكم عليه بالحكم وذكر في آخر الحديث
فاستوعى رسول الله صلى الله عليه وسلم حقه حينئذ للزبير وقد جعل المسلمون
هذا الحديث اصلا في قضيته وفيه الاقتداء به صلى الله عليه وسلم في كل ما فعله
في حال غضبه ورضاه وانه وان نهي ان يقضي القاضي وهو غضبان فانه
في حكمه في حال الغضب والرضا سواء لكونه صلى الله عليه وسلم فيهما معصوما
وغضب النبي صلى الله عليه وسلم في هذا انما كان لله تعالى لا لنفسه كما جاء
في الحديث الصحيح وكذلك الحديث في اقادته عكاشة من نفسه لم يكن
لتعمد حمله الغضب عليه بل وقع في الحديث نفسه ان عكاشة قال له
وضربتني بالقضيب فلا ادري اعمدا ام اردت ضرب الناقة فقال النبي
صلى الله عليه وسلم اعيذك بالله يا عكاشة ان يتعمدك رسول الله صلى الله
عليه وسلم وكذلك في حديثه الآخر مع الاعرابي حين طلب عليه السلام الاقتصاص
منه فقال الاعرابي قد عفوت عنك وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد ضربه
بالسوط لتعلقه بزمام ناقته مرة بعد اخرى والنبي صلى الله عليه وسلم ينهاه ويقول
له تدرك حاجتك وهو يابى فضربه بعد ثلاث مرات وهذا منه صلى الله عليه وسلم
لمن لم يقف عند نهيه صواب وموضع ادب ولكنه عليه السلام اشفق اذ كان
حق نفسه من الامر حتى عفى عنه واما حديث سواد بن عمرو اتيت النبي صلى الله
عليه وسلم وانا متخلق فقال ورس ورس حط حط وغشيني بقضيب في يده
في بطني فاوجعني قلت القصاص يا رسول الله فكشف لي عن بطنه انما ضربه
عليه السلام لمنكر رآه به ولعله لم يرد بضربه بالقضيب الا تنبيهه فلما كان منه
ايجاع لم يقصده طلب التحلل منه على ما قدمناه

فصل في افعاله عليه السلام الدنيوية

فحكمه فيها من توقي المعاصي والمكروهات ما قدمناه ومن جواز
السهو والغلط في بعضها ما ذكرناه وكله غير قادح في النبوة بل ان هذا فيها
على الندور اذ عامة افعاله على السداد والصواب بل اكثرها او كلها جارية
مجرى العبادات والقرب على ما بيناه اذ كان عليه السلام لا ياخذ منها لنفسه
الا ضرورته وما يقيم رمق جسمه وفيه مصلحة ذاته التي بها يعبد ربه ويقيم شريعته
ويسوس امته وما كان فيما بينه وبين الناس من ذلك فبين معروف يصنعه
او بر يوسعه او كلام حسن يقوله او يسمعه او تالف شارد او قهر معاند او
مداراة حاسد وكل هذا لاحق بصالح اعماله منتظم في زاكي وظائف عباداته
وقد كان يخالف في افعاله الدنيوية بحسب اختلاف الاحوال ويعد للامور
اشباهها فيركب في تصرفه لما قرب الحمار وفي اسفاره الراحلة ويركب
البغلة في معارك الحرب دليلا على الثبات ويركب الخيل ويعدها ليوم الفزع
واجابة الصارخ وكذلك في لباسه وسائر احواله بحسب اعتبار مصالحه
ومصالح امته وكذلك يفعل الفعل من امور الدنيا مساعدة لامته وسياسة
وكراهية لخلافها وان كان قد يرى غيره خيرا منه كما يترك الفعل لهذا وقد
يرى فعله خيرا منه وقد يفعل هذا في الامور الدينية مما له الخيرة في احد وجهيه كخروجه
من المدينة لاحد وكان مذهبه التحصن بها وتركه قتل المنافقين وهو على
يقين من امرهم مؤالفة لغيرهم ورعاية للمؤمنين من قرابتهم وكراهة
لان يقول الناس ان محمدا يقتل اصحابه كما جاء في الحديث وتركه بناء الكعبة
على قواعد ابراهيم عليه السلام مراعاة لقلوب قريش وتعظيمهم لتغييرها
وحذرا من نفار قلوبهم لذلك وتحريك متقدم عداوتهم للدين واهله
فقال لعائشة في الحديث الصحيح لولا حدثان قومك بالكفر لاتممت البيت
على قواعد ابراهيم ويفعل الفعل ثم يتركه لكون غيره خيرا منه كانتقاله من ادنى
مياه بدر الى اقربها للعدو من قريش وكقوله عليه السلام لو استقبلت
من امري ما استدبرت ما سقت الهدي ويبسط وجهه للكافر والعدو رجاء
استئلافه ويصبر للجاهل ويقول ان من شرار الناس من اتقاه الناس

بشره وكيف جاز ان يظهر له خلاف ما يبطن ويقول في ظهره ما قال فالجواب ان فعله
صلى الله عليه وسلم كان استئلافا لمثله وتطييبا لنفسه ليتمكن ايمانه ويدخل في الاسلام
بسببه اتباعه ويراه مثله فينجذب بذلك الى الاسلام ومثل هذا على هذا الوجه قد
خرج عن حد مداراة الدنيا الى السياسة الدينية وقد كان يستألفهم باموال الله
العريضة فكيف بالكلمة اللينة قال صفوان لقد اعطاني وهو ابغض الخلق الي
فما زال يعطيني حتى صار احب الخلق الي وقوله فيه بئس ابن العشيرة هو غير
غيبة بل هو تعريف ما علمه وكان مطاعا متبوعا ومثل هذا اذا كان
لضرورة ودفع مضرة لم يكن بغيبة بل كان جائزا بل واجبا في بعض الاحيان
كعادة المحدثين في تجريح الرواة والمزكين في الشهود فان قيل فما معنى المعضل
الوارد في حديث بريرة من قوله عليه السلام لعائشة وقد اخبرته ان موالي
بريرة ابوا بيعها الا ان يكون لهم الولاء فقال عليه السلام اشتريها واشترطي لهم
الولاء ففعلت ثم قام خطيبا فقال ما بال اقوام يشترطون شروطا ليست في كتاب الله
كل شرط ليس في كتاب الله فهو باطل والنبي صلى الله عليه وسلم قد امرها بالشرط
لهم وعليه باعوا ولولاه والله اعلم لما باعوها من عائشة كما لم يبيعوها قبل حتى
شرطوا ذلك عليها ثم ابطله عليه السلام وهو قد حرم الغش والخديعة فاعلم
اكرمك الله ان النبي صلى الله عليه وسلم منزه عما يقع في بال الجاهل من هذا ولتنزيه
النبي عليه السلام عن ذلك قد انكر قوم هذه الزيادة قوله اشترطي لهم الولاء اذ ليست
في اكثر طرق الحديث ومع ثباتها فلا اعتراض بها اذ يقع لهم بمعنى عليهم قال الله تعالى
اولئك لهم اللعنة وقال ان اسأتم فلها فعلى هذا اشترطي عليهم الولاء لك
ويكون قيام النبي صلى الله عليه وسلم ووعظه لما سلف لهم من شرط الولاء لانفسهم
قبل ذلك ووجه ثان ان قوله عليه السلام اشترطي لهم الولاء ليس على معنى الامر
لكن على معنى التسوية والاعلام بان شرطه لهم لا ينفعهم بعد بيان النبي لهم قبل
ان الولاء لمن اعتق فكانه قال اشترطي او لا تشترطي فانه شرط غير نافع والى هذا
ذهب الداودي وغيره وتوبيخ النبي صلى الله عليه وسلم لهم وتقريعهم على ذلك
يدل على علمهم به قبل هذا الوجه الثالث ان معنى قوله عليه السلام اشترطي لهم

الولاء اي اظهري لهم حكمه وبيني عندهم سنته ان الولاء انما هو لمن اعتق
ثم بعد هذا قام هو صلى الله عليه وسلم مبينا ذلك وموبخا على مخالفة ما تقدم منه
فيه فان قيل فما معنى فعل يوسف عليه السلام باخيه اذ جعل السقاية في رحله
واخذه باسم سرقتها وما جرى على اخوته في ذلك وقوله انكم لسارقون ولم يسرقوا
فاعلم اكرمك الله ان الآية تدل على ان فعل يوسف كان عن امر الله تعالى لقوله
سبحانه كذلك كدنا ليوسف ما كان لياخذ اخاه في دين الملك الا ان يشاء الله
الآية فاذا كان كذلك فلا اعتراض به كان فيه ما فيه وايضا فان يوسف عليه السلام
كان اعلم اخاه باني انا اخوك فلا تبتئس فكان ما جرى عليه بعد هذا من وفقه
ورغبته وعلى يقين من عقبى الخير له به وازاحة السوء والمضرة عنه بذلك واما
قوله ايتها العير انكم لسارقون فليس من قول يوسف فيلزم عليه جواب
لحل شبهة ولعل قائله ان حسن له التأويل كائنا من كان ظن على صورة
الحال ذلك وقد قيل قال ذلك لفعلهم قبل بيوسف وبيعهم له وقيل غير هذا ولا
يلزم ان نقول الانبياء ما لم يثبت انهم قالوه حتى يطلب الخلاص منه ولا يلزم
الاعتذار عن زلات غيرهم **فصل فان قلت فما الحكمة في اجراء الامراض
وشدتها عليه وعلى غيره من الانبياء** على جميعهم وما الوجه فيما ابتلاهم الله
به من البلاء وامتحانهم بما امتحنوا به كايوب ويعقوب ودانيال ويحيى وزكريا
وعيسى وابراهيم ويوسف وغيرهم صلوات الله عليهم وهم خيرته من خلقه
واحباؤه واصفياؤه **فاعلم** وفقنا الله واياك ان افعال الله تعالى كلها عدل
وكلماته جميعها صدق لا مبدل لكلماته يبتلي عباده كما قال لهم لينظر كيف تعملون
وليبلوكم ايكم احسن عملا ولم يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين وليعلم الذين
آمنوا منكم ويعلم الصابرين ونعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو اخباركم
فامتحانه تعالى اياهم بضروب المحن زيادة في مكانتهم ورفعة في درجاتهم واسباب
لاستخراج حالات الصبر والرضى والشكر والتسليم والتوكل والتفويض والدعاء والتضرع
منهم وتأكيد لبصائرهم في رحمة الممتحنين والشفقة على المبتلين وتذكرة لغيرهم وموعظة
لسواهم ليتأسوا في البلاء بهم ويتسلوا في المحن بما جرى عليهم ويقتدوا بهم في

في الصبر ومحو السيئات زلت منهم او غفلات سبقت لهم ليلقوا الله تعالى طيبين
مهذبين وليكون اجرهم اكمل وثوابهم اوفر واجزل حدثنا القاضي ابو علي الحافظ
حدثنا ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل بن خيرون قالا حدثنا ابو يعلى البغدادي
حدثنا ابو علي السنجي حدثنا محمد بن محبوب حدثنا ابو عيسى الترمذي حدثنا قتيبة حدثنا
حماد بن زيد عن عاصم بن بهدلة عن مصعب بن سعد عن ابيه قال قلت يا رسول الله
اي الناس اشد بلاء قال الانبياء ثم الامثل فالامثل يبتلى الرجل على حسب دينه فما يبرح
البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الارض ما عليه خطيئة وكما قال تعالى وكأين من نبي
قاتل معه ربيون كثير الآيات وعن ابي هريرة ما يزال البلاء بالمؤمن في نفسه وولده
وماله حتى يلقى الله تعالى وما عليه خطيئة وعن انس عنه عليه السلام اذا اراد الله
بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا واذا اراد الله بعبده الشر امسك عنه بذنبه
حتى يوافي به يوم القيمة وفي حديث آخر اذا احب الله عبدا ابتلاه ليسمع تضرعه
وحكى السمرقندي ان كل من كان اكرم على الله تعالى كان بلاؤه اشد
كي يتبين فضله ويستوجب الثواب كما روي عن لقمن انه قال يا بني الذهب
والفضة يختبران بالنار والمؤمن يختبر بالبلاء وقد حكي ان ابتلاء يعقوب بيوسف
كان سببه التفاته اليه في صلوته اليه ويوسف نائم محبة له وقيل بل اجتمع يوما وابنه
يوسف على اكل حمل مشوي وهما يضحكان وكان له جار يتيم فشم ريحه واشتهاه
وبكى وبكت جدة له عجوز لبكائه وبينهما جدار ولا علم عند يعقوب وابنه فعوقب
يعقوب بالبكاء اسفا على يوسف الى ان سالت حدقتاه وابيضت عيناه
من الحزن فلما علم بذلك كان بقية حيوته يأمر مناديا ينادي على سطحه الا من كان
مفطرا فليتغد عند آل يعقوب وعوقب يوسف بالمحنة التي نص الله عليها
وروي عن الليث ان سبب بلاء ايوب فانه رفق به مخافة على زرعه فعاقبه الله
ببلائه ومحنة سليمان لما ذكرناه من نيته في كون الحق في جنبة اصهاره او للعمل
بالمعصية في داره ولا علم عنده وهذه فائدة شدة المرض والوجع بالنبي صلى الله
عليه وسلم قالت عائشة ما رأيت الوجع على احد اشد منه على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعن عبد الله رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يوعك وعكا

شديدا فقلت انك لتوعك وعكا شديدا قال اجل اني اوعك كما
يوعك رجلان منكم قلت ذلك ان لك الاجر مرتين قال اجل ذلك كذلك وفي
وفي حديث ابي سعيد ان رجلا وضع يده على النبي صلى الله عليه وسلم فقال
ما اطيق اضع يدي عليك من شدة حماك فقال النبي صلى الله عليه وسلم
انا معاشر الانبياء يضاعف لنا البلاء ان كان النبي صلى الله عليه وسلم
ليبتلى بالقمل حتى يقتله وان كان النبي ليبتلى بالفقر وان كانوا ليفرحون
بالبلاء كما تفرحون بالرخاء وعن انس عنه صلى الله عليه وسلم ان عظم الجزاء
مع عظم البلاء وان الله اذا احب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط
فله السخط وقد قال المفسرون في قوله تعالى من يعمل سوء يجز به بمصائب الدنيا
فتكون له كفارة وروي هذا عن عائشة وابي ومجاهد وقال ابو هريرة
عنه عليه السلام من يرد الله به خيرا يصب منه وقال في رواية عائشة
ما من مصيبة تصيب المسلم الا يكفر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها وقال
في رواية ابي سعيد ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن
ولا اذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله بها من خطاياه وفي حديث
ابن مسعود ما من مسلم يصيبه اذى الا حات الله عنه خطاياه كما تحات
ورق الشجر وحكمة اخرى اودعها الله في الامراض لاجسامهم وتعاقب
الاوجاع عليها وشدتها عند مماتهم لتضعف قوى نفوسهم فيسهل خروجها
عند قبضهم وتخف عليهم مؤنة النزع وشدة السكرات بتقدم المرض وضعف
الجسم والنفس لذلك خلاف موت الفجاءة واخذه كما يشاهد من اختلاف
احوال الموتى في الشدة واللين والصعوبة والسهولة وقد قال عليه السلام
مثل المؤمن مثل خامة الزرع تفيئها الريح هكذا وهكذا وفي رواية ابي هريرة
من حيث اتتها الريح تكفؤها فاذا سكنت اعتدلت وكذلك المؤمن يكفأ بالبلاء
ومثل الكافر كمثل الارزة صماء معتدلة حتى يقصمها الله معناه ان المؤمن
مرزأ مصاب بالبلاء والامراض راض بتصريفه بين اقدار الله مطاوع
لذلك لين الجانب برضاه وقلة تسخطه كطاعة خامة الزرع وانقيادها

للرياح وتمايلها لهبوبها ورجحانها حيث مالت بها فإذا أراح الله عن المؤمن
رياح البلايا واعتدل صحيحا كما اعتدلت خامة الزرع عند سكون رياح الجو رجع
إلى شكر ربه ومعرفة نعمته عليه برفع بلائه منتظر رحمته وثوابه عليه فإذا كان بهذه
السبيل لم يصعب عليه مرض الموت ولا نزوله ولا اشتدت عليه سكراته ونزعه
لعادته بما تقدمه من الآلام ومعرفة ما له فيها من الأجر وتوطينه نفسه على المصائب
ورقتها وضعفها بتوالي المرض وشدته والكافر بخلاف هذا معافى في غالب
حاله ممتنع بصحة جسمه كالأرزة الصماء حتى إذا أراد الله هلاكه قصمه لحينه على غرة وأخذه
بغتة من غير لطف ولا رفق فكان موته أشد عليه حسرة ومقاساة نزعه مع
قوة نفسه وصحة جسمه أشد ألما وعذابا ولعذاب الآخرة أشد كانجعاف الأرزة
وكما قال تعالى فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون وكذلك عادة الله تعالى في أعدائه
كما قال تعالى فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة
الآية ففاجأ جميعهم بالموت على حال عتو وغفلة وصبحهم به على غير استعداد بغتة
ولهذا ما كره السلف موت الفجأة ومنه في حديث إبراهيم كانوا يكرهون أخذة
كأخذة الأسف أي الغضب يريد موت الفجأة وحكمة ثالثة أن الأمراض نذير الممات
وبقدر شدتها شدة الخوف من نزول الموت فيستعد من أصابته وعلم تعاهدها
له للقاء ربه ويعرض عن دار الدنيا الكثيرة الأنكاد ويكون قلبه معلقا بالمعاد
فيتنصل من كل ما يخشى تباعته من قبل الله وقبل العباد ويؤدي الحقوق
إلى أهلها وينظر فيما يحتاج إليه من وصية فيمن يخلفه أو أمر يعهده وهذا نبينا صلى الله
عليه وسلم المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قد طلب التنصل في مرضه ممن كان
له عليه مال أو حق في بدن وأقاد من نفسه وماله وأمكن من القصاص منه على ما ورد
في حديث الفضل وحديث الوفاة وأوصى بالثقلين بعده كتاب الله وعترته وبالأنصار
عيبته ودعا إلى كتب كتاب لئلا تضل أمته بعده إما في النص بالخلافة أو الله أعلم بمراده
ثم رأى الإمساك عنه أفضل وخيرا وهكذا سيرة عباد الله المؤمنين وأوليائه المتقين
وهذا كله يحرمه غالب الكفار لإملاء الله لهم ليزدادوا إثما وليستدرجهم من حيث لا يعلمون
قال الله تعالى ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية

توصية ولا إلى أهلهم يرجعون ولذلك قال عليه السلام في رجل مات فجاءة
سبحان الله كأنه على غضب المحروم من حرم وصيته وقال عليه السلام موت
الفجأة راحة للمؤمن وأخذة أسف للكافر والفاجر وذلك لأن الموت
يأتي المؤمن وهو غالبا مستعد له منتظر لحلوله فهان أمره عليه كيفما جاء
وأفضى إلى راحته من نصب الدنيا وأذاها كما قال عليه السلام مستريح
ومستراح منه وتأتي الكافر والفاجر منيته على غير استعداد ولا أهبة ولا
ولا مقدمات منذرة مزعجة بل تأتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها
ولا هم ينظرون فكان الموت أشد شيء عليه وفراق الدنيا أقطع أمر صدمه
وأكره شيء له وإلى هذا المعنى أشار عليه السلام بقوله من أحب لقاء الله أحب الله
لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه **القسم الرابع في تصرف
وجوه الأحكام فيمن تنقصه أو سبه عليه السلام** قال القاضي أبو الفضل
رضي الله عنه قد تقرر من الكتاب والسنة وإجماع الأمة ما يجب من الحقوق
للنبي صلى الله عليه وسلم وما يتعين له من بر وتوقير وتعظيم وإكرام وبحسب
هذا حرم الله تعالى أذاه في كتابه وأجمعت على قتل متنقصه من المسلمين
وسابه قال الله تعالى إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا
والآخرة وأعد لهم عذابا أليما وقال والذين يؤذون رسول الله لهم
عذاب أليم وقال الله تعالى وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن
تنكحوا أزواجه من بعده أبدا إن ذلكم كان عند الله عظيما وقال الله تعالى
في تحريم التعريض له يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا
الآية وذلك أن اليهود كانوا يقولون راعنا يا محمد أي أرعنا سمعك واسمع
منا ويعرضون بالكلمة يريدون الرعونة فنهى الله المؤمنين عن التشبه بهم
وقطع الذريعة بنهي المؤمنين عنها لئلا يتوصل بها الكافر والمنافق إلى سبه
والاستهزاء به وقيل بل لما فيها من مشاركة اللفظ لأنها عند اليهود بمعنى
اسمع لا سمعت وقيل بل لما فيها من قلة الأدب وعدم توقير النبي صلى الله
عليه وسلم وتعظيمه لأنها في لغة الأنصار بمعنى ارعنا نرعك فنهوا عن

عن ذلك اذ مضمنه انهم لا يدعونه الا رعاية لهم وهو عليه السلام وجب الرؤف
بكل حال وهذا هو عليه السلام قد نهى عن التكني بكنيته فقال تسموا باسمي ولا تكنوا
بكنيتي صيانة لنفسه وحماية عن اذاه اذ كان النبي صلى الله عليه وسلم استجاب
رجل نادى يا ابا القاسم فقال لم اعنك انما دعوت هذا فنهى حينئذ عن التكني
بكنيته لئلا يتأذى باجابة دعوة غيره ممن لم يدعه ويجد بذلك المنافقون و
والمستهزؤن ذريعة الى اذاه والازدراء به فينادونه فاذا التفت
قالوا انما اردنا هذا لسواه تعنتا له واستخفافا بحقه على عادة المجان والمستهزئين
فحمى عليه السلام حمى اذاه بكل وجه فحمل محققوا العلماء نهيه عن هذا على مدة حياته
واجازوه بعد وفاته لارتفاع العلة وللناس في هذا الحديث مذاهب ليس
هذا موضعها وما ذكرناه هو مذهب الجمهور والصواب ان شاء الله تعالى
وان ذلك على طريق تعظيمه وتوقيره وعلى سبيل الندب والاستحباب لا على التحريم
ولذلك لم ينه عن اسمه لانه قد كان الله منع من ندائه بقوله لا تجعلوا دعاء
الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا وانما كان المسلمون يدعونه يا رسول الله
ويا نبي الله وقد يدعوه بكنيته ابا القاسم بعضهم في بعض الاحوال وقد روي
انس عنه عليه السلام ما يدل على كراهة التسمي باسمه وتنزيهه عن ذلك اذا لم يوقر
فقال تسمون اولادكم محمدا ثم تلعنونهم وروي ان عمر كتب الى اهل الكوفة لا يسمى
احد باسم النبي صلى الله عليه وسلم حكاه ابو جعفر الطبري وحكى محمد بن سعد
انه نظر الى رجل اسمه محمد ورجل يسبه ويقول له فعل الله بك يا محمد وصنع فقال
عمر لابن اخيه محمد بن زيد بن الخطاب ولا ارى محمدا عليه السلام يسب بك
والله لا تدعى محمدا ما دمت حيا وسماه عبد الرحمن واراد ان يمنع لهذا ان
يسمى احد باسماء الانبياء اكراما لهم بذلك وغير اسماءهم وقال لا تسموا باسمائهم
الانبياء ثم امسك والصواب جواز هذا كله بعده عليه السلام بدليل اطباق
الصحابة على ذلك وقد سمى جماعة منهم ابنه محمدا وكناه بابي القاسم وروي
ان النبي صلى الله عليه وسلم اذن في ذلك لعلي رضي الله عنه وقد اخبر عليه السلام
ان ذلك اسم المهدي وكنيته وقد فصلت الكلام في هذا القسم على ما بين

بين كما قدمنا **الباب الاول في بيان ما هو في حقه عليه السلام سب**
او نقص من تعريض او نص اعلم وفقنا الله واياك ان جميع من سب
النبي صلى الله عليه وسلم او عابه او الحق به نقصا في نفسه او نسبه او دينه
او خصلة من خصاله او عرض به او شبهه بشيء على طريق السب له او الازراء
عليه او التصغير لشأنه او الغض منه والعيب له فهو ساب له والحكم فيه حكم الساب
يقتل كما نبينه ولا نستثني فصلا من فصول هذا الباب على هذا المقصد ولا
نمتري فيه تصريحا كان او تلويحا وكذلك من لعنه او دعا عليه او تمنى مضرة
له او نسب اليه ما لا يليق بمنصبه على طريق الذم او عبث في جهته العزيزة بسخف
من الكلام وهجر ومنكر من القول وزور او عيره بشيء مما جرى من البلاء
والمحنة عليه او غمصه ببعض العوارض البشرية الجائزة والمعهودة لديه وهذا
كله اجماع من العلماء وائمة الفتوى من لدن الصحابة رضوان الله عليهم الى هلم
جرا قال ابو بكر بن المنذر اجمع عوام اهل العلم على ان من سب النبي صلى الله
عليه وسلم يقتل وممن قال ذلك مالك بن انس والليث واحمد واسحق وهو مذهب
الشافعي رضي الله عنهم **قال القاضي ابو الفضل** وهو مقتضى قول ابي بكر
الصديق رضي الله عنه ولا تقبل توبته عند هؤلاء وبمثله قال ابو حنيفة
واصحابه والثوري واهل الكوفة والاوزاعي في المسلم لكنهم قالوا هي ردة
وروى مثله الوليد بن مسلم عن مالك وحكى الطبري مثله عن ابي حنيفة واصحابه
فيمن تنقصه صلى الله عليه وسلم او برئ منه او كذبه وقال سحنون فيمن سبه
ذلك ردة كالزندقة وعلى هذا وقع الخلاف في استتابته وتكفيره وهل قتله
حد او كفر كما سنبينه في الباب الثاني ان شاء الله تعالى ولا نعلم خلافا
في استباحة دمه بين علماء الامصار وسلف الامة وقد ذكر غير واحد الاجماع
على قتله وتكفيره واشار بعض الظاهرية وهو ابو محمد علي بن احمد الفارسي
الى الخلاف في تكفير المستخف به والمعروف ما قدمناه قال محمد بن سحنون اجمع
العلماء ان شاتم النبي صلى الله عليه وسلم المتنقص له كافر والوعيد جار عليه
بعذاب الله له وحكمه عند الامة القتل ومن شك في عذابه وكفره كفر والحجة

ابن حسين بن خالد الفقيه في مثل هذا بقتل خالد بن الوليد مالك بن نويرة لقوله
عن النبي صلى الله عليه وسلم صاحبكم وقال ابو سليمان الخطابي لا اعلم احدا من المسلمين
اختلف في وجوب قتله اذا كان مسلما وقال ابن القسم عن مالك في كتاب سحنون
والمبسوط والعتبية وحكاه مطرف عن مالك في كتاب ابن حبيب من سب النبي
صلى الله عليه وسلم قتل ولم يستتب قال ابن القسم في العتبية او شتمه او عابه
او تنقصه فانه يقتل وحكمه عند الامة القتل كالزنديق وقد فرض الله توقيره
وبره وفي المبسوط عن عثمان بن كنانة من شتم النبي صلى الله عليه وسلم
من المسلمين قتل او صلب حيا ولم يستتب والامام مخير في صلبه حيا او قتله
ومن رواية ابن المصعب وابن ابي اويس سمعنا مالكا يقول من سب رسول
الله صلى الله عليه وسلم او شتمه او عابه او تنقصه قتل مسلما كان او كافرا
لا يستتاب وفي كتاب محمد اخبرنا اصحاب مالك انه قال من سب النبي صلى الله
عليه وسلم او غيره من النبيين من مسلم او كافر قتل ولم يستتب وقال اصبغ
يقتل على كل حال اسر ذلك او اظهره ولا يستتاب لان توبته لا تعرف
وقال عبد الله بن عبد الحكم من سب النبي صلى الله عليه وسلم من مسلم او كافر
قتل ولم يستتب وحكى الطبري مثله عن اشهب عن مالك وروى ابن وهب
عن مالك من قال ان رداء النبي صلى الله عليه وسلم ويروى زر النبي وسخ اراد
به عيبه قتل وقال بعض علمائنا اجمع العلماء على ان من دعا على نبي من الانبيا
بالويل او بشيء من المكروه انه يقتل بلا استتابة وافتى ابو الحسن القابسي
فيمن قال في النبي صلى الله عليه وسلم الحمال يتيم ابي طالب بالقتل وافتى ابو محمد
ابن ابي زيد بقتل رجل سمع قوما يتذاكرون صفة النبي صلى الله عليه وسلم اذ مر بهم
رجل قبيح الوجه واللحية فقال تريدون تعرفون صفته هي في صفة هذا المار في خلقه
ولحيته قال ولا تقبل توبته وقد كذب لعنه الله وليس يخرج من قلب سليم الايمان
وقال احمد بن ابي سليمان صاحب سحنون من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان اسود يقتل وقال في رجل قيل له لا وحق رسول الله فقال فعل الله برسول الله
كذا وذكر كلاما قبيحا فقيل له ما تقول يا عدو الله فقال اشد من كلامه الاول ثم قال

قال فما اردت برسول الله العقرب فقال ابن سليمان للذي سأله اشهد
عليه وانا شريكك يريد في قتله وثواب ذلك قال حبيب بن الربيع لان ادعا
التاويل في لفظ صراح لا يقبل لانه امتهان وهو غير معزر لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ولا موقر له فوجب اباحة دمه وافتى ابو عبد الله بن عتاب في عشار
قال لرجل اد واشك الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال ان سألت او جهلت
فقد جهل وسأل النبي بالقتل وافتى فقهاء الاندلس بقتل ابن حاتم المتفقه
الطليطلي وصلبه بما شهد عليه به من استخفافه بحق النبي صلى الله عليه وسلم
وتسميته اياه اثناء مناظرته باليتيم وختن حيدرة وزعمه ان زهده لم يكن
قصدا ولو قدر على الطيبات اكلها الى اشباه لهذا وافتى فقهاء القيروان
واصحاب سحنون بقتل الفزاري وكان شاعرا متفننا في كثير من العلوم وكان
ممن يحضر مجلس القاضي ابي العباس ابن طالب للمناظرة فرفعت عليه امور
منكرة من هذا الباب في الاستهزاء بالله وانبيائه ونبينا محمد صلى الله عليه
وعليهم اجمعين فاحضر له القاضي يحيى بن عمر وغيره من الفقهاء وامر بقتله وصلبه
فطعن بالسكين وصلب منكسا ثم انزل واحرق بالنار وحكى بعض المؤرخين
انه لما رفعت خشبته وزالت عنها الايدي استدارت وحولته عن القبلة
فكان آية للجميع وكبر الناس وجاء كلب فولغ في دمه فقال يحيى بن عمر صدق
رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر حديثا عنه عليه السلام انه قال لا يلغ الكلب
في دم مسلم وقال القاضي ابو عبد الله بن المرابط من قال ان النبي صلى الله عليه
وسلم هزم يستتاب فان تاب والا قتل لانه تنقص اذ لا يجوز ذلك عليه
في خاصته اذ هو على بصيرة من امره ويقين من عصمته وقال حبيب بن ربيع القروي
مذهب مالك واصحابه ان من قال فيه عليه السلام ما فيه نقص قتل دون استتابة
وقال ابن عتاب الكتاب والسنة موجبان ان من قصد النبي صلى الله عليه وسلم
باذى او نقص معرضا او مصرحا وان قل فقتله واجب فهذا الباب كله مما عده
العلماء سبا وتنقصا يجب قتل قائله لم يختلف في ذلك متقدمهم ولا متأخرهم
وان اختلفوا في حكم قتله على ما اشرنا اليه ونبينه بعد وكذلك اقول حكم من غمصه

أو عيّره برعاية الغنم أو السهو أو النسيان أو السحر أو ما أصابه من جرح أو هزيمة لبعض
جيوشه أو أذى من عدوه أو شدة من زمنه أو بالميل إلى نسائه فحكم هذا
لمن قصد به نقصه القتل وقد مضى من مذاهب العلماء في ذلك ويأتي ما يدل عليه

فصل في الحجة في إيجاب قتل من سبه أو عابه عليه السلام

فمن القرآن
لعنه تعالى لمؤذيه في الدنيا والآخرة وقرانه تعالى أذاه بأذاه ولا خلاف في قتل من سب الله
تعالى وأن اللعن إنما يستوجبه من هو كافر وحكم الكافر القتل فقال تعالى إن الذين
يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وقال في قاتل المؤمن مثل ذلك
فمن لعنته في الدنيا القتل قال الله تعالى ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا
وقال في المحاربين وذكر عقوبتهم ذلك لهم خزي في الدنيا وقد يقع القتل بمعنى اللعن
قال الله تعالى قتل الخراصون الذين هم في غمرة ساهون وقاتلهم الله أي لعنهم الله
ولأنه فرق بين أذاهما وأذى المؤمنين وفي أذى المؤمنين ما دون القتل من الضرب
والنكال فكان حكم مؤذي الله ونبيه أشد من ذلك وهو القتل وقال تعالى فلا و
ربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الآية فسلب اسم الإيمان عمن وجد
في صدره حرجا من قضائه ولم يسلم له ومن تنقصه فقد ناقضه هذا وقال تعالى
يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي إلى قوله أن تحبط أعمالكم ولا يحبط العمل
إلا الكفر والكافر يقتل وقال تعالى وإذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله
ثم قال حسبهم جهنم يصلونها وبئس المصير وقال تعالى ومنهم الذين يؤذون
النبي ويقولون هو أذن ثم قال والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم
وقال تعالى ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب إلى قوله قد كفرتم بعد
إيمانكم قال أهل التفسير كفرتم بقولكم في رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما الإجماع
فقد ذكرناه وأما الآثار فحدثنا الشيخ أبو عبد الله أحمد بن محمد بن غلبون عن الشيخ
أبي ذر الهروي إجازة قال حدثنا أبو الحسن الدارقطني وأبو عمر بن حيويه قالا حدثنا
محمد بن نوح حدثنا عبد العزيز بن محمد بن الحسن بن زبالة حدثنا عبد الله بن موسى
ابن موسى بن جعفر عن علي بن موسى عن أبيه عن جده عن محمد بن علي بن الحسين
عن أبيه عن الحسين بن علي عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

قال من سب نبيا فاقتلوه ومن سب أصحابي فاضربوه وفي الحديث الصحيح
أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل كعب بن الأشرف وقال من لكعب بن
الأشرف فإنه يؤذي الله ورسوله ووجه إليه من قتله غيلة دون دعوة بخلاف
غيره من المشركين وعلل بأذاه له فدل أن قتله إياه لغير الإشراك بل للأذى
وكذلك قتل أبا رافع قال البراء وكان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويعين عليه وكذلك أمره يوم الفتح بقتل ابن خطل وجاريتيه اللتين كانتا
تغنيان بسبه عليه السلام وفي حديث آخر أن رجلا كان يسبه عليه السلام
فقال من يكفيني عدوي فقال خالد أنا فبعثه النبي صلى الله عليه وسلم فقتله
وكذلك لم يقبل جماعة ممن كان ذنوبه من الكفار وسبه كالنضر بن الحارث
وعقبة بن أبي معيط وعهد بقتل جماعة منهم قبل الفتح وبعده فقتلوا إلا
من بادر بإسلامه قبل القدرة عليه وقد روى البزار عن ابن عباس أن
عقبة بن أبي معيط نادى يا معشر قريش ما لي أقتل من بينكم صبرا فقال له
النبي صلى الله عليه وسلم بكفرك وافترائك على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وذكر عبد الرزاق أن النبي صلى الله عليه وسلم سبه رجل فقال من يكفيني عدوي
فقال الزبير أنا فبارزه فقتله الزبير وروي أيضا أن امرأة كانت تسبه عليه
السلام فقال من يكفيني عدوتي فخرج إليها خالد بن الوليد فقتلها وروي أن
رجلا كان على النبي صلى الله عليه وسلم فبعث عليا والزبير إليه ليقتلاه وروى
ابن قانع أن رجلا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إني سمعت
أبي يقول فيك قولا قبيحا فقتلته فلم يشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم
وبلغ المهاجر بن أبي أمية أمير اليمن لأبي بكر رضي الله عنه أن امرأة هناك في الردة
غنت بسب النبي صلى الله عليه وسلم فقطع يدها ونزع ثنيتها فبلغ أبا بكر ذلك
فقال لولا ما فعلت لأمرتك بقتلها لأن حد الأنبياء ليس يشبه الحدود
وعن ابن عباس هجت امرأة من خطمة النبي صلى الله عليه وسلم فقال من لي
بها فقال رجل من قومها أنا يا رسول الله فنهض فقتلها فأخبر النبي صلى الله عليه
وسلم فقال لا ينتطح فيها عنزان وعن ابن عباس أن أعمى كانت له أم ولد

شتم النبي صلى الله عليه وسلم فيزجرها فلا تنزجر فلما كانت ذات ليلة جعلت
تقع في النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فأهدر دمها وفي حديث أبي برزة الأسلمي
كنت يوما جالسا عند أبي بكر الصديق رضي الله عنه فغضب على رجل
من المسلمين وحكى القاضي اسمعيل وغير واحد من الائمة في هذا الحديث
انه سب ابا بكر ورواه النسائي اتيت ابا بكر وقد اغلظ لرجل فرد عليه قال
فقلت يا خليفة رسول الله دعني اضرب عنقه فقال اجلس فليس ذلك
لاحد الا لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال القاضي ابو محمد بن نصر ولم يخالف
عليه احد فاستدل الائمة بهذا الحديث على قتل من اغضب النبي صلى الله عليه
وسلم بكل ما اغضبه او اذاه او سبه ومن ذلك كتاب عمر بن عبد العزيز
الى عامله بالكوفة وقد استشاره في قتل رجل سب عمر رضي الله عنه فكتب عمر اليه
انه لا يحل قتل امرئ مسلم بسب احد من الناس الا رجلا سب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فمن سبه فقد حل دمه وسأل الرشيد مالكا في رجل شتم
النبي صلى الله عليه وسلم وذكر له ان فقهاء العراق افتوه بجلده فغضب
مالك وقال يا امير المؤمنين ما بقاء الامة بعد شتم نبيها من شتم الانبياء قتل
ومن شتم اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم جلد قال القاضي ابو الفضل كذا وقع
في هذه الحكاية رواها غير واحد من اصحاب مناقب مالك ومؤلفي اخباره
وغيرهم ولا ادري من هؤلاء الفقهاء بالعراق الذين افتوا الرشيد بما ذكر
وقد ذكرنا مذهب العراقيين بقتله ولعلهم ممن لم يشتهر بعلم او من لا يوثق بفتواه
او يميل به هواه او يكون ما قاله يحمل على غير السب فيكون الخلاف هل هو سب
او غير سب او يكون رجع وتاب عن سبه فلم يقتله مالك على اصله والا فالاجماع
على قتل من سبه كما قدمناه ويدل على قتله من جهة النظر والاعتبار ان من سبه
او تنقصه عليه السلام فقد ظهرت علامة مرض قلبه وبرهان سر طويته وكفره ولهذا
ما حكم له كثير من العلماء بالردة وهي رواية الشاميين عن مالك والاوزاعي
وقول الثوري وابي حنيفة والكوفيين والقول الآخر انه دليل على الكفر فيقتل حدا
وان لم يحكم له بالكفر الا ان يكون متماديا على قوله غير منكر له ولا مقلع عنه فهذا

فهذا كافر وقوله اما صريح كفر كالتكذيب ونحوه او من كلمات الاستهزاء والذم
فاعترافه بها وترك توبته عنها دليل على استحلاله لذلك وهو كفر ايضا فهذا
كافر بلا خلاف قال الله تعالى في مثله يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة
الكفر وكفروا بعد اسلامهم قال اهل التفسير هي قولهم ان كان ما يقول
محمد حقا لنحن شر من الحمير وقيل بل قول بعضهم ما مثلنا ومثل محمد الا قول
القائل سمن كلبك يأكلك ولئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها
الاذل وقد قيل ان قائل مثل هذا ان كان مستترا به ان حكمه حكم الزنديق
يقتل ولانه قد غير دينه وقد قال عليه السلام من غير دينه فاضربوا عنقه
ولان لحكم النبي صلى الله عليه وسلم في الحرمة مزية على امته وساب الحر من امته
يحد فكانت العقوبة لمن سبه عليه السلام القتل لعظيم قدره وشفوف
منزلته على غيره **فصل فان قلت لم لم يقتل النبي صلى الله عليه وسلم**
اليهودي الذي قال له السام عليكم وهذا دعاء عليه ولا قتل الآخر الذي
قال له ان هذه لقسمة ما اريد بها وجه الله وقد تأذى النبي صلى الله عليه وسلم
من ذلك وقال قد اوذي موسى باكثر من هذا فصبر ولا قتل المنافقين الذين
كانوا يؤذونه في اكثر الاحيان **فاعلم** وفقنا الله واياك ان النبي صلى الله
عليه وسلم كان اول الاسلام يستألف عليه الناس ويميل قلوبهم ويحبب
اليهم الايمان ويزينه في قلوبهم ويداريهم ويقول لاصحابه انما بعثتم ميسرين ولم
تبعثوا منفرين ويقول يسروا ولا تعسروا وسكنوا ولا تنفروا ويقول لا يتحدث
الناس ان محمدا يقتل اصحابه وكان صلى الله عليه وسلم يداري الكفار والمنافقين
ويجمل صحبتهم ويغضي عنهم ويحتمل من اذاهم ويصبر على جفائهم ما لا يجوز لنا
اليوم الصبر لهم عليه وكان يرفقهم بالعطاء والاحسان وبذلك امره الله
تعالى فقال تعالى ولا تزال تطلع على خائنة منهم الا قليلا منهم فاعف عنهم
واصفح ان الله يحب المحسنين وقال تعالى ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي
بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وذلك لحاجة الناس للتألف اول الاسلام
وجمع الكلمة عليه فلما استقر واظهره الله على الدين كله قتل من قدر عليه واشتهر

امره كفعله بابن خطل ومن عهد بقتله يوم الفتح ومن امكنه قتله غيلة من يهود
وغيرهم او غلبة ممن لم ينظمه قبل سلك صحبته والانخراط في جملة مظهري الايمان
به ممن كان يؤذيه ككعب بن الاشرف وابي رافع والنضر وعقبة وكذلك نذر
دم جماعة سواهم ككعب بن زهير وابن الزبعرى وغيرهما ممن آذاه حتى القوا
بايديهم ولقوه مسلمين وبواطن المنافقين مستترة وحكمه عليه السلام
على الظاهر واكثر تلك الكلمات انما كان يقولها القائل منهم خفية ومع
امثاله ويحلفون عليها اذا نميت وينكرونها ويحلفون بالله ما قالوا ولقد
قالوا كلمة الكفر وكان مع هذا يطمع في فيئتهم ورجوعهم الى الاسلام وتوبتهم
فيصبر عليه السلام على هناتهم وجفوتهم كما صبر اولوا العزم من الرسل حتى
فاء كثير منهم باطنا كما فاء ظاهرا واخلص سرا كما اظهر جهرا ونفع الله بعد بكثير منهم
وقام منهم للدين وزراء واعوان وحماة وانصار كما جاءت به الاخبار وبهذا
اجاب بعض ائمتنا رحمهم الله عن هذا السؤال وقال لعله لم يثبت عنده
عليه السلام من اقوالهم ما رفع وانما نقله الواحد ومن لم يصل رتبة الشهادة
في هذا الباب من صبي او عبد او امراة والدماء لا تستباح الا بعدلين وعلى هذا يحمل
امر اليهود في السلام وانهم لووا به السنتهم ولم يبينوه الا ترى كيف نبهت عائشة
رضي الله عنها ولو كان صرح بذلك لم تنفرد بعلمه ولهذا نبه النبي صلى الله عليه
وسلم اصحابه على فعلهم وقلة صدقهم في سلامهم وخيانتهم في ذلك ليا بالسنتهم
وطعنا في الدين فقال ان اليهود اذا سلم احدهم فانما يقول السام عليكم
فقولوا عليكم وكذلك قال بعض اصحابنا البغداديين ان النبي صلى الله عليه
وسلم لم يقتل المنافقين بعلمه فيهم ولم يأت انه قامت بينة على نفاقهم فلذلك
تركهم صلى الله عليه وسلم وايضا فان الامر كان سرا وباطنا وظاهرهم
الاسلام والايمان وان كان من اهل الذمة بالعهد والجوار والناس قريب
عهدهم بالاسلام لم يتميز بعد الخبيث من الطيب وقد شاع عن المذكورين
في العرب كون من يتهم بالنفاق من جملة المؤمنين وصحابة سيد المرسلين
وانصار الدين بحكم ظاهرهم فلو قتلهم النبي صلى الله عليه وسلم لنفاقهم وما

وما يبدر منهم وعلمه بما اسروا في انفسهم لوجد المنفر ما يقول ولارتاب الشارد
وارجف المعاند وارتاع من صحبة النبي صلى الله عليه وسلم والدخول في الاسلام
غير واحد ولزعم الزاعم وظن العدو الظالم ان القتل انما كان للعداوة
وطلب اخذ الترة وقد رايت معنى ما حررته منسوبا الى مالك بن انس رحمه الله
ولهذا قال عليه السلام لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه وقال اولئك
الذين نهاني الله عن قتلهم وهذا بخلاف اجراء الاحكام الظاهرة عليهم من حدود
الزنا والقتل وشبهه لظهورها واستواء الناس في علمها وقد قال محمد
ابن المواز لو اظهر المنافقون نفاقهم لقتلهم النبي صلى الله عليه وسلم وقاله
القاضي ابو الحسن القصار وقال قتادة في تفسير قوله تعالى لئن لم ينته
المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا
يجاورونك فيها الا قليلا ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا
سنة الله الآية قال معناه اذا اظهروا النفاق وحكى محمد بن مسلمة في المبسوط
عن زيد بن اسلم ان قوله تعالى يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين نسخها
ما كان قبلها وقال بعض مشيختنا لعل القائل هذه قسمة ما اريد بها وجه الله
وقوله اعدل لم يفهم النبي صلى الله عليه وسلم منه الطعن عليه والتهمة له
وانما راها من وجه الغلط في الراي وامور الدنيا والاجتهاد في مصالح اهلها
فلم ير ذلك سبا وراى انه من الاذى الذي له العفو عنه والصبر عليه فلذلك
لم يعاقبه وكذلك يقال في اليهود اذ قالوا السام عليكم ليس فيه صريح
سب ولا دعاء الا بما لا بد منه من الموت الذي لا بد من لحاقه جميع البشر
وقيل بل المراد تسامون دينكم والسام والسآمة الملال وهذا دعاء على
سآمة الدين ليس بصريح سب ولهذا ترجم البخاري على هذا الحديث
باب اذا عرض الذمي او غيره بسب النبي صلى الله عليه وسلم قال بعض علمائنا
وليس هذا بتعريض بالسب وانما هو تعريض بالاذى قال القاضي ابو الفضل قد
قدمنا ان الاذى والسب في حقه عليه السلام سواء وقال القاضي ابو محمد
ابن نصر مجيبا عن هذا الحديث ببعض ما تقدم ثم قال ولم يذكر في هذا

الحديث هل كان هذا اليهودي من أهل العهد والذمة أو الحرب ولا نترك لموجب
الأدلة للأمر المحتمل والأولى في ذلك كله والأظهر من هذه الوجوه مقصد الاستئلاف
والمداراة على الدين لعلهم يؤمنون ولذلك ترجم البخاري على حديث القسمة والخوارج
باب من ترك قتال الخوارج للتألف ولئلا ينفر الناس عنه ولما ذكرنا معناه
عن مالك وقررناه قبل وقد صبر لهم عليه السلام على سحره وسمه وهو أعظم من سبه
إلى أن نصره الله عليهم وأذن له في قتل من حيّنه منهم وأنزلهم من صياصيهم
وقذف في قلوبهم الرعب وكتب على من شاء منهم الجلاء وأخرجهم من
ديارهم وخرّب بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين وكاشفهم بالسب فقال
يا إخوة القردة والخنازير وحكّم فيهم سيوف المسلمين وأجلاهم من جوارهم
وأورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا
السفلى فإن قلت فقد جاء في الحديث الصحيح عن عائشة أنه عليه السلام
ما انتقم لنفسه في شيء يؤتى إليه قط إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله فاعلم
أن هذا لا يقتضي أنه لم ينتقم ممن سبه أو آذاه وكذبه فإن هذه من حرمات الله
التي انتقم لها وإنما يكون ما لا ينتقم منه له فيما تعلق بسوء أدب أو معاملة من القول
والفعل بالنفس والمال مما لم يقصد فاعله به أذاه ولكن مما جبلت عليه
الأعراب من الجفاء والجهل أو جبل عليه البشر من الغفلة كجبذ الأعرابي بإزاره
حتى أثر في عنقه وكرفع صوت الآخر عنده وكجحد الأعرابي شراءه منه فرسه
التي شهد فيها خزيمة وكما كان من تظاهر زوجتيه وأشباه هذا مما يحسن الصفح
أو يكون هذا مما آذاه به كافر وجاء بعد ذلك إسلامه كعفوه عن اليهودي الذي
سحره وعن الأعرابي الذي أراد قتله وعن اليهودية التي سمته وقد قيل قتلها وقد
هذا مما يبلغه من أذى أهل الكتاب والمنافقين فصفح عنهم رجاء استئلافهم و
واستئلاف غيرهم بهم كما قررناه وبالله التوفيق **فصل قد تقدم الكلام
في قتل القاصد لسبه والإزراء به وغمصه بأي وجه كان من ممكن
أو محال فهذا وجه بيّن لا إشكال فيه** الوجه الثاني لاحق به في البيان والجلاء
وهو أن يكون القائل لما قال في جهته عليه السلام غير قاصد للسب والإزراء

والإزراء ولا معتقد له ولكنه تكلم في جهته عليه السلام بكلمة الكفر من لعنه أو سبه
أو تكذيبه أو إضافة ما لا يجوز عليه أو نفي ما يجب له مما هو في حقه عليه السلام نقيصة
مثل أن ينسب إليه إتيان كبيرة أو مداهنة في تبليغ الرسالة أو في حكم بين الناس
أو يغض من مرتبته أو شرف نسبه أو وفور علمه أو زهده أو يكذب بما اشتهر
من أمور أخبر بها عليه السلام وتواتر الخبر بها عنه عن قصد لرد خبره أو يأتي
بسفه من القول وقبيح من الكلام ونوع من السب في جهته وإن ظهر بدليل حاله
أنه لم يتعمد ذمه ولم يقصد سبه إما لجهالة حملته على ما قاله أو لضجر أو سكر اضطره
إليه أو قلة مراقبة وضبط للسانه وعجرفة وتهور في كلامه فحكم هذا الوجه حكم الوجه الأول
القتل دون تلعثم إذ لا يعذر أحد في الكفر بالجهالة ولا بدعوى زلل اللسان ولا بشيء
مما ذكرناه إذا كان عقله في فطرته سليمًا إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان وبهذا أفتى
الأندلسيون على ابن حاتم في نفيه الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي
قدمناه وقد قال محمد بن سحنون في المأسور يسب النبي صلى الله عليه وسلم في أيدي
العدو يقتل إلا أن يعلم تنصره أو إكراهه وعن أبي محمد بن أبي زيد لا يعذر بدعوى زلل
اللسان في مثل هذا وأفتى أبو الحسن القابسي فيمن شتم النبي صلى الله عليه وسلم
في سكره يقتل لأنه يظن به أنه يعتقد هذا ويفعله في صحوه وأيضًا فإنه حد لا يسقطه
السكر كالقذف والقتل وسائر الحدود لأنه أدخله على نفسه لأن من شرب
الخمر على علم من زوال عقله بها وإتيان ما ينكر منه فهو كالعامد لما يكون بسببه
وعلى هذا ألزمناه الطلاق والعتاق والقصاص والحدود ولا يعترض على هذا بحديث
حمزة وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم وهل أنتم إلا عبيد لأبي قال فعرف النبي صلى الله
عليه وسلم أنه ثمل فانصرف لأن الخمر كانت حينئذ غير محرمة فلم يكن في جناياتها
إثم وكان حكم ما يحدث عنها معفوًا عنه كما يحدث من النوم وشرب الدواء
المأمون **فصل الوجه الثالث** أن يقصد إلى تكذيبه فيما قاله وأتى به أو ينفي
نبوته أو رسالته أو وجوده أو يكفر به انتقل بقوله ذلك إلى دين آخر غير ملته أم
لا فهذا كافر بإجماع يجب قتله ثم ينظر فإن كان مصرحًا بذلك كان حكمه أشبه
بحكم المرتد وقوي الخلاف في استتابته وعلى القول الآخر لا تسقط القتل عنه

توبته بحق النبي صلى الله عليه وسلم بأن كان ذكره بنقيصة فيما قاله من كذب أو غيره
وإن كان مستترا بذلك فحكمه حكم الزنديق لا تسقط قتله التوبة عندنا كما سنبينه
قال أبو حنيفة وأصحابه من برئ من محمد أو كذب به فهو مرتد حلال الدم إلا أن يرجع
وقال ابن القاسم في المسلم إذا قال إن محمدا ليس بنبي أو لم يرسل أو لم ينزل
عليه قرآن وإنما هو شيء تقوّله يقتل قال ومن كفر برسول الله صلى الله عليه وسلم
وأنكره من المسلمين فهو بمنزلة المرتد وكذلك من أعلن بتكذيبه أنه كالمرتد يستتاب
وكذلك قال فيمن تنبأ وزعم أنه يوحى إليه وقاله سحنون وقال ابن القاسم دعا إلى ذلك
سرا أو جهرا قال أصبغ وهو كالمرتد لأنه قد كفر بكتاب الله مع الفرية على الله وقال أشهب
في يهودي تنبأ وزعم أنه أرسل إلى الناس أو قال بعد نبيكم نبي أنه يستتاب إن كان
معلنا بذلك فإن تاب وإلا قتل وذلك لأنه مكذب للنبي صلى الله عليه وسلم في قوله
عليه الصلاة والسلام لا نبي بعدي مفتر على الله تعالى في دعواه عليه الرسالة والنبوة
وقال محمد بن سحنون من شك في حرف مما جاء به محمد عليه الصلاة والسلام عن الله
فهو كافر جاحد وقال من كذب النبي صلى الله عليه وسلم كان حكمه عند الأمة
القتل وقال أحمد بن أبي سليمان صاحب سحنون من قال إن النبي صلى الله عليه وسلم
أسود قتل لم يكن عليه السلام بأسود وقال نحوه أبو عثمان الحداد قال لو قال إنه
مات قبل أن يلتحي أو أنه كان بتاهرت ولم يكن من تهامة قتل لأن هذا نفي قال حبيب
ابن ربيع تبديل صفته ومواضعه كفر والمظهر له كافر وفيه الاستتابة والمسر له
زنديق يقتل دون استتابة إن شاء الله تعالى

فصل الوجه الرابع

أن يأتي من
من الكلام بمجمل ويلفظ من القول بمشكل يمكن حمله على النبي صلى الله عليه وسلم
أو غيره أو يتردد في المراد به من سلامته من المكروه أو شره فهاهنا متردد النظر
وحيرة العبر ومظنة اختلاف المجتهدين ووقفة استبراء المقلدين ليهلك
من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة فمنهم من غلب حرمة النبي صلى الله عليه
وسلم وحمى حمى عرضه فجسر على القتل ومنهم من عظم حرمة الدم ودرأ الحد
بالشبهة لاحتمال القول وقد اختلف أئمتنا في رجل أغضبه غريمه فقال له صل على
على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له الطالب لا صلى الله على من صلى عليه فقيل

فقيل لسحنون هل هو كمن شتم النبي صلى الله عليه وسلم أو شتم الملائكة
الذين يصلون عليه قال لا إذا كان على ما وصفت من الغضب لأنه لم يكن مضمرا
للشتم وقال أبو إسحاق البرقي وأصبغ بن الفرج لا يقتل لأنه إنما شتم الناس
وهذا نحو قول سحنون لأنه لم يعذره بالغضب في شتم النبي صلى الله عليه وسلم
ولكنه لما احتمل الكلام عنده ولم تكن معه قرينة تدل على شتم النبي صلى الله عليه
وسلم أو شتم الملائكة صلوات الله عليهم ولا مقدمة يحمل عليها كلامه بل القرينة
تدل على أن مراده الناس غير هؤلاء لأجل قول الآخر له صل على النبي فحمل
قوله وسبه لمن يصلي عليه الآن لأجل أمر الآخر له بهذا عند غضبه هذا معنى
قول سحنون وهو مطابق لعلة صاحبيه وذهب الحارث بن مسكين القاضي
وغيره في مثل هذا إلى القتل وتوقف أبو الحسن القابسي في قتل رجل قال كل
صاحب فندق قرنان ولو كان نبيا مرسلا فأمر بشده بالقيود والتضييق
عليه حتى تستفهم البينة عن جملة ألفاظه وما يدل على مقصده هل أراد أصحاب
الفنادق الآن فمعلوم أنه ليس فيهم نبي مرسل فيكون أمره أخف قال
ولكن ظاهر لفظه العموم لكل صاحب فندق من المتقدمين والمتأخرين وقد
كان فيمن تقدم من الأنبياء والرسل من اكتسب المال قال ودم المسلم
لا يقدم عليه إلا بأمر بين وما ترد إليه التأويلات لا بد من إمعان النظر
فيه هذا معنى كلامه وحكي عن أبي محمد بن أبي زيد رحمه الله فيمن قال لعن الله العرب
ولعن الله بني إسرائيل ولعن الله بني آدم وذكر أنه لم يرد الأنبياء وإنما أردت
الظالمين منهم أن عليه الأدب بقدر اجتهاد السلطان وكذلك أفتى فيمن قال
لعن الله من حرم المسكر وقال لم أعلم من حرمه وفيمن لعن حديث لا يبع حاضر
لباد ولعن ما جاء به أنه إن كان يعذر بالجهل وعدم معرفة السنن فعليه الأدب
الوجيع وذلك أن هذا لم يقصد بظاهر حاله سب ولا سب رسوله وإنما لعن
من حرمه من الناس على نحو فتوى سحنون وأصحابه في المسألة المتقدمة ومثل هذا
ما يجري في كلام سفهاء الناس من قول بعضهم لبعض يا ابن ألف خنزير ويا ابن
مائة كلب وشبهه من هجر القول ولا شك أنه يدخل في مثل هذا العدد منقطع إلى

الى آدم عليه السلام فينبغي الزجر عنه وتبيين ما جهل قائله منه وشدة الادب
فيه ولو علم انه قصد سب من في آبائه من الانبياء على علم لقتل وقد يضيق القول
في نحو هذا لو قال لرجل هاشمي لعن الله بني هاشم وقال اردت الظالمين منهم
او قال لرجل من ذرية النبي صلى الله عليه وسلم قولا قبيحا في آبائه او من نسله او
ولده على علم منه انه من ذرية النبي صلى الله عليه وسلم ولم تكن قرينة في المسألتين
تقتضي تخصيص بعض آبائه واخراج النبي صلى الله عليه وسلم ممن سبه منهم
ولقد رأيت لابي موسى بن مناس فيمن قال لرجل لعنك الله الى آدم انه
ان ثبت ذلك عليه قتل وقد كان اختلف شيوخنا فيمن قال لشاهد شهد
عليه بشيء ثم قال له تتهمني فقال له الآخر الانبياء يتهمون فكيف انت فكان
شيخنا ابو اسحق بن جعفر يرى قتله لبشاعة ظاهر اللفظ وكان القاضي
ابو محمد بن منصور يتوقف عن القتل لاحتمال اللفظ عنده ان يكون خبرا
عمن اتهمهم من الكفار وافتى فيها قاضي قرطبة ابو عبد الله بن الحاج بنحو من هذا
وشدد القاضي ابو محمد تصفيده واطال سجنه ثم استحلفه بعد على تكذيب
ما شهد به عليه اذ دخل في شهادة بعض من شهد عليه وهن ثم اطلقه وشاهدت
شيخنا القاضي ابا عبد الله بن عيسى ايام قضائه اتي برجل هاتر رجلا اسمه
محمد ثم قصد الى كلب فضربه برجله وقال له قم يا محمد فانكر الرجل ان يكون
قال ذلك وشهد عليه لفيف من الناس فامر به الى السجن وتقصى عن حاله
وهل يصحب من يستراب بدينه فلما لم يجد ما يقوي الريبة باعتقاده ضربه بالسوط
واطلقه فصل الوجه الخامس ان لا يقصد نقصا ولا يذكر عيبا ولا سبا
لكنه ينزع بذكر بعض اوصافه او يستشهد ببعض احواله عليه السلام الجائزة
عليه في الدنيا على طريق ضرب المثل والحجة لنفسه او لغيره او على التشبه به
او عند هضيمة نالته او غضاضة لحقته ليس على طريق التأسي وطريق
التحقيق بل على مقصد الترفيع لنفسه او لغيره او سبيل التمثيل وعدم التوقير
لنبيه عليه السلام او قصد الهزل والتندير كقول القائل ان قيل في
السوء فقد قيل في النبي وان كذبت فقد كذب الانبياء وان اذنبت فقد

اذنبوا او انا اسلم من السنة الناس ولم يسلم منهم انبياء الله ورسله او قد
صبرت كما صبر اولوا العزم او كصبر ايوب او قد صبر نبي الله عن عداه وحلم
اكثر مما صبرت وكقول المتنبي   انا في امة تداركها الله   غريب كصالح في ثمود
ونحوه من اشعار المتعجرفين في القول المتساهلين في الكلام كقول المعري
كنت موسى وافته بنت شعيب   غير ان ليس فيكما من فقير   على ان آخر
البيت شديد وداخل في باب الازراء والتحقير بالنبي عليه السلام وتفضيل حال
غيره عليه وكذلك قوله   ولولا انقطاع الوحي بعد محمد   قلنا محمد من ابيه بديل
هو مثله في الفضل الا انه   لم ياته برسالة جبريل   فصدر البيت الثاني من هذا
الفصل شديد لتشبيهه غير النبي في فضله بالنبي والعجز محتمل لوجهين احدهما ان
هذه الفضيلة نقصت الممدوح والآخر استغناؤه عنها وهذه اشد ونحو
منه قول الآخر   واذا ما رفعت رايته   صفقت بين جناحي جبرين   وقول الآخر من اهل
العصر   فر من الخلد واستجار بنا   فصبر الله قلب رضوان   وكقول حسان المصيصي
من شعراء الاندلس في محمد بن عباد المعروف بالمعتمد ووزيره ابي بكر بن زيدون
كان ابا بكر ابو بكر الرضا   وحسان حسان وانت محمد   الى امثال هذا وانما اكثرنا
بشاهدها مع استثقالنا حكايتها لتعريف امثلتها ولتساهل كثير من الناس
في ولوج هذا الباب الضنك واستخفافهم فادح هذا العبء وقلة علمهم بعظيم ما فيه من الوزر
وكلامهم منه بما ليس لهم به علم ويحسبونه هينا وهو عند الله عظيم لا سيما الشعراء
واشدهم فيه تصريحا وللسانه تسريحا ابن هانئ الاندلسي وابن سليمان المعري بل
قد خرج كثير من كلامهما عن هذا الى حد الاستخفاف والنقص وصريح الكفر وقد اجبنا عنه
وغرضنا الآن الكلام في هذا الفصل الذي سقنا امثلته فان هذه كلها وان لم
تتضمن سبا ولا اضافت الى الملائكة والانبياء عليهم السلام نقصا ولست
اعني عجزي بيتي المعري ولا قصد قائلها ازراء وغضا فما وقر النبوة ولا عظم
الرسالة ولا عزر حرمة الاصطفاء ولا عزز حظوة الكرامة حتى شبه من شبه في كرامة
نالها او معرة قصد الانتفاء منها او ضرب مثل لتطييب مجلسه او اغلاء في وصف
لتحسين كلامه بمن عظم الله خطره وشرف قدره والزم توقيره وبره ونهى

عن جهر القول ورفع الصوت عنده نحو هذا ان درئ عنه القتل الادب والسجن
وقوة تعزيره بحسب شنعة مقاله ومقتضى قبح ما نطق به ومألوف عادته لمثله او
ندوره وقرينة كلامه او ندمه على ما سبق منه ولم يزل المتقدمون ينكرون مثل هذا
ممن جاء به وقد انكر الرشيد على ابي نواس قوله فان يك باقي سحر فرعون
فيكم فان عصا موسى بكف خصيب وقال له يا ابن اللخناء انت المستهزئ بعصا موسى
وامر باخراجه عن عسكره من ليلته وذكر القتيبي ان مما اخذ عليه ايضا وكفره او قارب
قوله في محمد الامين وتشبيهه اياه بالنبي صلى الله عليه وسلم تنازع الاحمدان الشبه
فاشتبها خلقا وخلقا كما قد الشراكان وقد انكروا ايضا عليه قوله كيف لا يدنيك
من امل من رسول الله من نفره لان حق الرسول صلى الله عليه وسلم وموجب
تعظيمه وانافة منزلته ان يضاف اليه ولا يضاف فالحكم في امثال هذا ما بسطناه في
طريق الفتيا على هذا المنهج جاءت فتيا امام مذهبنا مالك بن انس رحمه الله
واصحابه ففي النوادر من رواية ابن ابي مريم عنه في رجل عير رجلا بالفقر فقال تعيرني بالفقر
وقد رعى النبي صلى الله عليه وسلم الغنم فقال مالك قد عرض بذكر النبي صلى الله عليه وسلم
في غير موضعه ارى ان يؤدب قال ولا ينبغي لاهل الذنوب اذا عوتبوا ان يقولوا قد
اخطأت الانبياء قبلنا وقال عمر بن عبد العزيز لرجل انظر لنا كاتبا يكون ابوه عربيا
فقال كاتب له قد كان ابو النبي كافرا فقال جعلت هذا مثلا فعزله وقال لا تكتب
لي ابدا وقد كره سحنون ان يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم عند التعجب الا على طريق
الثواب والاحتساب توقيرا له وتعظيما كما امرنا الله وسئل القابسي عن رجل
قال لرجل قبيح كأنه وجه نكير ولرجل عبوس كأنه وجه مالك الغضبان فقال اي شيء
اراد بهذا ونكير احد فتاني القبر وهما ملكان فما الذي اراد اروع دخل عليه حين
رآه من وجهه ام عاف النظر اليه لدمامة خلقه فان كان هذا فهو شديد لانه جرى
مجرى التحقير والتهوين فهو اشد عقوبة وليس فيه تصريح بالسب للملك وانما السب
واقع على المخاطب وفي الادب بالسوط والسجن نكال للسفهاء قال واما ذاكر مالك
خازن النار فقد جفا الذي ذكره عندما انكر من عبوس الآخر الا ان يكون المعبس له يد
فيرهب بعبسته فيشبهه القائل على طريق الذم لهذا في فعله ولزومه في ظلمه صفة مالك

مالك كان اشد ويعاقب المعاقبة الشديدة وليس في هذا ذم للملك
ولو قصد ذمه لقتل وقال ابو الحسن ايضا في شاب معروف بالخير قال لرجل
شيئا فقال له الرجل اسكت فانك امي فقال الشاب اليس كان النبي
اميا فشنع عليه مقاله وكفره الناس واشفق الشاب مما قال واظهر
الندم عليه فقال ابو الحسن القابسي اما اطلاق الكفر عليه فخطأ لكنه مخطئ
في استشهاده بصفة النبي صلى الله عليه وسلم وكون النبي اميا آية له وكون
هذا اميا نقيصة فيه وجهالة ومن جهالته احتجاجه بصفة النبي صلى الله عليه وسلم
لكنه اذا استغفر وتاب واعترف ولجأ الى الله فيترك لان قوله لا ينتهي
الى حد القتل وما طريقه الادب فطوع فاعله بالندم عليه يوجب الكف عنه
ونزلت ايضا مسألة استفتى فيها بعض قضاة الاندلس شيخنا القاضي
ابا محمد بن منصور رحمه الله في رجل تنقصه رجل آخر بشيء فقال له انما تريد
نقصي بقولك وانا بشر وجميع البشر يلحقهم النقص حتى النبي صلى الله عليه وسلم
فافتاه باطالة سجنه وايجاع ادبه اذ لم يقصد السب وكان بعض فقهاء
الاندلس افتى بقتله **فصل الوجه السادس** ان يقول القائل ذلك
حاكيا عن غيره وآثرا له عن سواه فهذا ينظر في صورة حكايته وقرينة
مقالته ويختلف الحكم باختلاف ذلك على اربعة وجوه الوجوب والندب
والكراهة والتحريم فان كان اخبره على وجه الشهادة والتعريف بقائله والانكار
والاعلام بقوله والتنفير منه والتجريح له فهذا مما ينبغي امتثاله ويحمد فاعله وكذلك
ان حكاه في كتاب او في مجلس على طريق الرد له والنقض على قائله والفتيا
بما يلزمه وهذا منه ما يجب ومنه ما يستحب بحسب حالات الحاكي لذلك والمحكي
عنه فان كان القائل لذلك ممن تصدى لان يؤخذ عنه العلم او رواية
الحديث او يقطع بحكمه او شهادته او فتياه في الحقوق وجب على سامعه
الاشادة بما سمع منه والتنفير للناس عنه والشهادة عليه بما قاله ووجب
على من بلغه ذلك من ائمة المسلمين انكاره وبيان كفره وفساد قوله لقطع ضرره عن
المسلمين وقياما بحق سيد المرسلين وكذلك ان كان ممن يعظ العامة

او يؤدب المجان فان من هذه سريرته لا يؤمن على القاء ذلك في قلوبهم فيتأكد
في هؤلاء الايجاب لحق النبي صلى الله عليه وسلم ولحق شريعته وان لم يكن القائل
بهذه السبيل فالقيام بحق النبي صلى الله عليه وسلم واجب وحماية عرضه
متعين ونصرته على الاذى حيا وميتا مستحق على كل مؤمن لكنه اذا قام بهذا
من ظهر به الحق وفصلت به القضية وبان به الامر سقط عن الباقي الفرض
وبقي الاستحباب في تكثير الشهادة عليه وعضد التحذير منه وقد اجمع السلف على بيان
حال المتهم في الحديث فكيف بمثل هذا وقد سئل ابو محمد بن ابي زيد عن
الشاهد يسمع مثل هذا في حق الله تعالى ايسعه ان لا يؤدي شهادته
قال ان رجى نفاذ الحكم بشهادته فليشهد وكذلك ان علم ان الحاكم لا يرى
القتل بما شهد به ويرى الاستتابة والادب فليشهد ويلزمه ذلك واما الاباحة
لحكاية قوله لغير هذين المقصدين فلا ارى لها مدخلا في الباب فليس التفكه بعرض
النبي صلى الله عليه وسلم والتمضمض بسوء ذكره لاحد لا ذاكرا ولا آثرا لغير
غرض شرعي بمباح واما للاغراض المتقدمة فمتردد بين الايجاب والاستحباب
وقد حكى الله تعالى مقالات المفترين عليه وعلى رسله في كتابه على وجه الانكار
لقولهم والتحذير من كفرهم والوعيد عليه والرد عليهم بما تلاه الله علينا في محكم
كتابه وكذلك وقع في امثاله في احاديث النبي صلى الله عليه وسلم الصحيحة على الوجوه
المتقدمة واجمع السلف والخلف من ائمة الهدى على حكايات مقالات
الكفرة والملحدين في كتبهم ومجالسهم ليبينوها للناس وينقضوا شبهها عليهم
وان كان ورد لاحمد بن حنبل انكار لبعض هذا على الحارث بن اسد فقد صنع احمد
مثله في رده على الجهمية والقائلين بالمخلوق وهذه الوجوه السائغة الحكاية
عنها فاما ذكرها على غير هذا من حكاية سبه والازراء بمنصبه على وجه الحكايات
والاسمار والطرف واحاديث الناس ومقالاتهم في الغث والسمين ومضاحك
المجان ونوادر السخفاء والخوض في قيل وقال وما لا يعني فكل هذا ممنوع وبعضه
اشد في المنع والعقوبة من بعض فما كان من قائله الحاكي له على غير قصد
او معرفة بمقدار ما حكاه او لم تكن عادته او لم يكن الكلام من البشاعة حيث هو

هو ولم يظهر على حاكيه استحسانه واستصوابه زجر عن ذلك ونهي عن العودة
اليه وان قوم ببعض الادب فهو مستوجب له وان كان لفظه من البشاعة
حيث هو كان الادب اشد وقد حكي ان رجلا سأل مالكا عمن يقول
القرآن مخلوق فقال مالك كافر فاقتلوه فقال انما حكيته عن غيري فقال
مالك انما سمعناه منك وهذا من مالك رحمه الله على طريق الزجر والتغليظ
بدليل انه لم ينفذ قتله وان اتهم هذا الحاكي فيما حكاه انه اختلقه ونسبه
الى غيره او كانت تلك عادة له او ظهر استحسانه لذلك او كان مولعا بمثله
والاستخفاف له او التحفظ لمثله وطلبه ورواية اشعار هجوه عليه السلام
وسبه فحكم هذا حكم الساب نفسه يؤاخذ بقوله ولا ينفعه نسبته الى غيره فيبادر
بقتله ويعجل الى الهاوية امه وقد قال ابو عبيد القسم بن سلام فيمن حفظ
شطر بيت مما هجي به النبي صلى الله عليه وسلم فهو كفر وقد ذكر بعض من الف
في الاجماع اجماع المسلمين على تحريم رواية ما هجي به النبي صلى الله عليه وسلم
وكتابته وقراءته وتركه متى وجد دون محو ورحم الله اسلافنا المتقين
المتحرزين لدينهم فقد اسقطوا من احاديث المغازي والسير ما كان هذا سبيله
وتركوا روايته الا اشياء ذكروها يسيرة وغير مستبشعة على نحو الوجوه الاول
ليروا نقمة الله من قائلها واخذه المفتري عليه بذنبه وهذا ابو عبيد القسم
بن سلام رحمه الله قد تحرى فيما اضطر الى الاستشهاد به من اهاجي اشعار العرب
في كتبه فكنى عن اسم المهجو بوزن اسمه استبراء لدينه وتحفظا من المشاركة
في ذم احد بروايته او نشره فكيف بما يتطرق الى عرض سيد البشر صلى الله
عليه وسلم **فصل الوجه السابع** ان يذكر ما يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم
او يختلف في جوازه عليه وما يطرأ من الامور البشرية به ويمكن اضافتها اليه
او يذكر ما امتحن به وصبر في ذات الله على شدته من مقاساة اعدائه واذاهم
له ومعرفة ابتداء حاله وسيرته وما لقيه من بؤس زمنه ومر عليه من معاناة
عيشته كل ذلك على طريق الرواية ومذاكرة العلم ومعرفة ما صحت منه العصمة
للانبياء عليهم السلام وما يجوز عليهم فهذا فن خارج عن هذه الفنون الستة

إذ ليس فيه غمص ولا نقص ولا إزراء ولا استخفاف لا في ظاهر اللفظ ولا
في مقصد اللافظ لكن يجب أن يكون الكلام فيه مع أهل العلم وفهماء طلبة الدين
ممن يفهم مقاصده ويحققون فوائده ويجنب ذلك من عسى لا يفقه أو يخشى
به فتنة فقد كره بعض السلف تعليم النساء سورة يوسف لما انطوت عليه
من تلك القصص لضعف معرفتهن ونقص عقولهن وإدراكهن فقد قال
عليه السلام مخبرا عن نفسه باستئجاره لرعاية الغنم وأخبرنا الله بذلك عن موسى
عليه السلام وهذا لا غضاضة فيه جملة واحدة لمن ذكره على وجهه بخلاف من
قصد به الغضاضة والتحقير بل كانت عادة جميع العرب نعم في ذلك للأنبياء حكمة
بالغة وتدريج لله تعالى لهم إلى كرامته وتدريب برعايتها لسياسة أممهم من خليقته
بما سبق لهم من الكرامة في الأزل ومتقدم العلم وكذلك قد ذكر الله يتمه وعيلته
على طريق المنة عليه والتعريف بكرامته له فذكر الذاكر لها على وجه تعريف حاله
والخبر عن مبتدائه والتعجب من منح الله قبله وعظيم منته عنده ليس فيه غضاضة
بل فيه دلالة على نبوته وصحة دعوته إذ أظهره الله تعالى بعد هذا على صناديد العرب
ومن ناواه من أشرافهم شيئا فشيئا ونمى أمره حتى قهرهم وتمكن من ملك
مقاليدهم واستباحة ممالك كثير من الأمم غيرهم بإظهار الله تعالى له وتأييده
بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم وإمداده بالملائكة المسومين ولو كان
ابن ملك أو ذا أشياع متقدمين لحسب كثير من الجهال أن ذلك موجب
ظهوره ومقتضى علوه ولهذا قال هرقل حين سأل أبا سفيان عنه هل في آبائه
من ملك ثم قال ولو كان في آبائه ملك لقلنا رجل يطلب ملك أبيه وإذا يتمه
من صفته وإحدى علاماته في الكتب المتقدمة وأخبار الأمم السالفة وكذا وقع
ذكره في كتاب أرميا وبهذا وصفه ابن ذي يزن لعبد المطلب وبحيرا لأبي طالب
وكذلك إذا وصف بأنه أمي كما وصفه الله به فهي مدحة له وفضيلة ثابتة
فيه وقاعدة معجزته إذ معجزته العظمى من القرآن العظيم إنما هي متعلقة بطريق
المعارف والعلوم مع ما منح رسول الله صلى الله عليه وسلم وفضل به من ذلك
كما قدمناه في القسم الأول ووجود مثل ذلك من رجل لم يقرأ ولم يكتب ولم

ولم يدارس ولا لقن مقتضى العجب ومنتهى العبر ومعجزة البشر وليس في ذلك
نقيصة إذ المطلوب من الكتابة والقراءة المعرفة وإنما هي آلة لها وواسطة
موصلة إليها غير مرادة في نفسها فإذا حصلت الثمرة والمطلوب استغني
عن الواسطة والسبب والأمية في غيره نقيصة لأنها سبب الجهالة وعنوان
الغباوة فسبحان من باين أمره من أمر غيره وجعل شرفه فيما فيه محطة سواه
وحياته فيما فيه هلاك من عداه هذا شق قلبه وإخراج حشوته كان تمام حياته وغاية
قوة نفسه وثبات روعه وهو فيمن سواه منتهى هلاكه وحتم موته وفنائه وهلم جرا
إلى سائر ما روي من أخباره وسيره وتقلله من الدنيا ومن الملبس والمطعم و
والمركب وتواضعه ومهنته نفسه في أموره وخدمته بيته زهدا ورغبة عن الدنيا
وتسويته بين حقيرها وخطيرها لسرعة فناء أمورها وتقلب أحوالها كل هذا من فضائله
ومآثره وشرفه كما ذكرناه فمن أورد شيئا منها مورده وقصد بها مقصده كان
حسنا ومن أورد ذلك على غير وجهه وعلم منه بذلك سوء قصده لحق بالفصول
التي قدمناها وكذلك ما ورد من أخباره وأخبار الأنبياء عليهم السلام
في الأحاديث مما في ظاهره إشكال يقتضي أمورا لا تليق بهم بحال ويحتاج إلى تأويل
وتردد احتمال فلا يجب منها إلا بالصحيح ولا يروى منها إلا المعلوم الثابت
ورحم الله مالكا فلقد كره التحدث بمثل ذلك من الأحاديث الموهمة للتشبيه والمشكلة
المعنى وقال ما يدعو الناس إلى التحدث بمثل هذا فقيل له إن ابن عجلان يحدث بها
فقال لم يكن من الفقهاء وليت الناس وافقوه على ترك التحدث بها وساعدوه
على طيها فأكثرها ليس تحته عمل وقد حكي عن جماعة من السلف بل عنهم على الجملة
أنهم كانوا يكرهون الكلام فيما ليس تحته عمل والنبي صلى الله عليه وسلم أوردها على قوم
عرب يفهمون كلام العرب على وجهه وتصرفاتهم في حقيقته ومجازه واستعارته و
وبليغه وإيجازه فلم تكن في حقهم مشكلة ثم جاء من غلبت عليه العجمة وداخلته الأمية
فلا يكاد يفهم من مقاصد العرب إلا نصها وصريحها ولا يتحقق إشارتها إلى غرض
الإيجاز ووحيها وتبليغها وتلويحها فتفرقوا في تأويلها أو حملها على ظاهرها شذر
مذر فمنهم من آمن به ومنهم من كفر فأما ما لا يصح من هذه الأحاديث فواجب ألا

ذكر منها شيء في حق الله تعالى ولا حق انبيائه ولا يتحدث بها ولا يتكلف الكلام
على معانيها والصواب طرحها وترك الشغل بها الا ان تذكر على وجه التعريف بانها
ضعيفة المعاني واهية الاسناد وقد انكر الاشياخ على ابي بكر بن فورك تكلفه في مشكله
الكلام على احاديث ضعيفة موضوعة لا اصل لها او منقولة عن اهل الكتاب الذين
يلبسون الحق بالباطل كان يكفيه طرحها ويغنيه عن الكلام عليها التنبيه على ضعفها اذ المقصود
بالكلام على مشكل ما فيها ازالة اللبس بها واجتثاثها من اصلها وطرحها اكشف للبس
واشفى للنفس **فصل ومما يجب على المتكلم فيما يجوز على النبي وما لا يجوز** والذاكر حالات
ما قدمناه في الفصل قبل هذا على طريق المذاكرة والتعليم ان يلتزم في كلامه عند ذكره
عليه السلام وذكر تلك الاحوال الواجب من توقيره وتعظيمه ويراقب حال لسانه
ولا يهمله وتظهر عليه علامات الادب عند ذكره فاذا ذكر ما قاساه من الشدائد ظهر
عليه الاشفاق والارتماض والغيظ على عدوه ومودة الفداء للنبي صلى الله عليه
وسلم لو قدر عليه والنصرة له لو امكنته واذا اخذ في ابواب العصمة وتكلم على مجاري اعماله
واقواله عليه السلام تحرى احسن اللفظ وادب العبارة ما امكنه واجتنب بشيع ذلك
وهجر من العبارة ما يقبح كلفظة الجهل والكذب والمعصية فاذا تكلم في الاقوال قال
هل يجوز عليه الخلف في القول والاخبار بخلاف ما وقع سهوا او غلطا ونحوه من العبارة
ويتجنب لفظة الكذب جملة واحدة واذا تكلم على العلم قال هل يجوز ان لا يعلم الا ما علم
وهل يمكن ان لا يكون عنده علم من بعض الاشياء حتى يوحى اليه ولا يقول بجهل لقبيح
اللفظ وبشاعته واذا تكلم في الافعال قال هل يجوز منه المخالفة في بعض
الاوامر والنواهي ومواقعة بعض الصغائر فهو اولى وادب من قوله هل يجوز
ان يعصي او يذنب او يفعل كذا وكذا من انواع المعاصي فهذا من حق توقيره عليه السلام
وما يجب له من تعزير واعظام وقد رأيت بعض العلماء لم يتحفظ من هذا فقبح منه
ولم استصوب عبارته فيه ووجدت بعض الجائرين قوله لاجل ترك تحفظه
في العبارة ما لم يقله وشنع عليه بما يأباه ويكفر قائله واذا كان مثل هذا بين الناس
مستعملا في آدابهم وحسن معاشرتهم وخطابهم فاستعماله في حقه عليه السلام
اوجب والتزامه آكد فجودة العبارة تقبح الشيء وتحسنه وتحريرها وتهذيبها يعظم

الامر ويهونه ولهذا قال عليه السلام ان من البيان لسحرا فاما ما ورد
على جهة النفي عنه والتنزيه له فلا حرج في تسريح العبارة وتصريحها فيه كقوله
لا يجوز عليه الكذب جملة ولا اتيان الكبائر بوجه ولا الجور في الحكم على حال ولكن
مع هذا يجب ظهور توقيره وتعظيمه وتعزيره عند ذكره مجردا فكيف عند ذكر
مثل هذا وقد كان السلف تظهر عليهم حالات شديدة عند مجرد ذكره كما
قدمناه في القسم الثاني وكان بعضهم يلتزم مثل ذلك عند تلاوة آي
من القرآن حكى الله فيها مقال عداه ومن كفر باياته وافترى عليه الكذب
فكان يخفض بها صوته اعظاما لربه واجلالا له واشفاقا من التشبه بمن كفر به

الباب الثاني في حكم سابه وشانئه ومتنقصه ومؤذيه وعقوبته وذكر استتابته ووراثته

قد قدمنا ما هو سب واذى في حقه عليه السلام و
ذكرنا اجماع العلماء على قتل فاعل ذلك وقائله وتخيير الامام في قتله او صلبه
على ما ذكرناه وقررنا الحجج عليه وبعد فاعلم ان مشهور مذهب مالك واصحابه
وقول السلف وجمهور العلماء قتله حدا لا كفرا ان اظهر التوبة منه ولهذا
لا تقبل عندهم توبته ولا تنفعه استقالته ولا فيئته كما قدمناه قبل وحكمه حكم
الزنديق ومسر الكفر في هذا القول وسواء كانت توبته على هذا بعد القدرة
عليه والشهادة على قوله او جاء تائبا من قبل نفسه لانه حد وجب لا تسقطه
التوبة كسائر الحدود وقال الشيخ ابو الحسن القابسي رحمه الله اذا اقر
بالسب وتاب منه واظهر التوبة قتل بالسب اذ هو حده وقال ابو محمد بن ابي زيد
في مثله فاما ما بينه وبين الله تعالى فتوبته تنفعه وقال ابن سحنون من شتم
النبي صلى الله عليه وسلم من الموحدين ثم تاب عن ذلك لم تزل توبته
عنه القتل وكذلك اختلف في الزنديق اذا جاء تائبا فحكى القاضي ابو الحسن
ابن القصار في ذلك قولين قال من شيوخنا من قال اقتله باقراره
لانه كان يقدر على ستر نفسه فلما اعترف خفنا انه خشي الظهور عليه فبادر
لذلك ومنهم من قال اقبل توبته لاني استدل على صحتها بمجيئه فكانا
وقفنا على باطنه بخلاف من اسرته البينة قال القاضي ابو الفضل وهذا

قول اصبغ في مسئلة ساب النبي صلى الله عليه وسلم اقوى لا يتصور فيها الخلاف
على الاصل المتقدم لانه حق متعلق للنبي صلى الله عليه وسلم ولامته بسببه
لا تسقطه التوبة كسائر حقوق الآدميين والزنديق اذا تاب بعد القدرة
عليه فعند مالك والليث واسحق واحمد لا تقبل توبته وعند الشافعي تقبل
واختلف فيه عن ابي حنيفة وابي يوسف وحكى ابن المنذر عن علي بن ابي طالب
رضي الله عنه يستتاب وقال محمد بن سحنون ولم يزل القتل عن المسلم بالتوبة
من سبه عليه السلام لانه لم ينتقل من دين الى غيره وانما فعل شيئا حده
عندنا القتل لا عفو فيه لاحد كالزنديق لانه لم ينتقل من ظاهر الى ظاهر
وقال القاضي ابو محمد بن نصر محتجا لسقوط اعتبار توبته والفرق بينه وبين
من سب الله تعالى على مشهور القول باستتابته ان النبي بشر والبشر جنس
تلحقهم المعرة الا من اكرمه الله بنبوته والباري تعالى منزه عن جميع المعايب قطعا
وليس من جنس تلحق المعرة بجنسه وليس سبه عليه السلام كالارتداد المقبول
فيه التوبة لان الارتداد معنى ينفرد به المرتد لا حق فيه لغيره من الآدميين
فقبلت توبته ومن سب النبي تعلق فيه حق لآدمي فكان كالمرتد يقتل حين
ارتداده او يقذف فان توبته لا تسقط عنه حد القتل والقذف وايضا
فان توبة المرتد اذا قبلت لا تسقط ذنوبه من زنا وسرقة وغيرها ولم يقتل
ساب النبي صلى الله عليه وسلم لكفره لكن لمعنى يرجع الى تعظيم حرمته وزوال المعرة
به وذلك لا تسقطه التوبة قال القاضي ابو الفضل يريد والله اعلم لان سبه
لم يكن بكلمة تقتضي الكفر لكن بمعنى الازراء والاستخفاف او لان بتوبته واظهار
انابته ارتفع عنه اسم الكفر ظاهرا والله اعلم بسريرته وبقي حكم السب عليه
وقال ابو عمران القابسي من سب النبي عليه السلام ثم ارتد عن الاسلام
قتل ولم يستتب لان السب من حقوق الآدميين التي لا تسقط عن المرتد
وكلام شيوخنا هؤلاء مبني على القول بقتله حدا لا كفرا وهو يحتاج الى تفصيل
واما على رواية الوليد بن مسلم عن مالك ومن وافقه على ذلك ممن ذكرناه
وقال به من اهل العلم فقد صرحوا انه ردة قالوا ويستتاب منها فان تاب نكل

نكل وان ابى قتل فحكم له بحكم المرتد مطلقا في هذا الوجه والوجه الاول اشهر
واظهر لما قدمناه ونحن نبسط الكلام فيه فنقول من لم يره ردة فهو يوجب
القتل فيه حدا وانما نقول ذلك مع فصلين اما مع انكاره ما شهد عليه
عليه به او اظهاره الاقلاع والتوبة عنه فقتله حدا لثبات كلمة الكفر عليه
في حق النبي صلى الله عليه وسلم وتحقيره ما عظم الله من حقه واجرينا
حكمه في ميراثه وغير ذلك حكم الزنديق اذا ظهر عليه وانكر او تاب فان قيل فكيف
تثبتون عليه الكفر وتشهد عليه بكلمة الكفر ولا تحكمون عليه بحكمه من الاستتابة
وتوابعها قلنا نحن وان اثبتنا له حكم الكافر في القتل فلا نقطع عليه بذلك لاقراره
بالتوحيد والنبوة وانكاره ما شهد به عليه او زعمه ان ذلك كان منه وهلا
ومعصية وانه مقلع عن ذلك نادم عليه ولا يمتنع اثبات بعض احكام
الكفر على بعض الاشخاص وان لم تثبت له خصائصه كقتل تارك الصلاة
واما من علم انه سبه معتقدا لاستحلاله فلا شك في كفره بذلك وكذلك ان كان
سبه في نفسه كفرا كتكذيبه او تكفيره ونحوه فهذا مما لا اشكال فيه ويقتل
وان تاب منه لانا لا نقبل توبته ونقتله بعد التوبة حدا لقوله ومتقدم كفره
وامره بعد الى الله المطلع على صحة اقلاعه العالم بسره وكذلك من لم يظهر
التوبة واعترف بما شهد به عليه وصمم عليه فهذا كافر بقوله وباستحلاله هتك
حرمة الله وحرمة نبيه يقتل كافرا بلا خلاف فعلى هذه التفصيلات خذ كلام
العلماء ونزل مختلف عباراتهم في الاحتجاج عليها واجر اختلافهم في الموارثة
وغيرها على ترتيبها تتضح لك مقاصدهم ان شاء الله تعالى

فصل

اذا قلنا بالاستتابة حيث تصح فالاختلاف فيها على الاختلاف في توبة المرتد اذ لا فرق وقد اختلف السلف في وجوبها وصورتها ومدتها فذهب
جمهور اهل العلم الى ان المرتد يستتاب وحكى ابن القصار انه اجماع من الصحابة
رضوان الله عليهم على تصويب قول عمر رضي الله عنه في الاستتابة ولم ينكره
واحد منهم وهو قول عثمان وعلي وابن مسعود رضي الله عنهم وبه قال عطاء بن
رباح والثوري والنخعي ومالك واصحابه والاوزاعي والشافعي واحمد واسحق

واصحاب الرأي وذهب طاوس وعبيد بن عمير والحسن في احدى الروايتين
عنه انه لا يستتاب وقاله عبد العزيز بن ابي سلمة وذكره عن معاذ وانكره
سحنون عن معاذ وحكاه الطحاوي عن ابي يوسف وهو قول اهل الظاهر
قالوا وتنفعه توبته عند الله ولكن لا ندرأ القتل عنه لقوله صلى الله عليه وسلم
من بدل دينه فاقتلوه وحكي ايضا عن عطاء انه ان كان ممن ولد في الاسلام لم يستتب ويستتاب
الاسلامي وجمهور العلماء على ان المرتد والمرتدة في ذلك سواء وروي عن علي
رضي الله عنه لا تقتل المرتدة وتسترق وقاله عطاء وقتادة وروي عن ابن
عباس لا تقتل النساء في الردة وبه قال ابو حنيفة قال مالك والحر والعبد
والذكر والانثى في ذلك سواء واما مدتها فمذهب الجمهور وروي عن عمر انه يستتاب
ثلثة ايام يحبس فيها وقد اختلف فيه عن عمر وهو احد قولي الشافعي وقول احمد
واسحق واستحسنه مالك وقال لا يأتي الاستظهار الا بخير وليس عليه جماعة
الناس قال الشيخ ابو محمد بن ابي زيد يريد في الاستيناء ثلثا وقال مالك ايضا
الذي اخذ به في المرتد قول عمر يحبس ثلثة ايام ويعرض عليه كل يوم فان تاب
والا قتل وقال ابو الحسن بن القصار في تأخيره ثلثا روايتان عن مالك هل ذلك
واجب او مستحب واستحسن الاستتابة ثلثا اصحاب الرأي وروي عن ابي بكر
الصديق رضي الله عنه انه استتاب امرأة فلم تتب فقتلها وقال الشافعي
مرة فقال ان لم يتب مكانه قتل واستحسنه المزني وقال الزهري يدعى الى الاسلام
ثلث مرات فان ابى قتل وروي عن علي رضي الله عنه يستتاب شهرين وقال
النخعي يستتاب ابدا وبه اخذ الثوري ما رجيت توبته وحكى ابن القصار عن ابي حنيفة
انه يستتاب ثلث مرات في ثلثة ايام او ثلث جمع كل يوم او جمعة مرة وفي كتاب
محمد بن القسم يدعى المرتد الى الاسلام ثلث مرات فان ابى ضربت عنقه و
واختلف على هذا هل يهدد او يشدد عليه ايام الاستتابة ليتوب ام لا فقال
مالك ما علمت في الاستتابة تجويعا ولا تعطيشا ويؤتى من الطعام بما لا يضره وقال
اصبغ يخوف ايام الاستتابة بالقتل ويعرض عليه الاسلام وفي كتاب ابي الحسن
القابسي يوعظ في تلك الايام ويذكر بالجنة ويخوف بالنار قال اصبغ وآي

واي المواضع حبس فيها من السجون مع الناس او وحده اذا استوثق
منه سواء ويوقف ماله اذا خيف ان يتلفه على المسلمين ويطعم منه ويسقى
وكذلك يستتاب ابدا كلما رجع وارتد وقد استتاب النبي صلى الله عليه وسلم
نبهان الذي ارتد اربع مرات او خمسا قال ابن وهب عن مالك يستتاب
ابدا كلما رجع وهو قول الشافعي واحمد وقاله ابن القسم وقال اسحق يقتل
في الرابعة وقال اصحاب الرأي ان لم يتب في الرابعة قتل دون استتابة
وان تاب ضرب ضربا وجيعا ولم يخرج من السجن حتى يظهر عليه خشوع التوبة
وقال ابن المنذر ولا نعلم احدا اوجب على المرتد في المرة الاولى ادبا اذا رجع
وهو على مذهب مالك والشافعي والكوفي

فصل هذا حكم من ثبت عليه ذلك

بما يجب ثبوته من اقرار او عدول لم يدفع فيهم فاما من لم تتم الشهادة
عليه بما شهد عليه الواحد او اللفيف من الناس او ثبت قوله لكن احتمل ولم يكن صريحا
وكذلك ان تاب على القول بقبول توبته فهذا يدرأ عنه القتل ويتسلط
عليه اجتهاد الامام بقدر شهرة حاله وقوة الشهادة عليه وضعفها وكثرة
السماع عنه وصورة حاله من التهمة في الدين والنبز بالسفه والمجون فمن قوي
امره اذاقه من شديد النكال من التضييق في السجن والشد في القيود الى الغاية
التي هي منتهى طاقته مما لا يمنعه القيام لضرورته ولا يقعده عن صلوته وهو
حكم كل من وجب عليه القتل لكن وقف عن قتله لمعنى اوجبه وتربص به لاشكال
وعائق اقتضاه امره وحالات الشدة في نكاله تختلف بحسب اختلاف حاله
وقد روى الوليد عن مالك والاوزاعي انها ردة فاذا تاب نكل ولمالك
في العتبية وكتاب محمد من رواية اشهب اذا تاب المرتد فلا عقوبة عليه
وقاله سحنون وافتى ابو عبد الله بن عتاب فيمن سب النبي صلى الله عليه وسلم
فشهد عليه شاهدان عدل احدهما بالادب الموجع والتنكيل والسجن الطويل
حتى تظهر توبته وقال القابسي في مثل هذا ومن كان اقصى امره القتل فعاق
عائق اشكل في القتل لم ينبغ ان يطلق من السجن ويستطال سجنه ولو كان
فيه من المدة ما عسى ان يقيم ويحمل عليه من القيد ما يطيق وقال في مثله

ممن تشكل امره شدد في القيود شدا ويضيق عليه في السجن حتى ينظر فيما نسب
عليه وقال في مسئلة اخرى مثلها ولا تهراق الدماء الا بالامر الواضح وفي الادب
بالسوط والسجن نكال للسفهاء ويعاقب عقوبة شديدة فاما ان لم يشهد عليه
سوى شاهدين فاثبت من عداوتهما او جرحتهما ما اسقطهما عنه ولم يسمع ذلك
من غيرهما فامره اخف لسقوط الحكم عنه وكانه لم يشهد عليه الا ان يكون ممن
يليق به ذلك ويكون الشاهدان من اهل التبريز فاسقطهما بعداوة فهو وان لم
ينفذ الحكم عليه بشهادتهما فلا يدفع الظن صدقهما وللحاكم هنا في تنكيله موضع
اجتهاد والله ولي الارشاد **فصل هذا حكم المسلم فاما الذمي اذا صرح** بسبه او عرض
او استخف بقدره او وصفه بغير الوجه الذي كفر به فلا خلاف عندنا في قتله
ان لم يسلم لانا لم نعطه الذمة او العهد على هذا وهو قول عامة العلماء الا ابا حنيفة
والثوري واتباعهما من اهل الكوفة فانهم قالوا لا يقتل ما هو عليه من الشرك اعظم
ولكن يؤدب ويعزر واستدل بعض شيوخنا على قتله بقوله تعالى وان نكثوا
ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم الاية ويستدل ايضا عليه بقتل النبي صلى الله
عليه وسلم لابن الاشرف واشباهه ولانا لم نعاهدهم ولم نعطهم الذمة على هذا
ولا يجوز لنا ان نفعل ذلك معهم فاذا اتوا ما لم يعطوا عليه العهد ولا الذمة فقد
نقضوا ذمتهم وصاروا كفارا اهل حرب يقتلون لكفرهم وايضا فان ذمتهم لا تسقط
حدود الاسلام عنهم من القطع في سرقة اموالهم والقتل لمن قتلوه منهم وان كان
ذلك حلالا عندهم فكذلك سبهم للنبي صلى الله عليه وسلم يقتلون به ووردت
لاصحابنا ظواهر تقتضي الخلاف اذا ذكره الذمي بالوجه الذي كفر به ستقف عليها
من كلام ابن القسم وابن سحنون بعد وحكى ابو المصعب الخلاف فيها عن اصحابه
المدنيين واختلفوا اذا سبه ثم اسلم فقيل يسقط اسلامه قتله لان الاسلام
يجب ما قبله بخلاف المسلم اذا سبه ثم تاب لانا نعلم باطنه الكافر في بغضه
له وتنقصه في قلبه لكنا منعناه من اظهاره فلم يزدنا ما اظهره الا مخالفة للامر ونقضا
للعهد فاذا رجع عن دينه الاول الى الاسلام سقط ما قبله قال الله تعالى قل
للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف والمسلم بخلافه اذ كان ظننا

ظننا بباطنه حكم ظاهره وخلاف ما بدا منه الآن فلم نقبل بعد رجوعه ولا استنمنا
الى باطنه اذ قد بدت سرائره وما ثبت عليه من الاحكام باقية عليه لم يسقطها
شيء وقيل لا يسقط اسلام الذمي الساب قتله لانه حق للنبي صلى الله عليه وسلم
وجب عليه لانتهاكه حرمته وقصده الحاق النقيصة والمعرة به فلم يكن رجوعه الى الاسلام
بالذي يسقطه كما وجب عليه من حقوق المسلمين من قبل اسلامه من قتل وقذف
واذا كنا لا نقبل توبة المسلم فان لا نقبل توبة الكافر اولى قال مالك في كتاب ابن حبيب
والمبسوط وابن القسم وابن الماجشون وابن عبد الحكم واصبغ فيمن شتم
نبينا من اهل الذمة او احدا من الانبياء عليهم السلام قتل الا ان يسلم وقاله
ابن القسم في العتبية وعند محمد وابن سحنون وقال سحنون واصبغ لا يقال له اسلم
ولا لا تسلم ولكن ان اسلم فذلك له توبة وفي كتاب محمد اخبرنا اصحاب مالك انه قال
من سب رسول الله صلى الله عليه وسلم او غيره من النبيين من مسلم او كافر قتل
ولم يستتب وروي لنا عن مالك الا ان يسلم الكافر وقد روى ابن وهب عن ابن
عمر ان راهبا تناول النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابن عمر فهلا قتلتموه وروى عيسى
عن ابن القسم في ذمي قال ان محمدا لم يرسل الينا انما ارسل اليكم وانما نبينا موسى او
عيسى ونحو هذا لا شيء عليهم لان الله تعالى اقرهم على مثله واما ان سبه
فقال ليس بنبي ولم يرسل او لم ينزل عليه قرآن وانما هو شيء تقوله او نحو هذا
فيقتل قال ابن القسم واذا قال النصراني ديننا خير من دينكم انما دينكم دين الحمير
ونحو هذا من القبيح او سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله فقال كذلك
يعطيكم الله ففي هذا الادب الموجع والسجن الطويل قال واما ان شتم النبي شتما
يعرف فانه يقتل الا ان يسلم قاله مالك غير مرة ولم يقل يستتاب قال ابن القسم
ومحمل قوله عندي ان اسلم طائعا وقال ابن سحنون في سؤالات سليمن بن سالم
في اليهودي يقول للمؤذن اذا تشهد كذبت يعاقب العقوبة الموجعة مع السجن الطويل
وفي النوادر من رواية سحنون عنه من شتم الانبياء من اليهود والنصارى بغير الوجه
الذي به كفروا ضربت عنقه الا ان يسلم قال محمد بن سحنون فان قيل لم قتلته في سب
النبي صلى الله عليه وسلم ومن دينه سبه وتكذيبه قيل لانا لم نعطهم العهد على ذلك

ولا على قتلنا واخذ اموالنا فاذا قتل واحدا منا قتلناه وان كان من دينه استحلال
مثل ذلك اظهاره لسب نبينا قال ابن سحنون كما لو بذل لنا اهل الحرب الجزية على
على اقرارهم على سبه لم يجز لنا ذلك في قول قائل كذلك ينتقض عهد من سب
منهم ويحل لنا دمه وكما لم يحصن الاسلام من سبه من القتل كذلك لا تحصنه الذمة
قال القاضي ابو الفضل ما ذكره ابن سحنون عن نفسه وعن ابيه مخالف لقول ابن القسم
فيما خفف عقوبتهم فيه مما به كفروا فتأمله ويدل على انه خلاف ما روي عن المدنيين في
في ذلك ما حكى ابو المصعب الزهري قال اتيت بنصراني قال والذي اصطفى عيسى على محمد
فاختلف علي فيه فضربته حتى قتلته او عاش يوما وليلة وامرت من جر برجله وطرح
على مزبلة فاكلته الكلاب وسئل ابو المصعب عن نصراني قال عيسى خلق محمدا فقال
يقتل وقال ابن القسم سألنا مالكا عن نصراني بمصر شهد عليه انه قال مسكين محمد
يخبركم انه في الجنة ماله لم ينفع نفسه اذ كانت الكلاب تأكل ساقيه لو قتلوه استراح
منه الناس قال مالك ارى ان تضرب عنقه قال ولقد كدت ان لا اتكلم فيها
ثم رأيت انه لا يسعني الصمت قال ابن كنانة في المبسوط من شتم النبي صلى الله عليه
وسلم من اليهود والنصارى فارى للامام ان يحرقه بالنار وان شاء قتله ثم حرق
جثته وان شاء احرقه بالنار حيا اذا تهافتوا في سبه ولقد كتب الى مالك من مصر
وذكر مسئلة ابن القسم المتقدمة قال فامرني مالك فكتبت بان يقتل وان تضرب
عنقه فكتبت ثم قلت يا ابا عبد الله واكتب ثم يحرق بالنار فقال انه لحقيق بذلك
وما اولاه به فكتبته بيدي بين يديه فما انكره ولا عابه ونفذت الصحيفة بذلك فقتل وحرق
وافتى عبيد الله بن يحيى وابن لبابة في جماعة سلف اصحابنا الاندلسيين بقتل نصرانية
استهلت بنفي الربوبية ونبوة عيسى لله وتكذيب محمد في النبوة وبقبول اسلامها
ودرء القتل عنها به قال غير واحد من المتأخرين منهم القابسي وابن الكاتب
وقال ابو القسم بن الجلاب في كتابه من سب الله ورسوله من مسلم او كافر
قتل ولا يستتاب وحكى القاضي ابو محمد في الذمي يسب روايتين في درء القتل عنه
باسلامه وقال ابن سحنون وحد القذف وشبهه من حقوق العباد لا يسقط عن
الذمي اسلامه وانما يسقط عنه باسلامه حدود الله فاما حد القذف فحق للعباد كان

كان ذلك لنبي او غيره فاوجب على الذمي اذا قذف النبي صلى الله عليه وسلم ثم اسلم
حد القذف ولكن انظر ماذا يجب عليه هل حد القذف في حق النبي صلى الله عليه وسلم
وهو القتل لزيادة حرمة النبي صلى الله عليه وسلم على غيره ام هل يسقط القتل باسلامه
ويحد ثمانين

فصل في ميراث من قتل بسب النبي صلى الله عليه وسلم وغسله والصلوة عليه

اختلف العلماء في ميراث من قتل بسب النبي صلى الله عليه وسلم
فذهب سحنون الى انه لجماعة المسلمين من قبل ان شتم النبي كفر يشبه كفر الزنديق
وقال اصبغ ميراثه لورثته من المسلمين ان كان مستسرا بذلك وان كان
مظهرا له مستهلا به فميراثه للمسلمين ويقتل على كل حال ولا يستتاب قال ابو
الحسن القابسي ان قتل وهو منكر للشهادة عليه فالحكم في ميراثه على ما اظهر من
من اقراره يعني لورثته والقتل حد ثبت عليه ليس من الميراث في شيء وكذلك
لو اقر بالسب واظهر التوبة لقتل اذ هو حده وحكمه في ميراثه وسائر احكامه حكم الاسلام
ولو اقر بالسب وتمادى عليه وابى التوبة منه فقتل على ذلك كان كافرا وميراثه
للمسلمين ولا يغسل ولا يصلى عليه ولا يكفن وتستر عورته ويوارى كما يفعل بالكفار
وقول الشيخ ابي الحسن في المجاهر المتمادي بين لا يمكن الخلاف فيه لانه كافر مرتد
غير تائب ولا مقلع وهو مثل قول اصبغ وكذلك في كتاب ابن سحنون في الزنديق
يتمادى على قوله ومثله لابن القسم في العتبية ولجماعة من اصحاب مالك في كتاب ابن حبيب
فيمن اعلن كفره مثله قال ابن القسم وحكمه حكم المرتد لا يرثه ورثته من المسلمين
ولا من اهل الدين الذي ارتد اليه ولا تجوز وصاياه ولا عتقه وقاله اصبغ قتل على ذلك
او مات عليه وقال ابو محمد بن ابي زيد وانما يختلف في ميراث الزنديق الذي يستهل
بالتوبة فلا تقبل منه فاما المتمادي فلا خلاف انه لا يورث وقال ابو محمد فيمن سب الله
تعالى ثم مات فلم تعدل عليه بينة او لم تقبل توبته منه انه يصلى عليه وروى اصبغ
عن ابن القاسم في كتاب ابن حبيب فيمن كذب برسول او اعلن دينا مما فارق
به الاسلام ان ميراثه للمسلمين وقال بقول مالك ان ميراث المرتد للمسلمين
ولا ترثه ورثته ربيعة والشافعي وابو ثور وابن ابي ليلى واختلف فيه عن احمد وقال
علي بن ابي طالب وابن مسعود وابن المسيب والحسن والشعبي وعمر بن عبد العزيز

والحكم والاوزاعي والليث واسحق وابو حنيفة رضي الله عنهم يرثه ورثته من المسلمين
وقيل ذلك فيما كسبه قبل ارتداده وما كسبه في الارتداد فللمسلمين وتفصيل ابي
الحسن في باقي جوابه حسن بين وهو على رأي اصبغ وخلاف قول سحنون
واختلافهما على قولي مالك في ميراث الزنديق فمرة ورثه ورثته من المسلمين
قامت عليه بذلك بينة فانكرها او اعترف بذلك واظهر التوبة وقاله اصبغ
ومحمد بن مسلمة وغير واحد من اصحابه لانه مظهر للاسلام بانكاره او توبته
وحكمه حكم المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وروى ابن نافع عنه في العتبية وكتاب محمد ان ميراثه لجماعة المسلمين لان
ماله تبع لدمه وقال به ايضا جماعة من اصحابه وقاله اشهب والمغيرة وعبد الملك
ومحمد وسحنون وذهب ابن قاسم في العتبية الى انه ان اعترف بما شهد عليه
وتاب فقتل فلا يورث وان لم يقر حتى قتل او مات ورث قال وكذلك كل من
استتر كفرا فانهم يتوارثون بوراثة الاسلام وسئل ابو القسم ابن الكاتب
عن النصراني يسب النبي صلى الله عليه وسلم فيقتل هل يرثه اهل دينه ام المسلمون
فاجاب انه للمسلمين ليس على جهة الميراث لانه لا توارث بين اهل ملتين
ولكن لانه من فيئهم لنقضه العهد هذا معنى قوله واختصاره

الباب الثالث في حكم من سب الله تعالى وملائكته وانبياءه وكتبه وآل النبي صلى الله عليه وازواجه وصحبه رضي الله عنهم

لا خلاف ان ساب الله تعالى من المسلمين
كافر حلال الدم واختلف في استتابته فقال ابن القسم في المبسوط وفي كتاب
ابن سحنون ومحمد ورواه ابن القسم عن مالك في كتاب اسحق بن يحيى
من سب الله تعالى من المسلمين قتل ولم يستتب الا ان يكون افتراء
على الله بارتداده الى دين دان به واظهره فيستتاب وان لم يظهره لم يستتب
وقال في المبسوط مطرف وعبد الملك مثله وقال المخزومي ومحمد بن مسلمة وابن
ابي حازم لا يقتل المسلم بالسب يعني يستتاب وكذلك اليهودي والنصراني
فان تابوا قبل منهم وان لم يتوبوا قتلوا ولا بد من الاستتابة وذلك كله كالردة
وهو الذي حكاه القاضي ابن نصر عن المذهب وافتى ابو محمد بن ابي زيد فيما حكي عنه

عنه في رجل لعن رجلا ولعن الله فقال انما اردت ان العن الشيطان
فزل لساني فقال يقتل بظاهر كفره ولا يقبل عذره واما فيما بينه وبين الله
فمعذور واختلف فقهاء قرطبة في مسئلة هرون بن حبيب اخي عبد
الملك الفقيه وكان ضيق الصدر كثير التبرم وكان قد شهد عليه بشهادات
منها انه قال عند استقلاله من مرض لقيت في مرضي هذا ما لو قتلت ابا بكر
وعمر لم استوجبت هذا كله فافتى ابرهيم بن حسين بن خالد بقتله وان مضمن
قوله تجوير الله تعالى والتظلم منه والتعريض فيه كالتصريح وافتى اخوه عبد الملك
ابن حبيب وابرهيم بن حسن بن عاصم وسعيد بن سليمان القاضي بطرح
القتل عنه الا ان القاضي رأى عليه التثقيل في الحبس والشدة في الادب
لاحتمال كلامه وصرفه الى التشكي فوجه من قال في ساب الله تعالى بالاستتابة
انه كفر وردة محضة لم يتعلق بها حق لغير الله فاشبه قصد الكفر بغير سب الله
الله تعالى واظهار الانتقال الى دين آخر من الاديان المخالفة للاسلام ووجه
ترك استتابته انه لما ظهر منه ذلك بعد اظهار الاسلام قبل اتهمناه وظننا ان
لسانه لم ينطق به الا وهو معتقد له اذ لا يتساهل في هذا احد فحكم له بحكم الزنديق
ولم تقبل توبته واذا انتقل من دين الى آخر واظهر السب بمعنى الارتداد فهذا
قد اعلم انه خلع ربقة الاسلام من عنقه بخلاف الاول المتمسك به وحكم هذا
حكم المرتد يستتاب على مشهور مذاهب اكثر العلماء وهو مذهب مالك واصحابه
على ما بيناه قبل وذكرنا الخلاف في فصوله

فصل واما من اضاف الى الله تعالى ما لا يليق به ليس على طريق السب

ولا الردة وقصد الكفر ولكن
على طريق التأويل والاجتهاد والخطأ المفضي الى الهوى والبدعة من تشبيه
او نعت بجارحة او نفي صفة كمال فهذا مما اختلف السلف والخلف في تكفير
قائله ومعتقده واختلف قول مالك واصحابه في ذلك ولم يختلفوا في قتالهم اذا
تحيزوا فئة وانهم يستتابون فان تابوا والا قتلوا وانما اختلفوا في المنفرد منهم
فاكثر قول مالك واصحابه ترك القول بتكفيرهم وترك قتلهم والمبالغة في عقوبتهم
واطالة سجنهم حتى يظهر اقلاعهم وتستبين توبتهم كما فعل عمر رضي الله عنه بصبيغ

وهذا قول محمد بن المواز في الخوارج وعبد الملك بن الماجشون وقول سحنون في جميع
اهل الاهواء وبه فسر قول مالك في الموطأ وما رواه عن عمر بن عبد العزيز وجده و
عمه من قولهم في القدرية يستتابون فان تابوا والا قتلوا قال عيسى عن ابن القسم
في اهل الاهواء من الاباضية والقدرية وشبههم ممن خالف الجماعة من اهل
البدع والتحريف لتأويل كتاب الله يستتابون اظهروا ذلك او اسروه فان
تابوا والا قتلوا وميراثهم لورثتهم وقال مثله ايضا ابن القسم في كتاب محمد
في اهل القدر وغيرهم قال واستتابتهم ان يقال لهم اتركوا ما انتم عليه ومثله
في المبسوط في الاباضية والقدرية وسائر اهل البدع قال وهم مسلمون
وانما قتلوا لرأيهم السوء وبهذا عمل عمر بن عبد العزيز قال ابن القسم من قال
ان الله لم يكلم موسى تكليما استتيب فان تاب والا قتل وابن حبيب وغيره
من اصحابنا يرى تكفيرهم وتكفير امثالهم من الخوارج والقدرية والمرجئة وقد روي
ايضا عن سحنون مثله فيمن قال ليس لله كلام انه كافر واختلفت الروايات
عن مالك فاطلق في رواية الشاميين ابي مسهر ومروان بن محمد الطاطري
الكفر عليهم وقد شوور في زواج القدري فقال لا تزوجه قال الله تعالى ولعبد
مؤمن خير من مشرك وروي عنه ايضا اهل الاهواء كلهم كفار وقال من وصف
شيئا من ذات الله تعالى واشار الى شيء من جسده يد او سمع او بصر قطع
ذلك منه لانه شبه الله بنفسه وقال فيمن قال القران مخلوق كافر فاقتلوه
وقال ايضا في رواية ابن نافع يجلد ويوجع ضربا ويحبس حتى يتوب وفي رواية
بشر بن بكر التنيسي عنه يقتل ولا تقبل توبته قال القاضي ابو عبد الله البرنكاني
والقاضي ابو عبد الله التستري من ائمة العراقيين من اصحابنا جوابه مختلف يقتل
المستبصر الداعية وعلى هذا الخلاف اختلاف قوله في اعادة الصلوة خلفهم
وحكى ابن المنذر عن الشافعي لا يستتاب القدري واكثر اقوال السلف
تكفيرهم وممن قال به الليث وابن عيينة وابن لهيعة وروي عنهم ذلك
فيمن قال بخلق القرآن وقاله ابن المبارك والاودي ووكيع وحفص بن
غياث وابو اسحق الفزاري وهشيم وعلي بن عاصم في آخرين وهو من قول

وهو من قول اكثر المحدثين والفقهاء والمتكلمين فيهم وفي الخوارج والقدرية واهل الاهواء
المضلة واصحاب البدع المتأولين وهو قول احمد بن حنبل وكذلك قالوا في الواقفة
والشاكة في هذه الاصول وممن روي عنه معنى القول الآخر بترك تكفيرهم علي بن
ابي طالب وابن عمر والحسن البصري وهو رأي جماعة من الفقهاء والنظار والمتكلمين
واحتجوا بتوريث الصحابة والتابعين ورثة اهل حروراء ومن عرف بالقدر ممن مات
منهم ودفنهم في مقابر المسلمين وجري احكام الاسلام عليهم قال اسمعيل القاضي
وانما قال مالك في القدرية وسائر اهل البدع يستتابون فان تابوا والا قتلوا
لانه من الفساد في الارض كما قال في المحارب ان رأى الامام قتله وان لم يقتل
وفساد المحارب انما هو في الاموال ومصالح الدنيا وان كان قد يدخل ايضا
في امر الدين من سبيل الحج والجهاد وفساد اهل البدع معظمه على الدين وقد
يدخل في امر الدنيا بما يلقون بين المسلمين من العداوة **فصل في تحقيق القول**
في اكفار المتأولين قد ذكرنا مذاهب السلف في اكفار اصحاب البدع والاهواء
المتأولين ممن قال قولا يؤديه مساقه الى كفر هو اذا وقف عليه لا يقول بما يؤديه
قوله اليه وعلى اختلافهم اختلف الفقهاء والمتكلمون في ذلك فمنهم من صوب التكفير
الذي قال به الجمهور من السلف ومنهم من اباه ولم ير اخراجهم من سواد المؤمنين وهو
قول اكثر الفقهاء والمتكلمين وقالوا هم فساق عصاة ضلال ونوارثهم من المسلمين
ونحكم لهم باحكامهم ولهذا قال سحنون لا اعادة على من صلى خلفهم قال وهو
قول جميع اصحاب مالك المغيرة وابن كنانة واشهب قال لانه مسلم وذنبه لم يخرجه
من الاسلام واضطرب آخرون في ذلك ووقفوا عن القول بالتكفير او ضده
واختلاف قول مالك في ذلك وتوقفه عن اعادة الصلوة خلفهم منه والى نحو
من هذا ذهب القاضي ابو بكر امام اهل التحقيق والحق وقال انها من المعوصات
اذ القوم لم يصرحوا باسم الكفر وانما قالوا قولا يؤدي اليه واضطرب قوله في المسئلة
على نحو اضطراب قول امامه مالك بن انس حتى قال في بعض كلامه انهم على رأي من كفرهم
بالتأويل لا تحل مناكحتهم ولا اكل ذبائحهم ولا الصلوة على ميتهم ويختلف في مواريثهم
على الخلاف في ميراث المرتد وقال ايضا نورث ميتهم ورثتهم من المسلمين ولا

ولا نورثهم من المسلمين واكثر ميله الى ترك التكفير بالمآل وكذلك اضطرب فيه
قول شيخه ابي الحسن الاشعري واكثر قوله ترك التكفير وان الكفر خصلة واحدة
وهو الجهل بوجود الباري تعالى وقال مرة من اعتقد ان الله تعالى جسم او
المسيح او بعض من يلقاه في الطرق فليس بعارف به وهو كافر ولمثل هذا ذهب
ابو المعالي رحمه الله في اجوبته لابي محمد عبد الحق وكان سأله عن المسألة فاعتذر له بان الغلط
فيها يصعب لان ادخال كافر في الملة واخراج مسلم عظيم في الدين وقال غيرهما
من المحققين الذي يجب الاحتراز من التكفير في اهل التأويل فان استباحة دماء المصلين
الموحدين خطر والخطأ في ترك الف كافر اهون من الخطأ في سفك محجمة من دم
مسلم واحد وقد قال عليه السلام فاذا قالوها يعني الشهادة عصموا مني دماءهم و
اموالهم الا بحقها وحسابهم على الله فالعصمة مقطوع بها مع الشهادة ولا ترتفع
ويستباح خلافها الا بقاطع ولا قاطع من شرع ولا قياس عليه والفاظ الاحاديث
الواردة في الباب معرضة للتأويل فما جاء منها بالتصريح بكفر القدرية وقوله لا سهم
لهم في الاسلام وتسمية الرافضة بالشرك واطلاق اللعنة عليهم وكذلك في الخوارج
وغيرهم من اهل الاهواء فقد يحتج بها من يقول بالتكفير وقد يجيب الآخر عنها بانه قد ورد
مثل هذه الالفاظ في الحديث في غير الكفرة على طريق التغليظ وكفر دون كفر
واشراك دون اشراك وقد ورد مثله في الرياء وعقوق الوالدين والزوج وغير معصية
واذا كان محتملا للامرين فلا يقطع على احدهما الا بدليل قاطع وقوله في الخوارج هم من شر
البرية وهذه صفة الكفار وقال صلى الله عليه وسلم شر قتيل تحت اديم السماء طوبى لمن
قتلهم او قتلوه وقال عليه السلام فاذا وجدتموهم فاقتلوهم قتل عاد وظاهر هذا
الكفر لا سيما مع تشبيههم بعاد فيحتج به من يرى تكفيرهم فيقول له الآخر انما ذلك
من قتلهم لخروجهم على المسلمين وبغيهم عليهم بدليله من الحديث نفسه يقتلون
اهل الاسلام فقتلهم ههنا حد لا كفر وذكر عاد تشبيه للقتل وحله لا للمقتول
وليس كل من حكم بقتله يحكم بكفره ويعارضه بقول خالد في الحديث دعني اضرب
عنقه يا رسول الله فقال لعله يصلي فان احتجوا بقوله عليه السلام يقرؤون القرآن
لا يجاوز حناجرهم فاخبر ان الايمان لم يدخل قلوبهم وكذلك قوله يمرقون من الدين مروق

مروق السهم من الرمية ثم لا يعودون اليه حتى يعود السهم على فوقه وبقوله سبق
الفرث والدم يدل على انه لم يتعلق من الاسلام بشيء اجابه الآخرون ان معنى
لا يجاوز حناجرهم لا يفهمون معانيه بقلوبهم ولا تنشرح له صدورهم ولا تعمل به
جوارحهم وعارضوهم بقوله عليه السلام ويتمارى في الفوق وهذا يقتضي التشكك
في حاله وان احتجوا بقول ابي سعيد الخدري في هذا الحديث سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول يخرج في هذه الامة ولم يقل من هذه الامة وتحرير ابي سعيد
الرواية واتقانه اللفظ اجابهم الآخرون بان العبارة بفي لا تقتضي تصريحا
بكونهم من غير الامة بخلاف لفظة من التي هي للتبعيض وكونهم من الامة مع انه قد روي
عن ابي ذر وعلي وابي امامة وغيرهم في هذا الحديث يخرج من امتي وسيكون من امتي
وحروف المعاني مشتركة فلا تعويل على اخراجهم من الامة بفي ولا على ادخالهم فيها
بمن لكن ابا سعيد رحمه الله اجاد ما شاء في التنبيه الذي نبه عليه وهذا مما يدل على سعة
فقه الصحابة رضوان الله عليهم وتحقيقهم للمعاني واستنباطها من الالفاظ وتحريرهم
لها وتوقيهم في الرواية هذه المذاهب المعروفة لاهل السنة ولغيرهم من الفرق فيها
مقالات كثيرة مضطربة سخيفة اقربها قول جهم ومحمد بن شبيب ان الكفر بالله الجهل
به لا يكفر احد بغير ذلك وقال ابو الهذيل ان كل متأول كان تأويله تشبيها لله بخلقه
وتجويرا له في فعله وتكذيبا لخبره فهو كافر وكل من اثبت شيئا قديما لا يقال له الله فهو
كافر وقال بعض المتكلمين ان كان ممن عرف الاصل وبنى عليه وكان فيما هو
من اوصاف الله فهو كافر وان لم يكن من هذا الباب ففاسق الا ان يكون
ممن لم يعرف الاصل فهو مخطئ غير كافر وذهب عبيد الله بن الحسن البصري الى
تصويب اقوال المجتهدين في اصول الدين فيما كان عرضة للتأويل وفارق
في ذلك فرق الامة اذ اجمعوا سواه على ان الحق في اصول الدين في واحد والمخطئ فيه
آثم عاص فاسق وانما الخلاف في تكفيره وحكى القاضي ابو بكر الباقلاني مثل قول
عبيد الله عن داود الاصبهاني قال وحكى قوم عنهما انهما قالا ذلك في كل من علم الله
من حاله استفراغ الوسع في طلب الحق من اهل ملتنا او من غيرهم وقال نحو
هذا القول الجاحظ وثمامة في ان كثيرا من العامة والنساء والبله ومقلدة النصارى

واليهود وغيرهم لا حجة لله عليهم اذ لم تكن لهم طباع يمكن معها الاستدلال وقد نحى
الغزالي قريبا من هذا المنحى في كتاب التفرقة وقائل هذا كله كافر بالاجماع على كفر من لم يكفر
احدا من النصارى واليهود وكل من فارق دين المسلمين او وقف في تكفيرهم او شك
قال القاضي ابو بكر لان التوقيف والاجماع على كفرهم فمن وقف في ذلك فقد كذب النص
والتوقيف او شك فيه والتكذيب والشك فيه لا يقع الا من كافر **فصل في بيان
ما هو من المقالات كفر وما يتوقف او يختلف فيه وما ليس بكفر** اعلم ان تحقيق هذا
الفصل وكشف اللبس فيه مورده الشرع ولا مجال للعقل فيه والفصل البين في هذا
ان كل مقالة صرحت بنفي الربوبية او الوحدانية او عبادة احد غير الله او مع الله
فهي كفر كمقالة الدهرية وسائر فرق اصحاب الاثنين من الديصانية والمانوية واشباههم
من الصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا بعبادة الاوثان او الملائكة او الشياطين
او الشمس او النجوم او النار او احد غير الله من مشركي العرب واهل الهند والصين
والسودان وغيرهم ممن لا يرجع الى كتاب وكذلك القرامطة واصحاب الحلول
والتناسخ من الباطنية والطيارة من الروافض وكذلك من اعترف بالهية الله
ووحدانيته ولكنه اعتقد انه غير حي او غير قديم او انه محدث او مصور او ادعى له ولدا او
صاحبة او والدا او انه متولد من شيء او كائن عنه او ان معه في الازل شيئا قديما
غيره او ان ثم صانعا للعالم سواه او مدبرا غيره فذلك كله كفر باجماع المسلمين
كقول الالهيين من الفلاسفة والمنجمين والطبائعيين وكذلك من ادعى مجالسة الله
والعروج اليه ومكالمته او حلوله في احد الاشخاص كقول بعض المتصوفة والباطنية
والنصارى والقرامطة وكذلك نقطع على كفر من قال بقدم العالم او بقائه او شك
في ذلك على مذهب الفلاسفة والدهرية او قال بتناسخ الارواح وانتقالها
ابد الآباد في الاشخاص وتعذيبها او تنعمها فيها بحسب زكائها وخبثها وكذلك من اعترف
بالالهية والوحدانية ولكنه جحد النبوة من اصلها عموما او نبوة نبينا صلى الله عليه خصوصا
او احدا من الانبياء الذين نص الله عليهم بعد علمه بذلك فهو كافر بلا ريب كالبراهمة
ومعظم اليهود والاروسية من النصارى والغرابية من الروافض الزاعمين ان
عليا رضي الله عنه كان المبعوث اليه جبريل وكالمعطلة والقرامطة والاسماعيلية والعنبرية

والعنبرية من الرافضة وان كان بعض هؤلاء قد اشركوا في كفر آخر مع من قبلهم
وكذلك من دان بالوحدانية وصحة النبوة ونبوة نبينا عليه السلام ولكن جوز
على الانبياء الكذب فيما اتوا به ادعى في ذلك المصلحة بزعمه او لم يدعها فهو كافر
باجماع كالمتفلسفين وبعض الباطنية والروافض وغلاة المتصوفة واصحاب
الاباحة فان هؤلاء زعموا ان ظواهر الشرع واكثر ما جاءت به الرسل من الاخبار
عما كان ويكون من امور الآخرة والحشر والقيمة والجنة والنار ليس منها شيء
على مقتضى لفظها ومفهوم خطابها وانما خاطبوا بها الخلق على جهة المصلحة
لهم اذ لم يمكنهم التصريح لقصور افهامهم فمضمن مقالاتهم ابطال الشرائع
وتعطيل الاوامر والنواهي وتكذيب الرسل والارتياب فيما اتوا به وكذلك
من اضاف الى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم تعمد الكذب فيما بلغه واخبر به او
شك في صدقه او سبه او قال انه لم يبلغ او استخف به او باحد من الانبياء عليهم
السلام او ازرى عليهم او آذاهم او قتل نبيا او حاربه فهو كافر باجماع وكذلك نكفر من
ذهب مذهب بعض القدماء من ان في كل جنس من الحيوان نذيرا او نبيا من القردة
والخنازير والدواب والدود ويحتج بقوله تعالى وان من امة الا خلا فيها نذير
اذ ذلك يؤدي الى ان يوصف انبياء هذه الاجناس بصفاتهم المذمومة وفيه
من الازراء على هذا المنصب المنيف ما فيه مع اجماع المسلمين على خلافه وتكذيب
قائله وكذلك نكفر من اعترف من الاصول الصحيحة بما تقدم ونبوة نبينا عليه السلام
ولكن قال كان اسود او مات قبل ان يلتحي وليس الذي كان بمكة والحجاز او ليس
بقرشي لان وصفه بغير صفاته المعلومة نفي له وتكذيب به وكذلك من ادعى نبوة
احد من الانبياء عليهم السلام او بعده كالعيسوية من اليهود القائلين بتخصيص
رسالته الى العرب وكالخرمية القائلين بتواتر الرسل وكاكثر الرافضة القائلين
بمشاركة علي في الرسالة للنبي صلى الله عليه وسلم وبعده وكذلك كل امام عند هؤلاء
يقوم مقامه في النبوة والحجة وكالبزيغية والبيانية منهم القائلين بنبوة بزيغ
وبيان واشباه هؤلاء او من ادعى النبوة لنفسه او جوز اكتسابها والبلوغ
بصفاء القلب الى مرتبتها كالفلاسفة وغلاة المتصوفة وكذلك من ادعى منهم

انه يوحى اليه وان لم يدع النبوة او انه يصعد الى السماء ويدخل الجنة ويأكل من ثمارها
ويعانق الحور العين فهؤلاء كلهم كفار مكذبون للنبي صلى الله عليه وسلم لانه اخبر
عليه السلام انه خاتم النبيين لا نبي بعده واخبر عن الله انه خاتم النبيين وانه
ارسل للناس كافة واجمعت الامة على حمل هذا الكلام على ظاهره وان مفهومه المراد
به دون تأويل ولا تخصيص فلا شك في كفر هؤلاء الطوائف قطعا اجماعا وسمعا
وكذلك وقع الاجماع على تكفير كل من دافع الكتاب او خص حديثا مجمعا على نقله مقطوعا به
مجمعا على حمله على ظاهره كتكفير الخوارج بابطال الرجم ولهذا نكفر من دان بغير
المسلمين من الملل او وقف فيهم او شك او صحح مذهبهم وان اظهر مع ذلك الاسلام واعتقده
واعتقد ابطال كل مذهب سواه فهو كافر باظهاره ما اظهر من خلاف ذلك وكذلك
نقطع بتكفير كل قائل قولا يتوصل به الى تضليل الامة وتكفير جميع الصحابة كقول الكميلية
من الرافضة بتكفير جميع الامة بعد النبي صلى الله عليه وسلم اذ لم تقدم عليا و
كفرت عليا اذ لم يتقدم ويطلب حقه في التقديم فهؤلاء قد كفروا من وجوه
لانهم ابطلوا الشريعة باسرها اذ قد انقطع نقلها ونقل القرآن اذ ناقلوه كفرة على زعمهم
والى هذا والله اعلم اشار مالك في احد قوليه بقتل من كفر الصحابة ثم كفروا من وجه
آخر بسبهم النبي صلى الله عليه وسلم على مقتضى قولهم وزعمهم انه عهد الى علي وهو
يعلم انه يكفر بعده على قولهم لعنة الله عليهم وصلى الله على رسوله وآله وكذلك نكفر
بكل فعل اجمع المسلمون انه لا يصدر الا من كافر وان كان صاحبه مصرحا بالاسلام
مع فعله ذلك الفعل كالسجود للصنم او للشمس والقمر والصليب والنار والسعي الى الكنائس
والبيع مع اهلها والتزيي بزيهم من شد الزنانير وفحص الرؤوس فقد اجمع المسلمون
ان هذا لا يوجد الا من كافر وان هذه الافعال علامة على الكفر وان صرح فاعلها
بالاسلام وكذلك اجمع المسلمون على تكفير كل من استحل القتل او شرب الخمر والزنا
مما حرم الله بعد علمه بتحريمه كاصحاب الاباحة من القرامطة وبعض غلاة المتصوفة وكذلك
نقطع بتكفير من كذب وانكر قاعدة من قواعد الشرع وما عرف يقينا بالنقل المتواتر
من فعل الرسول عليه السلام ووقع الاجماع المتصل عليه كمن انكر وجوب الخمس
الصلوات وعدد ركعاتها وسجداتها ويقول انما اوجب الله علينا في كتابه الصلاة على

على الجملة وكونها خمسا وعلى هذه الصفات والشروط ولا اعلمه ولم يرد فيه في القرآن
نص جلي والخبر به عن الرسول خبر واحد وكذلك اجمع على تكفير من قال من الخوارج ان
الصلاة طرفي النهار وعلى تكفير الباطنية في قولهم ان الفرائض اسماء رجال امروا
بولايتهم والخبائث والمحارم اسماء رجال امروا بالبراءة منهم وقول بعض المتصوفة ان العبادة
وطول المجاهدة اذا صفت نفوسهم افضت بهم الى اسقاطها واباحة كل شيء لهم
ورفع عهد الشرائع عنهم وكذلك ان انكر منكر مكة او البيت او المسجد الحرام او صفة الحج
وقال الحج واجب في القرآن واستقبال القبلة كذلك ولكن كونه على هذه الهيئة
المتعارفة وان تلك البقعة مكة والبيت والمسجد الحرام لا ادري هل هي تلك او غيرها
ولعل الناقلين ان النبي صلى الله عليه وسلم فسرها بهذه التفاسير غلطوا او وهموا
فهذا ومثله لا مرية في تكفيره ان كان ممن يظن به علم ذلك وممن خالط المسلمين
وامتدت صحبته لهم الا ان يكون حديث عهد باسلام فيقال له سبيلك ان تسأل
عن هذا الذي لم تعلمه بعد كافة المسلمين فلا تجد بينهم خلافا كافة عن كافة الى معاصري
الرسول صلى الله عليه وسلم ان هذه الامور كما قيل لك وان تلك البقعة
هي مكة والبيت الذي فيها هو الكعبة والقبلة التي صلى لها الرسول صلى الله عليه
وسلم والمسلمون وحجوا اليها وطافوا بها وان تلك الافعال هي صفات
عبادة الحج والمراد به وهي التي فعلها النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون وان
صفات الصلوات المذكورة هي التي فعل النبي صلى الله عليه وسلم وشرح مراد
الله بذلك وابان حدودها فيقع لك العلم كما وقع لهم ولا ترتاب بذلك بعد والمرتاب
في ذلك والمنكر بعد البحث وصحبة المسلمين كافر باتفاق ولا يعذر بقوله
لا ادري ولا يصدق فيه في ظاهره التستر عن التكذيب اذ لا يمكن انه لا يدري وايضا
فانه اذا جوز على جميع الامة الوهم والغلط فيما نقلوه من ذلك واجمعوا انه
قول الرسول وفعله وتفسير مراد الله ادخل الاسترابة في جميع الشريعة اذ هم
الناقلون لها وللقرآن وانحلت عرى الدين كرة ومن قال هذا كافر وكذلك
كل من انكر القرآن او حرفا منه او غير شيئا منه او زاد فيه كفعل الباطنية
والاسمعيلية او زعم انه ليس بحجة للنبي صلى الله عليه وسلم او ليس فيه حجة

والمعجزة كقول هشام الفوطي وعمر الصيمري انه لا يدل على الله ولا حجة لرسوله ولا يدل
على ثواب ولا عقاب ولا حكم ولا تحاله في كفرهما بذلك القول وكذلك تكفيرهما
بانكارهما ان يكون في سائر معجزات النبي صلى الله عليه وسلم حجة له او في خلق
السموات والارض دليل على الله لمخالفتهم الاجماع والنقل المتواتر عن النبي
صلى الله عليه وسلم باحتجاجه بهذا كله وتصريح القرآن به وكذلك من انكر شيئا
مما نص فيه القرآن بعد علمه انه من القرآن الذي في ايدي الناس ومصاحف
المسلمين ولم يكن جاهلا به ولا قريب عهد بالاسلام واحتج لانكاره اما بانه
لم يصح النقل عنده ولا بلغه العلم به او لتجويز الوهم على ناقليه فنكفره بالطريقين
المتقدمين لانه مكذب للقرآن مكذب للنبي صلى الله عليه وسلم لكنه تستر
بدعواه وكذلك من انكر الجنة او النار او البعث والحساب والقيمة فهو كافر
باجماع الامة على صحة نقله متواترا وكذلك من اعترف بذلك ولكنه قال ان المراد
بالجنة والنار والحشر والنشر والثواب والعقاب معنى غير ظاهره وانها
لذات روحانية ومعان باطنة كقول النصارى والفلاسفة والباطنية
وبعض المتصوفة وزعم ان معنى القيمة الموت او فناء محض وانتقاض هيئة
الافلاك وتحليل العالم كقول بعض الفلاسفة وكذلك نقطع بتكفير غلاة الرافضة
في قولهم ان الائمة افضل من الانبياء فاما من انكر ما عرف بالتواتر من الاخبار
والسير والبلاد التي لا ترجع الى ابطال شريعة ولا تفضي الى انكار قاعدة من الدين
كانكار غزوة تبوك او مؤتة او وجود ابي بكر وعمر او قتل عثمان وخلافة علي رضي الله
عنهم مما علم بالنقل ضرورة وليس في انكاره جحد شريعة فلا سبيل الى تكفيره
بجحد ذلك وانكار وقوع العلم له اذ ليس في ذلك اكثر من المباهتة كانكار
هشام وعباد وقعة الجمل ومحاربة علي رضي الله عنه من خالفه فاما ان
ضعف ذلك من اجل تهمة الناقلين ووهم المسلمين اجمع فنكفره بذلك
لسريانه الى ابطال الشريعة فاما من انكر الاجماع المجرد وليس طريقه النقل
المتواتر عن الشارع فاكثر المتكلمين من الفقهاء والنظار في هذا الباب
قالوا بتكفير كل من خالف الاجماع الصحيح الجامع لشروط الاجماع المتفق عليه

عليه عموما وحجتهم قوله تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى الآية
وقوله عليه السلام من خالف الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه
وحكوا الاجماع على تكفير من خالف الاجماع الذي يختص بنقله العلماء وذهب
آخرون الى التوقف عن القطع بتكفير من خالف الاجماع الذي يختص بنقله العلماء
وذهب آخرون الى التوقف في تكفير من خالف الاجماع الكائن عن نظر كتكفير
النظام بانكاره الاجماع لانه بقوله هذا مخالف اجماع السلف على احتجاجهم به خارق
الاجماع **قال القاضي** ابو بكر القول عندي ان الكفر بالله هو الجهل بوجوده والايمان
بالله هو العلم بوجوده وانه لا يكفر احد بقول ولا رأي الا ان يكون هو الجهل
بالله وبرسوله او ان اجمع المسلمون انه لا يوجد الا من كافر ويقوم دليل على ذلك
فقد كفر ليس لاجل قوله او فعله لكن لما يقارنه من الكفر فالكفر بالله لا يكون
الا باحد ثلثة امور احدها الجهل بالله تعالى والثاني ان يأتي فعلا او يقول قولا
يخبر الله ورسوله او يجمع المسلمون ان ذلك لا يكون الا من كافر كالسجود للصنم
والمشي الى الكنائس بالتزام الزنار مع اصحابها في اعيادهم او يكون ذلك
القول او الفعل لا يمكن معه العلم بالله قال فهذان الضربان وان لم يكونا
جهلا بالله تعالى فهما علم ان فاعلهما كافر منسلخ من الايمان فاما من نفى صفة من صفات
الله تعالى الذاتية او جحدها مستبصرا في ذلك كقوله ليس بعالم ولا قادر ولا مريد
ولا متكلم وشبه ذلك من صفات الكمال الواجبة له تعالى فقد نص ائمتنا
على الاجماع على كفر من نفى عنه تعالى الوصف بها واعراه عنها وعلى هذا حمل
قول سحنون من قال ليس لله كلام فهو كافر وهو لا يكفر المتأولين كما قدمناه
فاما من جهل صفة من هذه الصفات فاختلف العلماء هنا فكفره بعضهم وحكي
ذلك عن ابي جعفر الطبري وغيره وقال به ابو الحسن الاشعري مرة وذهبت
طائفة الى ان هذا لا يخرجه عن اسم الايمان واليه رجع الاشعري قال لانه لم يعتقد
ذلك اعتقادا يقطع بصوابه ويراه دينا وشرعا وانما نكفر من اعتقد ان
مقاله حق واحتج هؤلاء بحديث السوداء وان النبي صلى الله عليه وسلم انما
طلب منها التوحيد لا غير وبحديث القائل لئن قدر الله علي وفي رواية

لعلي أضل الله ثم قال فغفر الله له قالوا ولو بوحث أكثر الناس عن الصفات وكوشفوا
عنها لما وجد من يعلمها إلا الأقل وقد أجاب آخرون عن هذا الحديث بوجوه منها
أن قدر بمعنى قدّر ولا يكون شكه في القدرة على إحيائه بل في نفس البعث الذي
لا يعلم إلا بشرع ولعله لم يكن ورد عندهم به شرع يقطع عليه فيكون الشك فيه
حينئذ كفرا فأما ما لم يرد به شرع فهو من مجوزات العقول أو يكون قدر بمعنى ضيق ويكون
ما فعله بنفسه إزراء عليها وغضبا لعصيانها وقيل قال ما قاله وهو غير عاقل لكلامه
ولا ضابط للفظه مما استولى عليه من الجزع والخشية التي أذهلت لبه فلم يؤاخذ به
وقيل كان هذا في زمن الفترة وحيث ينفع مجرد التوحيد وقيل بل هذا من مجاز
كلام العرب الذي صورته الشك ومعناه التحقيق وهو يسمى تجاهل العارف وله
أمثلة في كلامهم كقوله لعله يتذكر أو يخشى وقوله وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين
فأما من أثبت الوصف ونفى الصفة فقال أقول عالم ولكن لا علم له ومتكلم ولكن
لا كلام له وهكذا في سائر الصفات على مذهب المعتزلة فمن قال بالمآل لما يؤديه
إليه قوله ويسوقه إليه مذهبه كفره لأنه إذا نفى العلم انتفى وصف عالم إذ لا يوصف
بعالم إلا من له العلم فكأنهم صرحوا عنده بما أدى إليه قولهم وهكذا عند هذا سائر
فرق أهل التأويل من المشبهة والقدرية وغيرهم ومن لم ير أخذهم بمآل
قولهم ولا ألزمهم موجب مذهبهم لم ير إكفارهم قال لأنهم إذا وقفوا على هذا
قالوا لا نقول ليس بعالم ونحن ننتفي من القول بالمآل الذي ألزمتموه لنا ونعتقد نحن
وأنتم أنه كفر بل نقول إن قولنا لا يؤول إليه على ما أصلناه فعلى هذين المأخذين اختلف
الناس في إكفار أهل التأويل وإذا فهمته اتضح لك الموجب لاختلاف الناس في ذلك
والصواب ترك إكفارهم والإعراض عن الحتم عليهم بالخسران وإجراء حكم الإسلام
عليهم في قصاصهم ووراثاتهم ومناكحاتهم ودياتهم والصلاة عليهم ودفنهم في مقابر
المسلمين وسائر معاملاتهم لكنه يغلظ عليهم بوجيع الأدب وشديد الزجر
والهجر حتى يرجعوا عن بدعتهم وهذه كانت سيرة الصدر الأول فيهم فقد كان
نشأ على زمن الصحابة وبعدهم في التابعين من قال بهذه الأقوال من القدر ورأي
الخوارج والاعتزال فما أزاحوا لهم قبرا ولا قطعوا لأحد منهم ميراثا لكنهم هجروهم وأدبوهم

بالضرب والنفي والقتل على قدر أحوالهم لأنهم فساق ضلال وعصاة أصحاب كبائر
عند المحققين وأهل السنة ممن لم يقل بكفرهم منهم خلافا لمن رأى غير ذلك
والله الموفق للصواب. قال القاضي أبو بكر وأما مسائل الوعد والوعيد والرؤية
والمخلوق وخلق الأفعال وبقاء الأعراض والتولد وشبهها من الدقائق فالمنع
من إكفار المتأولين فيها أوضح إذ ليس في الجهل بشيء منها جهل بالله تعالى
ولا أجمع المسلمون على إكفار من جهل شيئا منها وقد قدمنا في الفصل قبله من الكلام
وصورة الخلاف في هذا ما أغنى عن إعادته بحول الله تعالى **فصل هذا حكم**
المسلم الساب لله تعالى وأما الذمي فروي عن عبد الله بن عمر في ذمي تناول
من حرمة الله تعالى غير ما هو عليه من دينه وحاج فيه فخرج ابن عمر رضي الله عنهما
بالسيف فطلبه فهرب وقال مالك في كتاب ابن حبيب والمبسوط وابن القاسم
في المبسوط وكتاب محمد وابن سحنون من شتم الله تعالى من اليهود والنصارى
بغير الوجه الذي به كفروا قتل ولم يستتب قال ابن القاسم إلا أن يسلم
قال في المبسوطة طوعا قال أصبغ لأن الوجه الذي به كفروا هو دينهم وعليه عوهدوا
من دعوى الصاحبة والشريك والولد وأما غير هذا من الفرية والشتم فلم يعاهدوا
عليه فهو نقض للعهد قال ابن القاسم في كتاب محمد ومن شتم من غير أهل الأديان
الله تعالى بغير الوجه الذي ذكر في كتابه قتل إلا أن يسلم وقال المخزومي في المبسوطة
ومحمد بن مسلمة وابن أبي حازم لا يقتل حتى يستتاب مسلما كان أو كافرا فإن
تاب وإلا قتل وقال مطرف وعبد الملك مثل قول مالك وقال أبو محمد بن أبي زيد
من سب الله تعالى بغير الوجه الذي به كفر قتل إلا أن يسلم وقد ذكرنا قول ابن الجلاب
قبل وذكرنا قول عبيد الله وابن لبابة وشيوخ الأندلسيين في النصرانية وفتياهم
بقتلها لسبها بالوجه الذي كفرت به لله والنبي عليه السلام وإجماعهم على ذلك
وهو نحو القول الآخر فيمن سب النبي صلى الله عليه وسلم منهم بالوجه الذي كفر به ولا فرق
في ذلك بين سب الله تعالى به وسب نبيه لأنا عاهدناهم على أن لا يظهروا لنا
شيئا من كفرهم وأن لا يسمعونا شيئا من ذلك فمتى فعلوا شيئا منه فهو
نقض لعهدهم واختلف العلماء في الذمي إذا تزندق فقال مالك ومطرف وابن

عبد الحكم واصبغ لا نقتله لانه خرج من كفر الى كفر وقال عبد الملك بن الماجشون
يقتل لانه دين لا يقر عليه احد ولا يؤخذ عليه جزية قال ابن حبيب وما اعلم من قاله غيره

فصل هذا حكم من صرح بسبه واضافة ما لا يليق بجلاله وإلهيته فاما مفتري الكذب
عليه تبارك وتعالى بادعاء الالهية او الرسالة او النافي ان يكون الله خالقه او ربه
او قال ليس لي رب او المتكلم بما لا يعقل من ذلك في سكره او غمرة جنونه فلا خلاف
في كفر قائل ذلك ومدعيه مع سلامة عقله كما قدمناه لكنه تقبل توبته على المشهور
وتنفعه انابته وتنجيه من القتل فيئته لكنه لا يسلم من عظيم النكال ولا يرفه عن شديد
العقاب ليكون ذلك زجرا لمثله عن قوله وله عن العودة لكفره او جهله الا من
تكرر ذلك منه وعرف استهانته بما اتى به فهو دليل على سوء طويته وكذب توبته وصار
كالزنديق الذي لا نأمن باطنه ولا نقبل رجوعه وحكم السكران في ذلك حكم الصاحي
واما المجنون والمعتوه فما علم انه قاله من ذلك في حال غمرته وذهاب ميزه بالكلية
فلا نظر فيه وما فعله من ذلك في حال ميزه وان لم يكن معه عقله وسقط تكليفه ادب
على ذلك لينزجر عنه كما يؤدب على قبائح الافعال ويوالى ادبه على ذلك حتى ينكف
عنه كما تؤدب البهيمة على سوء الخلق حتى تراض وقد حرق علي بن ابي طالب رضي الله
عنه من ادعى له الالهية وقد قتل عبد الملك بن مروان الحرث المتنبي وصلبه وفعل
ذلك غير واحد من الخلفاء والملوك باشباههم واجمع علماء وقتهم على صواب فعلهم
والمخالف في ذلك من كفرهم كافر واجمع فقهاء بغداد ايام المقتدر من المالكية
وقاضي قضاتها ابو عمر المالكي على قتل الحلاج وصلبه لدعواه الالهية والقول بالحلول
وقوله انا الحق مع تمسكه في الظاهر بالشريعة ولم يقبلوا توبته وكذلك حكموا في ابن
ابي العزاقر وكان على نحو مذهب الحلاج بعد هذا ايام الراضي بالله وقاضي قضاة
بغداد يومئذ ابو الحسين ابن عمر المالكي وقال ابن عبد الحكم في المبسوط من تنبأ
قتل وقال ابو حنيفة رضي الله عنه واصحابه من جحد ان الله خالقه او ربه او قال
ليس لي رب فهو مرتد وقال ابن القسم في كتاب ابن حبيب ومحمد في العتبية فيمن
تنبأ يستتاب اسر ذلك او اعلنه وهو كالمرتد وقاله سحنون وغيره وقاله اشهب
في يهودي تنبأ وادعى انه رسول الينا ان كان معلنا بذلك استتيب فان تاب والا

والا قتل وقال ابو محمد بن ابي زيد فيمن لعن بارئه وادعى ان لسانه زل وانما اراد
لعن الشيطان يقتل بكفره ولا يقبل عذره وهذا على القول الآخر من انه لا تقبل
توبته وقال ابو الحسن القابسي في سكران قال انا الله انا الله ان تاب ادب
فان عاد الى مثل قوله طولب مطالبة الزنديق لان هذا كفر المتلاعبين

فصل واما من تكلم من سقط القول وسخف اللفظ ممن لم يضبط كلامه
واهمل لسانه بما يقتضي الاستخفاف بعظمة ربه وجلالة مولاه او تمثل في بعض
الاشياء ببعض ما عظم الله من ملكوته او نزع من الكلام لمخلوق بما لا يليق
الا في حق خالقه غير قاصد للكفر والاستخفاف ولا عامد للالحاد فان تكرر
هذا منه وعرف به دل على تلاعبه بدينه واستخفافه بحرمة ربه وجهله بعظيم عزته
وكبريائه وهذا كفر لا مرية فيه وكذلك ان كان ما اورده يوجب الاستخفاف و
التنقص لربه وقد افتى ابن حبيب واصبغ بن خليل من فقهاء قرطبة بقتل
المعروف بابن اخي عجب وكان قد خرج يوما فاخذه المطر فقال بدا الخراز
يرش جلوده وكان بعض الفقهاء بها ابو زيد صاحب الثمانية وعبد الاعلى
ابن وهب وابان بن عيسى قد توقفوا عن سفك دمه واشاروا الى انه
عبث من القول يكفي فيه الادب وافتى بمثله القاضي حينئذ موسى بن زياد
وقال ابن حبيب دمه في عنقي ايشتم ربا عبدناه ثم لا ننتصر له انا اذا لعبيد سوء
ما نحن له بعابدين وبكى ورفع المجلس الى الامير بها عبد الرحمن بن الحكم الاموي وكانت
عجب عمة هذا المطلوب من حظاياه واعلم باختلاف الفقهاء فخرج الاذن
من عنده بالاخذ بقول ابن حبيب وصاحبه وامر بقتله فقتل وصلب بحضرة
الفقيهين وعزل القاضي لتهمته بالمداهنة في هذه القصة ووبخ بقية الفقهاء
وسبهم واما من صدرت عنه من ذلك الهنة الواحدة والفلتة الشاردة
ما لم يكن تنقصا وازراء فيعاقب عليها ويؤدب بقدر مقتضاها وشنعة
معناها وصورة حال قائلها وشرح سببها ومقارنها وقد سئل ابن القسم رحمه الله
عن رجل نادى رجلا باسمه فاجابه لبيك اللهم لبيك قال ان كان جاهلا او
قاله على وجه سفه فلا شيء عليه قال القاضي ابو الفضل وشرح قوله انه لا قتل

عليه والجاهل يزجر ويعلم والسفيه يؤدب ولو قالها على اعتقاد ازالة منزلة ربه
لكفر بهذا مقتضى قوله وقد اسرف كثير من سخفاء الشعراء ومتهميهم في هذا الباب واستخفوا
عظيم هذه الحرمة فاتوا من ذلك بما ننزه كتابنا ولساننا واقلامنا عن ذكره ولولا
انا قصدنا نص مسائل حكيناها لما ذكرنا شيئا مما يثقل ذكره علينا مما حكيناه
في هذه الفصول واما ما ورد في هذا من اهل الجهالة واغاليط اللسان كقول بعض
الاعراب رب العباد ما لنا وما لكا قد كنت تسقينا فما بدا لكا انزل علينا
الغيث لا ابا لكا في اشباه لهذا من كلام الجهال ومن لم يقومه ثقاف تأديب
الشريعة والعلم في هذا الباب فقلما يصدر الا من جاهل يجب تعليمه وزجره والاغلاظ
له عن العودة الى مثله قال ابو سليمان الخطابي وهذا تهور من القول والله منزه عن هذه
الامور وقد روينا عن عون بن عبد الله انه قال ليعظم احدكم ربه ان يذكر اسمه
في كل شيء حتى يقول اخزى الله الكلب وفعل به كذا وكان بعض من ادركنا
من مشايخنا قلما يذكر اسم الله الا فيما يتصل بطاعته وكان يقول للانسان
جزيت خيرا وقلما يقول جزاك الله خيرا اعظاما لاسمه تعالى ان يمتهن في غير
قربة وحدثنا الثقة ان الامام ابا بكر الشاشي كان يعيب على اهل الكلام
كثرة خوضهم فيه تعالى وفي ذكر صفاته اجلالا لاسمه تعالى ويقول هؤلاء يتمندلون
بالله عز وجل وينزل الكلام في هذا الباب تنزيله في باب ساب النبي صلى الله عليه
وسلم على الوجوه التي فصلناها والله الموفق تعالى **فصل وحكم من سب
سائر الانبياء الله تعالى وملائكته واستخف بهم او كذبهم فيما اتوا به او انكرهم
وجحدهم حكم نبينا عليه السلام على مساق ما قدمناه** قال الله تعالى ان الذين
يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسوله الآية وقال
تعالى قولوا امنا بالله وما انزل علينا وما انزل الى ابراهيم الآية الى قوله تعالى
لا نفرق بين احد منهم وقال تعالى كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق
بين احد من رسله قال مالك في كتاب ابن حبيب ومحمد وقاله ابن القاسم وابن
الماجشون وابن عبد الحكم واصبغ وسحنون فيمن شتم الانبياء او احدا منهم
او تنقصه قتل ولم يستتب ومن سبهم من اهل الذمة قتل الا ان يسلم وروى

وروى سحنون عن ابن القاسم من سب الانبياء من اليهود والنصارى بغير
الوجه الذي به كفر ضربت عنقه الا ان يسلم وقد تقدم الخلاف في هذا الاصل
وقال القاضي بقرطبة سعيد بن سليمان في بعض اجوبته من سب الله وملائكته
قتل وقال سحنون فيمن شتم ملكا من الملائكة فعليه القتل وفي النوادر عن مالك
فيمن قال ان جبريل اخطأ بالوحي وانما كان النبي علي بن ابي طالب استتيب فان تاب
والا قتل ونحوه عن سحنون وهذا قول الغرابية من الروافض سموا بذلك لقولهم
كان النبي اشبه بعلي من الغراب بالغراب وقال ابو حنيفة واصحابه على اصلهم من كذب
باحد من الانبياء او تنقص احدا منهم او برئ منه فهو مرتد وقال ابو الحسن القابسي
في الذي قال لآخر كأنه وجه مالك الغضبان لو عرف انه قصد ذم الملك قتل قال
القاضي ابو الفضل وهذا كله فيمن تكلم فيهم بما قلناه على جملة الملائكة والنبيين او على
معين ممن حققنا كونه من الملائكة والنبيين ممن نص الله عليه في كتابه او حققنا
علمه بالخبر المتواتر والمشهور المتفق عليه بالاجماع القاطع كجبريل وميكائيل
ومالك وخزنة الجنة وجهنم والزبانية وحملة العرش المذكورين في القرآن من
من الملائكة ومن سمي فيه من الانبياء وكعزرائيل واسرافيل ورضوان والحفظة
ومنكر ونكير من الملائكة المتفق على قبول الخبر بهما فاما من لم تثبت الاخبار بتعيينه
ولا وقع الاجماع على كونه من الملائكة او الانبياء كهاروت وماروت في الملائكة
والخضر ولقمان وذي القرنين ومريم وآسية وخالد بن سنان المذكور انه
نبي اهل الرس وزرادشت الذي تدعي المجوس والمؤرخون نبوته فليس
الحكم في سابهم والكافر بهم كالحكم فيما قدمناه اذ لم تثبت لهم تلك الحرمة
ولكن يزجر من تنقصهم وآذاهم ويؤدب بقدر حال المقول فيهم لا سيما
من عرفت صديقيته وفضله منهم وان لم تثبت نبوته واما انكار نبوتهم
او كون الآخر من الملائكة فان كان المتكلم في ذلك من اهل العلم فلا حرج
لاختلاف العلماء في ذلك وان كان من عوام الناس زجر عن الخوض
في مثل هذا فان عاد ادب اذ ليس لهم الكلام في مثل هذا وقد كره السلف
الكلام في مثل هذا مما ليس تحته عمل لاهل العلم فكيف للعامة

فصل واعلم ان من استخف بالقرآن او المصحف او بشيء منه او سبهما او جحده او حرفا
منه او آية او كذب بشيء مما صرح به فيه من حكم او خبر او اثبت ما نفاه او نفى
ما اثبته على علم منه بذلك او شك في شيء من ذلك فهو كافر عند اهل العلم باجماع
قال الله تعالى وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم
حميد حدثنا الفقيه ابو الوليد هشام بن احمد رحمه الله حدثنا ابو علي حدثنا
ابو علي حدثنا ابن عبد البر حدثنا ابن عبد المؤمن حدثنا ابن داسة حدثنا
ابو داود حدثنا احمد بن حنبل حدثنا يزيد بن هارون حدثنا محمد بن عمرو عن ابي سلمة
عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المراء في القرآن كفر تأول بمعنى الشك
وبمعنى الجدال وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم من جحد آية من كتاب الله
من المسلمين فقد حل ضرب عنقه وكذلك ان جحد التوراة والانجيل وكتب الله المنزلة
او كفر بها او لعنها او سبها او استخف بها فهو كافر وقد اجمع المسلمون ان القرآن
المتلو في جميع اقطار الارض المكتوب في المصحف بايدي المسلمين مما جمعه الدفتان
من اول الحمد لله رب العالمين الى آخر قل اعوذ برب الناس انه كلام الله تعالى
ووحيه المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وان جميع ما فيه حق وان من نقص منه
حرفا قاصدا لذلك او بدله بحرف آخر مكانه او زاد فيه حرفا مما لم يشتمل عليه المصحف
الذي وقع الاجماع عليه واجمع على انه ليس من القرآن عامدا لكل هذا انه كافر ولهذا
رأى مالك قتل من سب عائشة رضي الله تعالى عنها بالفرية لانه خالف القرآن
ومن خالف القرآن قتل اي لانه كذب بما فيه وقال ابن القاسم من قال ان الله
تعالى لم يكلم موسى تكليما يقتل وقاله عبد الرحمن بن مهدي وقال محمد بن سحنون
فيمن قال المعوذتان ليستا من كتاب الله تضرب عنقه الا ان يتوب وكذلك
كل من كذب بحرف منه قال وكذلك ان شهد شاهد على من قال ان الله لم يكلم موسى
تكليما وشهد آخر عليه انه قال ان الله لم يتخذ ابراهيم خليلا لانهما اجتمعا على انه كذب
النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابو عثمان بن الحداد جميع من ينتحل التوحيد متفقون
ان الجحد لحرف من التنزيل كفر وكان ابو العالية اذا قرأ عنده رجل لم يقل له ليس
كما قرأت ويقول اما انا فاقرأ كذا فبلغ ذلك ابراهيم فقال اراه سمع انه من كفر

كفر به كله وقال عبد الله بن مسعود من كفر بآية من القرآن فقد كفر به كله وقال
اصبغ بن الفرج من كذب ببعض القرآن فقد كفر به كله ومن كذب به فقد كفر
به ومن كفر به فقد كفر بالله وقد سئل القابسي عمن خاصم يهوديا فحلف له بالتوراة
فقال الآخر لعن الله التوراة فشهد عليه بذلك شاهد ثم شهد آخر انه سأله
عن القضية فقال انما لعنت توراة اليهود فقال ابو الحسن الشاهد الواحد لا يوجب
القتل والثاني علق الامر بصفة تحتمل التأويل اذ لعله لا يرى اليهود متمسكين بشيء
من عند الله لتبديلهم وتحريفهم ولو اتفق الشاهدان على لعن التوراة مجردا
لضاق التأويل وقد اتفق فقهاء بغداد على استتابة ابن شنبوذ المقرئ
احد ائمة المقرئين المتصدرين بها مع ابن مجاهد لقراءته واقرائه بشواذ
من الحروف مما ليس في المصحف وعقدوا عليه بالرجوع عنه والتوبة منه
سجلا اشهد فيه بذلك على نفسه في مجلس الوزير ابي علي بن مقلة سنة ثلث
وعشرين وثلثمائة وكان فيمن افتى عليه بذلك ابو بكر الابهري وغيره وافتى
ابو محمد بن ابي زيد بالادب فيمن قال لصبي لعن الله معلمك وما علمك وقال
اردت سوء الادب ولم ارد القرآن قال ابو محمد واما من لعن المصحف فانه
يقتل فصل وسب آل بيته وازواجه واصحابه عليه السلام وتنقصهم
حرام ملعون فاعله حدثنا القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله حدثنا ابو الحسين
الصيرفي وابو الفضل العدل قالا حدثنا ابو يعلى حدثنا ابو علي السنجي حدثنا ابن محبوب
حدثنا الترمذي ثنا محمد بن يحيى حدثنا يعقوب بن ابراهيم حدثنا عبيدة بن
ابي رائطة عن عبد الرحمن بن زياد عن عبد الله بن مغفل قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن احبهم
فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد
آذى الله ومن آذى الله يوشك ان يأخذه وقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا تسبوا اصحابي فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين
لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وقال عليه السلام لا تسبوا اصحابي فانه يجيء قوم
في آخر الزمان يسبون اصحابي فلا تصلوا عليهم ولا تناكحوهم ولا تجالسوهم فان

مرضوا فلا تعودوهم وعنه صلى الله عليه وسلم من سب أصحابي فاضربوه وقد
أعلم النبي صلى الله عليه وسلم أن سبهم وأذاهم يؤذيه وأذى النبي صلى الله عليه
وسلم حرام فقال لا تؤذوني في أصحابي ومن آذاهم فقد آذاني وقال عليه السلام
لا تؤذوني في عائشة وقال في فاطمة رضي الله عنها بضعة مني يؤذيني ما آذاها وقد
اختلف العلماء في هذا فمشهور مذهب مالك في ذلك الاجتهاد والأدب الموجع
قال مالك رحمه الله من شتم النبي صلى الله عليه وسلم قتل ومن شتم أصحابه أدب
وقال أيضا من شتم أحدا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر أو عمر أو عثمان
أو معاوية أو عمرو بن العاص رضي الله عنهم فإن قال كانوا على ضلال وكفر قتل
وإن شتمهم بغير هذا من مشاتمة الناس نكل نكالا شديدا وقال ابن حبيب من غلا
من الشيعة إلى بغض عثمان والبراءة منه أدب أدبا شديدا ومن زاد إلى بغض أبي بكر
وعمر فالعقوبة عليه أشد ويكرر ضربه ويطال سجنه حتى يموت ولا يبلغ به القتل إلا
في سب النبي صلى الله عليه وسلم وقال سحنون من كفر أحدا من أصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم عليا وعثمان أو غيرهما يوجع ضربا وحكى أبو محمد بن أبي زيد عن سحنون من
قال في أبي بكر وعمر وعثمان وعلي إنهم كانوا على ضلالة وكفر قتل ومن شتم غيرهم
من الصحابة بمثل هذا نكل النكال الشديد وروي عن مالك من سب أبا بكر جلد
ومن سب عائشة قتل قيل له لم قال من رماها فقد خالف القرآن وقال ابن
شعبان عنه لأن الله يقول يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا إن كنتم مؤمنين
فمن عاد لمثله فقد كفر وحكى أبو الحسن الصقلي أن القاضي أبا بكر بن الطيب قال
إن الله تعالى إذا ذكر في القرآن ما نسبه إليه المشركون سبح نفسه لنفسه كقوله
وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه في آي كثيرة وذكر تعالى ما نسبه المنافقون إلى عائشة
فقال تعالى ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك سبح نفسه
في تنزيهها من السوء كما سبح نفسه لتنزيهه من السوء وهذا يشهد لقول مالك
في قتل من سب عائشة ومعنى هذا والله أعلم أن الله لما عظم سبها كما عظم
سبه وكان سبها سبا لنبيه وقرن سب نبيه وأذاه بأذاه تعالى وكان حكم
مؤذيه تعالى القتل كان مؤذي نبيه عليه السلام كذلك كما قدمناه وشتم رجل عائشة

عائشة بالكوفة فقدم إلى موسى بن عيسى العباسي فقال من حضر هذا فقال ابن أبي ليلى
أنا فجلده ثمانين وحلق رأسه وأسلمه إلى الحجامين وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
أنه نذر قطع لسان عبيد الله بن عمر إذ شتم المقداد بن الأسود فكلم في ذلك
فقال دعوني أقطع لسانه حتى لا يشتم أحد بعد أصحاب النبي محمد صلى الله عليه وسلم و
روى أبو ذر الهروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتي بأعرابي يهجو الأنصار فقال
لولا أن له صحبة لكفيتكموه قال مالك من انتقص أحدا من أصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم فليس له في هذا الفيء حق قد قسم الله الفيء على ثلاثة أصناف فقال
للفقراء المهاجرين الآية ثم قال والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم الآية وهؤلاء
الأنصار ثم قال والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا
الذين سبقونا بالإيمان الآية فمن تنقصهم فلا حق له في فيء المسلمين وفي كتاب
ابن شعبان من قال في واحد منهم إنه ابن زانية وأمه مسلمة حد عنده بعض أصحابنا
حدين حدا له وحدا لأمه ولا أجعله كقاذف الجماعة في كلمة لفضل هذا على غيره
ولقوله عليه السلام من سب أصحابي فاجلدوه قال ومن قذف أم أحدهم
وهي كافرة حد حد الفرية لأنه سب له فإن كان أحد من ولد هذا الصحابي حيا قام
بما يجب له وإلا فمن قام به من المسلمين كان على الإمام قبول قيامه قال وليس
هذا كحقوق غير الصحابة لحرمة هؤلاء بنبيهم صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم ولو سمعه
الإمام وأشهد عليه كان ولي القيام به قال ومن سب غير عائشة من أزواج
النبي صلى الله عليه وسلم ففيها قولان أحدهما يقتل لأنه سب النبي صلى الله عليه وسلم
بسب حليلته والآخر أنها كسائر الصحابة يجلد حد المفتري قال وبالأول أقول
وروى أبو مصعب عن مالك من انتسب إلى بيت النبي صلى الله عليه وسلم يضرب
ضربا وجيعا ويشهر ويحبس طويلا حتى تظهر لأنه استخفاف بحق الرسول صلى الله
عليه وسلم وأفتى أبو المطرف الشعبي فقيه مالقة في رجل أنكر تحليف امرأة بالليل
وقال لو كانت بنت أبي بكر الصديق ما حلفت إلا بالنهار وصوب قوله
بعض المتسمين بالفقه فقال أبو المطرف ذكر هذا لابنة أبي بكر في مثل هذا يوجب
عليه الضرب الشديد والسجن الطويل والفقيه الذي صوب قوله هو أحق باسم

الفسق من اسم الفقه فيتقدم اليه في ذلك ويؤدب ولا تقبل فتواه ولا شهادته
وهي جرحة ثابتة فيه ويبغض في الله تعالى وقال ابن عمران في رجل قال لو شهد
على ابو بكر الصديق رضي الله عنه انه ان كان اراد انه لا يجوز فيه شهادة الواحد
فلا شيء عليه وان كان اراد غير هذا فيضرب ضربا يبلغ به حد الموت وذكره
رواية قال القاضي ابو الفضل هنا انتهى القول بنا فيما حررناه وانتجز
الغرض الذي انتحيناه واستوفى الشرط الذي شرطناه مما ارجو ان يكون في كل
قسم منه للمريد مقنع وفي كل باب منهج الى بغيته ومنزع وقد سفرت فيه عن نكت
تستغرب وتستبدع وكرعت في مشارب التحقيق لم يورد لها قبل في اكثر
التصانيف مشرع واودعته غير ما فصل وددت لو وجدت من بسط
قبلي الكلام فيه او مقتدى يفيدنيه عن كتابه او فيه لاكتفي بما ارويه عما ارى
والى الله تعالى جزيل الضراعة في المنة بقبول ما منه لوجهه والعفو عما تخلله من تزين
وتصنع لغيره وان يهب لنا ذلك بجميل كرمه وعفوه لما اودعناه من شرف
مصطفاه وامين وحيه واسهرنا به جفوننا لتتبع فضائله واعملنا فيه خواطرنا
من ابراز خصائصه ووسائله ويحمي اعراضنا عن ناره الموقدة لحمايتنا
كريم عرضه ويجعلنا ممن لا يذاد اذا ذيد المبدل عن حوضه ويجعله لنا ولمن تهمم
باكتتابه واكتسابه سببا يصلنا باسبابه وذخيرة نجدها يوم تجد كل نفس ما عملت
من خير محضرا نحوز بها رضاه وجزيل ثوابه ويخصنا بخصيصى زمرة نبينا وجماعته
ويحشرنا في الرعيل الاول واهل الباب الايمن من اهل شفاعته ونحمده تعالى
على ما هدى اليه من جمعه والهم وفتح البصيرة لدرك حقايق ما اودعناه
وفهم ونستعيذه جل اسمه من دعاء لا يسمع وعلم لا ينفع وعمل
لا يرفع فهو الجواد الذي لا يخيب من امله ولا ينتصر من خذله
ولا يرد دعوة القاصدين ولا يصلح عمل المفسدين
وهو حسبنا ونعم الوكيل وصلاته على سيدنا
محمد خاتم النبيين وعلى آله الطيبين
وسلم تسليما والحمد لله
رب العالمين
امين